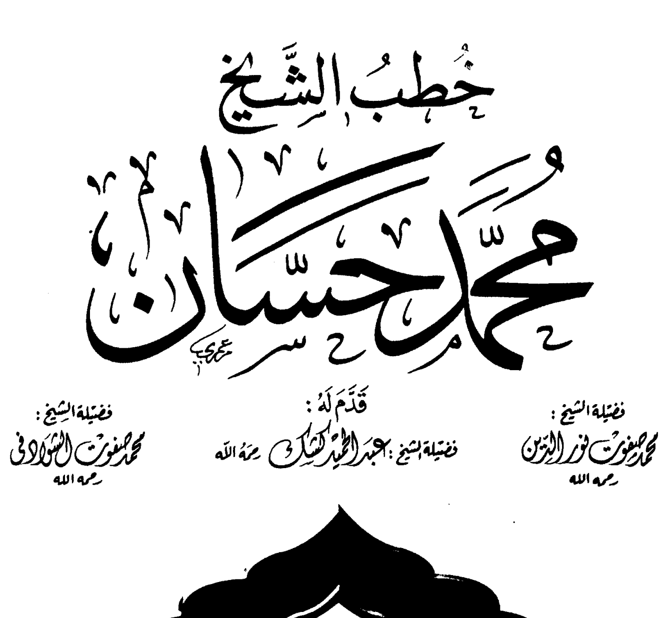

خطب الشيخ
محمد حسان
قدم له :
فضيلة الشيخ :
محمد صفوت نور الدين
رحمه الله
فضيلة الشيخ : عبد الحميد كشك رحمه الله
فضيلة الشيخ :
محمد صفوت الشوادفي
رحمه الله


المجلد الأول
١ - ٣
دار ابن رجب

خُطب الشَّيخ

مُحمَّد حسَّان

الجزء الأول

دار ابن رجب

خطب الشيخ

محمد حسان

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

رقم الإيداع : ٧٦٢٦ / ٢٠٠٥
الترقيم الدولى : 6 - 057 - 390 - 977

دار ابن رجب طبع. نشر. توزيع

فارسكور : تليفاكس ٠٠٢٠٥٧٤٤١٥٥٠ جوال : ٠١٢٢٣٦٨٠٠٢
المنصورة : شارع جمال الدين الأفغاني هاتف : ٠٠٢٠٥٠٢٣١٢٠٦٨

يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى(*):

« ولقد جلستُ يومًا فرأيتُ حَولى أكثَر من عشرة آلاف، ما فيهم إلاَّ مَنْ قد رَقَّ قلبُه، أو دَمَعتْ عينُه، فَقُلتُ لِنَفْسي كَيفَ بك إنْ نَجَوْا وهَلَكْت؟!

فَصِحْتُ بلسان وَجْدي: إلَهى وَسَيِّدى إنْ قَضَيْتَ عَليَّ بالعذاب غداً فلا تُعلمهُم بِعَذابي، صِيانةً لِكَرمك لا لأجْلي، لَئلا يَقُولوا: عَذَّبَ مَنْ دَلَّ عَليْه» .

(*) صيدُ الخاطر ص ١٨٦ طبعة دار ابن رجب.

• تقديم •

بقلم فضيلة الشيخ/ محمد صفوت نور الدين ـ رحمه اللَّه ـ
رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر

الحمد للَّه والصلاة والسلام على رسول اللَّه ﷺ، أما بعد:

يقول اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠) وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾ [الجمعة: ٩ـ ١١].

إن للإسلام دعائم وركائز، ومن دعائم الإسلام المساجد، ومن دعائم المساجد خطبة الجمعة، فإن المساجد بيوت اللَّه، يدخلها المسلم متطهرًا مستقبلاً القبلة يتجه إلى ربه مكبرًا مسبحًا تاليًا للقرآن داعيًا، فيعلم أن له من يحميه إن ضاقت السبل، واتصلت الحلقات، فإذا استقبل ربَّه وسأله ودعاه، فإنه سبحانه يتداركه برحمته وعونه.

وأهمية المساجد كثيرة فوق الحصر والعد، وخطبة الجمعة أحد أهمّ دعائم المساجد، فالحمد للَّه أن جعلها فريضة، أمر المسلمَ بالسعي للصلاة إذا نوديَ إليها من يوم الجمعة ونهى النبي ﷺ عن كل ما يشغل في ذلك الوقت، وأمرهم رب العزَّة بالاتصال والسماع، وقال لهم سبحانه: ﴿**قُلْ**

مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الجمعة:١١]، وخطبة الجمعة هي أدنى ما يلزم المسلم بحضوره من مجالس العلم؛ حتى يتعلم ما يصحح به عمله واعتقاده، لذا وجب على الخطيب أن يراعي أن من بين الحاضرين والكثير منهم من لا يشهد موعظة سواها، ولا يحضر درس علم غيرها، وأنه ـ وقد أنصت الناس له بأمر اللَّه ـ مؤتمن على تلك الكلمة التي يقولها والموعظة التي يقدمها.

إلا أن الكثير من الخطباء لم يراعوا ذلك فانصرفوا عن تعليم الناس أمر دينهم (اعتقادًا وتعبدًا وسلوكًا)، وتوجهوا أحد وجهتين.

الوجهة الأولى: حرصوا على جمع القصص المسلية والحكايات الجذابة، حتى يجذبوا أسماع الناس لقولهم دون أن يخرجوا من ذلك بفوائد تربوية، ولا تعلم للمسائل الاعتقادية أو التعبدية، وأخرجهم ذلك إلى البحث عن الغرائب والفرائد فركبوا الصعب وبحثوا عن المختلقات والمكذوبات، والموضوعات، وأشاعوا بين الناس الحكايات المنكرة، والأحاديث الباطلة.

الوجهة الثانية: شغلهم المظالم التي وقعت عن الشرك والكفر والبدعة، وعن جهل الناس بدينهم صلاة وزكاة وصومًا وحجًّا وذكرًا، فلم يعلِّموا الناس من ذلك شيئًا، إنما جعلوا المنابر نشرات إخبارية لا يتعلمون فيها أمر دينهم، فصار ذلك الذي لا يحضر إلا الجمعة يظن أن دينه أن يعرف هذه الأخبار، وأن يجمع هذه الحوادث، ولما كان الكثيرون رواة هذه الأخبار لا يتحرون الصدق صارت المنابر عرضة لرواية الكذب وإشاعة البلبلة وإحداث الفوضى بين الناس.

واليوم نسعد أن نقدِّم لإخواننا المسلمين الخطب المسموعة مكتوبة بقلم

(فاكهة الدعاة) الشيخ الشاب بل الشاب الشيخ **محمَّد حسَّان** صاحب العبارة الرشيقة، والكلمة الموثقة، والحديث الصحيح، والرواية المنضبطة، والقراءة المؤثرة، والبسمة البهية، والغضبة الصادقة، نحسبه كذلك ولا نزكي على اللَّه أحدًا، واللَّه حسيبنا وحسيبه.

ولعلَّ هذه بداية سلسلة تعليمية وعظية لنماذج من الخطب التي نأمل أن يتربَّى عليها المسلمون في بيوتهم، فلقد زرت الكثير من المسلمين في الشرق والغرب، ورأيت أثر الشريط والرسالة، وأثر الخطبة والكلمة في إيقاظ المسلمين من سباتهم العميق، وإرشادهم بعد تفككهم وبعدهم عن دينهم وانصرافهم.

وأوصي الأخ الحبيب الشيخ **محمد حسَّان** بالمزيد على المنهج الفريد من جمال الموعظة، وتوثيق الكلمة، كما أوصي أخي القارئ بحسن الاستقبال، وأن يكون مثل هذه الخطب مفتاحًا له يفتح له باب القراءة ليتعلم، وعليه أن يعلم أن أصل الدين في اعتقاد أركانه ستة، وإسلام أركانه خمسة، وسلوك مداره على أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فعليه أن يتعلم ذلك ليبقى على بصيرة من سلوكه وعلمه وعمله، فالأجل قريب والحساب بعده، فليكن مستعدًّا.

كما أوصي الأخ الناشر بحسن الإخراج، وجمال الطبعة، ودقة المراجعة، واللَّه يوفق الجميع لما فيه خير الإسلام وصالح المسلمين.

واللَّه من وراء القصد

وكتبه فقير عفو ربه ورضا مولاه

محمد صفوت نور الدين

العاشر من رمضان ١٤١٦ هـ

• تقديم •

فضيلة الشيخ/ محمد صفوت الشوادفي ـ رحمه اللَّه ـ
رئيس تحرير «مجلة التوحيد»

الحمد للَّه والصلاة والسلام على رسول اللَّه ﷺ، وبعد. . .

فإن اللَّه عزَّ وجلَّ قد خلق عباده متفاوتين في العلم والفهم وسائر شئونهم، قال تعالى: ﴿**نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ**﴾ [الزخرف:٣٢]، واختص اللَّه بعض عباده بالفهم في مسائل معينة كما في قوله: ﴿**فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ**﴾ [الأنبياء:٧٩]! كما تفضل على بعض عباده بنعمة الحكمة، فقال: ﴿**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾ [البقرة:٢٦٩].

وجعل اللَّه عزَّ وجلَّ الدعاة إليه العاملين بعلمهم هم أحسن الناس قولاً، وأهداهم سبيلاً، وأقومهم طريقًا، وأكرمهم سلوكًا، وذلك لما اختصهم اللَّه به من الفضل والكرامة والعلم والإمامة، فجعل قلوبهم أوعية لنصوص الشريعة، وعلومها، ونورًا يضيء الطريق لقلوب غيرها!

من أجل ذلك فإن رسول اللَّه ﷺ قد جعل فقههم علامة على إرادة الخير بهم، فقال ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**».

والكتاب الذي بين أيدينا الآن هو مجموعة كلمات خالصة مخلصة نادى بها مؤلفه ـ جزاه اللَّه خيرًا ـ على قومه من فوق أعواد المنبر، وهو

يعمل جاهدًا على أن يوقظ الناس من سباتهم وينبههم من غفلتهم بلسان لا يعرف الملل أو الكلل.

وصاحب هذا التأليف غني عن التعريف، فقد رزقه اللَّه القبول في الشرق والغرب، وأنزل اللَّه محبته على قلوب عباده المؤمنين، واختصه بأسلوب يجمع القلوب، ويثير كوامن الإيمان، وقد كان وما زال - أكرمه اللَّه - يبذل جهدًا متواصلاً في الدعوة إلى اللَّه حتَّى تقطَّعت أحبال صوته في سبيل اللَّه.

فنسأل اللَّه عزَّ وجلَّ أن يجعل هذا الكتاب وسائر أعماله الصالحة في ميزان فضيلة الأخ الشيخ **محمد حسَّان**، وأن يجزيه خيرًا على ما قدَّم ويُقدِّم من دعوة صادقة موفقة إلى اللَّه، إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

وصلَّى اللَّه وسلَّم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

وكتبه

صفوت الشوادفي

رئيس تحرير مجلة التوحيد

• تقديم •

فضيلة الشيخ/ عبد الحميد كشك ـ رحمه اللَّه ـ

إن الحمد للَّه، نحـمده ونستعـينه ونستغفره، ونعـوذ باللَّه من شرور أنفسنا وسيئات أعمـالنا، إنه من يهده اللَّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشـهد أن لا إله إلا اللَّه، واحـد في ذاته لا قـسيم له، واحـد في أفعاله لا شريك له، واحد في صفاته لا شبـيه له، سبحانه، علا فقهر، وملك فقدر، وبطن فخبر.

إلهي:

مَـا في الوُجـود سواكَ رَبٌّ يُعْـبَـدُ   كَـلاَّ وَلاَ مَـوْلَى هُنَـاكَ فَـيُـقْـصَـدُ
يَا مَنْ لَـهُ عَنَت الوُجُــوهُ بأَسْـرِهَا   رَهَبًـــا وَكُـلُّ الكَائنَـات تُوَحِّــدُ
أَنْتَ الإلـهُ الوَاحِـــدُ الحَـقُّ الَّذي   كُلُّ القُـلُوب به تُقِــرُّ وتَـشْــهَـدُ

وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا وعظيمنا محمدًا رسول اللَّه ﷺ خاتم الأنبيـاء والمرسلين صلوات ربي وسـلامه عليـه.. ما هبَّت النسـائم وما ناحت على الأيك الحمائم..

أما بعـد، فيا حـماة الإسـلام وحرَّاس العقـيدة، لعلَّك أيهـا القارئ الكريم إذا ما طفت برياض هذا البستان.. بستان الإسلام في هذا السِّفر الكريم، تلمح بعين الفـؤاد، ووعى القلب مـا فيـه من أصـول العقـائد

وشعائر العبادات وشرائع المعاملات، ومناهج السلوك، وقيم الأخلاق، ومبادئ الأحكام، وقواعد النظام ما يجعلك تكوِّن باقة عبقة يفوح أريجها معطرًا بشذا الجنان الفيحاء.

في هذا الكتاب أيها القارئ الكريم ترى من المعاملات الإسلامية ما يجعلك تستنشق عبير الإسلام الذي عالج البشرية بعلم وحكمة، فكان كالنسيم الساري يدفع الشراع دون أن تغرق المركب.

وسيجد القارئ الكريم في ضفاف هذا الكتاب ما يشرح الصدر ويسعد الروح، لا سيما أن المؤلف صاحب تجربة، والتجربة خير شاهد.

لقد جاء هذا الكتاب في عصر طغت فيه الماديات على المعنويات حتى قال بعض المستشرقين:

«اخلعوا الحجاب عن المرأة وغطوا به المصحف، ولا تجزعوا من بنائهم للمساجد، فدعوهم فليبنوا ما شاءوا ما دام أبناؤهم يتعلمون في مدارسنا».

نعم إن المسلمين في مسيس الحاجة إلى كلمة قئول ملتزم لا يخالف قوله عمله.

إنك أيها القارئ الكريم أثناء قراءتك هذا الكتاب ستجد نفسك كالطائر الغريد ينتقل من فنن إلى فنن، ومن غصن إلى غصن، وكأنك تهب عليك نسمات تحمل في ثناياها قطرات الندى معطرة بأريج الجنة، وفي هذا فليتنافس المتنافسون، وفي ذلك فليعمل العاملون.

وجزى اللَّه الداعية الإسلامي الكبير الشيخ **محمد حسَّان** خير ما جزى به عباده الصالحين، وحسبه قول رسول اللَّه ﷺ:

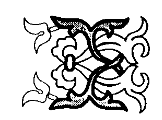
«**إنَّ العُلماءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاء**»(١).

وصلِّ اللَّه وسلِّم وزِد وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلِّم.

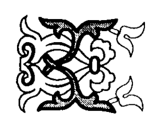
كتبه

عبد الحميد كشك

(١) حسن: [ص. الترغيب: ٦٨] رواه أبو داود رقم (٣٦٤١، ٣٦٤٢) في العلم، باب الحث على طلب العلم، والترمذي رقم (٢٦٨٣، ٢٦٨٤) في العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، ورواه أحمد، وابن ماجه، والدارمي، وابن حبان في صحيحه وغيرهم، وحسَّنه شيخنا الألباني في «صحيح الترغيب» برقم (٦٨)، وهو جزء من حديث مطلعه: «مَنْ سَلَكَ طريقًا يَبْتَغِي فِيه عِلمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إلَى الجَنَّةِ».



المقدمة



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾[2].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[3].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعةٌ، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار[4].

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٠-٧١.

(٤) هذه خطبة الحاجة التى كان النبي ﷺ يستفتح بها خطبه ودروسه ومواعظه، وللشيخ الألباني رسالة نافعة فيها فراجعها.

أما بعد :

إن الكلمة شأنُها عظيمٌ . . وخطرُها جسيمٌ . . ولِمَ لا؟ فَبِكَلِمَةٍ يَدْخُلُ المرءُ دينَ الله . . وبكلمة يخرجُ من دين الله . . وبكلمة يَنالُ رضوانَ الله . . وبكلمة يَستحقُّ سخطَ الله . . وبكلمة تَحِلُّ له امرأةٌ . . وبكلمة تَحْرُمُ عليه . . وبكلمة يَسْعَدُ حزينٌ أو يَحزنُ سعيدٌ . . وبكلمة قد يُذْبَحُ شريفٌ أو تُرمى عفيفةٌ . . وبكلمة قد يتَمَزَّقُ شملٌ ويتصدَّعُ صَرْحٌ ويَتَفرَّقُ أَحبَّة . . وبكلمة تُستَيقظُ العَواطفُ النبيلة والضَمائرُ الحية . . وبكلمة قد تَسيلُ بركٌ من الدماء وتَنمو الأحقادُ والشحناء . . وبكلمة تبكي العيونُ وتَلينُ الجُلُودُ وتخشعُ القلوبُ وتَنْشرحُ الصدورُ وتَعْلُو الهِمَمُ . .

والكلمة إذا كانت صادقةً فهي كلمةٌ باقيةٌ مثمرةٌ، فكم من كلماتٍ وُلدت حية وبقيت فيها الحياةُ بحياة أَصحابها بل وبعد مَمَاتهم!!

بَيْنَ الجوانحِ في الأعماق سُكْنَاهَا فكيفَ تُنسَى ومَنْ في النَّاسِ يَنْسَاهَا
الأُذْنُ سامعةٌ والعَيْنُ دَامِعَةٌ والروحُ خاشعةٌ والقَلبُ يَهْواهَا

والسِّرُ هو : الصدقُ والإخلاصُ اللذان يمنحان الكلماتِ روحاً فتبقى حيةً أبداً . . ولَيْسَتْ النَّائحةُ الثَكْلى كالنَّائحة المستأجرة . . ولا يَعرفُ الشَوْقَ إلا من يُكابده ولا الصبَّابة إلا من يُعانيهَا . . بَلْ وكَمْ منْ أَقوامٍ تَرِقُّ القلوبُ بِذكْرِهم ناهيك عن قولهم . . وكم من أقوامٍ تَقْسُو القلوبُ بذكرهم ناهيك عن قولهم!!

وتأملْ طويلاً هذا المَثَلَ القُرآني الفَريد لهذه الكلمة الصَادقة الطيبة في قول الحق سبحانه : ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ**

اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾(١).

نعم.. إن شجـرَ الناسِ منه ما يثـمرُ في الصـيف ومنه ما يُثـمرُ في الشتـاء.. أَمَّا الشجرةُ الطيـبةُ التى ضَرَبَها اللهُ مـثلاً للكلمةِ الطيبـة فهي شجرة مُبـاركة تؤتي ثمارَهَا كُلَّ حينٍ بإذن ربها عز وجل.. فـهى شجرةٌ كريمةٌ لا تتأثر بالظروف ولا بتَغَيُّر الأَحوالِ.. إنها شجرةٌ عَميقةُ الجذورِ.. تَتَـغَلْغَلُ في أعمـاقِ التربة وقلب الصـخور.. سَـامقـةٌ مُثـمرة.. ثَابـتةٌ مُسـتقـرة.. لا تزعزعـها الأَعَـاصيـرُ.. ولا تَعصف بهـا الرياحُ.. ولا تحطمها معاول البطش والهدم والطغيان..

ذلكم هو مثلُ الكلمةِ الصـادقةِ الطيبةِ التى لا تمنعهـا الحواجزُ.. ولا تحجبها السدودُ.. ولا تصدها العوائق!!

فـها هو الطُّفَـيل بنُ عـمرو الدوسيُّ ـ رضي الله عنـه ـ سيـدُ قبـيلة دوس.. يأتي إلى مكة ورحى الصراع دائرةٌ على أشدِّها بين رسول الله ﷺ وكفار قريش.. الذين انطلقوا في شراسـةٍ ووحشيةٍ يُقاومُون دعوةَ النبي ﷺ بكل سبـيل، ويصدُّون الناسَ عنه وعـن دعوته بكل وسيلـة.. فلما رأَوْا الطفيلَ أقبل عليه السـادةُ والكبراءُ من أهل مكة.. وقالوا: يا طفيلُ إنك قد قَـدمْتَ بلادَنا وهذا الرجلُ الذى يَزْعُمُ أنه نبي قـد أفسدَ أمـرنَا وَمَزَّق شَمْلَنا وشتت جَماعـتنَا ونحنُ نخشى عليكَ منه وأن يَحِلَّ بِك وبزعامتِك في قَومِك ما قد حَلَّ بنا..

فلا تُكلِّم الرجل ولا تَسْمَعَنَّ منه شيئاً فإن له قولاً كالسحر يُفرق بين الوَلَدِ وأبيهِ والأخِ وأخيهِ والزوجِ وزوجِهِ..

(١) سورة إبراهيم: ٢٤، ٢٥

يقول الطفيل: فوالله ما زالوا بي يَقُصُّونَ عليَّ ويُخوِّفونَني على نَفسي وقومي من محمد حتى أَجْمَعْتُ أمري على ألا أقترب منه ولا أُكَلِّمُهُ كلمةً واحدةً أو أَسْمَعَ منه شيئاً.

فلما غدا الطفيلُ إلى المسجدِ حَشَا في أُذُنَيْه قُطْناً خوفاً من أن يسمعَ شيئاً من النبي ﷺ.. ولكن هيهات هيهات!!

يقول الطفيلُ: فلما دخلتُ المسجدَ وجدتُه قائماً يُصلي عند الكعبة صلاةً غيرَ صلاتنا، ووجدتُ نفسي قريباً منه، وأَبَى اللهُ إلا أن يُسْمَعَني بعضَ ما يقولُ محمدٌ ﷺ فسمعتُ كلاماً حسناً..

فَقُلتُ في نفسي: ثَكَلَتْكَ أُمُّك يا طُفيلُ، إنك لرجلٌ لَبيبٌ شاعرٌ وما يخفى عليك الحسنُ من القبيحِ.. فما يمنعك أن تسمعَ من الرجلِ ما يقول؟!

ثم تَبِعَ النبيَّ ﷺ وطلب منه أن يعرض عليه أمره.. فعرض النبى ﷺ عليه الإسلام.

يقولُ الطفيل: فوالله ما سمعتُ قولاً أحسنَ من قوله ولا رأيت أمراً أَعْدَلَ من أمره، فبسطتُ يدي له وشهدتُ ألاَّ إلهَ إلا اللهُ وأن محمداً رسولُ الله ودخلتُ في الإسلامِ..

ثم انطلقَ الطفيلُ على الفور بهذا النور إلى قومه دوس فهداهم اللهُ للإسلامِ وكانَ من بينهم رَاوِيَةُ الإسلام العظيم أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ الذى يجيءُ يومَ القيامةِ في ميزانِ الطفيلِ كما تجيءُ الأمةُ كُلُّها في ميزانِ المصطفي ﷺ..

وهكذا ذهبت البرامجُ الإعلاميةُ التي وضعها جهازُ إعلامِ المشركين في مكة لصدِّ الطفيلِ عن سماعِ دعوةِ الحقِّ. ذهبتْ أدراجَ الرياحِ.. بل

وذهب أصحابُ هذه الخطط الآثمة والبرامج المزورة وبقيت دعوةُ الحق.. لأنها لا تموتُ بموتِ حداتِـها، بل يحملُها المخلصون الخـالصون من أبناء الطائفةِ المنصورةِ في كل زمانٍ ومكانٍ.. ولو مـاتت هذه الدعوةُ الصادقةُ بموت حملتها ودعاتها لماتت بموت سيدِ الحُدَاة والدعاة محمد ﷺ.

هذا شأنُ الكلمةِ.. ومنْ ثَمَّ فـهذا شأنُ صاحبها.. فـمهمةُ الخطيب مهمةٌ شـاقةٌ ولا ريب.. ولا يعرف قَدْرَ هذه المشقة إلا من احـترم منبرَهُ ونفسَه وجمـهوره الذى قد يتكبدُ هو الآخرُ المشاق والصعـاب لسماعهِ أو للجلوسِ بين يديه..

وهذا يُحتِّمُ على الخطيبِ استعدادًا خاصًّا تتجلى ثمراتُه على المنبر في لهجةٍ صادقـةٍ.. ونصيحةٍ مُخلصة.. وكلمـاتٍ نيرة.. وأفكارٍ مرتبة.. وأدلةٍ ناصـعـةٍ.. وحـججٍ بالغـة.. وعبـارات مـؤثرة.. ونظرةٍ ثاقـبـةٍ متبصرة.. ليربطَ مستمعيه بالماضي المجيد.. في غير غفلةٍ عن حاضرٍ فيه الأملُ والألم.. فيه الدمعةُ والبَسْمَةَ.. فيه الجراحُ والأفراحُ..

ليستمد من هذا وذاك دماءً زكيَّةً تتدفقُ في عروقِ المستقبل..

وليضع يده بحكـمة ورحمة عـلى موطنِ الداء لِيَسْـتَلَّ جرثومتَـه بيدٍ بيضاءَ نقية..

وليبعث في قلوب المؤمنين الشعورَ بالعزة من غير كِبْرٍ.. وروح الثقة في غير اغـترارٍ.. وحلاوة اليقين في غير تواكلٍ.. والاسـتهانةَ بالمظاهر الجوفاء في غير خُيلاء.. والاهتمامَ بالحقائق الناصعة البيضاء.. واستقبال الشدائد في سـبيل الله بثغرٍ باسم ونفس مطمـئنة.. والشعور بالمسـئولية الكبيـرة الملقاة على كـواهلهم لانتشـال هذه البشـرية الحائرة التـائهة من الضلالة إلى الهداية ومن الظلمات إلى النور.

ما أَجَلَّهُ من عمل!!

وما أشرفَها من وظيفة!!

وكيف لا وهى وظيفةُ الأنبياء والمرسلين **﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾**. [سورة فصلت : ٣٣]

وبعد فإذا كان هذا شأنُ الكلمة وشأن الخطيب(*) فهذه مجموعةٌ من خطب الجمعة والعيدين التى ألقيتُها وقد أَصَرَّ كثيرٌ من الأحبة ـ الذين يُحسنون الظنَّ بي – أن أقدمها مكتوبةً كذلك لأنهم يُعَانون في تفريغها من الأشرطة..

وهأنذا أُلَبِّى هذه الرغبةَ على استحياء.. لا من منطلق الشعورِ بالأهليةِ.. لا وَرَبِّ الكعبة بل من منطلق الشعور بالمسئولية.. والقاعدة الأصولية تقول: من عَدِمَ الماء تيمَّم بالتراب.. واللهَ أسأل أن ينفع بها وأن يجعلها خالصةً لوجهه، وأعوذ بالله أن أُذَكِّرَ بهذا وأنساه وأعوذ بالله أن أكون جسراً يَعْبُرُ الناسُ عليه إلى الجنة ويلقى به في جهنم إنه وليُّ ذلك ومولاه وهو على كل شيء قدير.

اللهُمَّ إني أعوذ بك من فتنة القول وزوره.. وخطأ الرأي وغروره..

اللهم تجاوز عن زلاتي وجرأتي..

اللهم لا تجعل حظي من ديني قولي. وارزقني الصدق في نيتي وعملي..

(*) هناك الكثير من المراجع التي تكلمتْ عن الخطيب والخطبة وأنواعها والخطابة وخصائصها وكيفية إعداد الخطيب وأهم المقومات والمراجع التي يحتاجها الخطيب.. إلخ فلتراجع لأهميتها.

اللهم إني أعوذ بك أن أقول زوراً. . أو أغشى فجوراً. . أو أن أكون بك مغروراً. .

اللهم إنى أعوذ بك من الفقـر إلا إليك. . وأعوذ بك من الخوف إلا منك. . وأعوذ بك من الذل إلا إليك. .

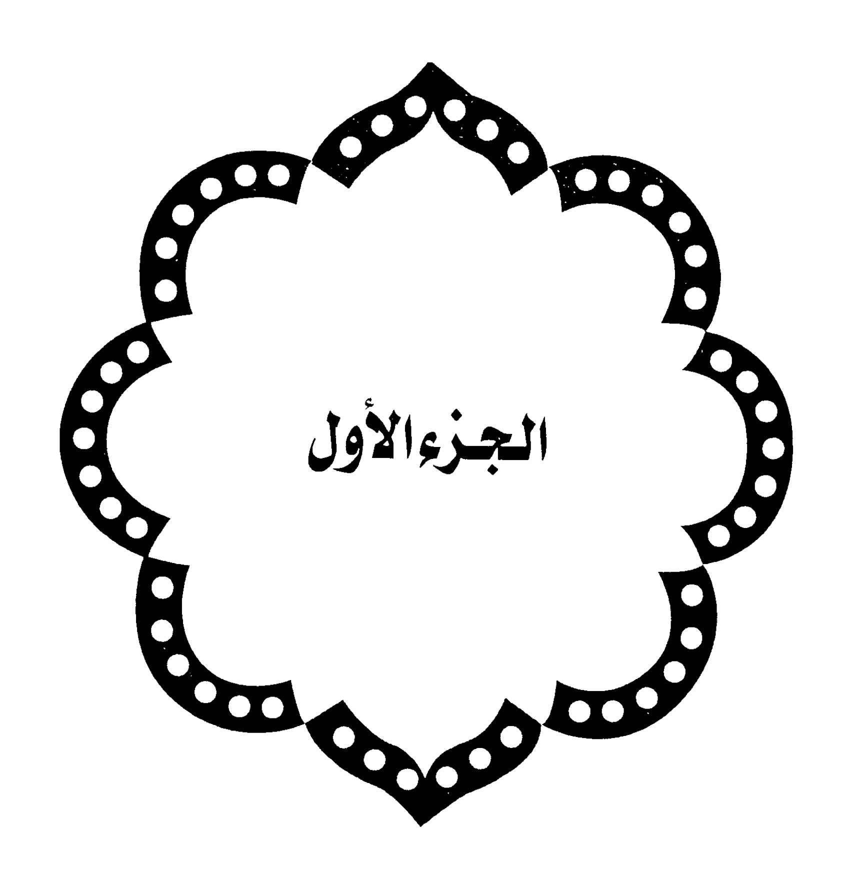
اللهم إني أبرأ إليك من حولي وقوتي وألجأ إلى حولك وقوتك لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. .

فوالله ما عصيتك جاهلاً بمقدار نعمك. . ولا ناسياً لعظيم كرمك. . فعاملنـي بإحسانـك وفضلك يا أرحم الراحمين وصلِّ الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

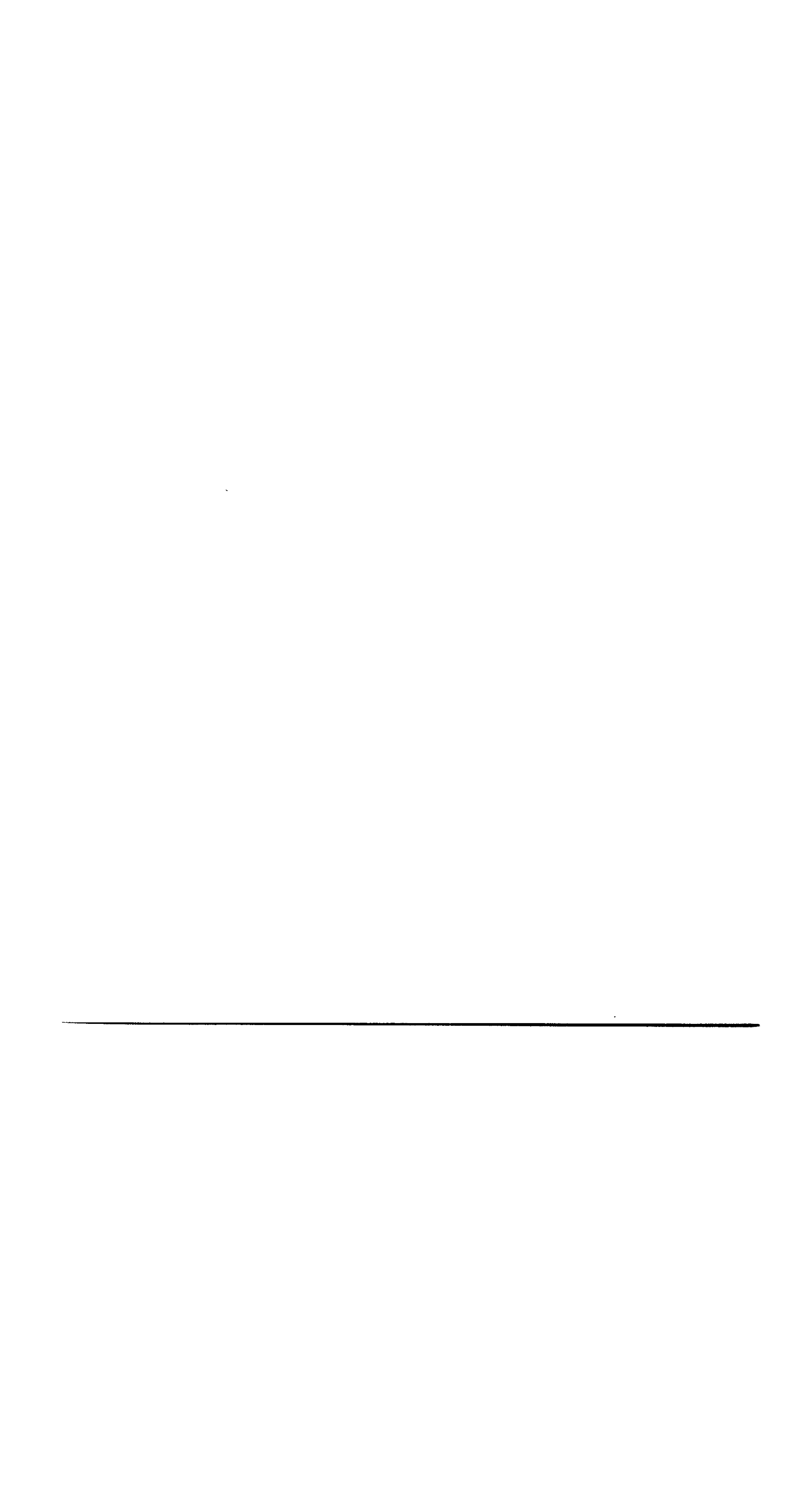
وكتبه

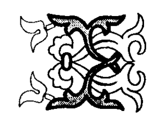
أبو أحمد محمد بن حسان

مصر - المنصورة - شهر رجب ١٤١٦ هـ



الجزء الأول





الإيمان والاستقامة(*)



إن الحمد لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئاتِ أعمالِنَا، من يهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(1).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾(2).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(3).

(*) ألقيت هذه الخطبة بمسجد الجمعية الشرعية بالمنصورة.

(1) سورة آل عمران: ١٠٢.

(2) سورة النساء: ١.

(3) سورة الأحزاب: ٧٠، ٧١.

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثُ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها وكلَّ مُحـدثةٍ بِدعةٌ، وكلَّ بِدعَةٍ ضلالةٌ،وكُلَّ ضَلالَةٍ في النَّارِ.

أحبتي في الله :

ها هي الأيام تمرُّ .. والأشـهـر تجـري وراءَهَا.. وتسـحبُ معـهـا السنينَ.. وتجرُّ خلفَهَا الأعمارَ.. وتطوِي حياةَ جيل بعد جيل.

فالحمد لله الذي جمعنا في الدنيا على محـبته وطاعته ونسأله سبحانه وتعالى أن يجمَعَنَا وإياكم مع حبيبنا المصطفى في جنته ودارِ كرامَتِه.

نضر الله هذه الوجوه التي طال شوقـنا إليها. وزكّى الله هذه النفوس التي انصهرنا معها في بوتقةِ الحب في الله.

وشرح اللهُ هذه الـصدور التي جمـعنا وإياها كـتابُ الله. وبارك الله فيكم جميعاً وجزاكم الله عنا خير الجزاء.

أحبتي في الله:

تعالـوا بنا لنعيش بعض الوقت مع آياتٍ مـن القرآنِ الكريمِ.. فـهو النعمـةُ الباقيةُ..، والعـصمةُ الواقـيةُ..، والحجةُ البـالغةُ..، والدلالةُ الدامغةُ..، وهو شفاءُ الصدورِ والحَكَمُ العَدلُ عند مشتبهات الأمور..، وهو سراج لا يخبُـو ضياؤُه.. وشهابٌ لا يُخْـمَدُ نورُه وسناؤه.. بهرت بلاغته العقولَ وظهرت أحكامه على كل مقول.

أنزله الله على رسوله ﷺ لينشئ به أمةً، وليقيم به دولةً، ولينظِّمَ به مجتمعاً وليربِّي به العقولَ والقلوبَ والضمائرَ والأخلاقَ.

فما أنزل الله هذا القرآن لِتُـزَيَّنَ به الجدرانُ، أو لتحلَّى به الصدور أو ليقرأ على القبور.

بل ما أنزله الله إلا لـيكونَ منهجَ حياةٍ. . ، وإلا لتنـفِّذُهُ الأمة حـرفاً حرفاً. . ، وكلمة كلمة. . ، وتكليفاً تكليفاً. . ، وحكماً حكماً.

ولكن أَبَت أمةُ القرآنِ إلا أن تهجرَ الـقرآنَ، وما أشقى من تغافلَ عن دائه وأعرض عن دوائه ولم يسعَ لشفائه. . فظل في ضنكه وشقائه.

فوالله الذي لا إله غيره لن تَسْتَردَّ الأمةُ هُويَّتَهـا وكرامتها وقيادتها إلا إذا عادت إلى كتاب الله عز وجل وحولته إلى منهج حياة. نسأل الله ذلك إنه ولي ذلك ومولاه.

أحبتي في الله:

أعـيـروني القلوبَ والأسـمـاعَ وتعالـوا بنا لنعـيشَ مع هذه الآيات الكريمات من سورة فُصِّلَت.

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾(١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾.

وَحَّدُوا اللهَ عز وجل ولم يشركوا به شيـئا وأخلصوا العبادةَ له وحدَه

---

(١) سورة فصلت: ٣٠-٣٢.

وكفروا بجميع الآلهةِ، والأربابِ، والأندادِ، والطواغيتِ، وأخلصوا دينَهم لله عز وجل.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾.

فأفردوه تبارك وتعالى وحده بالخلق والأمر، والملك والرزق، والتدبير والتصريف، كما قال سبحانه: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[1] فَأَقَرُّوا بأن اللهَ وحدَه هُوَ الخالقُ وما عداهُ مَخلُوقٌ. وهو الرزَّاق وما عداه مرزوق، وهو الرب وما عداه مربوب، وهو المالك وما عداه مملوك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾.

فأفردوه وحدَه بالعبادةِ والعبودية وهذا هو أصلُ الدين، وهو الذي لأجله بعث الله الرسلَ وأنزل الله الكتبَ وخلق الجنةَ والنارَ فلا خضوعَ إلا لله وحده..، ولا انقيادَ إلا لله وحده..، ولا محبة إلا لله وحده..، ولا تسليم إلا لله وحده..، ولا خوف إلا من الله وحده..، ولا رجاء إلا فيه..، ولا تسليم إلا له ..، ولا تفويض إلا إليه.. ولا توكل إلا عليه.. ولا صبرَ إلا على بابه.. ولا رجاء إلا لما في يديه الكريمتين.. ولا حَلِفَ إلا به، ولا نَذْرَ إلا له، ولا ذبح إلا له.. ولا سؤال إلا منه، ولا استعانة إلا به، ولا استغاثة إلا به، ولا طواف إلا ببيته جل وعلا.

﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[2].

---

(١) سورة الأعراف: ٥.

(٢) سورة الأنعام: ١٦٢، ١٦٣.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾.

فأفردوه سبحانه وتعالى وحده بأسماء الجلال وصفات الكمال.. سبحانه وتعالى جلّ عن الشبيه والنظير والمثيل.. لا كفؤ له، ولا ندّ له، ولا ضد له، ولا ولد له، ولا والد له، ولا زوج له، ولا مثيل له، لا تُدْركه العقول، ولا تكيفه الأفهام ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾.

فكفروا بجميع الطواغيتِ والأندادِ والآلهةِ والأربابِ وأعلنوا توحيدَهم لله وحده وجعلوا ولاءهم وبراءهم لله وحده.. وحققوا بذلك كلمةَ التوحيد الذي ما خلقهم الله جل وعلا إلا لأجله وما أرسل الله الرسل للناس إلا ليدعوهم إلى توحيد الله عز وجل، وما خلق الله الجنة والنار إلا لأجله.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾.

استقاموا على هذا التوحيدِ الكاملِ العظيمِ، فلم يكتفوا بالقول دون العملِ فهذه شِيَمُ أهلِ النفاق والعياذ بالله.. لأن الإيمان بالله: قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان..

وكما قال الحسن ـ رحمه الله ـ:

« ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلوب وصَدَّقَتْهُ الأعمالُ فمن قال خيراً وعَمِلَ خيراً قُبِلَ منه، ومن قال خيراً وعَمِلَ شراً لم يُقبَلْ منه».

(١) سورة الشورى: ١١.

وفي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في كتاب الإيمان من حديث العباس ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانَ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلامِ دِيْنًا وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولاً**»(١).

وفي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن أبي عمرو وقيل أبي عَمْرَةَ سفيان بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ وهو صحابى جليل أسلم مع وفد ثقيف وروى عن النبي ﷺ خمسة أحاديث وكان عاملاً لعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ على صدقات الطائف. قال سفيان: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك (وفي رواية الإمام أحمد والنسائي: لا أسأل عنه أحداً بعدك) قال: «**قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ**»(٢).

وفي رواية الترمذي قال: قلت: يا رسولَ الله، حدثني بأمرٍ أعتصمُ به. قال: «**قُلْ رَبِّيَ اللَّهُ، ثُمَّ اسْتَقِمْ**»، قلت: يا رسول اللَّه ما أخوفَ ما تخافُ عليّ؟ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِلِسَانِ نَفْسِهِ ثُمَّ قَالَ: «**هَذَا**»(٣).

وأخرج ابن المبارك، وسعيد بن منصور، وأحمد في الزهد، والحكيم الترمذي، وابن المنذر، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ هذه الآية على المنبر: ﴿**إن الذين..**﴾ فقال: «استقَامُوا على طاعةِ الله فلَم يرُوغُوا رَوَغَانَ الثَّعْلَبِ».

ويقول الحافظ ابن رجب الحنبلى في جامع العلوم والحكم في شرحه للحديث الحادى والعشرين: [وأصل الاستقامةِ استقامةُ القلبِ على

---

(١) صحيح: [ص.ج: ٣٤٢٥] رواه مسلم باب ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا رقم (٣٤)، والترمذي (٢٧٥٨).

(٢) صحيح: [ص.ج: ٤٣٩٥] رواه مسلم في كتاب الإيمان برقم (٣٨)، والترمذي برقم (٢٤١٠)، وكذا رواهم أحمد والنسائي وابن ماجه.

(٣) صحيح: [ص.ت: ١٩٦٥، ٢٥٣٥].

التوحيد] كما فسر أبو بكر الصديق وغيره قولَه تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ بأنهم لم يلتفتوا إلى غيره فمتى استقام القلبُ على معرفة الله، وعلى خشيته، وإجلاله ومهابته، ومحبته ورجائه، ودعائه، والتوكُّلِ عليه، والإعراضِ عما سواهُ، استقامت الجوارحُ كلُّها على طاعة الله فإن القلبَ هو ملكُ الأعضاءِ وهي جنودُه فإذا استقام الملكُ استقامت جُنودُه ورعاياه.

كما قال النبي ﷺ في حديث النعمان بن بشير الذي رواه البخاري ومسلم: «.. أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ»(١).

هذا هو التوحيد الكامل الذي يغفر اللهُ معه أيَّ ذنبٍ فهو الإكسيرُ الأعظم الذي لو وضعت ذرة منه على جبال الذنوب والخطايا لأذابتها بل وبدَّلتها حسنات؛ لأن للتوحيد نوراً يبدد ضبابَ الذنوبِ وغيومَها بقدر قوة هذا النور، وهذا هو السر الأعظم الذي ثقل بطاقة الرجل، وطاشت من أجله السجلات كما يقول العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ.

ففي الحديث الصحيح الذي رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي ورواه الترمذي في كتاب الإيمان وقال حديث حسن غريب وصححه شيخنا الألباني من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الخَلاَئِقِ يَومَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلاً كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِن هَذَا شَيْئاً،

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١/٢٢)، ومسلم (٥/ ٥٠-٥١)، وأبو داود (٣٣٢٩)، والترمذي (١/٢٢٧)، والدارمي (٢/ ٢٤٥)، وابن ماجه (٣٩٨٤)، وأحمد (٤/ ٢٦٩، ٢٧٠).

أَظَلَمكَ كَتَبتى الحَافظُون؟ فيقولُ: لا يارَبِّ، فيقولُ: أَفَلَكَ عُذرٌ؟ فيقولُ: لا يارَبِّ، فيقولُ: بَلَى إن لكَ عندنَا حَسنَةً، وإنَّهُ لا ظُلمَ عَلَيكَ اليومَ، فَيُخرِج بطَاقةً فيهَا أشهَدُ ألا إلَهَ إلا اللَّهَ وَأشْهدُ أنَّ مُحَمَّداً عَبْدُه ورَسُولُه، فَيَقُولُ: أَحْضر وَزْنَكَ فَيَقُولُ: يارَبِّ ما هَذه البطَاقَةُ مَعَ هَذه السِّجلات؟ فَيُقَالُ: إنَّك لا تُظلَم قال: فَتُوضَع السِّجلاتُ في كَفَّة والبطاقةُ في كَفَّة فطاشت السِّجلاتُ وثَقُلَت البطاقةُ؛ فَإِنَّه لا يَثقُلُ مَعَ اسمِ اللَّه تَعَالَى شَيء»(١).

فالسرُّ هو كمال التوحيد يا عباد الله.

وفي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء من حديث أبي ذر وهذه رواية الترمذى من حديث أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قَالَ تَعَالَى: يابنَ آدمَ إنك مَا دَعَوتَنى ورجَوْتَنى غَفرتُ لك علَى مَا كَانَ منكَ ولا أُبَالى، يابنَ آدمَ لَو بَلَغَت ذُنُوبُك عَنَان السَّمَاء، ثم اسْتَغفرتَنى غَفَرتُ لك ولا أُبَالى، يابنَ آدمَ لو أَتيتَنى بقُرَاب الأرضِ خَطَايا ثم لَقيتَنى لاَ تُشْرِك بى شَيئاً لأتَيتُكَ بقُرابهَا مَغْفرةً» (٢).

هذا هو التوحيد الكامل الذي مَنْ مات عليه دخل الجنةَ واستحق من عاش عليه هذه البشرى الكريمة العظيمة من الملائكة كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ﴾ وفي وقت تَنَزُّل الملائكة عدة أقوال، والبيان بعد جلسة الاستراحة إن شاء الله تعالى.

❊ ❊ ❊

(١) صحيح: [الطحاوية: ٥٦٧] [المشكاة: ٥٥٥٦] [الصحيحة: ١٣٥]، أخرجه الترمذي (٢/١٠٦-١٠٧)، ابن ماجه (٤٣٠٠) وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى قال الألباني: وهو كما قالا.

(٢) حسن: [الصحيحة: ١٢٧، المشكاة: ٢٣٣٦]، رواه الترمذي (٢/ ٢٧٠)، والدارمى (٢/ ٣٢٢)، أحمد (٥/ ١٧٢).

الخطبة الثانية

إن الحمـد لله نحمده ونستـعينه ونستـغفره، ونعوذ بالله من شـرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أيها الأحباب الكرام يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ﴾.

أى: عند الموت، قاله مجاهد والسُّدِّي وزيد بن أسلم.

نعم.. في هذه اللحظات الحاسمة إذا ما انتهى الأجلُ واقتربت ساعة الصفـر..، وناموا على فراش الموت..،وقـد نزل بهم الخَطْبُ الأفظع، والأمر الأشنـع، الذي يقطع الأوصالَ..، ويفـرق الأعضـاء..، ويهدم الأركان..، حـتى اشفـقت عائشـةُ ـ رضي الله عنها ـ على سـيد الخلق وحبيب الحق محمد ﷺ وهو يموت على صدرها.

ففي صحيح البخاري عنها قالت: «مَاتَ رَسُولُ اللَّه وإِنَّهُ لَبَينَ حَاقِنَتِى وذَاقِنَتِى فلا أَكْرَهُ شِدَّة الموتِ لأحَدٍ أبداً بَعْدَمَا رأيتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ»(١).

وفي صحيح البخاري عنها أيضاً أنها قالت: إن رسول الله ﷺ كانت بين يديه رَكْوَةٌ فـيهـا ماء فجـعل يُدخل يديه في الماء فيـمسح بها وجـهه ويقول: «لا إِلَهَ إلا اللَّهُ إنَّ للموت لَسَكَرَاتٍ» ثم نصب يديه فجعل يقول: «في الرَّفِيقِ الأَعْلَى حتى قُبِضَ ومَالَت يَدُهُ»(٢) صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) صحيح: رواه البخاري وأحمد (٢٤٣٤٦/ ٣٤٤).

(٢) صحيح: [المشكاة: ٥٩٥٩] [ص.ج: ٧١٧٥] رواه البخاري وأحمد.

فـفي هذه اللحظات بين السكرات والكُرُبات تتـنزل الملائكةُ على هؤلاء الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وتبشرهم بفضل الله عليهم وكرامة الله لهم.

كما جاء في الحديث الذي رواه أحمد في مسنده وابن ماجة في سننه بسند صحـيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قـال: «تَحْضُـرُ الملائكةُ فإذا كَـانَ الرجلُ صالحاً قـالُوا: اخرُجى أيتـها النَّفسُ الطيـبةُ كانت في الجسد الطَّيِّـب اخرُجى حَـميدة وأَبْشرى بِروحٍ وريَحَانٍ وربٍّ رَاضٍ غَير غَضبان فلا يَزالُ يُقالُ لها ذلكَ حتى تَخْرُجَ»(١).

وهنا يستبشر العبد المؤمن فيشتاق إلى لقاء الله عز وجل.

ففي الحديث الذي رواه البخاري في كتاب الرقاق، ومسلم في كتاب الذكر والدعـاء، وهذا لفظ مسلم من حـديث عائشـة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَن أحَبَّ لقاءَ اللَّه أحبَّ اللَّهُ لقاءَهُ ومن كَرِهَ لقـاءَ اللَّه كَرِه اللَّه لقـاءَهُ» فقلت: يا نبي الله، أكـراهيَةُ الموت، فكلنا نكرَهُ الموتَ؟ قال: «لَيسَ كَذَلكَ ولكنَّ المُؤمنَ إذا بُشِّرَ برحمة اللَّه ورضْوَانه وَجَنَّته أَحَبَّ لقَاءَ اللَّه فأحبَّ اللَّه لقاءَهُ، وإن الكافـرَ إذا بُشِّرَ بعذَاب اللَّه وسخَطه كَرِهَ لقاء اللَّه فَكَرِهَ اللَّهُ لقَاءَهُ»(٢).

يقول الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية:

«تقـول الملائكة للمؤمنين عـند الاحتـضار نحن كنا أوليـاؤكم ـ أي:

(١) **صحيح**: [الجنائز: ١٥٥] [المشكاة: ١٦٣٠] رواه أحمد (٥/ ٢٨٧-٢٨٨)، وأبو داود رقم (٤٧٥٣).

(٢) **متفق عليه**: [ص.ج: ٥٩٦٤، المشكاة: ١٦٠١، ١٦٠٢]، رواه البخاري (١١/ ٣٠٨) في الرقـاق، ومـسلم رقم (٢٦٨٣) فـي الذكـر والدعـاء، والتـرمـذي رقم (١٠٦٦) في الجنائز، والنسائي (٤/ ١٠) في الجنائز باب «فيمن أحب لقاء الله».

قرناؤكم - في الحياة الدنيا نسددكم ونوفقكم ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة نؤنس منكم الوحشـة في القبور وعند النفخة في الصور، ونؤمنكم يـوم البعث والنشور، ونجـاوز بكم الصراط المستـقيم، ونوصلكم إلى جنات النعيم»(١).

وقال ابن عباس وقتادة وابن أبي حاتم:

«تتنزل عليـهم الملائكة يوم خـروجـهم من قـبـورهم - أي يوم ينفخ إسرافيل في الصّور - فيخرج الناس من قبورهم حفاةً عراة غرلاً. وحينئذ ترى الفضائح والأهوال» نسأل الله لنا ولكم العافية.

ففي الحـديث الذي رواه مسلم من حـديث جابر بن عبـد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«**يُبعَثُ كُلُّ عبدٍ علَى ما مَاتَ عَلَيه**»(٢).

* فمنهم من يقوم ونوره يشرق من وجهه، ومن أعضائه وعن يمينه، وبين يديه ﴿**نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ**﴾.

قال عبد الله بن مسعود في هذه الآية:

فمنهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل النخلة، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نوراً مَنْ نورُهُ في إبهامه يتقد مرة ويطفأ مرة»(٣).

---

(١) [تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤/ ٩٩ ط. التراث الإسلامي].

(٢) **صحيح**: [السنة: ٨٦٥، المشكاة: ٥٣٤٥] رواه مسلم في باب «الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت» برقم (٢٨٧٨).

(٣) رواه ابن أبى حاتم وابن المنذر وابن مَرْدَويه كما قـال الإمام السيوطي في الدر المنثور ورواه الحاكم في المستدرك وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي فقال: بل هو على شرط البخاري.

* ومنهم من يقوم والظلمة تحيط به من كل جانب.

* ومنهم من يقوم ينبعث منه الدم، وله رائحة طيبة كالمسك، وهؤلاء هم الشهداءُ في سبيل الله كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم.

* ومنهم من يقوم ملبياً، لبيك اللهم لبيك، كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري، وهؤلاء الذين ماتوا بلباس الإحرام.

* ومنهم من يقوم من النساء وعليها جلباب من لعنة الله، ودرع من النار، ويدها على رأسها تقول: يا ويلاه وهي النائحةُ كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم والنسائي وابن ماجه.

* ومنهم مَنْ يقومون وبطونهم منتفخة يتخبطون كالذي يتخبطه الشيطانُ من المس، وهؤلاء هم أكلةُ الرِّبا ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾(١).

* ومنهم من يقوم وكأس الخمر معلق في رقبته.

وترى الذين أكلوا أموال اليتامى ظلماً وقد تجمَّعَ حولَهم هؤلاء الأيتام يدفعونهم في أرض المحشر للعرض على الله جل وعلا: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا**﴾(٢).

(١) سورة البقرة: ٢٧٥. (٢) سورة النساء: ١٠.

وترى الذي سرق شيئاً يأتي وهو يحمله يوم القيامة ﴿**وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾(١).

أما الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا يـقومون ومعهم الملائكة تبشرهم بفضل الله جل وعلا وكـرامة الله لهم. يقولون لهم: ﴿**أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ**﴾(٢).

لكم في الجنة من جـميع ما تخـتارون مما تشتـهيـه الأنفس، وتَقَرُّ به الأعينُ، فمهما طلبتم وجدتم، وحضر بين أيديكم كما اخترتم.

نزلاً: أى ضيافةً وعطاء وإنعاماً وإكراماً لكم من غفور رحيم.

غفر لكم الذنوبَ. . ، وستر عليكم العيوبَ. . ، ولطَفَ بكم في يوم الأهوال والكروب.

وفي الحديث الذي رواه مسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله ﷺ:

«**يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «أعددتُ لعبَادي الصَّالحينَ ما لا عَينٌ رأَتْ ولا أُذنٌ سمعَت ولا خَطَرَ عَلَى قَلب بَشَر» وَاقرَأوا إن شئتم: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**(٣).

---

(١) سورة آل عمران: ١٦١.

(٢) سورة فصلت: ٣٠، ٣١.

(٣) **متفق عليه**: [ص.ج: ٤٣٠٧]، رواه البخاري (٦/ ٢٣٠) في بدء الخلق باب «ما جاء في صفة الجنة»، وفي التفسير وفي التوحـيد، ومسلم رقم (٢٨٢٤) في فاتحته، والترمذي رقم (٣١٩٥) في التفسير. والآية من سورة السجدة: ١٧.

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال:

«إنَّ في الجنة سُوقاً يأتونَها كُلَّ جُمُعَة، فَتَهُبُّ ريحُ الشَّمَال، فَتَحثُو في وُجُوههم وَثيَابهم، فَيَزدَادُونَ حُسناً وجَمَالاً، فيرجعُون إلى أَهْليهم وقَد ازْدَادُوا حُسناً وجَمَالاً، فَيَقُولُ لَهُم أهلُوهُم: واللَّه لقد ازددتُم بَعدَنَا حُسناً وَجَمَالاً، فَيَقُولُونَ: وَأَنتُم واللَّه لَقَد ازدَدتُم بَعدَنَا حُسْناً وَجَمَالاً»(1).

وفي الحديث الذي رواه أحمد والترمذي والبزار والطبراني وابن حبان وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب وحسنه ابن حجر الهيثمي في مجمع الزوائد عن أبي هريرة قال: قلنا: يا رسول الله، صف لنا الجنة ما بناؤها قال: **«لَبِنَة من ذَهَب ولَبِنَة من فضَّة وَملاطُها المسْكُ الأَذْفَرُ، وَحَصْبَاؤُها اللُّؤلُؤ واليَاقُوتُ، وَتُرَابُهَا الزَّعْفَرَان، مَنْ دَخَلَهَا يَنْعَمُ ولا يَبْأَسُ، ويَخْلُد لا يموتُ، لا تَبلَى ثِيَابُهُم ولا يَفْنَى شَبَابُهُم»**(2).

واعلموا أن نعيم الجنة ليس في لبنها وخمرها وعسلها وتصورها وحريرها وحورها.

ولكن نعيمها الحقيقي في رؤية وجه ربها جل وعلا.

ففي الحديث الذي رواه مسلم عن صهيب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذَا دَخَلَ أهلُ الجنة الجنةَ ـ قال: ـ يقولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: تُرِيدُون شَيئاً أزيدُكُم فيقولونَ: أَلَم تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، ألم تُدخلنا الجنةَ، وتُنْجنَا**

---

(1) صحيح: [ص.ج: ٢١٢٤] رواه مسلم رقم (٢٨٣٣) في صفة الجنة، ورواه أحمد والدارمي وأبو نعيم.

(2) صحيح: [الصحيحة: ١٣٣٦]، رواه الترمذي رقم (٢٥٢٨) في صفة الجنة وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (٢٠٥٠/٢٦٥٩).

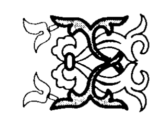
من النار، قالَ: فيُكشفُ الحجَابُ، فما أُعطُوا شَيئاً أحبَّ إليْهِم منَ النَّظَرِ إلى ربِّهم عَزَّ وَجَلَّ»[1].

ثم تلا النبي ﷺ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦].

نسأل الله أن يرزقنا وإياكم الإيمان والاستقامة، وأن يختم لنا بخاتمة السعادة، وأن يدخلنا الجنة، ولا يحرمنا الزيادة، اللهم اهدنا واهد بنا واجعلنا سبباً لمن اهتدى، اللهم ارزقنا قبل الموت توبة، وعند الموت شهادة، وبعد الموت جنة ورضوانًا، أنت ولي ذلك ومولاه، وصلِّ الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

(١) رواه مسلم رقم (١٨١) باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى.



فضل العلم وخطورة التعالم(*)



إن الحمد لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئاتِ أعمالِنَا، من يهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضللْ فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٣).

(*) ألقيت هذه الخطبة بمسجد النبي موسى بالسويس.

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٠، ٧١.

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثُ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هدي محمدﷺ ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ مُحدثةٍ بِدعةٌ، وكلَّ بِدعَةٍ ضلالةٌ،وكُلَّ ضَلالَةٍ في النَّارِ.

وبعد..

فمـرحباً بكم أحبـتي في الله في هذا اللقاء الطيب المبـارك مع فضل العلم وخطورة التعالم. وهو موضوع جـدير بالدراسة والعناية والاهتمام جعلني الله وإياكم من الصادقين.

أحبتي في الله:

ونظراً لطول الموضوع فسوف أركز الحديث مع حضراتكم في العناصر التالية:

أولاً: فضل العلم من الكتاب والسنة.

ثانياً: العلم المعتبر شرعاً.

ثالثا: أنفع الطرق لتحصيل العلم.

رابعًا: خطورة التعالم ومظاهره.

خامساً: فما هو العلاج ؟!

أولاً – فضل العلم من الكتاب والسنة:

أحبتي في الله:

إن أفضل ما يطلب في هذه الدنيا هو العلم، وكفانا أن نعلم أن الله تبارك وتعالى لم يأمر نبيه ﷺ بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم فقال له سبحانه وتعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(١).

بل ويشهد الله جل وعلا لنفسه بالوحدانية ثم يُثَنِّى في هذه الشهادة الجليلة الكريمة بملائكته ،ثم بأهل العلم، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(٢).

ويشهد سبحانه وتعالى لأهل العلم بهذه الشهادة الكريمة فيقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾(٣).

ثم يرفع الله قدرهم ومنزلتهم فيقول: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾(٤) والآيات في ذلك كثيرة ولله الحمد والمنة.

فلا طريق إلى معرفة الله، وإلى الوصول إلى رضوانه، والفوز بقربه، ومجاورته في الآخرة إلا بالعلم النافع الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه.

وما دام العلم باقياً في الأرض فالناس في هدى، وبقاء العلم ببقاء

(١) سورة طه: ١١٤.
(٢) سورة آل عمران: ١٨.
(٣) سورة فاطر: ٢٨.
(٤) سورة المجادلة: ١١.

حملته، فإذا ذهب حملته ومن يقوم به وقع الناس في الضلال.

كما ورد في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ: «**إنَّ اللَّه لا يَقبضُ العلمَ انتزاعاً يَنتَزِعُهُ من الناس ولكنْ يَقبضُ العلمَ بقَبضِ العلماء حتى إذا لَم يَتْرُكْ عَالماً، اتَّخَذَ الناسُ رُؤُوساً جُهَّالاً فَسُئِلُوا فَأَفتَوْا بغير عِلمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»(١).

وصدق من قال:

مَا الفَخْرُ إلا لأهلِ العلمِ إنهمُ ... على الهُدَى لمن استَهدَى أدلاءُ
وَقدرُ كُلِ امرئٍ ما كَان يُحسنُهُ ... والجَاهلُونَ لأهلِ العلمِ أَعْدَاءُ
فَفُزْ بعلمٍ تَعشْ حياً به أَبَدًا ... الناسُ مَوتى وأهلُ العِلمِ أَحْياء

وورد في فضل العلم أحاديث كثيرة:

* ففي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم من حديث معاوية ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن يُرِدِ اللَّه به خيراً يُفَقِّهْهُ في الدِّين**»(٢).

* وفي الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والبيهقي عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال:

«**مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلتَمسُ فيه علماً سَهَّلَ اللَّه له طَرِيقاً إلى الجنة وإنَّ الملائكةَ لتَضَعُ أَجْنحَتَهَا لطَالِب العلمِ رِضىً بما يَصنَعُ، وإن العَالمَ لَيستَغْفِرُ له مَن في السَّموَاتِ ومَن في الأَرضِ حَتَّى الحِيتَانِ في الماءِ، وفَضلُ العالمِ على**

(١) متفق عليه: [ص.ج: ١٨٥٤] واللفظ لمسلم رقم (٢٦٧٣) في كتاب العلم باب «رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن».
(٢) متفق عليه: [ص.ج: ٦٦١١]، رواه البخاري (٦/ ١٥٢) في الجهاد، ومسلم برقم (١٠٣٧).

العَابد كفَضلِ القَمرِ على سائرِ الكَواكب، إن العلماءَ ورثةُ الأنبياء، إنَّ الأنبياءَ لم يُوَرِّثُوا ديناراً ولادرْهماً إنما وَرَّثُوا العِلم فَمَن أَخَذَ به أخَذَ بحَظٍّ وَافر»(١).

* وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال لعليٍّ: «**فواللّه لأنْ يَهْدِي اللّه بِكَ رَجُلاً واحداً خَيرٌ لَكَ من حُمرِ النَّعم**»(٢).

* وفي الحديث الذي رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا مَاتَ الإنسانُ انقَطَعَ عَمَلُه إلا من ثلاث، صدقة جاريةٍ، أو علمٍ يُنْتَفَعُ به، أو ولَدٍ صَالحٍ يَدعُو لَه**»(٣).

* وعن صفوان بن عسال المرادي ـ رضي الله عنه ـ قال: أتيتُ النبي وهو في المسجد متكئ على بُرد له أحمر فقلت له: يا رسول الله، إني جئت أطلب العلم، فقال: «**مَرحباً بطَالب العلم، إن طالبَ العلم تَحُفُّه الملائكةُ بأَجْنحَتهَا، ثم يَركَبُ بَعْضُهم بَعضاً حتى يَبلُغُوا السَّماءَ الدُّنيا من مَحبَّتهم لِمَا يَطْلُب**» رواه أحمد والطبراني بإسناد جيد واللفظ له وابن حبان في صحيحه ورواه الحاكم وقال صحيح الإسناد وحسنه شيخنا الألباني في صحيح الترغيب والترهيب(٤).

*وعن أبي أمامة الباهلي قال: ذُكر لرسول الله ﷺ رجلان أحدهما

---

(١) حسن:[صحيح الترغيب: ٦٨] رواه أبو داود (٣٦٤١، ٣٦٤٢) في العلم، والترمذي (٢٦٨٣، ٢٦٨٤)، ورواه أحمد وابن ماجه والدارمي وابن حبان في صحيحه وغيرهم.

(٢) متفق عليه:رواه البخاري (٧/ ٥٨) في المغازي باب «مناقب علي بن أبي طالب»، ومسلم برقم (٢٤٠٦) في فضائل الصحابة، وأبو داود رقم (٣٦٦١) في العلم.

(٣) صحيح:[ص.ج: ٧٩٣]، رواه مسلم رقم (١٦٣١) في الوصية، باب «ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته»، وأبو داود رقم (٢٨٨٠) في الوصايا، والترمذي رقم (١٣٧٦) في الأحكام، النسائي (٦/ ٢٥١).

(٤) حسن:[صحيح الترغيب: ٦٩].

عابد والآخر عالم، فقال عليه أفضل الصلاة والسلام: «**فضلُ العَالِم عَلَى العَابد كفَضْلِي عَلَى أدْنَاكُم**»، ثم قال رسول الله: «**إنَّ اللَّهَ وملائكتَهُ وأهلَ السَّمَوات والأرض حتى النَّمْلةُ في جُحْرِهَا وحتى الحُوت لَيُصَلُّون على مُعَلِّمِي النَّاسِ الخَيرَ**» رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وصححه شيخنا الألباني ـ حفظه الله ـ(١).

* وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث أبي واقد الليثي ـ رضي الله عنه ـ قال: بينما رسول الله ﷺ جالس في المسجد والناس معه، إذ أقبل ثلاثةُ نفرٍ، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد، فوقفا على رسول الله فأما أحدهما: فرأى فُرجَة في الحلقة، فجلس فيها، وأما الآخرُ: فجلس خَلفَهم، وأما الثالث فأدبر ذاهباً، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «**أَلاَ أُخْبِرُكُم عَن النفر الثَّلاثَة؟ أمَّا أَحدُهُم فآوَى إلى اللَّه عَزَّ وجَلَّ فآواهُ اللَّهُ، وأما الآخرُ فاستَحْيَى، فاستَحيَى اللَّهُ منهُ، وأما الآخَرُ فأعْرَضَ فأعْرَضَ اللَّهُ عَنهُ**»(٢).

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً ولله الحمد والمنة.

ثانياً - العلم المعتبر شرعاً:

أعني الذي مدح الله ورسوله أهله على الإطلاق هو كما يقول الإمام الشاطبي ـ رحمه الله ـ في المقدمة الثامنة من كتابه القيم الطيب «الموافقات».

---

(١) **صحيح**: [صحيح الترغيب: ٧٨]، رواه الترمذي برقم (٢٦٨٦) في العلم.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١/١٤٣، ١٤٤) في العلم، ومسلم رقم (٢١٧٦) في السلام، والموطأ (٢/ ٩٦٠، ٩٦١)، والترمذي (٢٧٢٥) في الاستئذان.

يقول العلم المعتبر شرعاً: هو العلم الباعث على العمل الذي لا يخلِّي صاحبَهُ جارياً مع هواه كيفما كان، بل هو المقيد لصاحبه بمقتضاه، الحامل له على قوانينه طوعاً أو كرهاً.

ثم يقول ـ رحمه الله ـ في المقدمة السابعة:

إن كل علم لا يفيد عملاً فليس في الشرع ما يدل على استحسانه.

* فروح العلم أيها الأحباب هو العمل، وإلا فالعلم عارية وغير منتفع به فقد قال الله تعالى: **﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾**(١)، وقال تعالى: **﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾**(٢) قال قتاده يعنى لذو عمل بما علمناه.

فالعلم لا ينفع بدون العمل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾(٣).

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾(٤).

وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله يقول: «**يُؤتَى بالرجلِ يومَ القيَامَةِ فَيُلقَى في النار فَتَنـدَلقُ أقتابُ بطنه فيدُورُ بها كمَا يَدُورُ الحمَارُ في الرَّحى، فيجتمعُ إليه أهْلُ النارِ، فيقُولُونَ: يا فُلان، مَا لَكَ؟ أَلَم تكُن تأمرُ بالمعرُوف وتَنهَى عن المُنكَرِ؟ فيقولُ بلى، كنتُ آمرُ بالمعروفِ ولا آتيه وأنهَى عن المُنكَرِ وآتيه**»(٥).

---

(١) سورة فاطر: ٢٨.
(٢) سورة يوسف: ٦٨.
(٣) سورة الصف: ٢، ٣.
(٤) سورة البقرة: ٤٤.
(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٦/٢٣٨) في بدء الخلق، باب «صفة النار» وفي الفتن، ومسلم رقم (٢٩٨٩) في الزهد.

لذلك كان النبي ﷺ يدعو الله ويستعيذ بالله من علم لا ينفع كما صح عنه في الحديث الذي رواه مسلم والترمذي والنسائي من حديث زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**اللَّهُمَّ إني أعُوذُ بك من علمٍ لا ينفعُ، ومن قلبٍ لا يَخشَعُ، ومن نَفسٍ لا تَشْبَعُ ،ومن دُعاءٍ لا يُسمعُ**»(١).

وكان أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ يقول: إنما أخاف أن يقال لي يوم القيامة: أعلمت أم جهلت؟ فأقول: علمت. فلا تبقى آية من كتاب الله آمرة، أو زاجرة إلا جاءتني تسألني فريضتها فتسألني الآمرة هل ائتمرت، والزاجرة هل ازدجرت، فأعوذ بالله من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعاء لا يسمع(٢). رواه البيهقي والدارمي وابن عبد البر من عدة طرق عن أبي الدرداء.

وكان عليّ ـ رضي الله عنه ـ يقول:

«يا حملة العلم: اعملوا به فإن العالم من علم ثم عمل ووافق علمه عمله وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، تخالف سريرتهم علانيتهم، ويخالف علمهم عملهم، يقعدون حلقاً يباهي بعضهم بعضاً حتى إن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه أولئك لا تصعد أعمالهم تلك إلى الله عز وجل». ذكره الإمام الشاطبي في الموافقات، المقدمة الثامنة هكذا بغير سند.

وقال مالك بن دينار: إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا.

---

(١) صحيح: [ص.ج: ١٢٩٥]، رواه أبو داود رقم (١٥٤٨) في الصلاة، والنسائي (٨/ ٢٦٣) في الاستعاذة.

(٢) لا يُسمع: أي لا يستجاب له.

وقال ابن السماك ـ رحمه الله ـ:

كم من مذكر بالله وهو ناسٍ له.

وكم من مخوِّف بالله وهو جريءٌ على الله.

وكم من مقرِّب إلى الله وهو بعيدٌ عن الله.

وكم من داعٍ إلى الله وهو فار من الله.

وكم من تالٍ لكتاب الله وهو منسلخٌ عن آيات الله.

فإن لم يعبِّد العلم صاحبه لله جل وعلا فلا قيمة له، وإن لم يقرِّب العلمُ صاحبَهُ لله جلا وعلا فلا وزن له، وإن لم يورِّثْ العلم صاحبه الخشية من الله فلا خير فيه، فالعلمُ المعتبر شرعاً هو العلم الذي يدفع صاحبه للعمل بكل ما يقربه من الله عز وجل مؤتمراً بأمر الله، منهياً بنهي الله، واقفاً عند حدود الله.

ثالثاً - أنفع الطرق لتحصيل العلم:

يقول الإمام الشاطبى ـ رحمه الله ـ في المقدمة الثانية عشرة من كتاب الموافقات:

من أنفع طرق العلم الموصلة إلى غاية التحقق به أخذه عن أهله المتحققين به.

وقد قالوا: « إن العلم كان في صدور الرجال، ثم انتقل إلى الكتب وصارت مفاتحه بأيدى الرجال» يقول الشاطبي: وهذا الكلام يقضي بأنه لابد في تحصيل العلم من الرجال (أى العلماء المتحققين به) فهم مفاتحه بلا شك.

ثم يقول ـ رحمه الله ـ: وإذا ثبت أنه لابد من أخذ العلم عن أهله المتحققين به فلذلك طريقان:

الأول: المشافهة وهي أنفع الطريقين.

وهي أن يجلس المتعلم بين يدي معلمه صادقًا مخلصاً مقبلاً على العلم وكم لهذه الجلسة بين يدي المعلم من بركات ورحمات.

فكم من مسألة يقرؤها المتعلم في كتاب، ويحفظها ويرددها على قلبه فلا يفهمها، فإذا ألقاها إليه المعلم فهمها بغتة وحصل له العلم بها بحضرة معلمه.

يقول الشاطبي:

«وهذا الفهم قد يحصل بأمر عادي من إيضاح موضع إشكال لم يخطر للمتعلم على بالٍ وقد يحصل بأمر غير معتاد بأمر يهبه الله للمتعلم عند مثوله بين يدي المعلم ظاهر الفقر باديَ الحاجة إلى ما يلقى إليه، وهذا من فوائد مجالسة العلماء إذ يُفتح للمتعلم بين أيديهم ما لا يُفتح له دونهم.

والطريق الثاني: لتحصيل العلم وما زال الكلام لأبي إسحاق الشاطبي ـ رحمه الله ـ هو: مطالعة كتب المصنفين وهو نافع بشرطين :

الأول: أن يحصلَ له من فهم مقاصد ذلك العلم المطلوب ومعرفة إصطلاحات أهله ما يتم له به النظر في الكتب، وذلك يحصل له بالطريق الأول من المشافهة مع العلماء أو هو مما يرجع إليه.

الثاني: أن يتحرَّى كتب المتقدمين من أهل العلم فإنهم أقعد به من غيرهم بخلاف المتأخرين ولقد شهد الرسول لهم بالخيرية فقال ﷺ:

«خَيْـر النَّاسِ قَـرني، ثم الذينَ يلُونَهُم، ثم الذيـنَ يَلُونَهُم ثم يَجِيءُ قَـوْمٌ تَسبِـقُ شَهَادَةَ أَحَـدِهم يمينَهُ، ويمينُه شـهادَتَهُ»(١). رواه البـخاري ومـسلم من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

فينبغى لمن أراد أن يحصِّل العلم الشرعى:

أن يذهب للـعلمـاء. . ، وأن يجـلس بين أيديهم. . ، وأن يـصـدق النيـة. . ، ويخـلص العـمل لله جـلا وعـلا. . ، ويتـقي الله في سـره وعلنه. . ، وقـوله. . ، وعمله. . ، وأن يحرص علـى الطاعات. . ، وأن يجتهد في أن يبـتعد عن المعاصي والمحرمات. . ، فـإنها ظلمة تُطفئ نور العلم.

كما قال مالك للشـافعى: «إنى أرى الله قد ألقى على قلبك نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية».

وقال الشافعى ـ رحمه الله ـ:

شَكَوتُ إلى وكيعٍ سُوء حفظى ... فَأرشَدَنـى إلى تَـرْكِ المَعَاصـى
وأَوْصَـانـى بـأنَّ العِلْـمَ نُـورٌ ... ونُـورُ الله لا يُؤتَـاهُ عَاصِـى

نسـأل الله أن يجـعلنا وإياكم من الـصـادقين ونكمل بعـد جلسـة الاستراحة بإذن الله جل وعلا.

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥/ ١٩٩، ٧/٦، ١١/ ٤٦٠)، مسلم رقم (٢٥٣٤) في فضائل الصحابة.

الخطبة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد..

أيها الأحباب الكرام: وأخيراً خطورة التعالم ومظاهره.

حفظنا الله وإياكم منه، ومن الرياء، ورزقنا الله وإياكم الإخلاص، وجعلنا وإياكم من الصادقين.

أحبتي في الله:

التعالم مرض خطير.. وداء عظيم.. وهو عتبة الدخول للفاجرة الجائرة ألا وهى «القول على الله بغير علم» نعوذ بالله من الخذلان، والمتعالم هو الذي تزبب[١] قبل أن يتحصرم[٢]، وأدعى العلم قبل أن يتعلم.

ومن أجمل ما قاله الغزالى: «لو سكت من لا يعلم لسقط الخلاف».

وما يراد بهم هنا إلا المتعالمون الذين ناموا عن العلم وادعوه، وبالغوا قبل أن يبلغوا، وهذا الصنف الذي يدعي العلمَ ويقول في دين الله بغير علم، وبغير دليل، تستهويه الشهوةُ ويجره هذا الداء الخطير إلى كل شر وهلاك وضلال وإضلال، فلا يتورع أن يرد على أي سائل، وفي أي مسألة وأن يتعرض لكل فتوى .

---

(١) (الزَّبَبُ) في الإنسان: كثرةُ الشعر وطوله [المعجم الوجيز: باب (زبب)].
(٢) (الحِصْرِم): الثمر قبل النضج [المصدر السابق] والمراد ظهور علامات البلوغ قبل وقوعه.

وقديماً قـالوا: إن رجلاً كان يفتي كل سـائل دون توقف، فلحظ أقرانُهُ ذلك منه، فأجمـعوا أمرهم لامتحـانه فاختلقوا كلمة ليس لهـا أصل ليبينوا للناس كذبه وضلاله. فاختلقوا كلمة «الخنفشار» فذهبوا إليه وسألوه عنها.

فأجابهم على الفور قائلاً:

الخنفشار: نبت طيب الرائحة ينبت بأطراف اليمن إذا أكلته الإبلُ عقد لبنها كما قال شاعرهم اليماني:

لقدْ عَـقَدَت مَـحَبَّـتُكُم فُؤَادِى ... كَـمَا عَقَـد الحَلِيبَ الخِنْفَـشارُ

ثم قال وقال داود الأنطاكي في تذكرته الخنفشـار كذا وكذا قال فلان وفلان. ثم يتبجح ويقول والخنفشار قال عنه النبي ﷺ فاستوقفوه، وقالوا كذبت على هؤلاء، فـلا تكذب على رسول الله ﷺ، وتحـقق لديهم أن ذلك المسكين جراب كذاب عيَّاب، نسأل الله لنا ولكم السلامة.

وما زال الناس يُبتلون بهذا الطراز النكد من الخنفشاريين في كل زمان ومكان.

ومن مظاهر هذا التعالم:

أولاً: التعالم في الفتيا، والفتوى جمرة تضطرم.

ولكننا نرى بعض المنتسبين إلى العلم، يأنف من رد المستفتي والسائل بلا جـواب، ويتجـرأُ على القـول على الله بلا علم، بل تراه وسـبحـان الفتاح العليم يشرع في الجواب قـبل أن ينتهي السائلُ من السؤال، ويفتي فيما يتوقف فيه شيوخ الإسلام والأئمة الأعلام.

بل ويفتي في المسألة التي لو عُـرِضَت على عمر بن الخطاب ـ رضي الله ـ عنه لجمع لها أهل بدر.

فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ يُسئل أحدهم عن المسألة فيردها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، حتى ترجع إلى الأول. وفي رواية وما منهم من يحدث بحديث إلا وَدَّ أن أخاه كفاه إياه.

وقال الزهرى عن خالد بن أسلم قال: كنا مع ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ فسأله أعرابى أَتَرِثُ العَمَّةَ؟ فقال ابن عمر: لا أدري. قال: أنت لا تدري؟! قال: نعم، اذهب إلى العلماء فاسألهم، فلما أدبر الرجل قَبَّل ابن عمر يده ثم قال نِعْمَ ما قال أبو عبد الرحمن سُئل عما لايدري، فقال: لا أدري.

وإذا ذكر العلماء فمالك النَّجمُ الثَّاقِب.

يقول في حقه الشافعي: إنى شهدت مالكًا وقد سئل عن ثمان وأربعين مسأله فقال في اثنتين وثلاثين منها لا أدرى.

وهذا هو الشافعى الذي قال في حقه الإمام أحمد: ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعوا للشافعى ـ رحمه الله تعالى ـ.

حتى قال له ولده يوماً يا أبتي: أي رجل كان الشافعي حتى تدعو له كل هذا الدعاء؟

فقال أحمد: يابنى إن الشافعى رحمه الله تعالى كالشمس للدنيا وكالعافية للناس.

وقال إسحاق بن راهويه:

لقينى أحمد بن حنبل بمكة المكرمة شرَّفها الله.

فقال أحمد: تعالَ أريك رجلاً لم تر عيناك مثله! فأرانى الشافعي.

قال إسحاق: تناظرنا في الحديث فلم أر أعلم منه، ثم تناظرنا في الفقه فلم أر أفقه منه، ثم تناظرنا في القرآن فلم أر أقرأ منه، ثم تناظرنا

في اللغة فوجدته بيت اللغة وما رأَتْ عينايَ مثله قط.

وبالرغم من هذا كله سُئِلَ الشافعى عن مسألة فسكت فقيل له: ألا تجيب - يرحمك الله -؟! فقال: حتى أدري الفضل في سكوتي أم جوابي.

ومن أسوأ مظاهر التعالم:

العُجْبُ والكبرياء وسوء أدب الحديث والمجالسة، واحتقار الناس، وحفظ بعض المسائل لِيَتَنَمَّرَ بها في المجالس والعياذ بالله.

وفي الحديث الذي رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم وصححه شيخنا الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» من حديث أبي هريرة، قال رسول الله: **«مَن تَعَلَّمَ علْمًا مما يُبْتَغَى به وَجْه اللَّه تَعَالَى، لا يتعَلَّمُهُ إلا ليُصيبَ به عَرَضًا من الدُّنيَا، لَمْ يَجد عَرْفَ الجنة يَومَ القِيَامَة»**[1] يعني: ريحها.

وفي الحديث الذي رواه الترمذي وقال حديث غريب والحاكم والبيهقي وابن ماجه وصححه الألباني.

حديث كعب بن مالك قال سمعت رسول الله يقول: **«مَن طَلَبَ العلمَ ليُجَاري به العُلَماءَ أو ليُماريَ به السُّفَهَاءَ(*)، ويَصرف به وُجُوه النَّاسِ إليه، أَدْخَلَهُ اللَّه النَّارَ»**[2].

نسأل الله السلامة والعافية.

---

(١) صحيح: [صحيح الترغيب: ١٠٠]، رواه أبو داود رقم (٣٦٦٤) فى العلم، ورواه ابن ماجه رقم (٢٥٢) في المقدمة.

(*) يمارى به السفهاء: يجادل به ضعفاء العقول.

(٢) صحيح: [صحيح الترغيب: ١٠١]، رواه الترمذي (٢٦٥٦) فى العلم.

وأخيراً ما هو العلاج :

أولاً: إخلاص العمل لله وصدق النية، والإخلاص هو تصفية العمل بخالص النية من جميع شوائب الشرك.

ثانيا: الاتباع .. ففيه الصواب.

ثالثاً: طهارة القلب والنفس والجوارح من الذنوب فإن من آثار الذنوب والمعاصي حرمان العلم كما قال العلامة ابن القيم.

رابعاً: التواضع وعدم الكِبرِ، والجلوس بين يدي العلماء.

خامساً: كثرة التضرع إلى الله عز وجل، والانكسار بين يديه، إذ الفضل منه سبحانه: ﴿**بل اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيْمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾(١).

وأخيراً. علق قلبك بالله ولا تعلقه بالمخلوقين، فإنهم وإن اجتمعوا بالثناء عليك لن يقربوك من الله، إن كنت بعيداً عنه، ولو اجتمعوا على ذَمِّك فلن يبعدوك عن الله إن كنت قريباً منه، فاقطع الطمع في الخلق وعلق قلبك بالخالق سبحانه فمن توكل عليه كفاه، ومن اعتصم به نجاه، ومن فوض إليه الأمر هداه ﴿**أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ**﴾(٢).

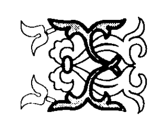
اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً يارب العالمين ... الدعاء.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة الحجرات: ١٧.

(٢) سورة الزمر: ٣٦.



تارك الصلاة (*)



إن الحمد لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئاتِ أعمالِنَـا، من يهده اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهـد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه، وأشهد أن محمداً عبده ورسـوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٣).

أما بعد: فإن أصـدقَ الحديثُ كتابُ الله، وخيرَ الهـدي هدي محمد

(*) ألقيت هذه الخطبة بمسجد أم القرى - السويس.

(١) سورة الأحزاب: ٧٠، ٧١.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) سورة آل عمران: ١٠٢.

ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ مُحدثةٍ بِدعةٌ، وكلَّ بِدعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضَلالَةٍ في النَّارِ(١).

أما بعد:

أحبتي في الله..

انتهينا في اللقاء الماضي من تفسير قول الحق تبارك وتعالى ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا**﴾(٢).

وبعد أن ذكر الله عز وجل حزب السعداء من الأنبياء ومن تبعهم من القائمين بحدود الله وأوامره المؤدين فرائض الله التاركين لزواجره.

ذكـــر أنه ﴿**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**﴾(٣).

مفارقة عجيبة بين هذين الفريقين.

فريق يـخر لله ساجـداً باكيـا، إذا ما تليت علـيه آيات الرحـمن عز وجل.

وفريق أضـاع الصلاة، وجـرى وراء شيطانه وهـواه فاتبع الشـهوات وأضاع الصلوات.

قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - في هذه الآية ﴿ **فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ**﴾ أى: أخروها عن وقتها.

---

(١) هذه خطبة الحاجة التى كـان النبى ﷺ يستفتح بها خطبه ودروسه ومواعظه، وللعلامة الألباني رسالة نافعة فيها فراجعها.

(٢) سورة مريم : ٥٨.   (٣) سورة مريم : ٥٩.

وأخرج أبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط وابن مردويه والبيهقي في سننه عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ**﴾(١) قال: «**هُمُ الَّذِينَ يُؤَخِّرُونَ الصلاةَ عنْ وَقْتِهَا**» وقد ضعَّف البيهقي والحاكم رفعه وصححا وقفه.

الله أكبر:

هم الذين يؤخرون الصلاة عن أوقاتها. فجزاؤهم ﴿**فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**﴾.

والغيُّ: كما أخرج البخاري في تاريخه عن عائشة رضي الله عنها قالت: غيٌّ. نهر في جهنم.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه البيهقي عن ابن مسعود في قوله ﴿**فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**﴾ قال:

الغيُّ: نهر أو وادٍ في جهنم من قيح. بعيد القعر، خبيث الطعم يقذف فيه الذين يتبعون الشهوات.

وهذا أيضاً هو قول ابن عباس وغيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ.

وأخرج ابن المنذر والبيهقي في «شُعب الإيمان» عن عطاء في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ**﴾(٢).

قال: أي الصلاة المفروضة فمن شغله ماله وتجارته وأولاده عن الصلاة في وقتها كان من الخاسرين.

---

(١) سورة الماعون: ٥.

(٢) سورة المنافقون: ٩.

لقوله تعالى بعدها ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾ .

أيها المسلمون . . . .

هذا جزاء من يصلي ولكنه يؤخر الصلاة عن أوقاتها بغير عذر

فما ظنكم بمن ترك الصلاة . . مـاظنكم بمن ضيع الصلاة من الرجال والنساء .

فأعيروني القلوب والأسماع، لنتعلم اليوم حكم تارك الصلاة .

هذا الحكم الذي تنخلع له القلوب . ولكن . . .

هيهات . . هيهات فقد ماتت القلوب إلا من رحم علام الغيوب .

قال الإمام الشوكاني في «نيل الأوطار» : «لا خلافَ بين المسلمين في كفــر من ترك الصلاة مُنكراً لوجوبهــا» أي : من ترك الصلاة جاحــداً بها منكراً لها فقد كفر كفراً يُخرج عن ملة الإسلام بإجماع المسلمين .

ثم قال الشوكاني ـ رحمــه الله ـ : «وإن كان تركه للصلاة تكاسلاً مع اعتقاده بوجوبها كما هو حال كثير من الناس فقد اختلف العلماء في ذلك فمنهم من قال إنه لا يكفر بل هو فاسق، فإن تاب وإلا قتل حداً بالسيف (وهذا قول مالك والشافعي) .

وذهب الآخرون من العلماء إلى أن تركها تكاسلاً أو تشاغلاً عنهامن غير عذر شرعي فهو كافر أيضاً، وقد صرحت الأحاديث بكفره ووجوب قتله .

وسأكتفي بذكر حديثين اثنين من الأحاديث التي حكمت بوجوب قتل تارك الصلاة .

الأول : رواه البخاري ومسلم من حديــث عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال : «أُمرتُ أنْ أُقَاتِلَ الناسَ حتى يَشْهَدُوا أنْ لا إلَهَ إلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمداً

رَسُولُ اللَّه، وَيُقيمُوا الصلاةَ ويؤتُوا الزكاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذلك عَصَمُوا منى دمَاءَهُم وأموالَهُم إلا بحَقِّ الإسلامِ وحسابُهم علَى اللَّه»[1].

ووجه الاستدلال بهذا الحديث أنه أمر بقتالهم إلى أن يقيموا الصلاة وأن دماءهم وأموالهم إنما تحرم بعد الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة.

الحديث الثانى من الأحاديث التي حكمت بوجوب قتل تارك الصلاة.

رواه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدرى ـ رضي الله عنه ـ قال: بعث على بن أبي طالب وهو باليمن إلى النبي ﷺ بذهبية (أى بقطعة من الذهب) فقسمها النبيُّ بين أربعة فقال رجل: يا رسول الله، اتق الله. فقال: «**وَيْلَكَ، أو لستُ أحقَّ أهلِ الأرضِ أنْ يَتَّقِي اللَّهَ**» ثم ولى الرجل، فقال خالد بن الوليد : يا رسول الله، ألا أضربُ عنقه؟ فقال: «**لا، لَعَلَّهُ أنْ يَكُونَ يُصَلِّي**» فقال خالد: وكم من رجل يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فقال رسول الله ﷺ : «**إنى لم أُومَر أن أُنَقِّبَ عن قُلوبِ الناسِ ولا أشُقَّ بُطُونَهم**».

ويعلق الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ على هذا الحديث بقوله : إن المانع الذي منع النَّبِيَّ ﷺ من قتل هذا الرجل كونه يصلي، فدل على أن من لم يُصَلِّ يُقتل، إن أصر على تلك المعصية الكبيرة .

أما من قال بتكفير تارك الصلاة فهم كثرة.

قال الإمام ابن حزم ـ رحمه الله ـ: قد جاء عن عمَر، وعبد الرحمن ابنِ عوف، ومعاذ بن جبل، وأبي هريرة، وابن مسعود، وابن عباس،

(١) **متفق عليه**: [ص.ج: ١٣٧١] رواه البخاري (١/ ٧٠، ٧١) في الإيمان، ومسلم رقم(٢٢) فى الإيمان أيضاً.

وغيرهم من الصحابة «أن من ترك صلاة واحدة متعمداً حتى يخرجَ وقتُها فهو كافر مرتد» ثم قال ابنُ حزم ولانعلم لهؤلاء الصحابة مخالفاً .

* والأدلة على كفر تاركِ الصلاة من القرآن والسنة كثيرة . . ذكرها بالتفصيل الإمام ابنُ القيم - رحمه الله - فى كتابه القيم «كتابِ الصلاةِ وحكمِ تاركِها» .

أدلة القرآن:

الدليل الأول: قولُ الله جل وعلا في سورة القلم:

﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ إلى قوله تعالى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾**(١).

ووجه الدلالة من هذه الآيات أنه سبحانه وتعالى أخبر أنه لا يجعل المسلمين كالمجرمين، وأن هذا الأمر لا يليق بحكمته، ولا بُحكمه وعدله، ثم ذكر أحوال المجرمين الذين هم على النقيض من المسلمين بنص الآية.

ذكر من حالهم يومَ القيامة أن الله عز وجل حينما يكشف عن ساق يخر المسلمون الصادقون سُجَّداً لله رب العالمين دليلاً صادقاً على إسلامهم وبرهاناً ساطعاً على إيمانهم بربهم جل وعلا.

ويأتي الكفار والمنافقون ليسجدوا مع المسلمين فيحال بينهم وبين السجود رغماً عن أنوفهم فتبقى ظهورهم قائمة كميامن البقر ولو كانوا من المسلمين لأُذِنَ لهم بالسجود كما أُذِنَ للمسلمين .

(١) سورة القلم : ٤٣ .

فالمسلم هو الذي يسجد وغير المسلم هو الذي لا يستطيع أن يسجد ومنهم بنص الآية من ضيع الصلاة في الدنيا كما قال سبحانه: ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾.

الدليل الثانى: قول الله تعالى في سورة المدثر:

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾[١].

ووجه الدلالة من الآيات.

أن الله تعالى جعل المجرمين ضد المسلمين . وتاركُ الصلاة بنص الآية من المجرمين السالكين في سقر.

الدليل الثالث: قوله تعالى في سورة التوبة:

﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾[٢].

ووجه الدلالة أن الله تعالى علق أخوتهم للمؤمنين بفعل الصلاة فإذا لم يفعلوا لم يكونوا إخوة فلا يكونون مؤمنين لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٣].

وسأكتفي بهذه الأدلة من القرآن الكريم لاختصار الوقت ومن أراد أن يرجع إليها بالتفصيل فليرجع إلى كتاب الصلاة لابن القيم ـ رحمه الله ـ.

---

(١) سورة المدثر: ٣٨-٤٨.

(٢) سورة التوبة: ١١.

(٣) سورة الحجرات: ١٠.

أما الأدلة من السنة الصحيحة على كفر تارك الصلاة فهى كثيرة ووفيرة .

*** الدليل الأول :**

الحديث الذي رواه مسلم فى صحيحه وأهل السنن وصححه الترمذي، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**بَينَ الرجلِ وبينَ الكُفرِ تَركُ الصلاةِ**»(١).

*** الدليل الثانى :**

الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه والترمذي وقال: حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم من حديث يزيد بن الحبيب الأسلمي قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**العَهدُ الذي بيننا وبينهُم الصلاةُ فَمَن تَركَها فَقَد كَفَر**»(٢).

*** الدليل الثالث :**

الحديث الذي رواه الطبري وقال حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم من حديث ثَوبان مَوْلى رسول الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بينَ العبدِ وبينَ الكُفرِ والإيمانِ. الصَّلاةُ، فإذا تَركَها فَقَد أَشْرَكَ**» رواه الطبري وقال: إسناده صحيح على شرط مسلم.

---

(١) **صحيح**: [ص.ج:٢٨٤٨] رواه مسلم رقم (٨٢) في الإيمان واللفظ له وأبو داود (٤٦٧٨) فى السنة والترمذي (٢٦٢٢) فى الإيمان.

(٢) **صحيح**: [ص.ج:٤١٤٣] رواه الترمذي(٢٦٢٣) في الإيمان، والنسائي (١/ ٢٣١، ٢٣٢) في الصلاة وأحمد في المسند (٥/ ٣٤٦)، ورواه ابن حبان والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي.

* **الدليل الرابع:**

الحديث الذي رواه أحمد في مسنده وأبوحاتم وابن حبان في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يوماً فقال: «**مَن حَافَظَ عَليها كَانَتْ لَهُ نُوراً وبُرهاناً ونجاةً يوم القيامة . ومَن لم يُحافظْ عَلَيهَا لم تَكُنْ له نُوراً ولا بُرهَاناً ولا نَجَاةً .. وكَانَ يَومَ القيامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفرعَونَ وَهَامَان وأُبي بن خَلَف**»[1].

وذكر الإمام ابن القيم لطيفةً بديعة من لطائف العلم في هذا الحديث، وهي أن تارك الصلاة إما أن يشغله ماله أو ملكه أو وزارته أو رياسته أو تجارته.

فمن شغله ماله عن الصلاة فضيعها فهو مع قارون .

ومن شغله ملكه عن الصلاة فضيعها فهو مع فرعون .

ومن شغلته وزارته عن الصلاة فضيعها فهو مع هامان .

ومن شغلته تجارته عن الصلاة فضيعها فهو مع أُبي بن خلف، وهم جميعاً في الدرك الأسفل من النار . . عياذاً بالله .

* **الدليل الخامس :**

ما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث مُعَاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن تركَ صَلاةً مَكتُوبَةً مُتَعَمِّداً فقد بَرِئَت منهُ ذمَّةُ اللَّه**»[2].

يقول ابن القيم: ولو كان باقياً على إسلامه لكانت له ذمة الإسلام.

---

(١) [المشكاة: ٥٧٨] رواه أحمد فى المسند (٢/ ١٦٩) والدارمى (٢/ ٣٠١) وسكت عنه الألباني في تخريجه لمشكاة المصابيح.

(٢) صحيح: [صحيح الترغيب: ٥٧٢] رواه أحمد (٦/ ٤٢١) والبيهقي.

* الدليل السادس:

أن تركهـا بالكلية يحـبطُ جميعَ الأعـمال. وقبـولُ جميع الأعـمال موقوف على الصلاة.

فلا يقبل الله تعالى من تارك الصلاة صوماً ولا حجًّا ولا صدقة ولا جهاداً ولا شيئاً من الأعمال. لأن العبد يُسأل أولَ ما يُسأل عن الصلاة.

كما فى الحـديث الذي رواه أحمد في مسنده وأصـحاب السنن ورواه الطبراني بإسناد جيد من حديث أنس بن مالك قال رسول الله ﷺ:

«أولُ ما يُحـاسَبُ به العبدُ يومَ القيـامة الصَّلاةَ فإنْ صَلَحتْ فـقد صلَحَ له سائرُ عمله. وإن فَسَدَتْ فَسَدَ سَائرُ عَمَلِه»(١).

ووجهَ الدلالة أن تارك الصلاة لو قُبل منه شيء من أعمال البر والخير لم يكن من الخائبين الخاسرين.

وأكْتفي بهذا القدر من الأحاديث المـباركة التي وردت لتبين كُفرَ تاركِ الصلاة. وهذا كلامُ صاحب الشَرع ﷺ الذي لا ينطقُ عن الهوى.

ولا كلامَ لأحد أيا كان. بعد كلام رسول الله ﷺ فمن عدم الحياء أن تقـول: هذا قَـولُ رسولِ الله، ويرد عـليك ويقـال: وهذا قولُ شيـخنا الفلاني.

أعوذ بالله .. إن قلتَ قـال الله وقال رسوله.. همـزوك همز المنكر المتغالي نعـوذ بالله من الخذلان وأقول قولي هذا وأستـغفر الله العظيم لى ولكم.

* * *

(١) صحـيح: [ص.ج: ٢٥٧٣] رواه الترمذي برقم(٤١٣) فى الـصلاة، والنسائي (١/ ٢٣٢) في الصلاة، وأحمد (٥/ ٧٢، ٣٧٧)، والحاكم (١/ ٢٦٣)

الخطبة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

أيها الحبيب الكريم:

وبعد أن بينا حكمَ تارك الصلاة، تعالوا بنا لنبين في عجالة سريعة حكمَ صلاة الجماعة؛ لِنُذَكِّر هواة الصلاة في البيوت ونقول لهم: اتقوا الله فأنتم على خطر عظيم.

فكثير من العلماء يقولون بوجوب صلاة الجماعة، والحق والدليل معهم. وإليك بعض الأدلة .

* الدليل الأول : على وجوب صلاة الجماعة:

قول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[1]. وهذه الآية الكريمة نصٌ فى وجوب صلاة الجماعة، لأنه لو كان المقصود في هذه الآية هو إقامة الصلاة فقط، ما قال الله في آخر الآية ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ بعد أن قال في أول الآية: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾.

* الدليل الثانى :

أنه حتى في ساحة القتال، وحومة الوَغَى، ومواجهة الأعداء، وتحت فتنة بارقة السيوف أوجب الله على المسلمين صلاة الجماعة.

(١) سورة البقرة: ٤٣.

ولو كـان الأمر يسـيـراً لسـمح لهؤلاء في أرض المعـركـة أن يصلوا منفردين.

يقول الله تعالى:

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾[1].

* الدليل الثالث: ما رواه الإمـام مسلم عن أبى هريرة قال: أتـى النبىَّ رجلٌ أعـمَى فـقـال يارسـول الله: إنه لـيس لى قـائد يقـودُنى إلى المسجـد، فسـأل رسول الله ﷺ أن يُرَخِّصَ له؟ (أي يصـلي في البـيت) فرخَّص له، فلما ولَّى دعاه. فقال: «هَل تَسمَعُ النِّدَاءَ بالصَّلاة؟» قال: نعم قال: «فأجب»[2].

* **الدليل الرابع:**

الحديث الذي راوه البخـاري ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أثقلُ الصلاة عَلَى المُنافقينَ صَلاةُ العشـاء، وَصَلاةُ الفَجْر، ولَو يَعلَمُونَ ما فيـها لأتوهُما ولَوْ حَبْـواً ولَقَد هَمَمتُ أَن آمـرَ بالصلاة فتُقـامُ، ثم آمرَ رجلاً فـيُصلّي بالنـاس، ثم أنطَلقَ معي بـرجال مـعهُم حـزَمٌ مِن حَطَبٍ،إلى قـومٍ لا يَشهَدُون الصلاةَ فَأُحَرِّق عَليهم بيُوتَهُم بالنَّار»[3].

(١) سورة النساء: ١٠٢.

(٢) صحيح: [صحيح الترغيب: ٤٢٨]، رواه مسلم (٦٥٣) فى المساجد، والنسائي (٢/١٠٩) في الإمامة.

(٣) متفق عليه: [ص.ج:١٣٣]، رواه البخاري(٢/١٠٤-١٠٨) في صلاة الجماعة، ومسلم رقم (٦٥١) في المساجد والموطأ (١/١٢٩، ١٣٠) في صلاة الجماعة، وأبو داود رقم (٥٤٨، ٥٤٩) في الصلاة والترمذي رقم(٢١٧) في الصلاة والنسائي (٢/١٠٧) في الإمامة.

❊ **الدليل الخامس :**

ما رواه الإمام مسلم وأصحاب السنن عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: «من سَرَّهُ أن يلقى الله غداً مُسلماً، فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث يُنادىَ بِهِنَّ، فإنهنَّ من سُنن الهُدى، وإن الله شرع لنبيكم سُنن الهُدى، وإنكم لوصليتم في بيوتكم كما يُصلى هذا المتخلِّف في بيته، لتركتُم سُنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم.

وما من رجل يتطهرُ فيحسنُ الطُّهُورَ ثم يعمدُ إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكلِّ خَطْوَةٍ يخطوها حسنة ويرفعُهُ بها درجة ويحُطُّ عنه بها سيئةً.

ولقد رأيتُنا وما يتخلفُ عنها إلا منافقٌ معلومُ النفاق ولقد كان الرجلُ يؤتى به يُهادى بين الرجلَيْن (أي يتساند على رجلين) حتى يقامَ في الصف»[1].

وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر أنه ﷺ قال: «**صَلاةُ الجَماعةِ أَفضَلُ مِن صَلاةِ الفَذِّ بِسَبعٍ وعِشرِينَ دَرَجة**»[2].

---

(١) **صحيح**:[ص.س:٨١٩] رواه مسلم رقم (٦٥٤) في المساجد، وأبو داود رقم (٥٥٠) فى الصلاة، والنسائي (١٠٨/٢، ١٠٩) في الإمامة.

(٢) **متفق عليه**:[ص.ج: ٣٨٢٠]، رواه البخاري (١٠٩/٢، ١١٠) فى الجماعة، ومسلم رقم (٦٥٠) فى المساجد، والموطأ (١٢٩/١) فى الجماعة، والترمذي رقم (٢١٥) فى الصلاة، والنسائي (١٠٣/٢) فى الإمامة.

فضل الصــلاة :

بقي أن نشــير أيها الأحــباب إلى فـضل الصلاة وســأكتفي بــحديثين لرسول الله ﷺ .

الحديث الأول :

رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن.

عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أرايتُم لَو أنَّ نَهَراً ببابِ أحـدِكُم يَغتَسِلُ فـيه كلَ يوم خَمسَ مَـرَّات هَل يَبقَى من دَرَنه شَيءٌ** (أى من الوســخ شيء)؟» قالوا: لا يبــقى من دَرَنه شيء قال: «**فَكَذَلكَ مَـثَلُ الصَّلواتِ الخمسِ يمحُو اللّهُ بها الخَطَايَا**»(١).

الحديث الثانى:

رواه الطبراني في الصــغير والأوسط بإسناد حسن ورواته مُــحْتجٌ بهم فى الصحيح .

عن عبد الله بن مسعود : قال: قال رسول الله ﷺ :

«**تَحْتَـرِقُونَ، تَحْـتَرِقُـونَ، فإذا صَليـتُمُ الصُّبحَ غَـسَلَتْهَـا، ثم تَحْتَـرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ، فإذا صليـتم الظهر غسلتها، ثم تَحْتَرِقُونَ تَحْـتَرِقُونَ، فإذا صَلَيتُم العَصرَ غَـسلتها، ثم تَحْتَرِقُونَ تَحْـتَرِقُونَ، فإذا صَلَيتُمُ المغربَ غَـسلَتها، ثم تَحْتَـرِقُونَ تَحْتَرِقُـونَ، فإذا صليتُم العِشَـاء غَسَلَتها، ثم تَنَامُـون، فلا يُكتبُ عليكم حتى تَسْتَيقِظُوا**».

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢/٩) فى مواقيت الصلاة، ومسلم رقم (٦٦٧) فى المساجد، والترمذي رقم(٢٨٧٢) في الأمثال، والنسائي (١/٢٣١) فى الصلاة.

أيها المسلمون في كل مكان .

أيها الأخ الكريم .

أيتها الأخت الكريمة .

اللهَ اللهَ في الصلاة

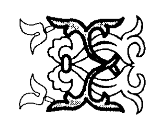
اللهَ الله في الصلاة

اللهَ الله في الصلاة

فهذا هو فضلها وذاك هو خَطَرُ تَركها .

أسأل الله تعالى أن يعيننا وإياكم على ذكره، وشكره، وحسن عبادته، اللهم ارزقنا قبل الموت توبة، وعند الموت شهادة، وبعد الموت جنة ورضواناً برحمتك يا أرحم الراحمين. . . الدعاء.

* * *



انتبه! فإن الموت قادم(*)



الحمد لله الذي أذل بالموت رقاب الجبابرة.. الحمد لله الذي أنهى بالموت آمال القياصرة، فنقلهم بالموت من القصور إلى القبور.. ومن ضياء المهود إلى ظلمة اللحود.. ومن ملاعبة الجواري والنساء والغلمان إلى مقاساة الهوام والديدان.. ومن التنعم في الطعام والشراب إلى التمرغ في الوحل والتراب.

وأشهد أن لا إله إلا الله.. وحده لا شريك له.

ينادي يوم القيامة بعد فناء خلقه ويقول: أنا الملك.. أنا الجبار.. أنا المتكبر.. أنا العزيز.. ثم يقول جل وعلا: لمن الملك اليوم؟ ويجيب على ذاته سبحانه، ويقول: لله الواحد القهار.

سبحانه.. سبحانه.. سبحانه.. سبحان ذى العزة والجبروت.. سبحان ذى الملك والملكوت.. سبحان من كتب الفناء على جميع خلقه وهو الحي الباقي الذي لا يموت..

وأشهد أن نبينا وحبيبنا محمداً عبده ورسوله.. وصفيه من خلقه وخليله، شرح له صدره، ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره، وفضله على جميع خلقه، وذكَّاه في كل شيء، وبعد كل هذا خاطبه بقوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾(١). فاللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله

(*) ألقيت هذه المحاضرة بقاعة المؤتمرات بودابست بالمجر.

(١) سورة الزمر: ٣٠

وأصحابه وأحبابه وأتباعه، وعلى كل من اهتدى بهديه، واستن بسنته واقتفي أثره إلى يوم الدين.

أما بعد..

فحياكم الله جميعاً أيها الأحباب وطبتم وطاب ممشاكم وتبوأتم جميعاً منزلاً من الجنة، وأسأل الله جل وعلا أن ينضر وجوهكم، وأن يزكي نفوسكم وأن يشرح صدوركم، وأن يتقبل مني وإياكم صالح الأعمال، وأن يجمعني وإياكم في الدنيا دائماً وأبدا على طاعته وفي الآخرة مع سيد الدعاة وإمام النبيين ﷺ، في جنته ودار كرامته، إنه ولى ذلك ومولاه وهو على كل شيء قدير.

أحبتي في الله:

إننا اليوم على موعد مع هذا الموضوع الذي أتألم كثيراً لأن دعاتنا وشيوخنا لا يذكرون الناس به إلا في المناسبات فقط، مع أننا في أمس الحاجة إلى أن نذكره وأن نتذكره دائماً وأبداً.. امتثالاً عملياً لأمر حبيبنا ورسولنا المصطفي ﷺ: كما في الحديث الذي رواه بعض أصحاب السنن من حديث ابن عمر وأبي هريرة - رضي الله عنهم - أنه ﷺ قال: «**أَكثِرُوا من ذِكرِ هَاذِمِ اللَّذَّات**».. قيل: وما هاذم اللذات يا رسول اللَّه؟ قال: «**الموتُ**»[(١)].

فانتبه أيها المسلم.. فإن الموت قادم.. فإننا نعيش عصراً طغت فيه الماديات والشهوات، وانشغل فيه كثيرٌ من الناس عن لقاء رب الأرض والسموات.. إنك لابد أن تستقر هذه الحقيقة الكبرى في قلبك وعقلك

---

(١) صحيح: [ص.ج: ١٢١٠، ١٢١١، الإرواء: ٦٨٢]، نس (١/٢٥٨)، ت (٢/ ٥٠)، جه (٢/٤٢٥٨)، حب (٢٥٥٩-٢٥٦٢)، كم (٤/ ٣٢١) وغيرهم.

وهاذم اللذات: أي قاطعها.

ووجدانك . . إن الحياة فى هذه الأرض مـوقوتةٌ محدودة بأجل، ثم تأتى نهايتها حـتماً فيموت الصالحـون . . ويموت الطالحون، يموت المجاهدون، ويموت القاعدون، يموت المسـتعلون بالعقيدة، ويموت المستـذلون للعبيد، يموت المخلصون الصادقـون الذين يأبون الضيم، ويكرهون الذل، ويموت الجبناء الحـريصون على الحـياة بأى ثمن . . يموت أصـحاب الاهتمـامات الكبيرة والأهداف الغـالية . . ويموت الفارغون التافهون الـذين لا يعيشون فـقط إلا من أجل المتـاع الرخـيص . . الكل يموت ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**﴾(١).

ولذا سميت هذه الحقيقة في القرآن بالحق فقال جل وعلا: ﴿**وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ**﴾(٢).

وجـــاءت سكرة الموت بـالحق، والحق أنك تمـوت . . والله حي لا يموت . .

وجـاءت سكرة الموت بالحـق، والحق أنك ترى عند مـوتك مـلائكة الرحمة أو ملائكة العذاب . .

وجاءت سكرة الموت بالحق، والحق أن يكون قـبرك روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران . .

ذلك ما كنت منه تحيد . . ذلك ما كنت منه تهرب . .

ذلك ما كنت منه تجري . . ذلك ما كنت منه تخاف . .

---

(١) سورة آل عمران: ١٨٥ .

(٢) سورة ق: ١٩ ـ ٢٢ .

تحيد إلى الطبيب إذا جاءك المرض.. خوفاً من الموت..

وتحيد إلى الطعام إذا أحسست بالجوع.. هرباً من الموت..

وتحيد إلى الشراب إذا أحسست بالظمأ.. رعباً من الموت..

ولكن.. ثم ماذا؟

أيها القوي الفتي.. يا أيها الذكي.. يا أيها العبقري.. يا أيها الكبير.. يا أيها الوزير.. يا أيها الأمير.. يا أيها الصغير..

كلُّ باك فَسَيُبكَى وكلُّ ناع فسَيُنعَى
وكلَّ مَذخُور سَيَفنَى وكلُّ مَذكُور سَينسَى
ليسَ غَيرَ الله يَبْقَى مَن عَلا فاللهُ أَعلَى

* * *

أيَا مَن يدَّعي الفَهم إلى كم يا أخي الوهمُ
تُتْبعُ الذنبَ بالذنب وتُخْطئ الخطأ الجمّ
أَمَا بانَ لك العيب أَمَا أَنذَرَكَ الشَّيبُ
ومَا في نُصْحه ريب أمَا نَادَى بكَ الموتُ
أما أَسْمَعَكَ الصوت أما تخشى منَ الفَوْت
فتَحْطَات وتهتم فكم تسير في السهو
وتختالُ من الزهو وتنفضُ إلى اللهو
كأن الموتُ ما عم! كأني بكَ تَنحَطُّ
إلى اللحد وتَنغَط وَقَد أسلَمَكَ الرَّهْطُ
إلى أضيقِ من سَمْ
هناك الجسمُ ممدود ليَسْتَأكلُهُ الدُّود

إلى أن ينـخـرَ العــود ويمسى العَظمَ قَــدْ رَم
فـذَوِّدْ نـفسَك الخـيـر ودعْ مـا يعقُـبُ الضَيَّـر
وهيىء مـركبَ السيـر وخِف مـن لجــةِ اليم
بذا أُوصيـك يا صـاح وقــد بحـتـك من باح
فَطُـوبَى لـفـــتًى راح بـآداب مـحـمـد يأتـم

وصدق الله جل وعلا إذ يقول:

﴿كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾[1].

كلا إذا بلغت التراقي.. إذا بلغت الروح الحلقوم..

وقيل من راق: من الذي يرقيه؟ من الـذي يبذل له الرقية؟ من الذي يقدم له العلاج؟ من الذي يحول بينه وبين الموت؟

انظر إليـه!! وهو من هـو؟ صاحـب السلطان! صـاحب الأمـوال! صاحب السيارات.. صاحب العمارات.. صاحب الوزارات..

انظر إليه وهـو على فراش الموت.. التف الأطبـاء من حوله.. ذاك يبذل له الرقية.. وذاك يقدم له العلاج.. يريدون شيئاً، وملك الملوك قد أراد شيئاً آخر..

انظر إليه أيها الحبيب، اصفر وجهَهُ، وشحب لونه، وبردت أطرافُه، وتجـعَّـد جلده، وبـدأ يحس بزمـهـرير قـارس، يزحف إلـى أنامل يديه وقدميه. يحاول جاهدًا أن يحرك شفتيه بكلمة التوحيد، فيحس أن الشفة كالجبل، لا يريد أن يتزحزح إلا لمن يسر الله له النطق بـ (لا إله إلا الله).

---

(١) سورة القيامة: ٢٦-٣٠.

إلا لمن عاش على الإيمان، ومات على الإيمان كما قال ربنا جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾(١).

وينظر إلى أهله.. إلى أحبابه.. فيراهم مرةً يبتعدون ومرة يقتربون، ويرى الغرفة التي هو فيها مرة تضيق عليه فتصير كخرم إبرة، ومرة يراها كالفضاء الموحش..

فإذا وعى ما حوله.. في الصحوات.. بين السكرات والكُرُبات.. نظر إليهم نظرة استعطاف.. نظرة رجاء.. نظرة أمل.. نظرة تَمَنٍّ وقال لهم بلسان الحال بل وبلسان المقال:

يا أحبابي.. يا أولادي.. يا أبنائي.. لا تتركوني وحدي ولا تفردوني في لحدي.. أنا أبوكم.. أنا حبيبكم.. أنا الذي بنيت لكم القصور.. أنا الذي عمرت لكم الدور.. أنا الذي نميتُ التجارة.. أنا صاحبُ الجاه.. أنا صاحبُ الوزارة.. أنا صاحبُ السلطان.. أنا صاحبُ الأموال.. أنا صاحبُ الكرسي.. أنا.. من أنا.. لا تتركوني وحدي.. ولا تفردوني في لحدي!!

فافدوني بأعماركم.. من منكم يزيد في عمري ساعة أو ساعتين؟!

وهنا يعلو صوت الحق كما قال الله جل وعلا:

﴿فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ

(١) سورة فصلت: ٣٠-٣٢.

أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦)
تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ
وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلامٌ
لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢)
فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤) إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٥)
فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾(١).

سبحانك يا من ذَلَّلتَ بالموت رقاب الجبابرة.

سبحانك يا من أنهيتَ بالموت آمالَ القياصرة.

سبحانك يا من نقلتهم بالموت من القصور إلى القبور، ومن ضياء المهود إلى ظلمة اللحود، ومن ملاعبة الجوارى والنساء والغلمان إلى مقاساة الهوام والديدان، ومن التنعم في ألوان الطعام والشراب إلى التمرُّغ في الوحل والتراب!!

﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾: أى من الذي يرقَى بروحه إلى الملك جل وعلا. أى من الذي يرتقي بهذه الروح من الملائكة.

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾

أهذا هو الذي سيخرج به؟

هذه الأكفان.. هذا القماش.. أين ماله؟ أين جاهه؟ أين كرسيه؟ أين سلطانه؟ أين دولاراته؟ أين أولاده؟ أين جنده؟ أين طائراته؟ أين دباباته؟ أين وزاراته؟ أين الجاه؟

أهذا هو الذي سيخرج به؟

(١) سورة الواقعة: ٨٣-٩٦.

النفسُ تجزعُ أن تَكُونَ فقيرةً والفقرُ خيرٌ من غنىً يُطْغيها
وغنى النفوس هُو الكَفافُ فإنْ أَبَتْ فجميعُ مَا فى الأرض لا يَكْفيهَا
هى القناعةُ فَالزمْهَا تَكُن مَلكاً لَو لَم تَكُن لكَ إلا راحةُ البَدَنِ
وانظُر لمن مَلَكَ الدُّنيا بأجْمَعِهَا هَلْ رَاحَ منهَا بغَير الطِّيب والكَفَنِ

يتبع الميت ثلاث:

ماله وأهله وعمله فيرجع اثنان ويبقى واحد يرجع الأهل، ويرجع المال.. يقسم المال على الورثة ولا يبقى لك إلا عملك.

يا من شغلك مالك عن حقوق الله جل وعلا.

يا من شَغَلَكَ مَالُك عن السجود لله جل وعلا.

يا من سمعت المؤذِّنَ يقول لك حي على الصلاة في بيتك وفي تجارتك وفي حقلك، وفي وزارتك، وفي مكتبك ما تحرك فيك ساكن وما قمت لله جل وعلا تضع الأنف والجبين في التراب ذلاً لخالقك.

تذكر.. يقال لك بلسان الحال:

رجعوا وتركوك.. وفي التراب دفنوك.. وللحساب عرضوك، ولو ظلّوا معك ما نفعوك.. ولم يبق لك إلا عملك مع رحمة الحي الذي لا يموت..

انتهى كل شيء.. أين فلان؟ مات.

فكم من ليلة يفرح الناس بها.. يسهرون ويمرحون ويضحكون وفي الصباح الباكر يبكون ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى (٤٢) وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (٤٣) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾[1].

(١) سورة النجم: ٤٢، ٤٤

يا نفسُ قـد أزِفَ الرحيـلُ وأظلَّك الخطبُ الجليلُ
فَـتَـأَهَّبِي يـا نفسُ لا يَلـعَبنَّ بكِ الأملُ الـطويلُ
فَـلَـتَنـزلِـنَّ بمـنزلٍ يَـنسَـى الخليـلُ بـه الخَليـلُ
ولَيَـركَـبَنَّ عـليكِ فـيـهِ منَ الثَّـرَى ثِقْلٌ ثَقِـيلُ

قُرِنَ الفناء بنا جميعاً فلا يبقى العزيز ولا الذليل.

نام هارون الرشيد على فراش الموت فقال لإخوانه من حوله: أريد أن أرى قبري الذي أدفن فيه؟

فحملوا هارون الرشيد إلى قبره.. فنظر هارون إلى القبر وبكى، ثم التفت إلى الناس من حوله وقال: ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾(١). ثم رفع رأسه إلى السماء وبكى وقال: «يَا مَن لا يَـزُولُ مُلكُـه ارْحَم مَن قَد زَالَ مُلكُه».

ولقي الفضيل بن عياض رجلاً فقال له الفضيل: كم عمرك؟

قال الرجل: ستون سنة.

قال الفضيل: إذن أنت منذ ستين سنة تسير إلى الله، يوشك أن تصل.

فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون.

فقال الفضيل: يا أخى هل عرفت معناها؟

قال الرجل: نعم عرفت أني لله عبدٌ وأني إليه راجع.

فقال الفضيل: يا أخي إن من عرف أنه لله عبد، وأنه إليه راجع عرف أنه موقوف بين يديه، ومن عرف أنه موقوفٌ عرف أنه مسئول، ومن عرف أنه مسئول، فليعد للسؤال جواباً.

(١) سورة الحاقة: ٢٨، ٢٩.

فبكى الرجل فقال يا فضيل: وما الحيلة؟

قال الفضيل: يسيرة.

قال الرجل: وما هي يرحمك الله؟

قال الفضيل: أن تتقي الله فيما بقي، يغفر الله لك ما قد مضى وما قد بقي.

سَفَــرِي بعــيــدٌ وَزَادى لن يُبَــلِّغَنى   وقُــوَّتى ضَعُــفت والموتُ يطـلُبُنى
ولى بَقَــايا ذُنُوب لستُ أَعلَمُــهَــا   اللهُ يَعلَمُــهَــا فى السِّــرِّ والعَلَنِ
وأنا الذى أُغلقُ الأبوابَ مُجتــهداً   علَى المَعَــاصى وعَينُ الله تنظُرُنى
مَــا أَحلَمَ الله عنِّى حيــثُ أَمْهَلَنى   وقَــد تَمَــاديتُ فى ذَنبى ويســتُرُنى
كــأنَّنى بيــنَ تــلكَ الأهلِ مُنطرحًــا   علــى الفــــرَاشِ وأيديــهم تُقَــلِّبُنى
وقَــد أتَــوا بــطبيب كَى يُعَــالجَنى   ولم أَرَ الطَّبِــيبَ اليــومَ يَنْفَــعُنى
واشــتدَّ نَزعى وصَــار الموتُ يجذبُها   من كُــل عِــرْقٍ بــلا رفق ولا هَــونِ
كَــأننى وحَــولى مَنْ يَنُــوحُ ومَــنْ   يَبْــكى عَــلَىّ وينْعَــــانى وَيَنْدُبنى
وقامَ مَن كــانَ أحبَّ الناسِ فى عَجَلٍ   نَحْــوَ المُغَــسِّل يأتينى يُغَــسِّلُنى
فَــجَــاءَنى رجلٌ منــهُــم فَــجَــرَّدَنى   منَ الثِّــيَــاب وأَعْــرَانى وأَفْــرَدَني
وأودَعُــونى على الأَلْــوَاحِ مُنْطَرحًــا   وَصَــارَ فَــوْقِى خَــريرُ الماء ينـظفُنى
وأسْكَــب المــاءَ من فَــوقى وَغَسَّلَنى   غُــسْــلاً ثلاثاً ونَادَى القَــومَ بــالكفنِ
وحَــملُونــي عَــلَــى الأكــتَــاف أَرْبَعَــةٌ   منَ الرِّجَــال وَخَلفي مَن يُــشَــيِّــعُنى
وَأَخْــرَجُــوني منَ الدُّنيَــا فَــوَا أَسَــفَــا   عَــلَى رَحــــــيْــلٍ بلا زَاد يُــبَلِّــغُنــى
وقَــدَّمُونــى إلى المحْرَاب وانْــصرَفُــوا   خَلْــفَ الإمَــام فَــصَلَّى ثُمَّ وَدَّعَنى
صَلَّوا عــلىّ صَــلاةً لا رُكُــوعَ لهــا   ولا سُــجُــودَ لَعــلَّ الله يَرْحَــمُــنى

وأنزَلُونـى إلى قَــبــرى على مَــهَلٍ وقَــدَّمُـوا واحـداً منـهُم يُلَحِّــدُنى
وكَشفَ الثوبَ عَن وَجـهى لينظُرُنى وأسْبلَ الدَّمعَ من عَينَيـه أغْــرَقَنى
وقَـالَ هُلو عليـه التُّـرابَ واغْـتَنمُـوا حُسْنَ الثَّواب من الرحـمن ذى المنن
يا نفسُ كُفِّى عن العصيان واكْتَسبى فـعـلاً جَــمـيـلاً لعلَّ اللهَ يـرحَـمُنى
يا نفسُ ويحك تُوبى واعْـمَلى حَسَناً عَسى تُجـزَيْنَ بَـعـدَ الموت بالحَسَن
وامنُنْ عَـلَيَّ بعَــفْــو منكَ يـا أَمَلى فـــإنَّكَ أنـتَ الرَّحـــمنُ ذُو المـنَن

هذه حياتك يا ابن آدم.. هذه قصتك.. من أنت؟

يا ابن التراب! ومأكول التراب غداً! أقصر.. فإنك مأكول ومشروب علامَ الكِبْرُ؟ وعلام الغرور؟

أنسيتَ أصلـك؟ أنسيت ضعـفك؟ أنسيت فقـرك؟ أنسيت عـجزك؟ أنسيت أنك من التراب خلقت؟ وإلى التراب تصير؟

فلِمَ تحارب دين الله؟ ولِمَ تحارب سنة الحبيب رسول الله ﷺ؟ ولِـمَ تصد عن سبيل الله؟

تذكر.. تذكر أن الكرسي لو دام لغيرك ورب الكعبة ما وصل إليك!

إن الدنيا مهما طالت فهى قصيرة.. ومهما عظمت فهى حقيرة؛ لأن الليل مهمـا طال لابد من طلوع الفجر.. وأن العمر مـهما طال لابد من دخول القبر.

وانتبه واعلم بأن الدنيا دار ممر.. وبأن الآخرة هى دار مقر.

فخـذوا من ممركم لمقركـم.. ولا تفضحـوا أستـاركم عند من يعلم أسراركم قال لقمان لولده:

أى بني إنك من يوم أن نزلت إلى الدنيا، استدبرت الدنيا واستقبلت الآخرة.. فـأنت إلى دار تُقبل عليهـا أقرب من دار تبتعـدُ عنها..، كم

ستعـيش؟ أيها المسئول! يا من حمَّلَكَ اللهُ الأمـانةَ. أمانة الحكم. . أمانة الإعلام. . أمانة الوزارة. . أمانة التربية. . أمانة التوجيه. . أمانة الأبوة.

أيها المسلم. . أيتها المسلمة. .

فلنتذكر جميعاً هذه الحقيقة إن الموت قادم.

إنها الحقيقـة الكبرى التي تعلن على مدى الزمان والمكان في أُذُنِ كل سامع، وعقل كل مفكر، أنه لا بقاء إلا للحي الذي لا يموت.

إنها الحقيقة التي يسقط عندها جبروت المتكبرين.

إنها الحقيقة التي يسقط عندها عناد الملحدين.

إنها الحقيقة التي يسقط عندها طغيان البغاة المتألهين.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾(١).

انتبه فإن الموت قادم..

حقيقة لابد أن تستقر في النفس.

إذا تذكرها المسئول اتقى الله في رعيته.

إذا تذكـرها الأب اتقى الله في أولاده وزوجته.

إذا تذكـــرتها الأم اتقت الله في زوجها وأولادها.

إذا تذكرها كل مـسلم عرف أن الموت قادم. . وأنه في الغـد القريب سيترك ماله. . سيـترك كرسيه. . سيترك جاهه. . سيـترك منصبه. ليرى نفسه واقـفاً بين ملك الملوك وجبار السـموات والأرض ليكلم ربه. . نعم سيكـلمك الحق جل وعلا. . سـيكلمك الملك ليس بينك وبينه ترجـمان كما في الصحيـحين من حديث عديّ بن حاتم - رضي الله عنه - أنه ﷺ قال: «**ما مِنكُم مِن أَحَدٍ إلا وسَيُكَلِّمُهُ ربُّه يومَ القيامةِ ليسَ بينهُ وبينهُ تُرْجُمَان،**

(١) الرحمن: ٢٦ - ٢٧.

فينظُرُ أيمنَ منهُ فَلا يَرَى إلا مَا قَدَّم وينظُرُ أشأَمَ منهُ فَلا يَرَى إلا مَا قَدَّم وينظُرُ بينَ يَدَيه فلا يرَى إلا النَّارَ تلقاءَ وَجْهِهِ فاتَّقُوا النَّارَ ولَو بِشِقِّ تَمْرَة»[1].

انتبه يا مسكين!!

إنك لو وقفت بين يدي قاضٍ من قضاة الدنيا ربما ارتعدت فرائصك واضطربت جوارحك، واصفر لونك، وشحب وجهك..

فهل فكرت في موقف ستعرض فيه بين يدي الملك جل وعلا.

تَذَكَّر وُقوفَك يومَ العرضِ عُرياناً ... مُتَوَحِّشاً قَلقَ الأحشاء حَيرانا
والنارُ تَلهبُ من غَيظ ومَن حَنق ... عَلى العُصاة.. وربُّ العرشِ غَضبانا
اقرأ كتابَكَ يا عَبدُ على مَهَلٍ ... فَهَل تَرَى فيه حَرْفاً غَيرَ ما كَانَا؟
فلَمَّا قَرأتَ ولم تُنكر قراءَتَهُ ... وَأَقْرَرتَ إقرارَ مَنْ عَرَفَ الأشياءَ عرفانا
نَادَى الجَليلُ.. خُذُوهُ يا مَلائكَتي ... وَامْضُوا بعَبْدٍ عَصَى للنَّار عَطشانا
المُشركُون غَداً فى النَّارِ يَلتَهِبُوا ... والمُوَحِّدُون بِدارِ الخُلدِ سُكَّانا

انتبه أيها الحبيب:

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾[2].

من النافخ؟ إسرافيل.. بأمر مَنْ؟ بأمر الملك جل وعلا.

لماذا ينفخ النفخة الأولى؟: للفزع.

﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ﴾[3].

---

(١) البخاري: (٦٥٣٩) في الرقاق، باب من نوقش الحساب عُذِّب، ومسلم (١٠١٦) في الزكاة، باب الحث على الصدقة.

(٢) سورة ق: ١٩ - ٢٠.

(٣) سورة النمل: ٨٧.

ويأمره الله بعد نفخة الفزع أن ينفخ نفخة الصعق: أى نفخة الموت.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ﴾.

ويأمره الثالثة: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾(١).

يخرج الناس من القبور حفاةً، عراةً، غُرلاً.. الرجال والنساء؟

نعم: الرجل مع المرأة.. المرأة أمامه عارية وهو أمامها عارٍ لا ينظر إليها ولا تنظر إليه؟ نعم.. ما هذا الذي وقع؟ وما هذا الذي حدث؟

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾(٢).

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ لماذا؟ ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾(٣).

مَثِّل لنفسكَ أيُّها المغرورُ ... يومَ القيامة والسَّمَاء تَمُورُ
إذا كُوِّرَت شَمسُ النَّهار وأُدنيتْ ... حتى على رأسِ العباد تَسيرُ
وإذا النُّجُومُ تَسَاقَطَت وتَنَاثَرَتْ ... وتَبَدَّلَت بعد الضِّيَاء كُدورُ
وإذا الجَحيمُ تَسَعَّرَت نيرَانُها ... فلهَا على أهلِ الذُّنُوب زَفيرُ
وإذا الجبالُ تَعَلَّقَتْ بأُصُولها ... فرأيتَهَا مثلَ السحابِ تَسيرُ
وإذا العِشَارُ تَعَطَّلَت وتَخَرَّبت ... خلت الدِّيارُ فما بها مَعمُورُ
وإذا الوحوشُ لَدَى القيَامَة أُحشِرت ... وتقولُ للأمْلاكِ أينَ تَسيرُ

(١) سورة الزمر: ٦٨.
(٢) سورة الحج: ١، ٢.
(٣) سورة عبس: ٣٣-٣٧.

وإذا البـحـارُ تفَـجَّـرت نيـرانُهـا ... فـرأيتَـهـا مـثلَ الجَـحـيمِ تَـفُـورُ
وإذا الصَّحـائفُ نُشِّـرت وتَطَايَرت ... وتَهَـتَّكَـت لـلعـالمـينَ سُـتُـورُ
وإذا الجليلُ طَوى السَّما بيَمـينه ... طَيَّ السِّـجل كـتـابَـه المَنْشُـورُ
وإذا الجنيـنُ بأمِّـه مُـتَـعَلِّـقٌ ... يخشَى القِصَاصَ وقَلبُهُ مَـذْعُـورُ
هـذا بلا ذَنْـب يَخَـافُ جِنَـايَةً ... كيفَ المُصـرُّ عَلَى الذُّنُـوب دُهـورُ؟
وإذا الجنـانُ تَزَخْـرَفَتْ وَتَطَيَّـبَتْ ... لِفَـتًى عَلَى طُـول البَـلاءِ صَبُـورُ

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ [ق: ٢٠].

إنه يوم القيامة.. إنه يوم الحسرة والندامة.. إنه يوم الحاقة.. إنه يوم الآزفة.. إنه يوم الزلزلة.. إنه يوم الوعيد..

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾[1].

انتبه أيها الحبيب:

فإن هذا اليومَ قادمٌ.. والله لو أن الأمر توقف عند الموت بدون بعث وبدون حساب لكان الأمر سهلاً وهيناً وميسوراً..

ولكن بعد الموت بعث، وبعد البعث حشرٌ، وبعد الحشر صحفٌ، وبعد الصحف ميزان، وبعد الميزان جنةٌ ونيران.

إن الأمر والله جَدٌّ خَطِير..

ستقف بين يدي الله جل وعلا، يكلمك، وتكلمه إن كنت من أهل التوحيد، من أهل الإيمان، من أهل الاستقامة قَرَّبك الله منه سبحانه.

اسمع لهذا الحديث الذي لا تساويه الدنيا بما فيها.

---

(١) سورة آل عمران: ٣٠.

في الصحيحين عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال ﷺ:
«يُدْني المُؤمنُ من ربِّه يومَ القيامَة، حتى يَضَعَ ربُّ العزةِ عليه كَنَفَه»
والكنف لغة: الستر والرحمة لا تأويلاً للصفة.
«فيُقَرِّرُهُ اللهُ بذنوبه، تَعرفُ ذنبَ كَذَا؟ فيقولُ: رَبِّ أعْرِفُ، رَبِّ أعْرِفُ، فيقولُ اللهُ جَلَّ وَعَلا: «ولكنِّي سَتَرْتُهَا عَليكَ في الدُّنيَا وَأَغْفرُهَا لك اليَومَ، ثم تُطوَى صَحيفَةُ حَسَنَاته»(١).

ويُعطى كتابه بيمينه.. يشرق وجهه.. ينبثق النور من وجهه وعلى يمينه ومن بين يديه ﴿يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٢).

أهل الأنوار.. اللهم اجعلنا وإياكم منهم.. يأخذ كتابه بيمينه.. ينير وجهه.. تشرق أعضاؤه وينطلق.. ينطلق إلى أحبابه وإخوانه.. إلى أهل التوحيد إلى أهل الإيمان.. إلى أهل الأنوار وهو يقول لهم:

اقرأوا هذا الكتاب.. هذا كتابي.. أعطانيه الله بيميني.. يا فرحتي.. يا سعادتي..، سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وفاز فوزاً لا يخيب ولا يخسر بعده أبداً..

يقول لهم: اقرأوا.. هذا توحيدي.. وهذه صلاتي.. وهذه زكاتي.. وهذا حجي، وهذا بري.. وهذه صدقتي، وهذه دعوتي، وهذا إخلاصي.. وهذا انفاقي، وهذا بذلي.. وهذا عطائي..

---

(١) صحيح: [السنة: ٦٠٤]، رواه البخاري (٢/٩٨)، (٢٤٤١)، وأحمد (٢/٧٤)، ومسلم (٨/١٠٥)، وابن ماجه رقم (١٨٣).
(٢) التحريم: ٨.

﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾[١].

أما إن كانت الأخرى عياذا بالله وحفظنا الله وإياكم، وختم لنا ولكم بخاتمة الموحدين، يقف بين يدى الله بمنتهى الخزي والذل والعار منكسًا رأسه.

﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾[٢].

يقف ذليلاً أمام رب الأرض والسموات:

أين رأسك التي رفعتها في عنان السماء على الموحدين؟

أين أنفك الذي شمخت به في عنان السماء على الموحدين؟

أين مكانتك؟ أين غرورك؟ أين كبرُك؟

إنه في موقف الخزي والذل والعار:

﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥) مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾[٣].

يعطيه الله كتــابه بشماله أو من وراء ظهره، ويَسْــوَدّ وجهه، ويكسى من ســرابيل القطران، ويقــال له انطلق إلى أمك الهــاوية.. إلى جــهنم والعيــاذ بالله فاخبر من هم على شــاكلتك.. بهذا المصير. فــينطلق وقد

---

(١) سورة الحاقة: ١٩-٢٤.

(٢) سورة إبراهيم: ٤٩، ٥٠.

(٣) سورة إبراهيم: ١٥-١٧.

اسود وجهه.. في أرض المحشر وهو يبكي ويصرخ ويقول:

﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لا يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِئُونَ﴾[١].

أسأل الله أن يختم لى ولكم بالتوحيد.

أيها الحبيب.. الكريم:

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾[٢].

شغلك مالك.. شغلك جاهك.. شغلتك تجارتك.. شغلتك وزارتك.. شغلك مكتبك.. شغلك كرسيك.. شغلتك زوجتك.. شغلك ولدك.. شغلتك ابنتك..

أيها الحبيب الكريم:

إننا لا نريد بذلك أن نُقَنِّط أحداً.. وإنما نرى الأمة الآن قد حَقَّ عليها وصَدَقَ فيها قول من لا ينطق عن الهوى الذي ورد في الحديث الصحيح من حديث ثوبان قال ﷺ:

«يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيكُم الأُمَم كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إلى قَصْعَتِها قَالُوا: أَوَ مِنْ قِلَّة نحنُ يومئذٍ يا رَسُولَ اللَّه؟ قَالَ: كَلاَّ ولكنَّكُم يومَئذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنْ غُثَاءٌ

(١) سورة ق: ٢٠-٢٢. (٢) سورة الحاقة: ٢٥-٣٧.

كَغُثَاء السَّيلِ ولَيُوشكَنَّ اللَّه أنْ ينزعَ المَهَابَةَ من قُلُوب عَدُوِّكُم ولَيَقْذفَنَّ في قُلُوبكُم الوهَن»، قيلَ: وَمَا الوَهَنُ يَا رَسُولَ اللَّه؟ قال: «حُبُّ الدُّنيَا وَكَرَاهيَةُ الموت»(١).

من هنا ننطلق لنذكر الأمة بهذا الداء العضال الذي تمكن منها فَذُلَّتْ، وأهينت لإخوان القردة والخنازير الذين كتب عليهم الذل والذلة.

أحبت الأُمَّةُ الدنيا وكرهت الأمة الموتَ.. ما عملت للموت.. واستعدت للقاء الله.

فهل فكرت أيها الحبيب فى هذا السؤال، هل فكرت في عرضك على الكبير المتعال.

هل يسعدك الآن أن تلقى الله عز وجل على ما أنت فيه من تقصير.

هل يسعدك الآن أن تلقى الله عز وجل على ما أنت فيه من تفريط أو تضييع.

أيها اللاهي.. أيها الساهي:

يا من غرتك المعاصي وشغلك الشيطان عن طاعة الله.

أيها اللاهى.. أيها الساهى:

دَع عَنكَ مَا قَد فَاتَ فى زَمَنِ الصِّبَا ... واذكُر ذُنُوبَكَ وابكهَا يَا مُذنبُ
لم يَنْسَهُ الملكان حينَ نَسِيْتَهُ ... بَل أثْبَتَاهُ وأَنْتَ لاه تلعَبُ
والرُّوحُ منكَ وَديعَةٌ أُودعْتَهَا ... سَتَرُدُّها بالرَّغم منكَ وتُسْلبُ
وغُرُورُ دُنيَاكَ الَّتى تَسْعَى لَهَا ... دارٌ حَقيقَتُهَا مَتَاع يَذْهَبُ
اللَّيلُ فَاعْلَم والنَّهَارُ كلاهُمَا ... أنفَاسُنَا فيهمَا تُعَدُّ وتُحْسبُ

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم.

---

(١) صحيح: [ص.ج: ٨١٨٣، الصحيحة: ٩٥٨]، د (٤٢٩٧)، أ (٥/٢٧٨)، وغيرهما.

الخطبة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن حبيبنا محمداً ﷺ عبده ورسوله.

أما بعد:

أيها الحبيب:

انتبه فإن الموتَ قادمٌ.. فهيا كما رَهَّبْنَا وجب علينا أن نُرَغِّب، وكما خَوَّفنا يجب علينا أن نُرَجِّي.

أيها الحبيب الكريم: أقبل وعُدْ إلى الله، وتُبْ إلى الله، ولا تقنط ولا تيأسْ مهما بلغت ذنوبُك وكثرت معاصيك، وفَرَّطت، وضَيَّعت وخالفت.

هيا من الآن جدِّدْ التوبةَ، وجدد الأوبة، وجدد العودة، وعاهد ربك الآن على أن تتوب إليه توبة نصوحاً.

يا من ضيعت الصلاة عد إلى الله، وحافظ على الصلاة في جماعة.

يا من ضيعت الزكاة هيا وأدِّ حق الله.

يا من عققت والدك.. يا من عققت أمك.. يا من فرطت في حق الله.. يا من آذيت إخوانك.. يا من حاربت الله ورسوله..

عد إلى الله، وتب إلى الله، واعلم بأن الله جل وعلا غفور كريم تواب رحيم، هيا لنتب إلى الله جميعاً أيها المؤمنون.

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(١).

---

(١) سورة الزمر: ٥٣.

أيها الحبيب الكريم:

ورد في الحديث من حديث أنس أنه ﷺ قال:

«قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا ابنَ آدم! إنَّك ما دَعوتَنى ورَجوتَنى غفَرتُ لكَ عَلَى ما كانَ منكَ ولا أُبالي.. يا ابنَ آدَم! لو بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنانَ السَّمـاء ثم اسْتَغفَرتَنى غـفرتُ لَـكَ ولاَ أُبَالي.. يا ابنَ آدَمَ! لَو أنَّك أَتَيْـتَنى بقُـرَاب الأَرْضِ خَطَايَا ثُم لَقيتَنى لا تُشْرِكْ بى شَيَئاً لأتَيتُكَ بِقُرابها مَغْفرَةً»(١).

تب إلى الله.. وعد إلى الله.. أيها الحبيب، ولا تيأس ولا تقنط.

﴿إلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالحًا فَأُوْلَئكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾(٢).

فهـيا أيها الشاب.. عُـد إلى الله جل وعلا، وتب إلى الله سبـحانه وتعالى.

واعلم بأن الله سيفرح بتوبتك.. وسيفرح بأوبتك.. وهو الغني عن العالمين الذي لا تنفعه الطاعة، ولا تضره المعصية..

واعلم بأن الدنيا إلـى زوال، وبأن الحياة البـاقية في جنة عند الكبـير المتـعـال ﴿إنَّ الْمُتَّـقِينَ فِي جَـنَّاتٍ وَنَهَـرٍ * فِي مَـقْعَـدِ صِـدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾(٣) ألا إن سلعةَ الله غاليةٌ، ألا إنَّ سلعةَ الله الجَنةُ، والجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ:

«الجنةُ بِناؤُهـا لَبِنَةٌ مِن فِـضَّـةٍ، ولَـبِنةٌ مِنْ ذَهَبٍ، مِـلاطُهــا المِسْكُ الأَذْفَـرُ،

---

(١) حسن: [ص.ج: ٤٣٣٨، الصحيحة: ١٢٧]، ت (٢/ ٢٧٠).

(٢) سورة الفرقان: ٧٠.

(٣) سورة القمر: ٥٤، ٥٥.

وحَصْبَاؤُهَا اللُّؤلُؤ والياقُوتُ، وتُرْبَتُها الزَّعفرانُ، مَن دَخَلَهَا يَنْعَمُ لا يَبْأَسُ أبداً، ويَخلُدُ لا يَمُوتُ، لا تُبْلَى ثِيَابهُم، ولا يَفْنَى شَبَابُهُم»(١).

أيها الحبيب الكريم:

ورد في سنن ابن ماجه وصحيح ابن حبان وفي سنده سليمان بن موسى مختلف فيه وبقية رجال الإسناد ثقات من حديث أسامة بن زيد أنه ﷺ وصف الجنة يوماً لأصحابه فقال:

«هى وربِّ الكَعبة نُورٌ يَتَلألأُ.. ورَيحَانَةٌ تَهتزُّ.. وقَصرٌ مُشَيَّدٌ.. ونهرٌ مُضْطَرِدٌ، وفاكهةٌ كثيرةٌ، وزوجةٌ حسناءُ جميلةٌ».

ثم قال عليه الصلاة والسلام:

ألا من مُشَمِّر للجنة.. قالوا: نحن المشمِّرون لها يا رسول الله، قال لهم: قولوا: إن شاء الله عز وجل..

وأختم بهذه الأبيات، يقول عليّ رضي الله عنه وأرضاه:

النفسُ تبكي على الدُّنيا وقَد عَلمَت ... أنَّ السلامةَ فيهَا ترك ما فيهَا

لا دارَ للمرءِ بعدَ الموت يسكُنُهَا ... إلا التى كانَ قَبلَ الموت يَبْنيهَا

فإن بناها بخير طاب مسكنه ... وإنْ بنَاهَا بَشَرٍّ خَابَ بَانيهَا

أموَالُنَا لذَوى الميراث نَجْمَعُهَا ... ودُورُنا لخَراب البوم نَبنيهَا

وكم من مَدائنٍ فى الآفاق قَد بُنيت ... أمسَتْ خَرَابًا وأَفنَى الموتُ أَهليهَا

أينَ الملوكُ؟ التى كَانَت مُسَلطنةً ... حتى سَقَاهَا بكَأس الموت سَاقيهَا

إن المكارمَ أخلاقٌ مُطهَّرةٌ ... الدينُ أَوّلُهَا والعقلُ ثَانيهَا

---

(١) **صحيح**: [ص.ج: ٣١١٦، المشكاة: ٥٦٣٠] رواه أحمد والترمذى رقم (٢٥٢٨). والملاط: الطين يجعل بين ساقتى البناء، والأذفر: مسك أذفر إذا كان طيب الريح.

والعلمُ ثالثُها والحلمُ رابعُها والجودُ خامسُها والفضلُ باقيها
لا تركَنَنَّ إلى الدنيا وزُخرُفها والموتُ لا شكَّ يفنينَا ويفْنيها
واعملْ لدار غد رضوانُ خازنُها والجارُ أحمدُ والرحمنُ ناشيها
قُصورُها ذَهَبٌ والمسكُ طينتُها والزَّعفرانُ حَشيشٌ نَابتٌ فيهَا
أنهارُها لبَنٌ مُصفًّى ومن عَسَلٍ والخمرُ يَجرى رَحيقاً فى مَجَاريهَا
والطيرُ تَجرى على الأغْصَان عَاكفَةً تُسَبِّحُ اللهَ جَهراً فى مَغَانيها
فمن يشترى الدارَ فى الفرْدوْسِ يَعمُرها بركعَةٍ فى ظَلام الليل يُحْيِيها

واعلم بأن نعيم الجنة الحقيقى ليس في خمرها، ولا في ذهبها، ولا في قصورها، ولا في حريرها، ولكن نعيم الجنة الحقيقي في رؤية وجه ربها.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾(١).

وعن صهيب - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال:

«إذا دَخَلَ أهلُ الجنَّة الجنةَ، قالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى: تُريدُونَ شَيئاً أزيدُكُم؟ فيقولونَ: ألم تُبيِّض وُجُوهَنَا؟ ألم تُدْخلْنَا الجنةَ، وتُنْجنَا منَ النَّار؟ قالَ: فَيكشفُ الحجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئاً أحَبَّ إليهم منَ النظر إلى ربِّهم»(٢).

اسأل الله جل وعلا أن يمتعني وإياك بالنظر إلى وجهه الكريم.

واللهم اقبلنا وتقبل منا وتب علينا وارحمنا إنك أنت التواب الرحيم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

---

(١) سورة القيامة: ٢٢.

(٢) **صحيح**: [ص.ج: ٥٢٣]، م (١٨١/٢٩٧، ٢٩٨)، ت رقم (٢٥٥٢)، جه رقم (١٨٧) فى المقدمة، أ (٣٣٢/٤ - ٣٣٣)، وأبو عوانة (١٥٦/١)، وابن أبى عاصم فى السنة (٤٧٢).



الأمة الإسلامية من التبعية إلى الريادة(*)

إن الحمد لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئاتِ أعمالِنَـا، من يهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضللْ فلا هاديَ له، وأشهـد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(1).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾(2).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(3).

(*) ألقيت هذه الخطبة بمسجد العزيز بالله بالزيتون ـ القاهرة.

(1) سورة آل عمران: 102.

(2) سورة النساء: 1.

(3) سورة الأحزاب: 70، 71.

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ مُحدثةٍ بِدعةٌ، وكلَّ بِدعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضَلالَةٍ في النَّار(١).

أما بعد:

أحبتي في اللَّه..

نظرًا لطول الموضوع وأهميته فسوف أركز حديثي مع حضراتكم في العناصر التالية:

أولاً: شهادة اللَّه لهذه الأمة.

ثانيًا: انحراف الأمة عن المنهج.

ثالثًا: معالم مضيئة على طريق البعث من التبعية إلى الريادة وأهمها:

١ ـ إقامة الفرقان الإسلامي لاستبانة سبيل المجرمين.

٢ ـ تصفية العقيدة وتنقية الشريعة، وتهيئة الفرد المسلم الذي يُحَوِّل العقيدة والشريعةَ إلى منهج حياة.

٣ ـ بعث آداب السلوك والأخلاق الإسلامية.

٤ ـ فليكن ولاؤنا للإسلام فقط دون سواه.

أحبتي في اللَّه:

إن الحياة الإنسانية مجالُ صراع رهيب بين الأمم.. وكلُّ أُمَّة تَدَّعِي لنفسها الفضلَ والكمال.. ومن ثَمَّ فهي التي تستحق أن تَسُودَ وتَقُودَ.

---

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يستفتح بها خطبه ودروسه ومواعظه، وللشيخ الألباني رسالة نافعة فيها فراجعها.

فلقد ادَّعَى اليهود والنصارى والوثنيون أنهم الأكمل والأفضل، وأن غيرهم من الأمم ليس على شيء.

كما قال سبحانه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾[١].

والذين لا يعلمون في هذه الآية هم مشركو العرب، بل لقد غالى اليهودُ والنصارى في دعواهم فزعموا أنهم أبناء اللَّه وأحباؤه كما في قوله جلَّ وعلا:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾[٢].

ثم ازداد غلوهم فجعلوا الجنة حكرًا ووقفًا عليهم لا يدخُلها غيرهُم ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٣].

* ولا تزال أممُ الأرض تدَّعي هذا إلى اليوم..

* فجاءت ألمانيا فرفعت شعارَها الخبيث: ألمانيا فوق الجميع.

* وجاءت أمريكا لتسوق العالم كله بعصًا غليظة وكأنها من طينة تختلف تمامًا عن طينة البشر.

* ثم جاء القرآنُ ليبين بجلاء مكانة أمةِ المصطفى ﷺ بين جميع الأمم.

---

(١) سورة البقرة: ١١٣.

(٢) سورة المائدة: ١٨.

(٣) سورة البقرة: ١١١.

فقال سبحانه:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(١).

وقال جلّ وعلا:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(٢).

وفي الحديث الذي رواه البخاري وغيره عن أبي سعيد الخدري - رضي اللَّه عنه - أن النبي ﷺ قال: «يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ القيامَة فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيُقَالُ لأُمَّته: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا منْ نَذير. فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ يَا نُوحُ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فيَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، ويَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهيدًا، فَذَلكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾» ثُم قَال: «وَالوَسَطُ: العَدْلُ»(٣).

وهذه الخيرية لهذه الأمة الميمونة ليست ذاتية ولا عرقية ولا عصبية، ولكنها خيرية مستمدة من الرسالة التي شُرِّفَتْ الأمة بحملها للناس أجمعين.

ولم يكن هذا التكريم والتفضيل لهذه الأمة اعتباطًا، وإنما كان لأمة استقامت على دين اللَّه، وحولت الإسلامَ إلى منهج حياة.. في جانب

(١) سورة آل عمران: ١١٠.
(٢) سورة البقرة: ١٤٣.
(٣) صحيح: [ص.ج:٨٠٣٤] رواه البخاري (٤٤٨٧) في التفسير، ورواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه.

الاعتقاد، وفي جانب التعبد، وفي جانب التشريع، وفي جانب المعاملات، والأخلاق، والسلوك، وأقامت للإسلام دولة من فتات متناثر.

أذلت الأكاسرة، وأهانت القياصرة، وغـيَّرت مجرى التاريخ في فترة لا تُساوي في حساب الزمن شيئًا، وفتحت نصف كرة الأرض في نصف قرن من الزمان.

ثم راحت الأمة تبتعد شيئًا فشيئًا عن أصل عزِّها ونبع شرفها.

حتى وقعت في المنكر الأعظم الذي لم يكن يخطر ألبتة لأحد على بال.. يوم أن نَحَّت شريعة اللَّه عزَّ وجلَّ وحكَّمتْ قوانين الشرق والغرب!! فخابت وخسرت. ونزلت من عليائها إلى هذا الدَّرك من الذلّ والهوان الذي وصلت إليه اليوم.

بل وأصبحت قصعة مستباحة للذليل قبل العزيز وللضعيف قبل القوي، وللقاصي قبل الداني.

كما في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد وأبو داود من حديث ثوبان أنه ﷺ قال: «**يُوشكُ الأُممُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُم، كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا**» فَقَالَ قائلٌ: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «**بَلْ أَنْتُم يومَئذ كَثيرٌ، ولَكنَّكُم غُثاءٌ كغثاء السَّيل، ولَيَنْزعَنَّ اللَّهُ من صُدُور عدُوِّكم المَهَابَةَ منْكُم، ولَيَقْذفَنَّ اللَّهُ في قُلُوبكُمُ الوَهَنَ**» فقال قائلٌ: يا رسول اللَّه، وما الوَهنُ؟ قال: «**حُبُّ الدُّنْيَا وكَرَاهيَةُ المَوْت**»(١).

نعم.. لقد أصبحت الأمة غثاءً من النفايات البشرية تعيش على ضفاف مجرى الحياة الإنسانية كدويلات متناثرة ومتصارعة. تفصل بينها

---

(١) **صحيح**:[ص.ج:٨١٨٣]، الصحيحة:٩٥٨]، أخرجه أبو داود (٤٢٩٧) في الملاحم، رواه أحمد (٥/٢٧٨).

حدودٌ جغرافية ونعرات قومية مصطنعة، وترفرف في سمائها راية القومية، وتحكمها قوانينُ الغرب العلمانية، وتدور بها الدوَّامات السياسية، فلا تملك نفسها عن الدوران، ولا تختار لنفسها المكان الذي تدور فيه!

ذُلَّت بعد عزة.. وضَعُفت بعد قوة.. وجهلت بعد علم، وأصبحت في ذيل القافلة الإنسانية بعد أن كانت بالأمس القريب تقود القافلة بجدارة واقتدار.

وأصبحت تتسوَّلُ على موائد الفكر الإنساني بعد أن كانت بالأمس القريب منارة تهدي الحيارى والتائهين الذين أحرقهم لفح الهاجرة القاتل، وأرهقهم طول المشي في التيه والظلام.

وأصبحت تتأرجح في سيرها، بل ولا تعرف طريقها الذي يجب عليها أن تسلكه بعد أن كانت بالأمس القريب الدليل الحاذق الأرب في الدروب المتشابكة، والصحراء المهلكة التي لا يهتدي للسير فيها إلا الأدلاَّء(*) المجرِّبون.

ويجب أن نعلم يقينًا أن كل ما حدث للأمة، إنما وقع وفق سنن ربانية لا تتبدل ولا تتغير، ولا تُحابي أحدًا من الخلق مهما زعم وادَّعى لنفسه من مقومات المحاباة، ولن تعود الأمة إلى سيادتها إلا وفق هذه السنن التي لا يُجدي معها تعجل الأذكياء، أو وهم الأصفياء!

فنحن مسئولون ابتداءً وانتهاءً عن هزائمنا وتخلفنا، ونرفض بشدة كل محاولة تبريرية تحاول أن تجعل من الأمم الأخرى التي تكيد لنا مشجبًا لنعلق عليه كل تلك الهزائم وهذا التخلف.

وقد حذرنا اللَّه عزَّ وجلَّ من هذه السلبية، فقال سبحانه:

(*) الأدلاَّء: جمع دليل، وهو ما يستدل به [لسان العرب (٣/ ٤٠٠) في (د ل ل)].

﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾[1].

نعم، نحن لا ننكر الدور الخطير الذي قام به أعداء الأمة، لكن لا ينبغي أن نتغافل عن مرضنا نحن.

ومن هنا فإنه لا بد من معالم في طريق الإحياء الإسلامي؛ حتى لا نبتعد عن الإسلام وَسيلةً، ونحن نَتَّجِه إليه هدفًا.

وحتى لا نبقى نتطلعُ إلى قيادة البشرية كما يتطلعُ الحالمون إلى أحلامهم من بعيد دون أن يملكوا السبيل إلى تحويلها إلى منهج عملي على أرض الواقع.

وها أنذا أحاولُ جاهدًا أن أحدد بعض المعالم على طريق بعث الأمة وإخراجها من جديد من التبعية الذليلة إلى الريادة التي ما خُلقت الأمةُ إلا لأجلها، لا سيما ونحن نعيش الآن صحوة إسلامية راشدة، لا ينكرها إلا جاحد، بدأت بالفعل تحول الأمة، وتعالت الأصوات المخلصة الصادقة تسأل عن الخلاص وتبحث عن الطريق.

أولاً: إقامة الفرقان الإسلامي لاستبانة سبيل المجرمين.

فلقد تمكَّن أعداءُ هذه الأمة من تشويه الصورة المشرقة للإسلام؛ ليلتبس على الأمة أمر دينها؛ وليصبح الإسلام الواحدُ، بعقيدته وشريعته، ومنهجه اسمًا متعددًا بتعدد ألوان مؤامرة الالتباس والتزييف؛ لصد الأمة عن دين اللَّه عزَّ وجلَّ.

وهذا أشقُّ ما تعانيه الحركة الإسلامية على وجه الأرض، ويَعرف

(١) سورة آل عمران: ١٦٥.

أعداءُ الإسلام خطورة هذه الثغرة. فيعكفون علهيا توسيعًا، وتمييعًا وتخليطًا لسبيل المؤمنين، وسبيل المجرمين لحدٍّ أصبح فيه الجهرُ باستبانة سبيل المجرمين تهمةً يؤخذ علهيا بالنواصي والأقدام.

ومن هنا فإن الرحلة الطويلة.. الطويلة.. لإعادة الأمة إلى الريادة.. ولإعادة الإسلام إلى أرجاء الأرض.. تبدأ من هنا.

من إسقاط اللافتات الكاذبة الخادعة.. وفضح الشعارات المضللة التي يتخفَّى خلفها أعداءُ هذه الأمة؛ ليلبسوا على العامة أمرَ دينهم وعقيدتهم.

وعندها، بل وعندها فقط.. يتمايز الناس إلى فسطاطين، فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه.

وحينئذٍ تخرجُ الأمة من حالة الغَبَش(*)، والتذبذب، إلى دينها الحق لنصرته بكلِّ سبيل.

ويقفز إلى ذهني الآن ذلكم المشهد الوضيء من مشاهد الفرقان الإسلامي الذي ربَّى عليه النبي ﷺ أصحابه منذ اللحظات الأولى.

فلقد روى ابن جرير الطبري أن النبي ﷺ قال: «**ادْعُوا لي عبدَ اللَّه بنَ عَبْد اللَّه بنَ أُبَيّ بنَ سَلُول**» فلما جاء قال له رسول اللَّه ﷺ: «**ألاَ تَرَى مَا يَقُولُ أَبُوكَ يَا عبدَ اللَّه؟**».

فقالَ عبد اللَّه: وماذا يقول أبي، بأبي أنت وأمي يا رسول اللَّه؟

فقال رسول اللَّه ﷺ: «**يقولُ: لَئِنْ رَجَعْنَا إلى المدينةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعزُّ منْهَا الأَذَلّ**».

فقال عبداللَّه: لقد صدق واللَّهِ يا رسول اللّه، فأنت واللَّه الأعزّ

(*) الغبش: شدة الظلمة.

وهو الأذلّ، أما واللَّه لقد قدمت المدينة يا رسول اللَّه وإن أهل يثرب لا يعلمون أحدًا أبَرَّ بأبيه مني، أما وقد قال فلتسمعنّ ما تَقَرُّ به عينُك.

فلمَّا قَدموا المدينة قام عبد اللَّه على بابها بالسيف لأبيه ثم قال: أنت القائل: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعز منها الأذل؟!

أما واللَّه لتعرفنّ هل العزة لك أم لرسول اللَّه، واللَّه لا يأويك ظلها، ولا تبيتنّ الليلة فيها إلا بإذن من اللَّه ورسوله.

فصرخ عبد اللَّه بن أُبي: يا للخزرج، ابني يمنعني بيتي.

فاجتمع إليه رجال فكلموه.

فقال: واللَّه لا يدخل بيته إلا بإذن من اللَّه ورسوله.

فأتوا النبي ﷺ فأخبروه فقال: «**اذْهَبُوا إِلَيْه فَقُولُوا لَهُ: يَقُولُ لَكَ رسولُ اللَّه خَلِّه وَمَسْكَنَه**» فأتوه فقالوا ذلك فقال: أما وقد جاء الأمر من رسول اللَّه فَنَعم؛ ليعلم من الأعزّ ومن الأذل!!

هذه هي الخطوة الأولى ليعلم أبناءُ الأمة في ظل هذا التلبيس والغبش سبيل المؤمنين الصادقين وسبيل المجرمين المضللين.

ثانيًا: تصفيةُ العقيدة وتنقيةُ الشريعة وتهيئةُ الفرد المسلم الذي يُحَوّل العقيدة والشريعة إلى منهج حياة.

فالإسلام عقيدةٌ تنبثق منها شريعةٌ تنظم كلَّ شئُون الحياة.

فالعقيدة: هي الأصل الأول الذي ترتكز عليه دعائم الشريعة، ولن يقبلَ اللَّهُ من الناس الشريعة إلا إذا صلحت عقيدتهم، وآمنوا باللَّه عزَّ وجلَّ.

فإذا رسخت العقيدةُ في النفس يمكن أن نبني المجتمع الذي يلتزم في

حياته كلها بشرع اللَّه، في علاقته بربه، وعلاقته بالإنسان . . ، وعلاقته بالكون والحياة.

ولهذا كانت العقيدة هي أول ما دعا إليه الرسل جميعًا ـ عليهم الصلاة والسلام ـ قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾(١).

والعقيدة الإسلامية ليست مجرَّد عقيدة وجدانية منعزلة عن الحياة البشرية، كلا!! ولا يوجد رسول بعثه اللَّه بعقيدة مجردة عن الشريعة أبدًا.

فالحياة في ضوء الإسلام؛ نظام خُلقيّ، يقوم على إشاعة الفضيلة، واستئصال الرذيلة.

ونظام سياسي أساسه إقامة العدل بين الناس بتحكيم دين اللَّه.

ونظام اجتماعي نواته الأسرة الصالحة وأصله التكافل بين الناس.

ونظام اقتصادي لُحْمَتُهُ العملُ والإنتاج وفق التصور الإسلامي.

والمصدر الأول للعقيدة والشريعة هو القرآن:

ولا زال بحمد اللَّه موجودًا على النحو الذي أنزله اللَّه عزَّ وجلَّ على قلب نبينا ﷺ لم يتبدَّل فيه حرف.

قال تعالى: **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾**(٢).

---

(١) سورة الأنبياء: ٢٥.

(٢) سورة الحجر: ٩.

والمصدر الثاني هو: السنة.

ولقد قيَّض اللَّه لها رجالاً يَذُبُّون عنها كذبَ الكذَّابين، ووضع الوضَّاعين، وانتحال المبطلين، فحفظت السنة مع القرآن بإذن من الرحيم الرحمن.

ويبقى أن نعد الكوادر الإسلامية المتخصصة التي تكون قادرة على تسيير شئون الحياة كلها من منظور العقيدة الصافية، والشريعة الخالصة، كما فعل أصحاب رسول اللَّه ﷺ وهذه مسئولية كل مسلم ومسلمة أن يحوِّل الإسلام في حياته كلها، في عمله وبيته إلى منهج حياة.

وهذه لا عذر لك فيها بين يدي اللَّه جلَّ وعلا، نسأل اللَّه أن يوفقنا وإياكم لذلك.

وأقول قولي هذا وأستغفر اللَّه لي ولكم.

* * *

الخطبة الثانية

إن الحمد للَّه نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده اللَّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

أحبتي في اللَّه:

ثالثًا: بعثُ آداب السلوك والأخلاق الإسلامية.

ولو قلنا بأن من أعظم أسباب تخلف الأمة أنها انحرفت عن أخلاق الإسلام وآدابه، لو قلنا ذلك فما حِدنا أبدًا عن الصواب.

ورحم اللَّه من قال:

وَإِنَّمـا الأممُ الأخلاقُ مـا بَقِيَتْ فَـإِنْ هُمُو ذهبَتْ أخْـلاقُهُم ذَهَبُـوا

واللَّه لقد ذهبت أمتنا يوم أن ذهبت أخلاقها.. ولن تعود أمتنا إلا إذا عادت إلى أخلاقها، وعادت إليها أخلاقُها التي أوجدت يومًا خير أمة أخرجت للناس.

ولا ينبغي أن يستهين مسلم بالأخلاق كوسيلة من أعظم وسائل بعث الأمة من جديد.

* فحاكمٌ ذو خلق هو رحمة اللَّه في الأرض.

وحاكم بلا خُلق هو ذئب جائع شرير مسلط على رقاب الناس وأعراضهم وأموالهم.

* وعالم ذو خُلق هو مصدرُ هداية ورحمة لملايين البشر ممن يتلمسون الطريق ويبحثون عن الحق.

وعالمٌ بلا خلق هو مصدرُ هدم، ومِعولُ تدمير لآلاف البشر ممن يحملون قلوبًا مريضة في كل زمان ومكان.

* وجندي ذو خلق أفضل في الميدان من ألف جندي بلا خلق.

* وتاجر ذو خلق أنفعُ لأمته من ألف تاجر بلا خلق.

ولا يُنكر منصفٌ على الإطلاق أن الأمة بجميع فئاتها وأفرادها في حاجة إلى عودة صادقة إلى أخلاق هذا الدين.

وقد يرد علينا قائل: بل إن الأمة في حاجة إلى العلم والمال والتكنولوجيا في عالم الصناعة والسلاح.

ونحن لا ننكر هذا أبدًا، بل إننا لعلى يقين أن هذا كله بدون الأخلاق لا قيمة له، بل ربما يتحول إلى مصدر إهلاك وخراب ودمار.

وخُذ لذلك مثلاً:

فهذا مهندس حاذق بارع مؤتمن على مشاريع الأمة وبين يديه من مقومات البناء والتعمير ما يُحَوِّلُ به الخراب إلى عمران، ولكنه متجرد عن الأخلاق لا يعرف الصدق، ولا يحب الأمانة، ويحبذ الغش والتزوير، ولا يحب إلا المال.

فماذا ستكون النتيجة؟

انهيار مئات المنازل وتدمير وتخريب لمئات المشروعات، وإزهاق للأرواح، وإهدار لطاقات هذه الأمة.

وهكذا أيها الأحبة، قد يكون من السهل جدًّا أن نقدم المنهج الأخلاقي النظري، ولكنَّ هذا المنهج سيظل حبرًا على ورق ما لم يتحوَّل

إلى منهج عملي وواقع يتحرك في دنيا الناس.

ولقد علم اللَّه جلَّ وعلا أنه لا بد للناس من قدوة طيبة لتُحَوِّل هذا المنهج الأخلاقي بين الناس إلى واقع، فبعث اللَّه محمداً ﷺ ليكونَ قدوةً طيبةً للناس أجمعين، ومثلاً خالداً لجميع العالمين، قال سبحانه:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾(١).

وأتوقف مع مشهد واحد، يتألق روعةً وسمواً وجلالاً ممن بُعث ليُتمم مكارم الأخلاق ﷺ.

فلقد روى ابن إسحاق أن عُميرَ بن وهب أُسر ولده وهبُ بن عمير في غزوة بدر، فجلس عمير مع صفوان بن أمية في الحجر وذكرا أهل بدر، فقال عُمير بن وهب: واللَّه لولا دَينٌ عليَّ وعيالٌ أخشى عليهم الضيعة بعدي، لركبت إلى محمد لأقتله، فإن لي قِبلهم علة، ابني أسيرٌ في أيديهم، فاغتنمها صفوان بن أمية وقال: عليَّ دَينُك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي، لا أمنع شيئًا عنهم.

فقال له عمير: فاكتم شأني وشأنك، قال: أفعل.

فانطلق عمير إلى المدينة وقد شحذ سيفه وسمَّه، فلمَّا أناخ على باب المسجد رآه عمر بن الخطاب متوشحًا سيفه.

فقال عمر: هذا عدو اللَّه عميرُ بن وهب، واللَّه ما جاء إلا لشر.

ثم أخذ عمر بحمالة سيفه في عنقه فلببه بها ثم أدخله على رسول اللَّه

---

(١) سورة الأحزاب: ٢١.

ﷺ، فقال النبي ﷺ: «أرْسلْهُ يا عُمَرُ».

ثم قال: «ادْنُ يا عُمَيْرُ» فدنا من رسول اللَّه ﷺ.

فقال له المصطفى ﷺ: «ما الَّذي جاءَ بكَ يَا عُمَيْرُ؟».

فقال: جئتُ لابني، أسيرٌ في أيديكم لتحسنوا فيه.

قال النبي ﷺ: «فَمَا بَالُ السَّيف فِي عُنُقكَ؟».

فقال عمير: قبحها اللَّه من سيوف، وهل أغنت عنَّا شيئًا يوم بدر؟!

فقال النبي ﷺ: «اصْدُقْني يا عُمَيْرُ، ما جاءَ بكَ؟».

فقال: ما جئت إلا لذلك.

فقال المصطفى ﷺ: «بَلْ قَعَدْتَ أنتَ وصَفْوَان بنَ أُمَيَّةَ في الحجْر، فَذكرتُما أَهلَ بَدْر من قُرَيش، ثُم قُلت لصَفْوَانَ: لولاَ دَيْنٌ عَليّ وعيالٌ أَخْشَى عَلَيْهم الضَّيعةَ بَعْدي، لَرَكبْتُ إلى مُحَمَّد لأقتُلَهُ، فَتَحَمَّلَ لَكَ صفوانُ بديْنكَ وعيَالكَ علَى أن تَقْتُلَني، واللَّهُ حَائلٌ بينكَ وبَيْنَ ذَلكَ» ـ اللَّه أكبر!!

فنطق عمير قائلاً: أشهد أنك رسول اللَّه.

واللَّه هذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فواللَّه إني لأعلم أنه ما أتاك به إلا اللَّه، فالحمد للَّه الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق، ثم شهد شهادة الحقّ.

فقال رسول اللَّه ﷺ: «فَقِّهُوا أخاكُم فِي دينه وأَقْرِئُوه القُرآنَ وأَطْلقُوا لَهُ أَسيرَهُ»(١).

ولا أظن أنه في لغة البشر وقواميس الدنيا ما نستطيع أن نعبر به عن

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢/٤٤٣ ـ ٤٤٤) ط. دار ابن رجب.

هذه الأخلاق السامية، والآداب العالية التي أدخلت كثيرًا من الناس في دين اللَّه أفواجًا.

وما أحوج الأمة اليوم إلى هذه الأخلاق.

رابعًا: فليكن ولاؤنا للإسلام فقط دون سواه.

فمن أخطر الأمراض التي تعمل على تفتيت وحدة المسلمين وذهاب ريحهم التشتت والعصبية البغيضة المنتنة، التي تثور بين الجماعات العاملة بصفة خاصة وبين الدول الإسلامية بصفة عامة، من حين لآخر.

ولا شك على الإطلاق أن الإسلام جعل الرابطة التي تجمع المسلمين وتوحدهم هي الإسلام، وما قامت دولة الإسلام إلا على أساس هذه الرابطة، وانصهرت في هذه البوتقة الطاهرة كل العصبيات للجنس، واللون، والوطن، والنسب، وأصبح كلُّ تجمع على غير الإسلام جاهليًّا.. مقيتًا.. بغيضًا عند اللَّه وعند رسوله ﷺ.

وفي الحديث الذي رواه مسلم من حديث جندب بن عبد اللَّه البجلي أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ قُتِل تحتَ رايةٍ عِمِّيَّةٍ يَدعُو عَصَبِيَّةً ويَنْصرُ عَصَبِيَّةً فَقِتْلَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ**»[1].

وعندما اختلف رجلان من المهاجرين والأنصار، فتناديا: يا لَلْمهاجرين! يا لَلأنْصَار! قال النبي ﷺ: «**دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**»[2]، والحديث

(١) **صحيح**: [الصحيحة: ٤٣٤، ٢/ ٧١٥] رواه مسلم رقم (١٨٥٠) في الإمامة، والنسائي (٧/ ١٢٣) في تحريم الدم.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦/ ٣٩٨) في الأنبياء، باب في دعوى الجاهلية (٨/ ٩٩) في تفسير سورة المنافقين، وأخرجه مسلم رقم (٢٥٨٤) في البر والصلة، والترمذي رقم (٢٣١٢).
دعوها: أي الجاهلية، ومنتنة: من النتن أي أنها كلمة قبيحة خبيثة.

في صحيح مسلم.

ولقد ثارت نار هذه العصبيات البغـيضة في هذا القرن الأخير بصورة بشعة، حطمت مـعها الرابطة الحية التي جمـعت المختلفين أجناسًا وألوانًا وأوطانًا.

وإذا كانت الفـرقة والشتـات سببًـا للذل والهوان، فـإن الوحدة على أساس الإسـلام هي سبـيلُ العزة، والبـعث من التبـعيـة إلى الريادة من جديد.

اللَّهُمَّ ردَّ الأمة ردًّا جميلاً، وأسعد قلوبنا بنصرة التوحيد وعز المؤمنين واشف صدور قومٍ صادقين، برحمتك يا أرحم الراحمين، أنت ولي ذلك ومولاه...

... الدعاء.

* * *



البوسنة بين الملحمة الصربية والملحمة العمرية(*)

إن الحمد لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئاتِ أعمالِنَا، من يهدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضللْ فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾[2].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[3].

(*) ألقيت هذه الخطبة بمسجد التوحيد برمسيس ـ القاهرة.

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٠، ٧١.

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ مُحدثةٍ بِدعةٌ، وكلَّ بِدعَةٍ ضلالةٌ،وكُلَّ ضَلالَةٍ في النَّارِ(١).

أما بعد:

أحبتي في اللَّه:

أشعر بالخجل ويُشاركني هذا الشعور كلُّ مسلم غيور، أن تتصاعد أحداثُ البُوسنة إلى ما وصلت إليه، ثم نتجاهل هذا الحدث الضخم المروع لنتحدث عن موضوع آخر..

فإنني أرى أن من الواجب على العلماء والدعاة أن يكونوا على مستوى أحداث أمتهم الجريحة.

فإن الناس اليوم في حاجة إلى الكلمة الصادقة، وسط هذا الركام الهائل من التحليلات والتقارير والأخبار التي تَصُمُّ الآذان في الليل والنهار.

واجب على العلماء والدعاة أن يُشخصوا الداء بدقة وأمانة، وأن يحددوا الدواء؛ للخروج بالأمة من هذه الذيليَّة المهينة، والتبعية الذليلة، إلى السعادة والريادة التي ما خلق اللَّه الأمة إلا من أجلها.

ومِن ثَمَّ فاسمحوا لي أن يكون لقاؤنا اليوم بعنوان:

(البوسنة بين الملحمة الصربية والملحمة العمرية)

---

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يستفتح بها خطبه ودروسه ومواعظه، وللشيخ الألباني رسالة نافعة فيها فراجعها.

والحديث عن البوسنة حديثٌ ذو شجـون، ولذا فسوف أركز الحديث مع حضراتكم في العناصر التالية:

أولاً: الملحمة الصربية.

ثانيًا: الملحمة العمرية.

ثالثًا: دروس من الأحداث.

فأعيروني القلوب والأسماع، فإن الخَطبَ كبير!!

أولاً: الملحمة الصربية:

أحبتي في اللَّه، إنني أشعر الآن بصعوبة بالغة وأنا أحدثكم اليوم عن البوسنة وأحداثها.

فالواقع أن نهر الدم الذي لا ينقطـع قد أصبح واقعًا معـتادًا، يحمل بين ثناياه مزيدًا من التعاسة والحسرة والألم.

ولذا فـإن أي مأساة بوسـنية جديـدة لا تثير فـي النفوس إلا مـجرد الاشمئزاز والتـحسر فقط، إذ أنَّ المأساة نفسهـا قد طالت وحفلت بألوان الظلم والوحشيـة والبربرية، حتى أصبح العـالم الغربي، بل والإسلامي مُهَيَئًا دومًـا لاستقبال المزيد من الجرائم البشعـة الرهيبة للمسلمين، هنالك على أيدي كلاب الصرب.

بل وربما وصل الأمر ببلادة الحس، وموت المشاعر، أن يُستغرب أن يمر أسبوع أو يوم دون وقوع مأساة جديدة.. ضحاياها هم المسلمون الضعفاء.

إنها الجريمة الكبـرى التي لم يشهد التاريخ البشري لهـا مثيلاً أبدًا في وحشيتها وقذارتها وانهيار كلِّ معاني الإنسانية.

قصص مرعبة تقشعر منها الأبدان، وتشيب لهولها النواصي، وترتجف لها القلوب، وتتجمد لها الدماءُ.

إنها الجريمة الكبرى التي تجري منذُ أربع سنوات على أرض البوسنة تنفيذًا عمليًّا للملحمة الصربية القذرة، التي تُسمَّى «بإكليل الجبل» والتي تقول: «سلك المسلمون طريق الشيطان.. دنسوا الأرض.. ملئوها رجسًا.. فلتعُد للأرض خصوبتها.. ولنطهرها من تلك الأوساخ.. ولنبصق على القرآن.. وليطير رأسُ كلٍّ من يؤمنُ بدين الكلاب ويتبعُ محمدًا.. فليذهب غير مأسوف عليه».

هذه عقيدة الصليب!!

وصدق اللَّه إذ يقول: ﴿**وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾[1].

وانطلق الصرب لتنفيذ هذه الملحمة الوقحة بكل وحشية، تزداد كل يوم ويزداد العالم كله من حولهم صمتًا وعجزًا وخيانةً وخُذلانًا.

فلقد اشترك في الجريمة جميع أنواع الأسلحة التي يملكها الصرب من دبابات وطائرات، وقاذفات، وأسلحة خفيفة، وثقيلة، ولك أن تتخيل هذه الجريمة البشعة إذا علمت أن عدد القتلى في البوسنة قد تجاوز نصفَ مليون. أسأل اللَّه أن يتقبلهم جميعًا في الشهداء.

نعم أيها المسلمون.

فلقد كانت ولا تزال عملياتُ الذبح الجماعي والتمثيل بالجثث للشباب والشيوخ، والأطفال، والنساء، بصورة تنخلع لها القلوب.

---

(١) سورة البقرة: ١٢٠.

أما عمليات الاغتصاب للنساء المسلمات، كانت تتم بصورة منظمة، مخططة، تحت إشراف القيادة الصربية، بل وبفتوى من رجال الدين الأرثوذكس، ولقد نشرت وكالات الأنباء العالمية صورًا تجمِّد الدماءَ، وتخلع القلوبَ.

وَحْشِيَّةٌ يَقِفُ الخيالُ أَمَامَها ... مُتَضَائلاً وتَمَجُّهَا الأَذْوَاقُ
أَطْفَالُنَا نَامُوا عَلَى أَحْلامِهِم ... وَعلَى لَهِيبِ القَاذفَات أُفِيقُوا
أَطْفَالُنا بِيعُوا وأُوربَّا الَّتي ... تَشْرِي فَفيْهَا رَاجَت الأَسْوَاقُ
أَيْنَ النِّظَامُ العَالَمِيُّ أَمَا لَهُ ... أَثَرٌ. أَلَم تَنْعقْ بِه الأبواقُ
أَيْنَ السَّلامُ العالميُّ لَقَدْ بَدَا ... كَذِبُ السَّلام وزَاغَت الأَحْدَاقُ
يَا مَجْلسَ الأمنِ الَّذِي فِي ظلِّه ... كُسِرَ الأمانُ وَضُيِّعَ الميثَاقُ

حتى قالت فتاة بوسنية وهي تخاطب المسلمين في كل مكان: «إن عجزتم عن مَدِّنا بالسلاح للدفاع عن شرفنا وديننا فأمدونا بحبوب منع الحمل حتى لا تعظم المصيبة».

وأقام الصرب معتقلات عديدة، احتجزوا فيها عشرات الآلاف من البوسنيين أذاقوهم فيها أشد أنواع التعذيب المروعة.

ومن أبشع صور هذه الجريمة الكبرى التي لم تكن تخطر ألبتة لأحد على بال أنهم بعدما قتلوا أربعين ألف طفلٍ من أطفال البوسنة، وشردوا ما يقرب من مائة ألف طفل في مخيمات اللاجئين في زغرب، ومقدونيا، وألبانيا، أو في الملاجئ الكَنَسيَّة في قلب أوربا.

بعد كل هذا فكروا في عمل شيطاني إجرامي رهيب، فهم يستخدمون أجساد الأطفال كدروع بشرية، فهم يلغمون أجساد الأطفال

الأبرياء ويرسلونهم إلى القوات البوسنية تحت زعم الإفراج عنهم، وبمجرد أن يصل هؤلاء إلى قواعد القوات البوسنية يتم تفجيرهم بواسطة الريموت كنترول، وهذه الظاهرة للأطفال الملغمين ظاهرة مجرمة يعرفها التاريخ لأول مرة في عصر الحضارة المزعومة.

* يستخدمون أطفالنا . . . أطفال البوسنة في تجارة رقيق جديدة على أوسع نطاق لتمويل الحرب ببيعهم للكنائس، ولتجار الرقيق في أوربا.

* يستخدمون الأطفال الآن كفئران تجارب في المعامل والمصانع لإجراء الاختبارات عليهم.

* يستخدمون الأطفال أيضًا كوسيلة إعلامية كاذبة لتحسين صورة الصرب المجرمين، يصورون الطفل البريء الصغير، وهو يجري على أب صربي، فيحتضنه ويضمه إلى أبنائه، ليضحكوا على العالم الخائن وأهله من السذج والرعاع.

كل هذا وغيره يتم على مَسمَع ومرأى من العالم المتحضر الذي يغني ويرقص كل يوم بحقوق الإنسان، وجمعيات الرفق بالحيوان، والنظام العالمي الجديد، وحرية الأديان، والديمقراطية، إلى آخر هذه الشعارات المزيفة الكاذبة.

قَتلُ امرئٍ في غَابةٍ جَـريمةٌ لا تُغْتَفَر ... وَقَتْلُ شَـعْبٍ آمنٍ مَسأَلَةٌ فيـهَا نَظَرْ

إنه عالمُ الوحوش والذئاب. . ، إنه عالمُ الأفاعي والثعالب.

قتل وذبح واغتصاب وتعذيب واعتقال وتهجير. . كل هذا طيلة هذه السنوات فأين مجلس الرعب؟!

وأين الخائنُ العام للأمم المتحدة؟! أين العالم كلُّه بكلِّ مؤسساته

وهيئاته؟! بل وأين العالم الإسلامي الذليل المهين الذي لم يحرِّك ساكنًا إلى الآن؟! لأنه لا يجيد إلا الجعجعة والصياح!!

آه يا مسلمون..

آه يا مُسلمُونَ مُتُّم قُرونًا   وَالمحَاقُ الأعمَى يَليهُ مُحَاقُ
أيُّ شيءٍ في عالمِ الغابِ أنتُمْ   آدمِيُّونَ أم نعَاجٌ تُساقُ
نحنُ لحمٌ للوَحْشِ والطَّيرِ منَّا الـ   ـجُثَثُ الحُمْرُ والدَّمُ الدَّفَّاقُ
وَعلَى المُحصنات تَبْكي البواكِي   يَا لَعرضِ الإسلامِ كَيفَ يُراقُ
يَا قَطيعًا من ألف مليون رأس   صَارَ نَهبًا يَجْري عليه السِّبَاقُ
قَدْ هَوينا لَمَّا هوَت وأعدُّوا   وأعدُّوا منَ الرَّدي تريَاقُ
واقْتَلَعْنَا الإيمانَ فاسْوَدَّت الدُّ   دُنيَا علَيْنَا واسْودَّت الأعماقُ
وَإذَا الجُذُرُ ماتَ في باطِنِ الـ   أَرْضِ تَموتُ الأغصَانُ والأوراقُ

آه يا مسلمون !!

سَرَايفُوا تُبادُ وَالعالمُ   كُلُّهُ خيانةٌ وخِسَّةٌ ونفَاقُ
سرايفوا منْ دَولَة المجد   عُثمانُ أبُوها والفَاتحُ العملاقُ
سرايفوا منْ قَلبِ مَكَّةَ   بالتَّوحيد يَعلُو لواؤُها الخَفَّاقُ
نَطَقتُ بالشَّهادتَين وَهَذَا   عنْدَهُم جُرمُهَا الذي لا يُطاقُ
تَركُوها وحَوْلَهَا منْ كلاب الصِّرب   طَوْقٌ من خَلْفه أطْوَاقُ
قَدَّمَتْها الصُّلْبان للصِّرْب   قُرْبَانًا وللصِّرْب كُلِّهم عُشَّاقُ
وَبيدي بُطرُسٌ وَتبَّتْ يَداهُ   علَّقَتْ في المَشَانق الأعناقُ
لا يزالُ الصَّليبُ يحجُبُ عَيْنيكَ   ونَجمُ الكَنيسَة البَرَّاقُ
ولَوْ فَعَلْنَا بالصِّرْبِ ما فَعلُوهُ   لَرأَيْنَا مِثْلَ الذي رآهُ العِرَاقُ

قَدْ حَفظنا للمرَّة الألف عَنكُمْ عَالمُ الغَاب مَالَهُ ميثَاقُ
سَلْ عَن العَدْل جَدَّكَ الوَلَد القبْطيّ لما جَرَى بمصرَ السِّبَاقُ
قَدْ حَمَلْنَا قُرآنَنا فأضَاءَتْ أَلْفَ عَامٍ مَضَتْ وَسَبعٌ طِبَاقُ

يوم أن انطلق فاروق الأمة عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ ليتسلم مفاتيح بيت المقدس وقد أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم بصورة سيقف التاريخ أمامها وقفة إعزاز وإجلالٍ وإكبار.

وهذا نصُّ العهد الذي أعطاه لهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ.

«بسم اللَّه الرحمن الرحيم..

هذا ما أعطى عبد اللَّه عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم، إنه لا تُسكن كنائسهم ولا تُهدم، ولا يُكرهون على دينهم، ولا يُضار أحدٌ منهم، وعليهم أن يُعطوا الجزية كما يُعطي أهل المدائن، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغ مأمنه، ومن كان منهم من أهل الأرض وشاء أن يرجع إلى أهله فلا يؤخذ منهم شيء حتى يُحصد حصادهم.

وعلى ما في هذا الكتاب عهدُ اللَّه وذمة رسوله ﷺ وذمة الخلفاء، وذمة المؤمنين إذا أعطوا الجزية التي عليهم.

شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن ابن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان سنة خمسة عشر».

هذا هو الإسلام يا من تخشون الإسلام، لا مجال فيه أبدًا للتعصب أو للقوة أو للظلم.

ومن الجفـاء أن أنسى الآن هذا المشهد الـوضيء الذي يتألق سـمـواً وروعة وعدلاً وجلالاً أهديه للنصارى الحاقدين على ظهر الأرض.

يوم أن دخل على عـمر بن الخطاب في المدينة شابٌ قـبطي من أهل مصـر يقول: يا أمـير المؤمنين، هذا مـقام العائذ بك. ويسـتوضح عـمر فيخبره القبطي أن محمد بن عـمرو بن العاص قد أوجعه ضربًا بالسوط؛ لأنه سابقه فسبقه، وهو يقـول: خذها وأنا ابن الأكرمين. فأجلسه عمر، ثم أرسل رسالة إلى عمرو بن العاص وقال له فيها: إذا انتهيت من قراءة كتابي هذا فـاركب إليَّ مع ولدك محمد.. فجاء عـمرو بن العاص ومن خلفـه محـمدٌ ولده، فـقال عـمر: أين القـبطي؟ فقـال: هأنذا يا أميـر المؤمنين. فقـال عمـر: خذ الدِّرة واضرب ابن الأكـرمين، فضـربه حتى أوجعه، ثم قـال له عمر: أَجِلْهَا واضـرب على صَلَعَة عمرو، فـوالله ما تجرَّأ عليك ولده إلا لسلطان أبيه.

فقـال القبطي: جـزاك الله خيـرًا يا أميـر المؤمنين، لقد ضـربت من ضربني.

فقال له عمر بن الخطاب: والله لو ضربته ما حُلنا بينك وبين ذلك.

ثم التفت عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص وقال قولته الخالدة: «يا عمرو متى استعبدتُم الناس وقد ولدتهم أمهاتُهم أحرارًا؟!».

هذا هو الإسلام... وتلك هي عظمته.. فيا ليت قومي يعلمون؟!

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

الخطبة الثانية

إن الحمد للَّه نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده اللَّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.. أما بعد:

أحبتي في اللَّه:

ثالثًا: دروس من الأحداث:

* إن أول درس يخرج به المسلم الواعي من هذه الأحداث الدامية أن كل ما وصل إليه العلم الحديث من تقدم مذهل في عالم الاتصالات والمواصلات والطب والصناعة وعلوم النفس والتربية وغيرها. إن هذا كله لم يستطع أن يرتقي بالإنسان ابن هذه الحضارة المزعومة من حالة الوحشية والظلم إلى وضاءة آدميته وطهارة إنسانيته، فإن إنسان هذه الحضارة الخاوية يصنع بالإنسان ما تخجل الوحوش الضارية أن تفعله ببعضها البعض في عالم الغابات.

فلم يتورع هذا الإنسان المتوحش عن إلقاء القنابل النووية على هيروشيما ونجازاكي.

ولم يتورع هذا الإنسان المتوحش عن إبادة شعب الهنود الحمر..

كذلك ولم يتورع هذا الإنسان المتوحش أن يُبيد شعوبًا بأكملها من أجل أن يعيش هو وليكونوا عبيدًا لهواه.

ثم لا يستحي أن يملأ الدنيا بهذه الشعارات الجوفاء كحقوق الإنسان، وحرية الأديان، والديمقراطية، إلى آخر هذه الشعارات.

إنها ورب الكعبة حضارة العبيد، وصدق اللَّه إذ يقول: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ**﴾[1].

وهكذا يتردى الإنسان بوحشيته، وإجرامه، وانحرافه، عن منهج اللَّه إلى أسفل سافلين ﴿**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا**﴾[2].

فلا سعادة للبشرية كلها إلاَّ إذا عادت إلى منهج ربها بعد أن أحرقها لفح الهاجرة القاتل، وأرهقها طول المشي في التيه والظلام.

﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾[3].

* **الدرس الثاني من الأحداث:** أنه يجب أن نعلم «أن للحضارات دورات فلكية، فهي تغرب هنا لتشرق هنالك، فكم من أمم وحضارات مرت بسنوات قوة وانتشار، ثم انتكست وتلاشت تدريجيًّا، وأصبحت حدثًا تاريخيًّا تطويه السنون، فكم من حضارة سادت وبغت وطغت فأخذها ربك أخذ عزيز مقتدر ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ**

---

(١) سورة التين: ٤ ـ ٨.

(٢) سورة طه: ١٢٤.

(٣) سورة الروم: ٤١.

ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾(١).

ولكنَّ الأمة الإسلامية بحمد اللَّه قد تمرض وتعتريها فترات من الركود الطويل، ولكنها بحمد اللَّه لا تموت؛ لأنها تملك أعظم مقومات البقاء إن هي عادت إلى منهج اللَّه عزَّ وجلَّ.

* لقد جربت الشعوب الإسلامية المعاصرة كل ألوان الشعارات وظلت تتقلب فيها سنوات متتابعة، ولكنها سرعان ما عرفت إفلاس تلك الشعارات.

والأمة كلها الآن متعطشة عطشًا شديدًا لهذا الإسلام، فقد ملَّت الأمة العبث وأيقنت أن خلاصها الحقيقي هو اعتصامها بمنهج اللَّه عزَّ وجلَّ، فهل سيخلي الحكام بين الأمة وبين دينها لتعود إليها سيادتها وكرامتها.

بعدما تبيَّن للجميع أن الأمة المريضة الهزيلة لا يعبأ بها أحد على الإطلاق، ولا تُقدر ولا تُهاب، ولا يحسبون لها أي حساب.

* **ومن أهم الدروس التي نخرج بها من الأحداث:** أن ما أصاب الأمة من ذل وضعف إنما هو بسبب بعدها عن اللَّه.

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا﴾(٢).

---

(١) سورة فجر: ٦ ـ ١٤.

(٢) سورة النساء: ١٢٣.

﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١].

والنياحة والتباكي والعويل والخطب الرنَّانة لن يغير من الواقع شيئًا، بل هذه حيل العجزة القاعدين الذين يرضون الدنية في دينهم، ولكن طريق التغيير طريق طويل شاقّ، ولكن إمامة الشعوب ليست أحلامًا وشعارات، وإنما لا يكون ذلك إلا ببذل الأسباب الشرعية التي أمر اللَّه بها ورسوله ﷺ.

* **وأخيرًا**: إن الظهور والغلبة في النهاية إن شاء اللَّه تعالى مهما طال الطريق وكثرت العقبات ستكون لأولياء اللَّه ﴿**وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ**﴾[٢].

اللَّهُمَّ رُدَّ الأمة إليك ردًّا جميلاً..

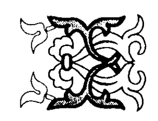
اللَّهمَّ احمِ المسلمين الحفاةَ العُراةَ الجياعَ، برحمتك يا أرحم الراحمين...

... الدعاء.

* * *

(١) سورة آل عمران ١٦٥.

(٢) سورة الصافات: ١٧١ ـ ١٧٣.



الدعوة أبقى من الداعية(*)

إن الحمد لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئاتِ أعمالِنَـا، من يهدِه اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضللْ فلا هاديَ له، وأشهـد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه، وأشهد أن مـحمداً عـبده ورسـوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٣).

(*) ألقيت هذه الخطبة بمسجد مصعب بن عمير - بروكلن - نيويورك.

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٠، ٧١.

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ مُحدثة بِدعةٌ، وكلَّ بِدعَةٍ ضلالةٌ،وكُلَّ ضَلالَةٍ في النَّارِ.

أما بعد:

أحبتي في اللَّه:

هاهى الأيام تمر.. والأشهر تجري ورائها.. تـسحب معها السنين.. وتجرُّ خلفَها الأعمار.. وتُطوَى حياةُ جيلٍ بعد جيل.

فالحـمد لله الذي جـمعنا في الدنيـا على محـبتـه وطاعته، ونـسألُه سبـحانه وتعـالى أن يجمـعنا وإياكم مع حبـيبنا المصطفى في جـنته ودار كرامته.

أما بعد:

فحيَّا اللهُ هذه الوجوهَ التي طال شوقُنا إليها.

وزكى الله هذه الأنفس التي انصهرنا معها في بوتقة الحب في الله.

وشرح الله هذه الصدورَ التي جمعنا وإياها كتابُ الله.

وبارك الله فيكم جميعاً وجزاكم الله عنا خير الجزاء.

أحبتي في الله:

أودُّ أن أحـدثكم اليـومَ حديـثاً طويلاً، حـديث المُحبِّ إلى أحـبـابه وإخوانه.. ولكن إشفـاقاً بكم سأركز الحديـثَ في عدة عناصر أراها من وجهة نظري في غاية الأهمية وهى:

أولاً: الدعوة أبقى من الداعية.

ثانياً: إن الله ناصر دينه بنا أو بغيرنا.

ثالثاً: منهجُ عملٍ نعاهد الله عليه.

فأعيرونى القلوبَ والأسماعَ.

أحبتي في الله:

أولاً : الدعوة أبقى من الداعية:

نعم.. إن البشرَ جميعاً إلى فناء.. والعقيدة والدعوة إلى بقاء.. ومنهجُ الله للحياة مستقلٌ في ذاته عن الذين يحملونَه ويؤدونَه إلى الناس، من الرسُلِ والدعاةِ على مدى التاريخ كُلِّه.

فالدعوةُ أكبرُ من الداعية.. وأبقى من الداعية.. ودعاتُها يجيئون ويذهبون، وتبقى هى على مر الأجيال والقرون، ويبقى أتباعُها موصولين بمصدَرِهاَ الأول وهوالحيُّ الباقي الذي لايموت.

ولو ماتت دعوةُ وانتهت بموتِ دُعاتها.. لماتت وانتهت دعوةُ الإسلام بموتِ سيدِ الدعاةِ وأعظمِ رسولٍ وداعية عرفته الدنيا محمد ﷺ. ولذلك أراد الله أن يعلمهم هذا الدرس فى حياته ووجوده ﷺ.

فلما هتف الهاتفُ في غزوةِ أحد قائلاً:

إن محمداً ﷺ قد قُتل.. إن محمداً قد مات.

وما أن وصلت هذه الكلماتُ إلى آذان المسلمين في أرض المعركة إلا وانقلب الكثير منهم عائدين إلى المدينة يائسين.. وقد أحسوا أنه لاجدوى إذن من قتال المشركين.. وبموت محمد ﷺ قد انتهى أمرُ هذا الدين وانتهى أمرُ الجهاد للمشركين.

فأراد الله جل وعلا أن يُربِّيَهُم بهذه الحادثة وأن يعدَّهم لحمل أمانة هذا الدين بعدَ موت رسولالله ﷺ، فنزل قولُ الله سبحانه وتعالى:

﴿ ومَا مُحَمدٌ إلاَرُسولٌ قد خَلَت من قَبلِه الرُّسُلُ أَفَإِين مَّاتَ أو قُتِلَ

انقَلَبـتُم على أعقَابكُم ومَن ينقَلِب على عَقِبَيـهِ فَلَن يَضُـرَّ اللَه شَـيئًا وسَيَجزِى اللُه الشَاكرِين﴾(١).

إن محمداً ﷺ رسولٌ من عند الله جاء ليـبلغَ دعوة الله إلى أن يلقى الله، واللهُ باقٍ لا يموت.. ودعوتُه باقـيةٌ لا تموت.. وما يـنبغي أن يرتَدَّ المؤمنون على أعقابهم إذا مات أو قُتل الـنبيُّ الذي جاء ليبلغَهم دعوةَ الله عز وجل.

وكأنما أراد الله سبحانه وتعالى بهذه الحادثة أن يجعل ارتباط المسلمين بالإسلامِ مباشـرةً وأن يجعل عهدهم مع الله مباشـرةً حتى لا يَتخلَّوْ عن هذه المسئـولية وهذا العهـدِ بموتِ رسول الله ﷺ، فـهم إنما بايعـوا الله وعاهدوه وهم أمام الله مسئولون.

وكأنما أراد الله سـبحـانه وتعالى أن يأخذَ بـأيديهم فيصلهَـا مبـاشرةً بالعروة الوثقى التي لم يعقِدْها محمد ﷺ بل جاء ليعقدَ بها أيدي البشر ثم يدعَهم عليها ويمضى إلى ربه وهم بها مستمسكون.

ووعى أصـحـابُ النبي ﷺ هذا الدرسَ جيـداً، فرفعوا الرايةَ خـفاقة عالية، وحملوا هذا الدين الذي خالطَ دمائهم ونفوسهم وأرواحَهم.

* فـهذا أنس بـن النـضـر - رضي الله عنـه - يمرُ بقـومٍ من المسلمين قـد ألْقَوا ما بأيديهم فـي غزوة أحدٍ فيقول لهم : ما تنتظرون فقالوا: قُتل رسول الله ﷺ.

فقـال أنس - رضي الله عنه - فمـا تصنعون في الحيـاة بعده؟ قـوموا فموتوا على ما مات عليه رسولُ الله ﷺ.

---

(١) سورة آل عمران: ١٤٤.

ثم استقبل الـناسَ، ولقي سعد بن معاذ فقـال: يا سعدُ، إني لأجُد ريحَ الجنة من دُون أحُد. فـقاتل - رضي الله عنه - حـتى قتل فمـا عُرِفَ حتى عَرَفَتْهُ أختُه بِبَنَانِه،وبه بضعٌ وثمانون مابين طعنةٍ برمح وضربةٍ بسيفٍ ورميةٍ بسهمٍ»[١].

* وهذا أبو دُجَـانَة - رضي الله عـنه - يَتَّـرِسُ على رسـول الله ﷺ بظهره والنبل يسـقط على ظهره ويقع فيـه كالأمطار وهو لايتحـرك حتى لايصاب رسولُ الله ﷺ بمكروه وسوء.

* وهذا سعدُ بنُ الربيع الأنصـارى - رضي الله عنه -: يقول زيدُ بنُ ثابت - رضي الله عنه -: بعـثنى رسول اللهﷺ يومَ أحد أطلبُ سـعدَ بنَ الربيع فقال لي رسولُ الله ﷺ: «**إنْ رأيتَهُ فَأَقْرِئهُ مِنِّى السَّلامَ وقُلْ له: يقولُ لَكَ رَسولُ اللَّه: كَيف تَجدُك؟**» قال زيد: فجعلتُ أطوفُ بين القتلى فأتيتُه وهو بآخر رَمَقٍ وفيـه سبعونَ ضربةً ما بـين طعنةٍ برمح، وضربة بسيفٍ، ورميةٍ بسـهم، فقلت: يا سعدُ، إن رسول الله يقـرأ عليك السلام ويقول لك أخبرني كيف تَجدُك؟ فـقال سعدُ: وعلى رسول الله ﷺ السـلامُ قل له: يا رسولَ الله أجد ريح الجنة،وقل له: إن سعداً يقول لك: جزاك الله عنا خيـراً يا رسول الله، وأبلغ القـوم عني السلام وقل لهم: يـقول لكم سعد: لا عـذرَ لكم عند الله إن خَلُص إلى رسول الله ﷺ وفـيكم عين تطرف، وفاضت نفسه من وقته - رضي الله عنه -»[٢].

(١) متـفـق عليـه:أخرجـه البخارى (٧/ ٢٧٤) في المغـازي، ومسلم فى الإمارة، والتـرمذي (٣١٩٨)، (٣١٩٩)، وأحمد (٣/ ٢٠١، ٢٥٣) من حديث أنس - رضى الله عنه -.

(٢) أخرجه ابن هشام فى(السيرة) ٢/ ٩٤, ٩٥م فصلاً وأخرجه مالك فى الموطأ (٢/ ٤٦٥، ٤٦٦) مرسلاً وقال ابن عبد البر: هذا الحديث لا أعرفه مسنداً، وهو محفوظ عند أهل السير.

* وهذا بطل وعـمـلاق آخـر يعلمنا درسـاً فـى الفـداء للإسـلام ولرسـول الله ﷺ درساً ليس له نظير، إنه «خُـبيبُ بنُ عدى» - رضي الله عنه - الذي صلبـه المشـركون فى مكة بمكـان يُقال له التنعـيم واحـتشـدَ المشركون حوله في شماته ظاهرة ووقف الرمـاة يشحذون رماحَهم لتمزيق هذا الجسد الطاهر في جنونٍ ووحشيه.

ويستأذن خبيب في أن يصليَ لله ركعتين، فأذنوا له فصلَّى ركعتين في خشوعٍ وإخبات، فلمـا سلَّمَ التفت إليهم وقال: والله لولا أن تروا أن ما بي جَزَعٌ لزدتُ (أى من الصلاة) ثم توجه إلى الله جل وعلا قائلاً:

«اللهم أحصهم عددا واقتلْهُم بددا[1] ولاتُبْقِ منهم أحداً»[2].

ثم أنشد قائلاً :

لَقد أَجْـمَعَ الأحْزابُ حَـوْلى وألَّبوا — قَـبائلَهُم واسـتجـمعُـوا كُلَّ مَجْـمَعِ
وقَـد قَـربَّـوا أبناءَهُم ونِسَـاءَهُم — وقُـرِّبْتُ مِـنْ جِـذْعٍ طَويلٍ مُـمَنَّعِ
إلى الله أشكُوا غُـربتي بَعْـدَ كُـربتي — وما أرْصَدَ الأحزابُ لي عندَ مَصْرَعِي
وقَـد خَـيَّـرُونى الكُفـرَ والموتُ دُونَهُ — فـقد ذَرَفَتْ عـيناىَ مِنْ غيـرِ مَجْـزَعِ
ومَـابـي حِـذَارُ الموت إنِّي لميتٌ — وإنَّ إلى ربِّـى إيابى ومَـرْجِـعِـي
ولستُ أبالـي حينَ أُقْـتَـلُ مُسْلمـاً — عَلى أيِّ جنب كَان فى الله مَصْرَعِي
وذلـكَ فى ذَات الله وإنْ يَـشَـأ — يُـبـارِكْ فى أَوْصَـال شـلْو مُـمَـزَّعِ
فلستُ بِـمُـبـدٍ للعَـدوِّ تَـخَـشُّـعاً — ولاجَـزَعـاً إنِّى إلـى الله مَرْجِـعِي

فقال له أبو سفيان : أيسـرُّك أن محمداً عندنا تُضْرَبُ عنقُه وإنك في

---

(١) بددا : متفرقين فى القتل واحداً بعد واحد من التبديد.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخارى (٤٠٨٦) في المغازى.

أهلك فقـال: لا والله ما يسرُّنـي أني في أهلي وأن رسولَ الله ﷺ فـي مكانه الذي هو فيه تُصيبُه شوكةٌ تؤذيه.

(أخرجه البخاري في كتـاب المغازي في باب غزوة الرجيع وأخرجه أحمد في المسند وابن سعد وابن هشام وابن كثير والطبرى).

وهكذا وعى أصحابُ النبي ﷺ الدرسَ جيداً.

فيجب علينا أيها الأحباب أن نعي هذا الدرسَ جيداً فنجعل ولائنا لله جل وعلا وحده وأن نخلص عبادتنا وأعمالناَ لله جل وعلا وحده.

فيا من جعلتم ولاءَكم لأشـخاص الدعاة، اجعلوا ولاءكم لله. فكم توقفت دعـواتٌ بسبب ارتبـاط أفرادها ارتبـاطاً مباشـراً بشخص الداعـية لابدعوته، فإذا مـات هذا الداعيةُ أو ترك مجالَ دعـوته لسبب أو لآخر، أصيبتِ الدعوةُ بالتوقف أو بالإعياء على أقل حال.

ولاحول ولاقوة إلا بالله.

ولكن اعلموا جميعاً أحبتي في الله أننا لن نضر إلا أنفسنا.

إن الله جل وعلا غني عن العالمين، لاتنفعه الطاعة ولا تضره المعصية **﴿ومَن ينَقَـلب على عَـقِبَـيـهِ فَلَن يَضُـرَّ اللَّه شَـيـئًـا وسَـيَـجـزِى اللهُ الشَاكرِينَ﴾**(١).

ثانيـاً: إن الله جل وعلا سينصر دِينَهُ بنا أو بغيـرنا،وإن المستقبل لهذا الدين رغم كيدِ الكائدين.

ولقد توالت البشائرُ من القرآنِ والسنة بنُـصرةِ هذا الدين. لأنه دينُ الله عز وجل.

---

(١) سورة آل عمران: ١٤٤.

وانتبهوا مـعي إلى هذا العنصر الخطير لأنني أرى موجةً عـاتيةً عارمةً من القُنُوطِ واليأس تجتاحُ قلوبَ كثـير من المسلمين؛ لِما وصلت إليه الأمة المسلمة من ذلة وضعف وهوان!!

ولكن الذي يفـصل في الأمر ليـس هو ضخـامةُ البـاطل وإنما الذي يفصل في الأمرِ هو قوةُ الحق . ولاشك على الإطلاق أن معنا الحقَّ الذي لأجله قامت السمواتُ والأرض وإليكم بعضُ هذه البشائر.

أولاً : بشائرُ القرآن:

* **البشارة الأولى**: وعدُ الله جل وعلا بظهور دينه وغلبته.

يقول الحق جل وعـلا في سورة الكهف ﴿ **يُرِيدُونَ ليطفـئُوا نُورَ الله بأفواههم واللَّه مُتـمُّ نُوره ولو كَرِهَ الكافرُون (٨) هو الذي أَرسَلَ رسـولَهُ بالهُدَى ودين الحَقِّ ليُظهرَهُ عَلىَ الدينِ كُلِّه ولو كَرِهَ الُمشرِكُون**﴾[١].

إن نورَ الله لا يمكن أن تطفئَه جميعُ الأفواهِ ولو اجتمعت.

وأما من ناحية الواقع فقد صدق وَعْدُ الله وأتم الله نورَهُ في حياة نبيه ﷺ، فأكـمل الله به الدين، وأتم الله به النعمـة، وانطلق الصحـابةُ بهذا الدين وهم يحرصون على الموت كحرصنا على الحياة فأعزَّهُم اللهُ ودانت لهم معظمُ المعمورة على مدى قرن من الزمان.

* **البشارةُ الثانية** : وهى قولُ الله جل وعلا في سورة الأنفال:

﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَـرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُـدُّوا عَـن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا**

---

(١) سورة الصف: ٨، ٩.

ثُـمَّ تَكُـونُ عَلَيهِم حَسرَةً ثُمَّ يُغلَبُـونَ وَالَّذِينَ كَفَـرُوا إِلَى جَهَنَّم يُحشَرُونَ﴾(١).

يالهـا من بـشـارة حقٍ من الحق جل وعـلا، تريح الـقلبَ وتشـرح الصدرَ.

إن أعداء الله لا يدخرون شيئا في وسـعهم لحرب الإسلام فلقد بذلوا الأموال بسخاء رهيب للصد عن سبيل الله ولتنحية الإسلام.

ولكنهم سينفقون هذه الأموالَ لتضـيع عليهم فى النهاية وينتصر دينُ الله بإذن الله عز وجل، ويحـشرون فى الآخرة إلى جهنم لتتـم حسرتهُم الكبرى.

* فكم أُنفق من أموال لتنصير المسلمين ؟!

* وكم أُنفق من أمـوال لإشاعـة الرذيلة عن طريق الأفلام الـداعرة والمسلسلات الفاجرة؟!

* وكم أُنفق من أموال لتدعيم الاقتصاد الربوي الفاجر حتى لا تقوم للاقتصادِ الإسلامى قائمة؟!

* وكم أُنفق من أموال على أندية الماسونية؟!

* وكم أُنفق من أموال للقضـاء على كتائب الصحوة الإسـلامية في كل مكان؟!

* ولكن ما هى النتيجةُ بالرغم من كل ذلك ؟

النتيجة بفضل الله أيها الأحباب «وثيقـة خطيرة كشفت عنها صحيفة «نيويورك تايمز انتـرناشونال» في عددها الصادر في الثالـثِ والعشرين من شهر يناير لعام[١٩٩١].

(١) سورة الأنفال: ٣٦.

وهي «وثيقة التنصير الكَنَسِي» التي كتـبت في أكثر من مِائة وخمسين صفحة وتم إعدادُها عبَر دراسات دقيقة أجُريت خلالَ خمسِ سنَوات.

وفيها يصرخ بابا الفاتيكان «جون بول الثاني» ويوجه النداء إلى جميع النصارى في مختلف أنحاء العالم للتحـرك بسرعة من أجل نشر المسيحية (على حـدِّ قوله) لمواجـهة المدِّ الإسلامـي الذي أخذ يمتـدُّ ويتصاعَـدُ في مختلف أنحاء العـالم. ثم انتقد بشدة القساوسـة والمنصرين العاملين في مجال الكنيسة.

واعترف مساعدُو البابا اعترافاً صريحاً في هذه الوثيقة بأن الإسلام هو التحدى والمـنافسُ الأول لهم، وأنهم يحسون بهلعٍ شديد من انـتشار المد الإسلامى في مختلف أنحاء العالم.

وصدق الله جل وعلا:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾(١).

* **البشارة الثالثة:** وهى قولُ الله تعالى في سورة النور:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(٢).

ولقد تحقق وعدُ الله فـي حياةِ رسوله ﷺ، وفي حيـاةِ الجيل الأول،

(١) سورة الأنفال: ٣٦.

(٢) سورة النور: ٥٥.

حتى وصلت حدودُ الدولة الإسلاميــة إلى أقصى المشرق والمغرب، وكُسر كسرى، وأُهين قيصر، وأعز الله دينَه وأظهره، ووعدُ الله مذخورٌ لكلِّ مَن يقومُ على منهجِ الله من هذه الأمة إلى يوم القيامة.

وأكتفي بهـذا القدر من بشائر القرآن وإلاَّ فهى كثـيرة بفضل الله جل وعلا.

ثانياً: البشائر النبوية بنُصرة الإسلام وظهوره:

البـشـــارةُ الأولى: في الحديث الذي رواه أحـمد والطبـراني وقال: رجالهُ رجالُ الصحيح ورواه الحاكمُ وقال صحيحُ على شرط مسلم.

من حديث تميم الـداري ـ رضي الله عنه ـ قال: سمـعت رسول الله ﷺ يقول: «**لَيبلُغَنَّ هَذا الأمْرُ ما بَلَغَ اللَّيلُ والنهارُ ولا يَتْرُكُ اللَّهُ بيتَ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هذا الدينَ بعزِّ عَزِيزٍ أو بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِـزًّا يُعِزُّ اللَّه به الإسْلامَ وذُلاًّ يُذِلُّ اللَّهُ به الكُفرَ**»(١).

البـشارةُ الـثانيـة: في الحديث الذي رواه الإمـام أحمدُ، وصحـحه العراقي، وقال ابنُ حجرَ الهيثمي في «مجمع الزوائد»: رجالُه ثقات.

من حديث حذيفةَ بنِ اليمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

« **تَكُونُ النُّبوةُ فيكُم ما شَاءَ اللَّهُ أن تكُونَ ثم يَرفَعُها اللَّهُ إذا شَاءَ أن يَرفَعَها ثم تكُونُ خِلافةٌ عَلَى مِنهاجِ النُّبُوَّة، فـتكونُ ما شَاءَ اللَّهُ أن تَكُونَ، ثم يرفَعُها إذَا**

(١) صـحــيح: [الصـحيـحة: (٣)] ، رواه أحمـد (٤/ ١٠٣) والطبراني في المعجم الكبـير (١/ ١٢٦/ ١) ورواه ابن حـبـان في صـحـيـحـه رقم (١٦٣١، ١٦٣٢) والحـاكم (٤/ ٤٣٠-٤٣١) وقال صـحيح على شـرط الشيخين ووافـقه الذهبي، قال الألـباني: وإنما هو على شرط مسلم فقط.

شَـاءَ أن يَرفَعَـهَـا، ثم تكونُ مُلْكًا عَـاضًّـا فـيكونُ مـا شَـاءَ اللَّهُ أن يَكُونَ ثم يَرفَعُـها اللَّهُ إذا شَاءَ أن يرفعَـها، ثم تكُونُ مُلْكاً جَبْرِيًّا فتكُونُ مـا شَاءَ اللَّهُ أن تكُونَ، ثم يرفَعُهَـا اللَّهُ إذا شَاءَ أن يرفَعَهَا، ثم تَكُونُ خلافَـةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّة، ثمَّ سَكَتَ»(١).

البـشارةُ الثالـثة: في الحديث الذي رواه أحمـد وابنُ حبان والحاكمُ وقال صحيحُ الإسناد ووافقه الذهبيُ وأقره الحافظ المنذرى.

أن النبي ﷺ قال: «بَشِّر هَذه الأُمَّةَ بالسَّناء، والدين، والرِّفـعة، والنَّصْر، والتَّـمْكين، ومَن عَـملَ منهُم عَـمَلَ الآخَـرةِ للدُّنيـا لم يكُن لهُ في الآخِـرَةِ من نَصيب»(٢).

البِـشَـارةُ الرابعـة: وهى من أعظم البشـائر التي بشرنا بهـا الصادق المصدوق ﷺ.

فى الحديث الذي رواه البخـاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

«لاتقومُ السَّـاعةُ حـتى يُقَاتلَ المُسلمُـونَ اليَهُـودَ،فيقـتُلُهم المسلمـونَ،حتى يَخْتَبئَ اليهـوديُّ من وَرَاء الحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الحَجَـرُ أو الشَّجَر: يا مُسْلمُ! يا عَـبدَ اللَّه ! هَذَا يَهُـوديٌّ خَلْفِى،فَـتَعَـالَ فَاقْـتُلْهُ، إلا الغَـرقَدَ،فَـإنَّهُ من شَجَـرِ اليَهُود»(٣).

---

(١) صحيح: [الصحيحة: (٥)] رواه أحمد (٤/ ٢٧٣).

(٢) صحـيح: [ص.ج: ٢٨٢٥] رواه أحمد فى المسند (٥/ ١٣٤)، وابن حبـان فى صحيحه والحاكم (٤/ ٣١١).

(٣) متـفق عليه: [ص.ج: ٧٤٢٧] رواه البخارى (٦/ ٧٥) فى الجـهاد، ومسلم رقم (٢٩٢٢) فى الفتن.

ولذلك فإنهم يقومون بحملة واسعة لزراعة هذا النوع من الأشجار لأنهم على يقين بصدق محمد ﷺ وبمجيء هذا اليوم.

ويزداد أملنا بنُصرة هذا الدين فى الوقت الذي نرى فيه إفلاسَ الأنظمة البشرية، وفي الوقتِ الذي نسمع فيه هذه التصريحات المرعبة التي تنذرُ بسوءِ مصير البشريةِ في ظل هذه الحضارة الماديةِ المدمرة التي ما تركت شيئا إلا واخترعته لإبادة البشرية بكاملها في لحظاتٍ معدودات!!

وفي نفس الوقت نرى فيه صحوة إسلاميةً مباركةً تزداد يوماً بعد يوم فى جميع أنحاءِ العالم.

* فهيا أيها المسلمون .. هيا أيها الشبابُ.. هيا أيها الأخيارُ الأطهار.. هيا أيها المتوضئون.. هيا .. إلى وعد الله القائم الذي ينتظرُ العصبةَ المؤمنة التي تحمل الراية وتبدأُ من نقطةِ البدء التي بدأ بها محمدٌ ﷺ وهو يحملُ دينَ الله ويتحركُ بنور الله.

وهنا يتساءل المخلصون الذين يريدون أن يبذلوا أرواحَهم، ونفوسَهم، وأموالَهم لهذا الدين. فما العمل؟

وما هو واجبنا ودورنا الذي ينبغي أن نقومَ به؟

وبهذا نصلُ إلى العنصرِ الثالثِ والأخيرِ من عناصر هذا الموضوع ألا وهو.

ثالثا :منهجُ عملٍ نعاهد الله عليه ورسولَه:

أولاً: لابد لكم قبلَ كلِّ شيءٍ من معرفة دقيقةٍ بحقيقة الإسلام، لتكونوا مسلمين علماً، وتفكيراً، كما أنكم مسلمون قلباً، وعاطفة، ولتكونوا على قسط كبير من القدرة ،والكفاءةِ اللازمةِ، لتسيير شئون

الحياة وفقاً لأحكامِ الإسلامِ وقواعِدِه وتحويلها إلى واقع عملي.

* عليكم أن تبادروا إلى تقويم ما اعوجّ. وإصلاح ما فسد من الأخلاقِ والعادَات حتى تشهدوا بذلك شهادةً عملية للإسلام الذي شهِدْتمُ له من قبلَ شهادةً قولية؛ لأن التناقض بين القول والعمل، يزرعُ بذورَ النفاق في القلوب.

﴿ يا أَيهَا الذيَن آمَنوُا لمَ تَقُولُونَ مَا لا تفعَلُون (٢) كَبُرَ مَقتًا عنَد الله أَن تَقُولوا مَا لا تفعَلُون﴾[1].

* عليكم أن تهتموا كذلك بقدر ماتستطيعون بنشر الدعوة بين صفوف العوام؛ حتى تبددوا ظلامَ جهلهم وتجعلوهم على بَيِّنةٍ من أمرِ دينهم، وحتى يتبين لهم الخبيثَ من الطيب.

* على كل مسلمٍ ومسلمة أن يعمل جاهداً لتحكيم شريعة الله، وأن يُعلنَ تمسكه بكتابِ الله وسنة رسول الله ﷺ، وأن يساهِمَ في ذلك من موقع مسئوليته ومكان عملِه ولايجبنُ عن هذا الشرفِ بقدر استطاعته، فلو اجتمعت القلوبُ على قلب رجل واحد، والأصوات على صوت رجل واحد، أن حكِّمُوا فينا شرعَ الله، واحكمونا بدين الله؛ لحُكِّم فينا كتابُ الله وسنة رسوله ﷺ.

* إعدادُ الكوادرِ المسلمة في جميع التخصصات والمجالات.

فعلى كل مسلمٍ أن يبدأ من الآن مهما كان مجالُ عمله وتخصصه أن يفكر بصدقٍ كيف يكونُ جنديًّا للإسلام وكيف يخدم الاسلامَ من موقعه.

الاقتصادي مثلاً يفكر ويدرس ويخطط من الآن ماهو السبيل لرفعة الاقتصاد الإسلامى، والقضاءِ على النظام الربوي وأن نتحوَّلَ من موقع

(١) سورة الصف: ٢، ٣.

التبعية إلى موقع القيادة والريادة .

نريد الاقتصادي المسلم، ونريد الدبلوماسي المسلم، ونريد المهندس المسلم، ونريد الطبيب المسلم، والمدرس المسلم، ونريد المرأة المسلمة التي تهز المهدَ بيمينها وتزلزل عروشَ الكفرِ بشمالها .

※ على جميع المسلمين من أصحابِ الأموال، وهم كثرةٌ والحمد لله، أن يتقوا الله في إسلامهم، وأن يعلموا أن هذا المالَ الذي وهبهم الله عز وجل إنما هو محطُّ الابتلاءِ، فليجتمعوا ويخططوا كيف يُستغل هذا المالُ لصالح الإسلام والمسلمين، في مجال الزراعة . . في مجال الصناعة . . في مجال الاقتصاد . . في مجال التعليم . . في مجال الإعلام . . لتكون القيادةُ والريادةُ للمسلمين . . لأن أموالَ المسلمين في غير بلاد المسلمين هي التي تحركُ العالم كله، فلماذا لايَكونُ هذا للمسلمين . . ؟ لماذا لايكونُ لهم القرار، وتكون لهم القيادة والسيادة؟!

※ وهذا من أهم بنود هذا المنهج العملي .

وهو نداءٌ إلى كلِّ الإسلاميين في كل مكانٍ، ومن كل اتجاه ألاَّ يحاولوا إقامة نظامِ إسلامي على أسس غير سليمة، وعلى دعائم ضعيفة، وقواعد متزلزلة؛ لأن الأهدافَ التي نُريدُ تحقيقهَا إنما هى أهدافٌ ضخمة كبيرة تهدف إلى إعادة الناسِ إلى حظيرة الإسلام بعد الانحراف الذي هم عليه منذ زمن طويل وذلك بِعَملٍ علني واضح وضوحَ الشمسِ في رابعة النهار . . فعليكم أن تنشروا دعوتكم علناً وتقوموا بإصلاح قلوب الناس وعقولهم بأوسع نطاق، بسلاح منَ الخُلقِ العذب . . ، والشمائل الكريمة . ، والسلوكِ الحسن . . ، والموعظة الحسنةِ . . ، والحكمة البالغة، وأن تواجهوا كل مايقابلكم من المحن والشدائد مواجهة الأبطال

المخلصين.

لأن الذي يملك الأرواح والأرزاق هو الله ومحال أن يموت المظلومون ويبقى الظالمون.

أينَ الظَّالمُـونَ وأيـنَ التَّـابعُـونَ لَهُم ... في الغَيِّ بـل أينَ فـرْعَـونُ وهَـامَـانُ
أينَ مَن دوَّخُـوا الدُّنيـا بسَطْـوَتهم ... وذكـرُهُم في الوَرَى ظُلمٌ وطُغْيـانُ
هَل أبـقَى الموتُ ذا عـــزٍ لعِـــزَّته ... أو هَل نجَـا منـهُ بالسُّـلطَان إنسَـانُ
لا والذي خَلَقَ الأكْـوَانَ منْ عَـدَمٍ ... الكـلُّ يَفنَى فَـلا إنسٌ ولاَ جَـانُ

وأخيراً أيها الأحباب:

اعلموا أنه إذا وجد المؤمنون كان النصرُ بإذن الله .

﴿**وكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[١].

وما عليك أيهـا المسلم. . ، وما عليكِ أيتـها المسلمـة. . ، إلاَّ العمل والاجتهاد.

ومـا عليك إلا أن تجتـهد وأن تعـمل للإسـلام من خندقك. . ،وفي موقـعك على قدرِ اسـتطاعتك. . ، وهذا هو دورك؛ لأن الله تعـالى لن يسألنا لماذا لم تنتصروا؟!

ولكنَّ السؤال لماذا لم تعملوا؟!

﴿ **وقل اعمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَـمَلَكُم وَرَسُولُه والمؤمِنُون وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الغَيبِ والشَّهَادَة فَيُنَبِّئُكم بِمَا كُنتم تَعمَلُون**﴾[٢].

وصدقَ الله جلَّ وعلا إذ يقول:

---

(١) سورة الروم : ٤٧.

(٢) سورة التوبة : ١٠٥.

﴿ واللَّه غَالِبٌ عَلىَ أَمْرِهِ ولَكِنَّ أَكثر النَّاسِ لا يَعلَمُون﴾(١).

اللهم أكرمنا وشرِّفنا بالعملِ لدينك.

اللهم أنت غياثُنا فبك نغوث وأنت ملاذُنا فبك نلوذ، وأنت عياذُنا فبك نعوذ.. يامن خضعت له رقابُ الجبابرة..، وذلت له أعناقُ القياصرة..، يا ذا المن، ولا يُمن عليه ويا من يُجير ولا يُجار عليه.

ويا من يُجيب المضطَر إذا دعاه ولجأ إليه.

يا من لا تشتبهُ عليه الأصوات..، ولا تختلفُ عليه اللغات.

يا عالمَ الخفيات..، ويا سامعَ الأصوات..، ويا قاضي الحاجات..، ويا باعث الأموات.

ويا عالماً بما هو آت..، يا منقذ الغرقى..، ويا منجي الهلكى ويا سامِعَ كلِّ نجوى..، يا عظيم الإحسان..، ويا دائم المعروف.

لاإله لنا سواك فندعوه..، ولارب لنا غيرك فنرجوه.

يامن يلجأ إليه الخائفون..، ويَا مَنْ يتوكل عليه المتوكلون..، ويَا مَنْ بفضله يتعلّقُ الراجون.

إنك لا تردُّ سَائلاً ولا تمنع راجيا.

اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى، وصفاتك العُلَى، وباسمك الأعظم الذي إن سُئلتَ به أعطيت..، وإن دُعيت به أجبت..، أن تقيض لهذه الأمة أمر رشد يُعَزُّ فيه أهل طاعتك..، ويذلُّ فيه أهل معصيتك..، ويُؤمَرُ فيه بالمعروف..،وينهى فيه عن المنكر..،أنت ولي ذلك ومولاه.

---

(١) سورة يوسف : ٢١ .

اللهم أصلحْ أحوالَ المسلمين..، اللهم أغنِ فقرهم، وارحم ضعفهم، واجبر كسرهم، وأعز ذلهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

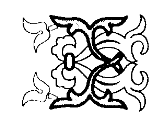
اللهم انصر دينكَ وكتابك وعبادكَ المؤمنين.

اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم اجعل قولنا وعملنا خالصاً لوجهك الكريم، واجعلنا بفضلك وكرمك من عبادك المقبولين.

وصلِّ اللهم وسلم وزد وبارك على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

❊ ❊ ❊



الحج.. آيات وأحكام (*)



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(1).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(2).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(3).

(*) ألقيت هذه الخطبة بمسجد الراجحي. بالقصيم. المملكة العربية السعودية.

(1) سورة آل عمران: 102.

(2) سورة النساء: 1.

(3) سورة الأحزاب: 70، 71.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أحبتي في الله :

رحلةٌ إيمانية كـريمة مباركـة. . تُغفـرُ فيهـا الذنوب. . وتُمحى فيـها العيوب. . وتطمئنُّ فيها القلوب، رحلةٌ تُسكَبُ فيها العبرات. . وتُستجابُ فيهـا الدعوات. . وتتجلى فيهـا الرحمات. ويرجع أصحابُهـا إن صدقوا بمغفرة رب الأرض والسـموات. . وقد طهروا من كل ذنب وعـيب كيوم ولدتهم الأمهات.

تلكم هى رحلةُ الحج لـبيت الله الحـرام. . فـتعـالوا بنا لنعـيش هذا الوقت القليل مـع هذه الرحلة الكريمة المبـاركـة والتي اختـرت لهـا هذا العنوان:

(رحلةُ الحج آيات وأحكام)

يقول الله عز وجل: ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾[١].

وفي الصحـيحين من حديث أبي ذر ـ رضـي الله عنه ـ قال: قلتُ: يا رسول الله، أيُّ مسـجدٍ وضع أول؟ قال: «**المسْجِدُ الحَرَامُ**»، قلـت: ثم

(١) سورة آل عمران: ٩٦، ٩٧.

أي؟. قال: «**المسْجِدُ الأقْصَى**» قلت: كم بينهما؟ قال: «**أرْبَعُونَ سَنَةً**» قلت: ثم أي؟ قال: «**ثمَّ حَيثُ أَدْرَكتَ الصَّلاةَ فَصَلِّ (فالأرْضُ) كُلُّها مَسجدٌ**»(١).

فأول بيت وضعه الله للعبادة في هذه الأرض هو بيتُ الله الحرام.

واختلف الناس في أول من بناه فقيل: الملائكة.

وقيل: إن أول من بناه هو آدم ـ عليه السلام ـ.

وقيل: إن أول من بناه هو إبراهيمُ ـ عليه السلام ـ.

والراجحُ أن قواعد البيت قديمةٌ، وأَمَرَ اللهُ إبراهيمَ وإسماعيلَ أن يرفعا هذه القواعد.

كما في قول الله عز وجل: ﴿**وإذ يَرفَعُ إبراهيمُ القَوَاعِدَ منَ البَيت وإسَماعيلُ رَبَّنَا تَقَبَّل منَّا إنَّكَ أَنتَ السَّميعُ العَليمُ * رَبَّنَا وَاجعَلنَا مُسلمين لَكَ ومن ذُرِّيتنَا أُمَّةً مُّسلمَةً لَّكَ وَأَرنَا مَنَاسكَنَا وتُب عَلَينَا إنَّكَ التَّوابُ الرَّحيمُ**﴾(٢).

وفي الحديث الطويل الذي رواه البخاري(٣) من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «أوَّلُ ما اتَّخَذَ النسَاءُ المنْطَقَ من قبَل أُمِّ إسْمَاعيلَ اتَّخَذَت منطقاً لتُعَفِّيَ أَثَرَهَا عَلَى سَارة، ثُم جَاءَ بهَا إبْرَاهيمُ وبابْنهَا إسْمَاعيلَ وهيَ تُرْضعُه حتى وَضَعَهُمَا عندَ البَيت عندَ دَوْحَة فوقَ زَمْزَم في أَعْلَى المَسْجد وَلَيسَ بمكَّة يَومَئذ أحدٌ وليسَ بهَا مَاءٌ فَوَضَعَهُما هُنَالكَ

---

(١) **متفق عليه**:رواه البخارى ومسلم رقم (٥٢٠) فى المساجد.

(٢)سورة البقرة: ١٢٧، ١٢٨.

(٣) **صحيح**:[٦/ ٢٨٢-٢٨٨] فى الأنبياء.

وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جراباً فيه تَمرٌ وسقَـاءً فيه ماءُ ثم قَفَّى إبراهيمُ مُنْطَلقاً (أي عائداً) فَـتَبِعَـتْهُ أم إسْمَـاعيلَ فَـقَالَت يا إبْرَاهيمُ أينَ تَذهَبُ وتَتْـرُكُنَا بهَذَا الوَادِى الَّذي لَيسَ فيـه أنيسٌ ولا شَيْء، فَقَالَت لَهُ ذَلكَ مـرَاراً وجَعَلَ لا يَلْتَـفِتُ إلَيْهَـا فَـقَالَت لَهُ: اللهُ أَمَـرَكَ بِهَـذَا، قَالَ: نَعَم، قَـالَتْ: إذَن لا يُضَيِّعُنَا».

وفي رواية صحيحة قالت هاجرُ عليها السلام: **(قَد رَضِيتُ بالله)** ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثَّنِيَّة حيثُ لا يَرَونَهُ استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال: **﴿رَبَّنَا إنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِيَّتِى بوَادٍ غَيـر ذِى زَرعٍ عِندَ بَيتِكَ المُحَرَّم رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ فَاجْعَل أَفئدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إليهِم وارْزُقْهُم مِنَ الثَّمرَاتِ لَعَلَهُمْ يَشْكُرُون﴾**(١) وجعلت أمُّ إسماعيل ترضعُ إسمـاعيل وتشربُ من ذلك الماء حتى إذا نفدَ ما في السِّـقَاء، عَطشَت، وعطش ابنهـا، وجعلت تنظرُ إليـه يتلَوَّى ـ أو قال: يَتَلَبَّطُ ـ فانطلقتْ كراهيةَ أن تنظر إليـه، فوجدت الصفا أقرب جبلٍ في الأرض يَليَها، فقامت عليـه ثم استقبلت الوادى تنظرُ هل ترى أحداً؟ فلم تر أحـداً، فهـبطتْ من الصَّفَـا حتى إذا بلغت الواديَ رفـعت طرف درْعها، ثم سَعَتْ سعيَ الإنسان المجهود، حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة، فقـامت عليها، فنظرت، هـل ترى أحداً؟ فلم تر أحداً، فـفعلت ذلك سبع مرات ـ قال ابن عـباس: قال النبي ﷺ: «**فَـذَلكَ سَـعىُ النَّاسِ بَيْنَهُـمَـا**» ـ فلما شرفَت على المروة سمـعت صوتاً، فقالَت: صه ـ تريدُ نفسَها ـ فإذا هى بالمَلَك عند موضع زَمْزَمَ، فَبَحثَ بِعقَبِه ـ أو قال بجناحه ـ

---

(١) سورة إبراهيم: ٣٧.

حتى ظهر الماءُ، فجعلت تَحَوِّضُه، وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرفُ من الماء في سقائها، وهو يفورُ بعدما تغرف، قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «**يَرْحَمُ اللَّه أُمَّ إسْمَاعِيلَ، لَو تَرَكَتْ زَمْزَمَ** - أو قال: - **لَو لَم تَغْرِف من الماء لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيناً مَعِيناً**»، قال: فشربتْ وأرضعت ولَدَهَا، فَقَالَ لَهَا المَلَكُ: لا تخافُوا الضَّيعةَ، فإنَّ هاهنا بيتُ الله، يَبْنِيه هَذَا الغُلامُ وأبوه، وإنَّ الله لا يُضيعُ أهلَه، وكان البيتُ مُرْتَفَعاً من الأرض .

(وفي حديث علي عند الطبري بإسناد حسنه الحافظ ابنُ حجر في فتح الباري فناداها جبريل فقال: من أنت، قالت: أنا هاجر أو أمُّ ولدِ إبراهيم، قال: فإلى من وكلكما، قالت: إلى اللَّه، فقال: وكلكما إلى كافٍ .

. . . وبعد ذلك جاء إبراهيمُ إلى إسماعيلَ بعد ما بلغ إسماعيل مبلغ الشباب وقال إبراهيم: «يا إسماعيل إن اللَّه أوفى بأمرٍ قال: فاصنع ما أمرك ربُّك. قال: وتُعينُني؟ قال: وأُعينُك. قال: فإن اللَّه أمرنى أن أبنى هاهُنَا بيتاً وأشار إلى أكَمَةٍ مرتفعة على ما حولها، قال ابن عباس: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفعَ البناءُ جاء بهذا الحجرِ فَوَضَعَهُ له فقام عليه إبراهيمُ وهو يبني وإسماعيلُ يناوله الحجارة وهما يقولان: ﴿**رَبَّنَا تَقَبل منَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّميعُ الْعَليمُ**﴾(١).

وهذا الحجرُ الذي قام عليه إبراهيمُ ليُتِمَّ البناءَ هو المقام، وكان لَصِيقاً بالكعبة حتى أَخَّرَهُ إلى موضعه عمر بن الخطاب حتى لا يعوق الطواف.

(١) سورة البقرة: ١٢٧.

وهكذا بنى إبراهيم البيت وبقي مـوضعُ الحجر الأسود فـقال إبراهيم لإسماعيل: اذهبْ فالتمسْ لى حَجَراً وَضَعْهُ هَهُنَا.

كما فى الحديث الذي أخرجه ابنُ أبـي شيبة وإسحاق بن راهوية فى مسنده، وعبدُ بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والأزرقي، ورواه الحاكم في «المستدرك» وصححه، ورواه البيهقى في «الدلائل» من حديث على بن أبي طالب (فـذهب إسمـاعيـلُ يطوفُ فى الجبـالِ فنزل جبـريلُ بالحجرِ فَوَضَعَـهُ، فجاءَ إسماعيلُ فقالَ لأبيـه: من أين هذا الحجرُ؟ قال: جاء به من لم يتكل على بنائي ولا بنائك فلما فرغ إبراهيم من بناء البيت أمره الله عز وجل أن يؤذِّن فى الناس بالحجِّ، فقال إبراهيم: رب وما يبلغ صوتى؟! فـقال: أَذِّن وعلينا البلاغ. قـال إبراهيم: كيف؟ فمـاذا أقول؟ قال: قل يا أيها الناسُ كُـتِبَ عليكُم الحَجُّ إلى البيتِ العَتيقِ، فَسَـمِعَهُ من بين السماءِ والأرضِ ألا ترى أنهم يجيئون من أقصى الأرض يُلَبُّون) أي: يقولون لبيك اللهم لبيك.

والحـديث رواه عـبـد بن حمـيـد، وابن جـرير، وابن أبي حـاتم، والحاكم، والبـيهقى، عن ابن عـباس بأسانيد قـوية كما قـال الحافظ ابن حجر في «الفتح» في كتاب الحج. وذكـر الإمام السيوطي في الدر المنثور كل هذه الروايات لمن أراد أن يراجعها.

* هذه هى قصَّةُ بناء البيت بإيجـاز شديد فى قوله جل وعلا: ﴿**إنَّ أوَّلَ بَيت وُضِعَ للنَّاس للذى ببكَّةَ مبَاركاً وهَدىً للعالمين**﴾.

وبكةُ هى مكة، وسميت مكة ببكة لشدة الزحام، فالبَكُّ هو الازدحام.

والبكُّ أيضـاً دق العنق. وقيل: سـميت بذلك؛ لأن مكـة تُدق فيـها رقابُ الجبابرة إذا ألحدوا فيها بظلم.

كما قال عبد الله بن الزيد: لم يقصدها جبارٌ بسوءٍ قط إلا كسره ودقه الله عز وجل.

وحادثةُ الفيل لا يجهلها مسلمٌ بحال وقد جعلها الله قرآناً يتلى إلى يوم القيامة كما قال الله عز وجل: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ (٥)**﴾[1].

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم.

* * *

(١) سورة الفيل: ١ ـ ٥.

الخطبة الثانية

إن الحمـد لله نحمده ونستـعينه ونستـغفره، ونعوذ بالله من شـرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

أحبتي في الله: ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وهُدىً للعالمين**﴾ [آل عمران: ٩٦].

والبركة: كثرة الخير، وقد جعل الله البـيت مباركاً لتضاعف الأعمال الصالحة فيه، كما فى الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**صَلاةٌ في مَسْجِدى هَذَا أَفْضَلُ مِن أَلف صَلاةٍ فِيمَا سواهُ منَ المَسَاجد إلاَّ المَسْجدَ الحَرامَ**»(١).

﴿**فيه آياتٌ بَيِّناتٌ مَقَامُ إبراهيم**﴾.

والمقام فى اللغة: موضعُ القدمين.

والقول الصـحيح كمـا ذكرنا أنه الحجـر الذي قام عليـه إبراهيم ليتم البناء فـغاصت فيـه قدمـاه، وهو الذي نراه اليوم مـواجهـاً لباب الكعـبة شرّفها الله، وكان المقام لصيقاً بالبيت حتى أَخَّرَهُ إلى مكانه الذي فيه الآن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ليسهل للطائفين طوافهم.

---

(١) **متفق عليه**: [ص.ج: ٣٨٣٩]، رواه البخارى (٣/ ٥٤) في التطوع، ومسلم رقم (٣٩٤) في الحج، والموطأ (١/ ١٩٦) في القبلة، والترمذي رقم (٣٢٥) فـي الصلاة، والنسـائي (٢/ ٣٥) في المساجد.

﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمناً﴾.

قال قتادةُ: وذلك أيضاً من الآيات؛ لأن الناس كانوا يُتَخطفوا من حواليه وأهل الحرام آمنون بفضل الله، كما أمتن الله عليهم بذلك في قوله: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾(١)، وفي قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾، وقال بعض أهل اللغة في قوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمناً﴾ صورة الآية خبر ومعناها أمر فتقديرها ومن دخله فأمنوا كقوله تعالى: ﴿فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ أي: لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا في الحج.

وقال الإمام القرطبى في الجامع لأحكام القرآن الكريم:

وإنما يكون آمناً من النار من دخله لقضاء النسك معظماً له عارفاً بحقه متقرباً بذلك إلى الله عز وجل وقال أحدهم: من دخله على الصفاء كما دخله الأنبياء والأولياء كان آمناً من عذاب الله وهذا معنى قوله ﷺ كما في الحديث الصحيح: «مَنْ حَجَّ فَلَم يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ من ذُنُوبه كَيَوم وَلَدَتْهُ أُمُّه»(٢). وفي رواية صحيحة أخرى: «الحَجُّ المبرُورُ ليسَ لَهُ جَزَاءٌ إلا الجَنَّة»(٣) ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾(٤).

وهذه الآية الكريمة من أبلغ الآيات في فرضية الحج، فاللام في قوله تعالى: ﴿ولِلَّه﴾ هى لام الإيجاب، والإلزام، ثم أكد الله الأمر بقوله ﴿على

(١) سورة العنكبوت: ٦٧.
(٢) صحيح: [ص.ج: ٦١٩٧]، رواه أحمد (٢/٢٢٩)، ورواه البخاري (١٥٢١) في الحج، ورواه مسلم رقم (١٣٥٠) في الحج، والترمذي رقم (٨١١) في الحج.
(٣) حسن: [ص.ج: ٣١٧٠] رواه أحمد والطبراني.
(٤) سورة آل عمران: ٩٧.

الناس﴾ ولا خلاف فى فرضيته، فهذا أحدُ أركان الدين وقواعد الإسلام.

ومن رحمة الله بهذه الأمة أن الحج لا يجب فى العمر إلا مرة واحدة لمن استطاع، كما في الحديث الذي رواه مسلـم وأحمد وغيرهما عن أبي هريرة قال: خَطَبَنا رسولُ الله فقال: **«يَا أيُّها الناسُ قَد فَرَضَ اللَّه عَلَيكُم الحَجَّ فَحُجُّوا»** فقـال رجل: أفي كل عامٍ يـا رسول الله؟ فسكـت حتى قالـها ثلاثاً، فـقـال النبي: **«لَو قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجَبَتْ، ولَمَا اسْتَطَعْتُم»** ثم قال: **«ذَرُونى مَا تَركتُكُم فإنما هَلَكَ مَن كَانَ قَبلَكُم بكَثْرَة سُؤالهم واخْتلافهم على أَنبيَائهم فَإذَا أَمرتُكُم بأَمر فَأْتُوا منُه مَا اسْتَطَعتُم، وإذَا نَهَيتُكُم عَن شَيء فَدَعُوهُ»**[(١)] (وهذا لفظ مسلم).

﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾.

فمن يسر الله له الاستطاعة وجب عليه أن يعجل، وأن يبادر بحج بيت الله عز وجل، كمـا فى الحديث الذي رواه أحمد وابن مـاجه من حديث ابن عبـاس أن النبي ﷺ قـال: **«مَن أَرَادَ الحَجَّ فَليَتَـعَجَّل فَإنَّهُ قَـد يَمرَضُ المريضُ وَتَضلُّ الراحلَةُ وتَعرِضُ الحاجةُ»**[(٢)].

وفي رواية لأحمـد قال رسول الله ﷺ: **«تَعَـجَّلُوا إلى الحَجِّ** (يعـني الفريضة) **فإنَّ أَحَدَكُم لا يَدرى مَا يعرِضُ لَهُ»**[(١)].

ومن حدود الاستطاعة للمرأة المسلمة أن يوجد المحرم حتى ولو كانت تحج حجة الفـريضة. فلقد نهى النبي ﷺ نهياً صريحاً شديداً أن تسافر المرأة المسلمة إلا مع ذي محرم.

---

(١) صحيح: [الإرواء: ٩٨٠] رواه مسلم (٤/١٠٢)، والنسائى (٢/٢)، والدارقطنى (٢٨١)، وأحمد (٢/٥٠٨)، والبيهقى (٤/٣٢٦).

(٢) حـسن: [ص.ج: ٦٠٠٤] رواه أحـمد فى المسند رقم (١٩٧٣)، (١٩٧٤)، والحـاكم (١/٤٤٨)، والترمذى رقم (١٧٣٢) فى الحج، والبيهقى فى سننه (٤/ ٧٤٠).

(١) حسن: [الإرواء: ٩٩٠]، رواه أحمد (١/٣١٤، ٣٢٣، ٣٥٥)، وابن ماجه رقم (٣٨٨٣)، وأبو نعيم (١/١١٤)، والخطيب فى الموضح (١/ ٢٣٢، ٤/ ٣٤٠).

ومن عظيم اهتمام النبي ﷺ بهذا الأمر أن رجلاً خرج مجاهداً في سبيل الله وخرجت امرأته حاجَّةً وحدها بغير محرم، وجاء يسأل النبي فأمره النبي أن يرجع عن الجهاد، وأن يخرج ليحج مع امرأته حتى لا تذهب بغير محرم ففي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه سمع النبي ﷺ يخطب، يقول:

«**لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بامرأة إلا ومَعَهَا ذُو مَحْرَم، ولا تُسَافرُ المرأةُ إلا مَعَ ذي مَحْرَم**». فقام رجل فقال: يا رسول الله، إن امرأتي خرجت حَاجَّةً، وإني اكْتُتِبْتُ في غزوة كذا وكذا، قال: «**انْطَلق فَحُجَّ مَعَ امْرَأتكَ**»(١).

وفي البخاري ومسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**لا يَحلُّ لامرَأة تُؤمنُ باللَّه واليوم الآخر أن تُسَافرَ مَسيرةَ يَوم ولَيلة ولَيس مَعَها ذُو حُرمةٌ منهَا**»(٢). وقد ضيع المسلمون والمسلمات ـ إلا من رحم الله ـ هذا الأمر النبوي الكريم..!! ومنهم والعياذ بالله من جادلك في هذا الأمر في عصر الحضارة والمدنية الزائفة التي تسمح فيه للمرأة أن تخرج للعمل أو للسفر بدون محرم..!! وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ويختم الله الآيات بقوله:

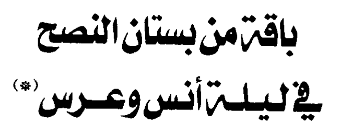
﴿**وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ [آل عمران: ٩٧].

قال ابن عباس: ومن كفر بفرض الحج ولم يره واجباً فإن الله غني عن العالمين لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٤/ ٦٤، ٦٥) فى الحج، ومسلم رقم (١٣٤١) فى الحج.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخارى (٢/ ٤٦٨) فى تقصير الصلاة، ومسلم رقم (١٣٣٩) فى الحج، والموطأ (٢/ ٩٧٩) فى الاستئذان، وأبو داود رقم (١٧٢٣)، (١٧٢٤)، (١٧٢٥)، والترمذى رقم (١١٧٠).


باقة من بستان النصح في ليلة أنس وعرس(*)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٣).

(*) ألقيت هذه المحاضرة بمسجد التوحيد بالمنصورة (حفل زواج).

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٠، ٧١.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد: فمرحباً مرحباً بأحبتي في الله.

نضَّر الله هذه الوجوه التي طال شوقنا إليها، وزكَّى الله هذه الأنفس التي انصهرنا معها في بوتقة الحب في الله.

وشرح الله هذه الصدور التي جمعنا وإياها كتابُ الله.

وإنه لمن فضل الله تعالى أن نلتقي بحضراتكم أول ما نلتقي بعد طول غيبةٍ في هذه المناسبة السعيدة الكريمة المباركة.

وصدق الله إذ يقول: ﴿**ومن آياته أَن خَلَقَ لكُم من أنفُسكُم أَزواَجاً لتسكُنُوا إليهَا وَجَعَلَ بَينَكُم مَودَّةً وَرَحمَة إنَّ فِي ذَلكَ لآيات لقوم يتفكَّرُون**﴾(١).

وحتى لا أطيل عليكم فسوف أركز الحديث في عدة عناصر :

أولاً: ليلةٌ هانئة وعيشة راضية.

ثانياً: وصيةُ أمٍ لابنتها عند الزواج.

ثالثاً: وصيتى للشباب والأزواج.

رابعاً: نداء للآباء والأمهات.

فأعيروني القلوب والأسماع وتعالوا بنا لنبدأ بالليلة الهانئة.

---

(١) سورة الروم: ٢١.

أولاً - ليلة هانئة وعيشة راضية:

حدثنا التاريخ أن شريحاً القاضي قابل الشعبي.

وأظنكم تعرفون شريحاً إنه شريحُ بن شراحيل أو شُرَحْبيل الذي ولاه عمرُ بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قضاءَ الكوفة فأقام عليه ستين سنة، وضُرب المثلُ بعدله وصدقه ومن أراد أن يرجع إلى ترجمته فليرجع إلى كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي في المجلد الرابع.

أما الشعبيُّ فهو التابعيُّ الجليل عَلاَّمَة عصره وزمانه ولد سنة ثمانٍ وعشرين من الهجرة وقال في حقه سعيد بن زيدٍ عن مكحول قال: ما رأيت أحداً أعلم من الشعبي.

له ترجمة طويلة في سير أعلام النبلاء فليرجع إليها من أراد في المجلد الرابع أيضاً.

أيها الأحباب:

يحدثنا التاريخ أن شريحاً قابل الشَعَبي يوماً فسأله الشعبي عن حاله في بيته، فقال له شريح: من عشرين عاماً لم أر ما يغضبني من أهلي، قال له وكيف ذلك؟ قال شريح:

من أول ليلةٍ دخلت عليّ امرأتى ورأيت فيها حسناً فاتناً وجمالاً نادراً، قلت في نفسي أصلي ركعتين شكراً لله عز وجل.

فلما سلمت وجدت زوجتي تصلي بصلاتي وتسلم بسلامي.

فلما خلا البيت من الأصحاب والأصدقاء قمت إليها فمددت يدي نحوها فقالت: على رسلك يا أبا أمية كما أنت. ثم قالت:

إن الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلي على محمد وآله وبعد. فإني امرأةٌ غريبةٌ، لا علم لى بأخلاقك، فبيِّن لى ما تحب فآتيهِ، وبين لي ما

تكره فأتركُه، ثم قالت:

فلقد كان لك في قومك من هي كفء لك، ولقد كان في قومي من هو كُفء لي، ولكن إذا قضى الله أمراً كان مفعولاً، وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله به فإمساك بمعروف، أو تسريح بإحسان.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولك.

مَن مِنَّا سمع مثل هذا الكلام ليلةَ عُرسه ؟!

قال شريح: فأحوجتني والله يا شعبي إلى الخُطبة في ذلك الموضوع، فقلت: أحمد الله وأستعينه وأصلي وأسلم على النبي وآله وبعد، فإنك قلتِ كلاماً إن ثبت عليه يكن ذلك حظك، وإن تدعيه يكن حجةً عليك، فإنى أحب كذا وكذا، وأكره كذا وكذا، وما رأيت من حسنةٍ فانشريها، وما رأيت من سيئةٍ فاستريها.

فقالت: كيف محبتك لزيارة أهلي؟

قلت: ما أحب أن يملني أصهاري.

فقالت: فمن تحب من جيرانك أن يدخل دارك فآذنُ له ومن تكرهُ فأكره.

قلت: بنو فلانٍ قوم صالحون، وبنو فلانٍ قومُ سوء.

قال شريح فبتُّ معها بأنعم ليلة. فَمَكَثَتْ معي عشرين عاماً لم أعتب عليها في شيء إلا مرة وكنت لها ظالماً.

يالها من حياة هانية وعيشةٍ راضية.

وصدق من قال:

رَغيفُ خُبزٍ وَاحِد ... تَأكُلُه فى زَاويَه
وكُوزُ مَاءٍ بَاردٍ ... تَشْربُه مِن صَافِيَه

وغُــرفــةٌ نظيــفــةٌ ... نفــسُك فيــها هَانيَــه
وزوجــةٌ مُطيــعــةٌ ... عــينك عنهــا راضيَــه
وطفلــةٌ صــغــيــرة ... مَحفُــوفةٌ بالعــافيَــه
واخْــتَــارَكَ اللهُ لَــهُ ... حــتى تكُونَ دَاعــيَــه
خَيــرٌ منَ الدُّنيا ومَا فيــهَا ... وهى لَعَمْــرِي كَافيَــه

ثانياً - وصيةُ أم لابنتها عند الزواج :

خلت الأمُّ الصالحة العاقلة البليغة أُمامةُ بنتُ الحارث، خلت بابنتها في ليلة زفافها وأهدت إليها هذه الوصية الغالية.

فانتبهوا معي أيها الأحباب، وانتبهن أيتها الأخوات الفضليات، والأمهات الكريمات.

قالت الأم لابنتها: أي بُنَيَّة إن الوصية لو تُركت لفضل أدبٍ لتركتُ ذلك لك ولكنها تذكرةٌ للغافلة ومعونة للعاقلة.

أي بنية: لو أن امرأةً استغنت عن الزوج، لغنى أبويها وشدة حاجتهما إليها، لكنت أغنى الناس عنه، ولكن النساء للرجال خلقن، ولهن خلق الرجال، فخذي وصيتي فإن فيها تنبيه للغافل ومعونة للعاقل.

أي بنية: إنك فارقت الجو الذي منه خرجت، وخلفت العيش الذي فيه درجت، إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك رقيباً ومليكاً، فكونى له أمةً يكن لك عبداً.

واحفظي له خصالاً عشراً يكن لَكِ ذُخراً.

أما الأولى والثانية:

فالخضوع له بالقناعة، وحسنُ السمعِ له والطاعة.

وأما الثالثة والرابعة:

فالتفقدُ لمواضع عينه وأنفه، فلا تقع عينُه منكِ على قبيح، ولا يشمُّ منكِ إلا أطيبَ ريح.

وأما الخامسة والسادسة:

فالتفقد لوقت منامه وطعامه. فإن تواتر الجوع ملهبة، وتنغيص النومِ مغضبة.

وأما السابعة والثامنة:

فالاحتراسُ بماله والإرعاءُ على حشمه وعياله، وملاكُ الأمرِ في المال حسنُ التدبير وفي العيال حسنُ التقدير.

وأما التاسعة والعاشرة:

فلا تعصين له أمراً، ولا تفشين له سرًّا فإنك إن خالفت أمره أوغرت صدره، وإن أفشيت سره لم تأمني غدره.

ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مغتماً، والكآبة بين يديه إن كان فرحاً.

* هذه هى أخلاقُ المرأة المسلمة، وهذا فهمها، وهذه وصيتها، وتلك ثقافتها، فبالله عليكم هل سمعتم كلاماً وعقلاً وحكمة كهذه.

* هذه هى المرأة المُسلمة، يوم أن تسربلت بأخلاق الإسلام، وتربعت على عرش حيائها تهز المهد بيمينها وتزلزل عروش الكفر بشمالها، ووالله مَن كانت هذه أخلاقُها فهى من أهلِ الجنة.

ففي الحديثِ الذي رواه النسائي والطبراني في الصغير والأوسط وهو حديث حسن بشواهده حسنه شيخنا الألباني.

أن النبي ﷺ قال:

«نسَاؤُكم من أَهلِ الجنَّة الودُودُ الولُودُ العـؤُودُ علَى زَوجهَا (أي: بالنفع والخير) **الَّتي إذَا غَضبَ زَوجُهُا جَاءَت حَتَّى تَضعَ يَدَهَا فِي يَد زَوْجهَا وتَقُولُ لا أَذُوقُ غُمضاً** (أي: نوماً) **حَتَّى تَرضَى»**.

ثالثاً - وصيتى للشباب عامة والأزواج خاصة:

أوصى الشباب بما أوصاهم به المصطفي ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم قال النبي ﷺ: **«يَا مَعْشَرَ الشَّبابَ مَن استَطَاعَ منكُم البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّج فَإِنَّه أغَضُّ للبَصَرِ وأَحْصَنُ للفَرْجِ ومَن لَم يَسْتَطِع فَعَلَيه بِالصَّومِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاء»**(١).

وأبشرهم بحديث رسول الله ﷺ الذي رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح، وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«ثلاثةٌ حَقٌ علَى اللَّه عَونهُم: المُجَاهدُ في سَبِيلِ اللَّهِ، والمُكَاتِبُ الَّذِي يُرِيدُ الأدَاءَ، والنَّاكِحُ الذي يُرِيدُ العَفَافَ»**(٢).

---

(١) **متفق عليه**: [ص.ج: ٧٩٧٥] رواه البخارى (٤/١٠٦) في الصوم، ومسلم رقم (١٤٠٠) في النكاح، وأبو داود رقم (٢٠٤٦) في النكاح،والترمذي (١٠٨١) في النكاح، والنسائي (٤/١٦٩) في الصوم، (٦/٥٦، ٥٧) في النكاح.

(٢) **حسن**: [ص. النسائي: ٣٠١٧]، رواه الترمذي رقم (١٦٥٥) في فضائل الجهاد، والنسائي (٦/٦١) في النكاح، ورواه أحمد وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه، والحاكم وصححه.

وأوصى الأزواج بنسائهم خيراً كما أمرنا الله عز وجل بقوله:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[١].

ولأمر النبي ﷺ: «**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْراً**»[٢] والحديث رواه البخاري ومسلم.

فزوجك أمانة، أمنك الله إياها، وسوف يسألك عنها يوم القيامة، والرجل راع في أهل بيته ومسئول عن رعيته وهذا موضوع طويل.

وأخيراً.. أوصي الآباء والأمهات بعدم المغالاة في المهور، والإسراف في الجهاز والنفقات، وغيرها، فإنها تمحق بركة الزواج، وهذا هو الذي جعل أكثر الشباب عَزَبَاً، وجعل أكثر البنات عوانس، والجريمة جريمة الأولياء الذين يتشددون في هذا الأمر، وهذا من أقوى أبواب الفساد في الأمة والعياذ بالله.

وأذكركم بحديث النبي ﷺ الذي رواه أحمد في مسنده والحاكم وفي سنده عيسى بن ميمون قال البخاري: منكر الحديث وباقي رجالُه ثقات وأخرجه ابن حبان في «صحيحه» من طريق آخر وسنده حسن.

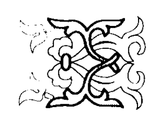
عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ أعظَمَ النِّكَاحِ بَرَكَةً أيسرُهُ مَؤُنَةً**».

أسأل الله الهداية والرشاد للجميع وبارك الله للعروسين وبارك عليهما وجمع بينهما في الخير دائما إنه ولى ذلك ومولاه.

---

(١) سورة النساء: ١٩.

(٢) **متفق عليه**: [ص.ج: ٩٦٠]، رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.



ففروا إلى الله(*)



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٣).

(*) ألقيت هذه الخطبة بمسجد مجمع الإيمان بالمنصورة.

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٠، ٧١.

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديث كلامُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النار.

ثم أما بعد.. فحيَّاكم الله جميعاً وطبتم وطاب ممشاكم وتبوأتم من الجنة منزلاً.

وكعادتنا فسوف أركز الحديث مع حضراتكم تحت هذا العنوان في العناصر التالية:

أولاً: سفينة واحدة.

ثانياً: انتكاس الفطرة.

ثالثاً: عقاب إلهي.

رابعاً: لا ملجأ من الله إلا إليه.

أولاً : سفينة واحدة:

نعم أيها الأحبة . . فنحن جميعاً ركابُ سفينةٍ واحدة إن نجت نجونا جميعاً وإن هلكت هلكنا جميعاً.

ولقد حسم النبي ﷺ هذه الحقيقة فى الحديث الصحيح الذي رواه البخاري من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«مَثَلُ القَائم عَلَى حُدود اللَّه والوَاقع فيهَا، كَمَثل قَوم اسْتَهَمُوا عَلَى سَفينة، فَأَصَابَ بَعْضُهم أعْلاهَا، وبَعضُهُم أَسْفَلَها، فَكَانَ الذينَ في أَسْفَلها إذا استَقَوا منَ الماء مَرُّوا من فَوقهم، فَقَالُوا : لو أَنَّا خَرَقْنَا في نَصيبنَا خَرقاً ولَم نُؤذ مَن فَوقَنَا؟ فَإنْ تركُوهم ومَا أَرَادُوا هلَكُوا جَميعاً وإنْ أَخَذُوا عَلَى أيْديهم نَجَوا

ونَجَوا جَميعا»(١).

فواجب على أهل الحق من المصلحين الصادقين أن ينذروا، ويحذروا أهل الفساد، والواقعين في حدود الله عز وجل، وأن يأخذوا على أيديهم قبل أن تغرق السفينة بالجميع .

وهذا الواجب الضخم قد جعله رسول الله ﷺ فرض عين على كل مسلم على اختلاف مراتبه ودرجاته.

ففي الحديث الذي رواه مسلم من حديث أبي سعيد الخدرى ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : «مَن رأَى منكُم مُنكَرا فَلْيُغيِّره بيَده فَإنْ لَم يستْطِع فَبِلسَانه فإنْ لم يَستَطِع فَبِقَلبه وذَلكَ أضْعَفُ الإيمان»(٢).

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنَّ النبي ﷺ قال: «مَا من نَبيٍّ بَعَثَهُ اللَّه في أُمَّة قَبْلي إلا وكَان من أُمَّته حَوَاريُّون وأصْحَابٌ يَأخُذُون بسُنَّته، ويَقْتَدُونَ بأَمره، ثُم إنّه تَخلُفُ من بَعدهم خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ ، ويَفْعَلُونَ ما لا يُؤمَرُونَ فَمَن جَاهَدَهُم بيَده فَهُو مُؤمنٌ ومَن جَاهَدَهُم بلسَانه فهُوَ مُؤمنٌ ومَن جَاهَدَهُم بقَلبه فَهُو مُؤمنٌ، ولَيس ورَاءَ ذلك منْ الإيمَان حبَّةُ خَردَل»(٣).

فإن عجز أحد من الناس أن ينكر بيده أو بلسانه فإن إنكار القلب

---

(١) صحيح: [ص.ج: ٥٨٣٢]، رواه البخاري (٥/ ٩٤) في الشركة، والترمذي رقم (٢١٧٣) في الفتن.

(٢) صحيح: [ص.ج: ٦٢٥٠]، رواه مسلم رقم (٤٩) في الإيمان، والترمذي رقم (٢١٧٣) في الفتن، وأبو داود رقم (١١٤٠) في صلاة العيدين، رقم (٤٣٤٠) في الملاحم، والنسائي (٨/ ١١١) في الإيمان، وابن ماجه رقم (٤٠١٣) في الفتن.

(٣) صحيح: [ص.ج: ٥٧٩٠]، رواه مسلم رقم (٥٠) في الإيمان، وأحمد في مسنده (١/ ٤٥٨).

كمرتبة من مراتب الإنكار فرض عين على كل مسلمٍ ومسلمة، ولا يعذر أحدٌ بتركه على الإطلاق.

وذلك بكره المنكر وبغض أهل المنكر. أما هذه السلبية المدمرة القاتلة التي يرفع العلمانيون شعارها بقولهم : دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله. فلا سياسة في الدين ولا دين فى السياسة. ولكل أحدٍ أن ينتقد ما يشاء وأن يفعل ما يشاء في أي وقت شاء، وأن ينطلق ليختار لنفسه من المناهج والقوانين ما يحب ويرضى، وليس من حق أحد أن ينكر عليه أو أن يأخذ على يديه.

بل وقد يتشدق أحدهم كالثعلب فى ثياب الواعظين ويردد قول الله عز وجل : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**﴾(١).

وقديماً خاف صدِّيق الأمة الأكبر أبو بكر - رضي الله عنه وأرضاه - خاف هذه السلبية القاتلة، من منطلق فهم مغلوط مقلوب لهذه الآية الكريمة، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية وتضعونها فى غير موضعها وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«**مَا من قَومٍ يُعمَلُ فيهم بالمَعَاصِي، ثُمَّ يَقْدِرُون عَلَى أنْ يُغَيِّرُوا وَلا يُغَيِّرُون، إلا يُوشِكُ أنْ يَعُمَّهم اللَّهَ بِعِقَابٍ**»(٢).

---

(١) سورة المائدة: ١٠٥

(٢) **صحيح**: [ص.ج: ٥٧٤٩] ، رواه الترمذي رقم (٣٠٥٩) ، (٢١٦٩) في الفتن ، وأبو داود رقم (٤٣٣٨) في الملاحم، وابن ماجه رقم (٤٠٠٥) في الفتن، وأحمد في المسند رقم (٢).

وهكذا فإن وجود المصلحين الصادقين سبب من أسباب النجاة من الإهلاك العام، فإن فقدت الأمة هذا الصنف الكريم الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يحل عليها عذاب الله حتى وإن كثر فيها الصالحون الطيبون؛ لأنهم سكتوا حتى كثر الخبث وأصبح أمراً عادياً مستساغاً تألفه النفوس.

وحينئذ يستحق الجميع عقاب الله جل وعلا كما في الصحيحين من حديث زينب بنت جحش - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ دخل عليها يوماً فزعاً وفي رواية استيقظ يوماً من نومه فزعاً وهو يقول: **لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ، ويلٌ للعَرَبِ مِن شَرٍّ قَد اقْتَرَب، لَقَد فُتِحَ اليومَ مِنْ رَدْمِ يَأجُوجَ ومَأجُوجَ مثلُ هَـذه**»، وحلق بإصبعيه السبابة والإبهام. فقالت زينب: يا رسول الله، أَنَهْلِكُ وفينا الصالحون؟ قال: «**نَعَم إذَا كَثُرَ الخَبَثُ**»(١).

ولقد بوّب الإمام مالك - رحمه الله - في موطئه باباً بعنوان بابُ ما جاء في عذاب العامة بعمل الخاصة.

بل لقد روى الإمام أحمد في مسنده وأبو داود في سننه بسند حسن من حديث عُدى بن عمير أن النبي ﷺ قال: «**إنَّ اللَّه عزَّ وَجَلَّ لا يُعَذِّبُ العَامَّةَ بعَمَلِ الخَاصَّة حَتَّى يَرَوا المُنكَرَ بَين ظَهْرَانيهم وَهُم قَادرُونَ عَلَى أَنْ يُنكرُوه، فَإذَا فَعَلُوا ذَلكَ عَذَّبَ اللَّهُ الخَاصَّةَ والعَامَّةَ**».

وهكذا فواجب على أهل الحق المصلحين أن يأخذوا على أيدي الواقعين في حدود الله وألاّ يتركوهم؛ حتى لا تغرق السفينة بالجميع.

---

(١) **متفق عليه**: [ص.ج: ٧١٧٦]، رواه البخاري (١٣/٩-١٠، ٩١-٩٢)، ومسلم (٨/١٦٥-١٦٦)، وابن حبان (١٩٠٦).

هذه مقدمة لابد منها لندخل بها إلى العنصر الثانى وهو :

انتكاس الفطرة:

حيث إننا نرى مؤامرة مفضوحة يريد أصحابها وأذنابها أن يفرضوا على المجتمعات المسلمة ماوصلت إليه المجتمعات الغربية الكافرة من انتكاس سحيقٍ للفطرة.

فالجاهلية الحديثة في أوروبا وأمريكا لم تكتف بنشر الزنا، والشذوذ الجنسى، ونكاح المحارم بل قَنَّنت لهذا..!!، وأصبح هذا الانتكاس للفطرة أمراً عادياً عندهم لا يثير الدهشة أو التساؤل..!!!

وهم الآن يريدون أن يملوا ويفرضوا هذا الانحراف الشاذ على المجتمعات المسلمة.

ولقد صدرت دراسات عديدة تبين أن اليهود وأتباعهم، قد نجحوا من خلال سيطرتهم على بيوت المال، وأجهزة الإعلام المرئية.. والمسموعة.. والمقروءة، قد نجحوا في نشر الرذيلة في العالم كله بصفة عامة، وفي أوربا وأمريكا بصفة خاصة. حتى أضحت المشكلة كبيرةً وخطيرة بشكل لا يتصور.

وأستطيع أن أنقل لكم في عجالة بعض ما جاء في هذه الدراسات بقدر مايسمح به الحياء والمقام.

أولاً: تشير الدراسة إلى أن تسعين بالمائة من غير المتزوجات يمارسن الزنا بطلاقة أو من حين لآخر في أوروبا وأمريكا.

ثانيا : تشير الدراسة إلى أن عدد حالات الإجهاض الجنائي قد بلغ في عام ١٩٨٣ إلى ٥٠ مليون طفل .

ثالثاً : أصبح الحمل لدى المراهقات، مشكلة كبيرة في أوربا وأمريكا ففي أمريكا وحدها أكثر من مليون فتاة صغيرة تَحمَل سنويًّا من الزنا.

ولم يتوقف الأمر عند الزنا فقط بل لقد انتشر الشذوذ الجنسى بكل صورة ، مادام بدون إكراه . . . !!

بل وتكونت آلاف الجمعيات والنوادي التي ترعى شئون الشاذين والشاذات.

وتقول دائرة المعارف البريطانية: إن الشاذين والشاذات قد خرجوا من دائرة السرية إلى الدائرة العلنية. . !!، وأصبحت لهم أماكنهم الخاصة التي يلتقون فيها.

وتشير الدراسات إلى أن عدد الشواذ في أمريكا وحدها أكثر من عشرين مليونا وأصبحت لهم معابد وكنائس خاصة تقوم بتزويجهم. . أي تزويج الرجال للرجال، وتزويج النساء للنساء. . في حفلات خاصة يدعى إليها الأهل والأصدقاء!!!

بل لقد نشرت مجلة التايم الأمريكية، قصة ضابط يهودي في الجيش الأمريكي علَّق لوحة ضخمة في مكتبه الخاص، تعلن هذه اللوحة أن الضابط شاذ جنسيًّا. . !! فلما طردته إدارة الجيش، شن الإعلام حملة ضارية على هذا التعنت والتشدد من قبل إدارة الجيش، واضطر الجيش لإعادة هذا الضابط الشاذ. . !!، ثم دعي بعد ذلك لإلقاء محاضرات في الشذوذ في أكبر الجامعات الأمريكية.

بل لم يتوقف هذا الانتكاس السحيق عند هذا الحد فحسب بل تعداه أيضاً إلى نكاح المحارم من الأمهات والأخوات.

وأول من دعا إلى ذلك فرويد اليهودي الذي جاء بنظريات هابطة لا تقوم إلا على الجنس.

حتى ادعى أن الطفل لا يحب أمه إلا حبًّا جنسيًّا محضاً..!! ولهذا يكره الابن أباه..!! وسمى فرويد اليهودي هذا الكُره بعقدة «أوديب».

وقال بأن الطفلة أو البنت أيضاً لا تحب أباها إلا حبًّا جنسيًّا محضاً!! ولذا تكره أمها، وسمى هذا الكُره بعقدة «إليكترا».

ومما يدمي القلب أن هذا الهراء.. والغثاء.. يدرس لأبنائنا وبناتنا في أخطر المراحل الدراسية..!! على أنه من أبواب علم النفس، وهذا ورب الكعبة شيء يؤلم النفس!!!

ولقد نشرت مجلة التايم الأمريكية تحقيقاً واسعاً عن نكاح المحارم، وذكرت فيه تقرير أحد الباحثين (وادل بومرى) إذ يقول :

لقد آن الأوان لكي نعترف بأن نكاح المحارم ليس شذوذاً..!!، ولا دليلاً على الاضطراب العقلي..!! بل قد يكون نكاح المحارم، وخاصة بين الأطفال وذويهم أمراً مفيداً لكليهما..!!!

ألم أقل إنه انتكاس للفطرة ؟!!

لَكِنَّهُ الإِنسَانُ فى غَلْوَائه ... ضَلَّتْ بَصِيرَتُهُ فَجُنَّ جُنُونَا
وَيْحي لَمُنْتَحِر كَأَنَّ لِنَفْسِهِ ... من نَفْسه حِقْدُ الحقُود دَفِينَا
اعْتَدَّ أسلحةَ الدَّمَار فَمَا رَعَتْ ... طِفْلاً وَلَا امْرَأَةً وَلامِسْكِينَا
واليَومَ مَدّ يَدَيه لِلأَرْحَام ... تَقْتَلِعَان منهَا مُضغَةً وَجَنِينَا
قَد صِيغَ من نُور وَطِين فَانْبَرَى ... للنُّور يُطفئُهُ وَلَبَّى الطِّينَا
مَا أَضْيَعَ الإِنسَانَ مَهْمَا رَقَى فِي ... سُبُلِ العُلُومِ إِذَا أَضَاعَ الدِّينَا

﴿فَمَن اتَّبَعَ هُدَايَ فلا يَضِلُّ ولا يَشْقَى * ومَنْ أَعرَضَ عن ذكري فَإِنَّ له مَعيشَةً ضَنكًا ونَحشُرُهُ يومَ القيامَةِ أَعمَى * قال رَبِّ لِمَ حَشَرتَني أَعمَى وَقَـد كُنتُ بَصِيـرًا * قَـالَ كَذَلكَ أَتَتْكَ آياتُنَا فَنَسيتَهَـا وكَذَلكَ اليَـومَ تُنسَى﴾(١).

﴿أَفَأَمِنَ أَهلُ القُرَى أَن يَأتيَـهُم بَأسُنَا بَيَاتا وهُم نَائمُون * أَوَ أَمِنَ أَهـلُ القُرَى أن يَأتيَهُم بأسُنَا ضُـحىً وهُم يَلعَبُون * أَفَـأَمنُوا مَكرَ اللَّه فَـلاَ يأمَنُ مَكرَ اللَّهِ إلاَّ القَومُ الخَاسرُون﴾(٢).

ونتيجة لهذا الأمن من مكر الله، بل لهذا الكفر بمنهج الله، ابتلى الله هذه المجتمعات الغربية الكافرة بهـذه الأمراض الفتاكة الخطيرة التي وقفوا أمامها وقفة العاجز على الرغم مما وصلوا إليه في الجانب العلمي.

ثالثاً : عقاب إلهي:

نعم إنه عـقاب إلهي لكل مـن خرج عن منهج الله وتحـدى الفطرة، فلقد انتـشر الإيدز المعروف بمرض نقص المناعـة، وبدأ يتزايد في السنوات الأخيرة بصورة مرعـبة، فلقد ذكرت منظمة الصحة العالمية في اجـتماعها المنعقـد في باريس في يونيه عـام ١٩٨٦ ذكرت أن عدد الذيـن يحملون فيروس الإيدز يتراوحون مابين خمسة عشر مليون شخصا.

هذا في عام ١٩٨٦ فما بالنا كم بلغ عددهم الآن؟؟!!

وقد خصصت أمريكا ألفي مليون دولار سنويًّا للإيدز.

---

(١) سورة طه: ١٢٣-١٢٦.

(٢) سورة الأعراف: ٩٧-٩٩.

ومما يثير الرعب والخوف أن هذا المرض لم ينجُ من براثنه أحدٌ من المصابين به على الإطلاق حتى الآن رغم هذه الملايين التي تنفق بسخاء في الأبحاث للوصول إلى علاج لهذا المرض الفتاك، ولن يصلوا إلى العلاج الحقيقي على الإطلاق، ما دامت الأسباب الحقيقية لانتشاره لازالت موجودة . وهي انتشار الزنا والشذوذ الجنسي بكل صورة.

وهذا ما أكدته الأبحاث والدراسات العلمية في أن هؤلاء هم أكثر الناس إصابة بهذا المرض الخطير.

هذا بالإضافة إلى الأمراض الخطيرة الأخرى التي انتشرت واستشرت كالسرطان والزهري والهربس والسيلان وغيرها.

وتحقق قول من لا ينطق عن الهوى بأبي هو وأمي ﷺ إذ يقول : «لَم تَظْهَر الفَاحشَةُ في قَوم قَط حَتَّى يُعلنُوا بهَا إلا فَشَتْ فيهم الأوْجَاعَ والأَسْقَامَ التي لَم تَكُنْ في أَسْلاَفهِم»(١). أليس ربك هو القائل :

﴿ والنجّم إذا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحبكُم وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطقُ عَنِ الهَوَى * إن هُوَ إلا وَحيٌ يُوحَى ﴾(٢).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

(١) صحيح: [ص.ج: ٧٩٧٨]، رواه ابن ماجه (٤٠١٩)، وأبو نعيمٌ في الحلية (٨/ ٣٣٣، ٣٣٤)، ورواه الحاكم (٤/ ٥٤٠) وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي وهو جزء من حديث «يا معشر المهاجرين، خصال خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن... الحديث».

(٢) سورة النجم: ١ ـ ٤.

الخطبة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له.

وأشهد أن لا إله إلا الله.. وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ .

وبعد..

فيا أيها الأحباب:

وأخيراً: لا ملجأ من الله إلا إليه:

فلا سعادة للبشرية عـامة، وللمسلمين خاصة، إلا بالعودة لمنهج الله عز وجل الذي خلق الإنسان وحده، وهو وحده الذي يعلم ما يسعده وما يفسده ﴿أَلاَ يَعلَمُ مَنْ خَلَق وهُوَ اللطيفُ الخَبير﴾(١).

فمنهج الله لا يحارب دوافع الفطرة ولا يستقذرها إنما ينظمها ويطهرها ويرفعـها عن المستـوى الحيواني والبهـيمي، ويرقيـها إلى أسمى المشـاعر والعواطف، التي تليق بالإنسان كإنسان، ويقيم العلاقة بين الرجل والمرأة فقط على أساس من المشاعر النبيلة الرقيقة الراقية الطاهرة فيقول سبحانه:

﴿وَمن آيَاته أَن خَلَقَ لَكُم من أنفسكُم أَزواجاً لتَسكُنوا إليهَـا وَجَعَلَ بَينَكُم مَوَدَّةً ورَحمَةً إنَّ في ذَلكَ لآيات لقوم يَتَفكَرُونَ﴾(٢).

ويهيئ منهج الله المناخ الطاهر النظيف ليتنفس المسلم في جوٍّ اجتماعي طاهر نقي يتفق مع الفطرة السوية.

بل ويحدد منهج الله كثيراً من الضمـانات الوقائية التي تحمي المجتمع المسلم من الوقوع في مستنقع الرذيلة الآسن العفن.

---

(١) سورة الملك: ١٤.

(٢) سورة الروم: ٢١.

ثم يعاقب بعد ذلك من ترك هذه الضمانات طائعاً مختاراً، وراح ليتمرغ في وَحْلِ الرذيلة والفاحشة وليعيث في الأرض الفساد.

وهذا هو قمة الخير للإنسانية كلها، ولتعيش الجماعة كلها، في هدوء وأمان . إذ أن منطق العقلاء يقول:

لو أن إنساناً أُصيب في طرف من أطرافه بمرض السرطان وقرر الأطباء أنه إذا لم يبتر هذا الطرف؛ فإن الداء سوف يسري في جميع الجسد ويقضي على حياة صاحبه. أما يكون من الرحمة أن نستأصل هذا الطرف للإبقاء على حياته بإذن الله جل وعلا.

كذلك الفرد إذا استعصى علاجه ولم تؤثر فيه تربية، ولم تنفعه موعظة ولم يقبل نصيحة وتأصلت روح الجريمة في نفسه وقام منتهكا للأعراض مضيعاً للحرمات.

أيكون الأخذ على يديه لكف شره عن الجماعة كلها قسوة وعنف؟!!

لا والله بل إنها الرحمة والحكمة بعينها مصداقاً لقول ربنا عز وجل:

﴿ولَكُم في القِصَاصِ حَيَاةٌ يا أُولِى الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَقُوْن﴾(١).

ومن هنا جاء منهج الله بهذه الأحكام ليحفظ على الإنسانية عرضها وشرفها ونسلها.

فقال سبحانه: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِى فَاجلدُوا كل واحد منهُمَا مائَةَ جلدة ولا تَأخُذكُمُ بهمَا رَأفةٌ في دينِ اللَّه إن كُنتم تُؤمنُونَ بِاللَّه واليومِ الآخرِ وليَشهَد عَذَابَهُمَا طائفةٌ من المؤمنينَ * الزَّانى لا يَنكحُ إلاَّ زَانيةً أو مُشركَةً والزَّانيةُ لا ينكحُهَا إلاَّ زانٍ أو مُشركٌ * وحُرِّمَ ذَلكَ عَلَى المؤمنين﴾(٢).

(١)سورة البقرة: ١٧٩.

(٢)سورة النور: ٢-٣.

أمّا إذا كان الزاني محصناً فإنه يرجم كما دلت على ذلك السنة الصحيحة(١).

وقد عاقب الله قوم لوط أشد العقاب لانتكاس فطرتهم وخروجهم عن منهج الله الذي أمرهم به نبي الله لوط على نبينا وعليه الصلاة والسلام.

قال تعالى: ﴿ وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَومِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُم تُبْصِرُونَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ * فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الغَابِرِينَ * وَأَمطَرْنَا عَلَيهِم مَطَراً فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾(٢).

وقال تعالى في حقهم:

﴿فَجَعَلْنَا عَالِيهَا سَافِلَهَا وَأَمطَرْنَا عَلَيهِم حِجَارَةً مِن سِجِّيلٍ﴾(٣).

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعمَلُ عَمَلَ قَومِ لُوطٍ فَاقْتُلُوا الفَاعِلَ وَالمَفْعُولَ بِهِ(٤)».

وبعد.. أيها الأحبة فلقد آن الأوان بعد ما رأينا هذه المآسى أن نفيء جميعاً إلى منهج الله، وأن نكفر بمنهج الشرق الملحد، وبمنهج الغرب الكافر.

---

(١) عن جابر بن عبد الله الأنصاري: أن رجلاً من أسلَم أتى رسول الله ﷺ فحدثه أنه قد زنى، فشهد على نفسه أربع شهادات، فأمر به رسول الله ﷺ فرجم، وكان قد أُحصن والحديث رواه أبو داود والترمذى وصححه الألبانى في صحيح سنن أبي داود رقم (٣٧٢٥).

(٢) سورة النمل: ٥٤-٥٧.

(٣) سورة الحجر: ٧٤.

(٤) صحيح: [ص.ج: ٦٥٨٩]، أخرجه أبو داود رقم (٤٤٦٢) في الحدود، والترمذي رقم (١٤٥٦) وابن ماجه رقم (٢٥٦١)، وابن الجارود (٨٢٠)، والدارقطني (٣٤١)، والحاكم (٤/ ٣٥٥)، وأحمد (١/ ٣٠٠).

إذ لا سعادة في الدنيا والآخرة إلا بالعودة إلى منهج الله بعد أن أَحَرَقَنَا لَفَحُ الهاجرةِ القاتل، وأرهقنا طول المشى في التيه والظلام.

وها هو الإسلام لازال يعرض نفسه كمخلص للبشرية كلها من كل أمراضها وعللها؛ لأن هذه الحياة البشرية من خلق الله ولن تفتح مغاليق فطرتها إلا بمفاتيح من صنع الله.

وأخيراً أردد مع مؤمن آل فرعون:

﴿فَسَتَذكُرونَ ما أَقُولُ لَكُم وأُفوِّضُ أَمرى إِلَى اللَّه إِنَّ اللَّهَ بَصيرٌ بالعباد﴾[1].

اللهم ارزقنا قبل الموت توبة، وعند الموت شهادة، وبعد الموت جنة ورضوانا، اللهم اختم لنا بخاتمة السعادة، ولا تحرمنا الزيادة، أنت ولى ذلك ومولاه، وصلى الله على نبينا محمداً وعلى آله وصحبه أجمعين.

❊ ❊ ❊

(١) سورة غافر: ٤٤.

خطب الشيخ

محمد حسان

الجزء الثاني

دار ابن رجب

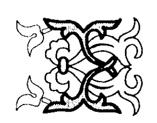
الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

رقم الإيداع : ٧٦٢٦ / ٢٠٠٥
الترقيم الدولى : 6 - 057 - 390 - 977

دار ابن رجب طبع . نشر . توزيع

فارسكور : تليفاكس ٠٠٢٠٥٧٤٤١٥٥٠ جوال : ٠١٢٢٣٦٨٠٠٢
المنصورة : شارع جمال الدين الأفغاني هاتف : ٠٠٢٠٥٠٢٣١٢٠٦٨



الإسلام وسعادة البشرية



الحمـد لله الذي نور بكتابه القلوب.. وأنزله في أوجز لفظ وأعـجز أسلوب .. فـأعيت بلاغـتهُ البُلَغـاء.. وأعجزت حـكمتهُ الحـكماء .. وأبكمت فصاحته الخطباء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه، وخليله، البشير النذير.. والسراجُ المزهر المنيـر.. خيرُ الأنبيـاء مقاما.. وأحسـنُ الأنبياء كلاماً.

رافع الإِصْرِ والأغلال.

والداعى إلى خير الأقوال وأحسن الأعمال.

أرسله الله عز وجل والناسُ صنفان.

مغضوب عليهم جفاة.. وضالون غُلاة.

فجـاء بالدين الوسط وحـذر من الزيغ والشطط وتركنا على المحـجة البيضـاء ليلُها كنهارها لايزيغ عنهـا إلا هالك، فاللهم اجزه عنا خـير ما جزيت به نبياً عن أمته ورسولاً عن دعوته ورسالته وصَلِّ اللهم، وسلم، وزد وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعـد... فحـيـا الله هذه الوجوه الطيـبـة المشرقـة وزكى الله هذه الأنفس، وشرح الله هذه الصدور، وأسأل الله أن يتقبل منا وإياكم صالح

الأعمال، وأن يجمعنا وإياكم في الدنيا على طاعته وفي الآخرة في جنته ودار كرامته.

أحبتي في الله:

وسوف ينتظم حديثى مع حضراتكم تحت هذا العنوان في العناصر التالية:

أولاً: الناس جميعا يبحثون عن السعادة.

ثانياً: سعادة العالم بين الوهم والحقيقة.

ثالثاً: الإسلام وسعادة والبشرية.

رابعاً: السعادة الحقيقية ووسائلها.

أولاً : الناس جميعاً يبحثون عن السعادة:

أحبتي في الله.. ما من إنسان على ظهر هذه الأرض إلا وهو يبحث عن السعادة.. غاية يتفق فيها الخلق على اختلاف عقائدهم، وعقولهم، ومشاربهم ومبادئهم وغاياتهم .

فلو سألت أي إنسان على وجه البسيطة عن أيِّ عمل قام به لأجابك على الفور بقوله : أبحث عن السعادة..، سواءٌ قالها بحروفها أم بمعناها.

فكلُّ الناس يريدون السعادة ولكن كثيراً منهم يخطىءُ هذا الطريق.

❊ فكثيرٌ من الناس يظنُّ أن السعادة الحقيقة في جمع المال!!

وبداية فأنا لا أقلل أبدا من شأن المال.. بل إنني لعلى يقين جازم أن المال عصبُ الحياة.. وأن المال هو الذي يدير الآن دفة السياسة العالمية بلا نزاع.

وما أكرمَه من مال حينما تُحركه أيدى الصالحين والشرفاء.

وفي الحديث الصحيح الذي رواه أحمد والترمذي واللفظ له من

حديث أبي كبشة الأنماري - رضي الله عنه - وفيه أنه ﷺ قال:

«إنَّمَا الدُّنيا لأربعة نَفَر: عبد رزقَهُ اللَّهُ مَالاً وعلمًا فَهُوَ يَتَّقي فيْه ربَّهُ ويصلُ فيه رَحِمَهُ، ويَعْلَمُ أنَّ لله فيه حقا فَهَذا بأَفْضَلِ المنَازل، وَعَبْد رَزَقَهُ اللَّهُ علْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً، فَهُوَ صَادقُ النِّيَّة للَّه، يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لي مَالاً لَعَمِلْتُ فيه بعَمَلِ فُلان فَهُوَ بنيَّته، فَأَجْرُهُمَا سواءٌ، وَعَبْد رَزَقَهُ اللَّهُ مَالاً وَلَمْ يرْزُقهُ علْمًا فَهُوَ يَخْبطُ في مَاله بغَيْر علْم، لاَ يَتَّقي فيه رَبَّهُ، وَلاَ يَصل به رَحمَهُ، وَلاَ يَعْلَمُ لله فيه حَقا فَهَذَا بأَخْبَث المَنازل، وَعَبْد لَمْ يَرْزُقْهُ الله مَالاً وَلاَ علمًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لي مَالاً لَعَملْتُ فيه بعَمَلِ فُلان، فَهُوَ بنيَّته، وَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ»(١).

فإننا لا نقلل أبداً من شأن المال ونقرر أن المال سبب من أسباب السعادة.. لكن ليس كلُّ صاحبِ مالٍ سعيدا.

بل ربما يكون المالُ سببا من أسباب التعاسة والشقاء في الدنيا والآخرة إذا لم يدرك صاحب المالِ غايته، وكلكم يتذكرُ الآن معى قصة قارون الذي خرج على قومه في زينته في غاية السعادة حتى قال الناس إنه لذو حظ عظيم، وكانت النتيجة كما تعلمون.

﴿فَخَسَفْنَا به وَبِدَاره الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ من فئَةٍ يَنصُرُونَهُ من دُون اللَّه وَمَا كَانَ منَ الْمُنتَصرينَ﴾(٢).

* ويقفز إلى ذهني الآن قصة معاصرة عجيبة تؤكد أن المال وحده

---

(١) صحيح:[ص.ج: ٣٠٢٤] رواه الترمذي(٢٣٢٦) في الزهد، وأحمد في (المسند) (٤/ ٢٣٠، ٢٣١)، وابن ماجه (٤٢٢٨). وهو جزء من حديث «ثلاث أقسم عليهن...».

(٢) سورة القصص: ٨١.

لا يمكن أن يكون سـبباً للسعـادة، إنها قصـة «كرسـتينا أوناسـيس» ابنةُ الملياردير الشهـير «أوناسـيس» الذي يملك المليـارات والجزر والأسـاطيل وشركات الطيران، ومات أبوها فورثت هـذه الفتاة مع زوجة أبيها كلَّ هذه المليارات.

ومع ذلك فهل كانت سعيدة ؟!

والجواب: لقد تزوجت هذه الفتاة برجل **أمريكي** عاش معها شهوراً ثم طلقها أو طلقته.

ثم تزوجت بعده برجلٍ **يوناني** ثم عاش معها شهوراً فطلقها أو طلقته.

ثم تزوجت للمرة الثالثة برجل **شيوعي** روسي فتعجب كثير من الناس أن تلتقي قمة الرأسمالية مع قمة الشيوعية.

وعندما سألها الصحفيون قالت بالحرف الواحد: (أبحث عن السعادة).. وعاشت معه سنة ثم طلقها أو طلقته. ثم تزوجت برجل **فرنسي** وبعدها حضرت حفلاً كبيراً في فرنسا وسألها الصحفيون: هل أنت أغنى امرأة؟!!

فقالت: نعم أنا أغنى امرأة ولكني أشقى امرأة!!

ثم عاش معها الفرنسي فتـرة وطلقها أو طلقته ثم وجدوها بعد ذلك جثة هامدة فارقت الحياة في إحدى الشاليهات في الأرجنتين.

* وقد يظن البعض أن السعادة الحقيقية في الشهرة .

وهذا قد يكـون من أسباب السـعادة وقـد يكون كذلك من أسـباب التعاسة والشقاء.

ولعلكم سمعتم وقرأتم ما ذكره بعضُ أهلِ الفنِّ ممن تاب الله عليهم.

* وقد يظن البعض أن السعادة الحقيقية في المنصب والجاه!!

وقد يكون المنصب سبباً من أسباب السعادة إذا أتقى صاحبُ المنصب

ربَّه جل وعلا وعلم يقيناً أن المنصب إلى زوال، ولو دام لغيره ما وصل إليه فنظر إليه على أنه أمانة كما قال النبي ﷺ لأبي ذر، رضي الله عنه:

«يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّهَا أَمَانَةٌ وَإِنَّهَا يَوْمَ القِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلاَّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا»(١).

ولله درُّ ابن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ الذي رآه عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ يوماً يجري تحت حرارة الشمس المحرقة التي تكاد تذيب الحديد والصخور فينادي عليه عثمان: ما الذي أخرجك في هذا الوقت الشديد الحرِّ يا أمير المؤمنين؟

فيقول عمر: بعيرٌ من إبل الصدقة قد ندَّ وأخشى عليه الضياع فأسأل عنه بين يدي الله جل وعلا!!

فقال عثمان: لقد أتعبت كُلَّ من جاء بعدك يا عمر!!

وهؤلاء ومن سار على دربهم هم الذين يسعدون بالمنصب في الدنيا والآخرة.

وقد يكون المنصب سببا من أسباب التعاسة والشقاء في الدنيا بل والآخرة، إذا نظر إليه صاحبه على أنه غاية ومِنْ ثَمَّ فهو يبذل من أجل هذه الغاية وقته وعقله وماله بل ودينه!!! ولا يحرص إلا على إرضاء من ولاَّه وإن خالف ذلك أوامر مولاه سبحانه وتعالى.

وفي «الصحيحين» من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: **«مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلاَّ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»**(٢) فيا صاحب المنصب: اللهَ اللهَ في هذه الأمانة.

---

(١) **صحيح**:[ص.ج: ٧٨٣٣] رواه مسلم رقم (١٨٢٦) في الإمارة.

(٢) **متفق عليه**:[ص.ج: ٥٧٤٠]، رواه البخاري رقم (٧١٥٠) في الأحكام، ومسلم رقم (٢٢٧) في الإيمان، وأحمد (٧٣/١).

واعلم بأن دنياك مهما طالت فهي قصيرة، ومهما عظمت فهي حقيرة، وأن الليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر، وأن العمر مهما طال فلا بد من دخول القبر.. ويومها قد تندم كثيراً وساعتها لا ينفع الندم!!

* وقد يظن البعض أن السعادة الحقيقية في بلاد الغرب. وأن أبناء الغرب هم الذين يعيشون هذه السعادة. ومِنْ ثَمَّ فالسعداء هم الذين يعيشون في الغرب، ويطبقون أحكامه ويدورون في فلكه، وهذه من الفتن التي تعصف الآن بقلوب الكثيرين من المسلمين والمسلمات.

ونحن أيها الأخوة والأخوات لا ننكر ما وصل إليه الغرب في الجانب المادي، ولكن الحياة ليست كلها مادة. ولا يمكن لطائرٍ جبار أن يحلق في أجواء الفضاء بجناح واحد، وإن نجح في ذلك لفترة وإن طالت فإنه حتماً سيسقط لينكسر جناحه الآخر. فإن الغرب قد أعطى البدنَ كل ما يشتهيه وبقيت الروح تصرح تبحث عن غذائها ودوائها، وهنا وقف الغربيون في حيرة.. لأن الروح لا توزن بالجرام ولا تُقاس بالترمومتر ولا تخضع لبوتقة التجارب الإضافية في معامل الكيمياء والفيزياء.. وهنا كذلك وقف علماء الطب والنفس في دهشة وحيرة أمام الحالات المتزايدة للمصابين بالأمراض النفسية والعصبية بل وأمام حالات الانتحار الجماعية.

وصدق الله إذ يقول: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عن الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِن أَمرِ ربِّي وما أُوتيتُم من العلْمِ إلاَّ قَليلاً**﴾[1].

ومن سافر إلى بلاد الغرب واطلع على الدراسات العديدة التي تُجرى هنالك من آن لآخر أدرك يقيناً أن أبناء الغرب يفتقدون السعادة ولا ينبغي أن ننبهر بالمظاهر الخداعة التي تكاد تخطف أبصار من لا بصيرة لهم!!

---

(١) سورة الإسراء: ٨٥.

قَــالُوا الـغَـرْبُ قُلْتُ صِـنَاعَــةٌ وسـيَــاحَـــةٌ وَمظَاهرٌ تُغــرِينَا
لَـكـنَّـه خـــــاو مـنْ الإيمـان لاَ يَرْعَى ضَعيفًا أو يَسُرّ حَزينًا
الغَـربُ مَقْبَـرَةُ المبَـادئ لَمْ يزَلْ يَرْمِي بسَــهْم المغْــريات الـدِّينا
الغـربُ مقبـرةُ الـعَـدَالة كُلَّمَـا رُفِــعَتْ يدٌ أَبْـدَى لَهَــا السكِّـينا
الغـربُ يَـكْفُـرُ بالسَّــلام وَإنَّمَـا بسَــلاَمـه المـوْهُوم يَسْتَــهْـوينَا
الغربُ يَحْملُ خَنْجَـرًا ورَصَاصَةً فَـعَـلاَمَ يَـحْـملُ قَـوْمُنَا الـزَّيتُـونَا
كـفـرٌ وإسَــلاَمٌ فـأنَّـى يَلْتَـقِي هَـذَا بِذَلِـكَ أَيُّهَــــا الـلاَّهُونَـا

ثانيا : سعادة العالم بين الوهم والحقيقة:

إن العالمَ اليــوم محرومٌ من الأمن والأمان رغم عظم الوسـائل الأمنية المذهلة التي وصل إليها العلم الحديث، ورغم الاختراعات الكثيرة التي يولد منهـا الجديد والجـديد كل يوم، ورغم التـخطيط الهـائل المبني على أسس علمـية ونفسـية لمحـاربة الجريمة بشـتى صورها، وبالرغم من هذا كـله فإن العالم لا زال يبحث عن الأمن والأمان وسط الركام. . بل لقد تحولت هذه الوسائل الأمنية نفسها إلى مصدر رعب وفزعٍ وإبادة للجنس البشرى. . فما من يوم يمر ـ بدون مبالغة ـ إلا وتسفك فيه دماء وتتمزق هنا وهناك أشلاء، وتدمر مصانع، وتحرق بيوت، وتباد مزارع، وتتحطم مدارس.

والعالم يجتمعُ وينفضُّ والدنيا تقوم وتقعد والخبراء يدرسون ويبحثون ويقــررون، ومع هذا كله فإن الآلاف من البـشــر يعيـشون في حـالة من الذعـر والرعب والخـوف وهم ينتظرون الموت في كـل لحظة من لحظات حياتهم لكثـرة ما يرونه من إبادة وقتل وإفناء. . وقد أصـبحت الدنيا في نظرهم مظلمة بالرغم من كثرة الأضواء. . وأصبحت عليهم ضيقة بعد ما

شُرِّدوا وطردوا من ديارهم وأموالهم.

وهكذا حُـرِمَ العالمُ من الأمن والأمـان على كثرة مـنظماته وهيـئاته ومواثيقه وقوانينه، وأصبح الإنسان يفعل بالإنسان ما تخجل الوحوش أن تأتيه في الغابات.

والعالمُ اليوم أيضاً محرومٌ من الرخـاء الاقتصادى رغم كثرة الأموال والمصانع، واتساع الأسـواق، واختراع أحسن الوسـائل في كل مجالات الاقتصاد.

نعم بالرغم من هذا كله فإن المـلايين من البشر لا زالوا يبحـثون عن لقمـة الخبز، ويبـذلون ماء وجوههم للحـصول على الثوب، ويضـحون بأرواحـهم لتـوفيـر المسكن، ومنهم من يموت جـوعًـا وبردًا، ومنهم من يسكن الجبال ويعيش بين القبور.

والمفكرون يبـحثـون عن الأسـباب، والخبـراء يضعـون الحلول ثم لا أسباب.. ولا حلول.

والعالم اليوم محروم من الطمأنينـة النفسية وراحة البال وخلو القلب من الهموم، والنفس إذا لم تتوفر لهـا الطمأنينةُ لا تستلذُّ العيشَ ولو كان رخاءً ولا تستمتعُ بملبس ولو كان فاخراً. ولا تهنأ بمركبٍ ولو كان فارهاً. ولا يمكن أبداً للقـصـور الشـامخـة والمراكب الفـارهة والفـرش الوثيـرة والأموال الكثيـرة، والشهرة والجاه والمناصب والمتـاع لا يمكن لهذا كله أن يهب للنفس الطمأنينة الروحية أو السعادة القلبية.

وهذا الحرمان الأمني والاقتصادي والنفسي عبرّ الله جل وعلا عنه في القرآن بـقوله: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْـرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَـالَ رَبِّ

لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾[1].

ولسوف يظل العالمُ بصفةٍ عامةٍ والعالمُ الإسلاميُّ بصفةٍ خاصةٍ يعيش في هذا الضنك والشقاء.

وسيظل لفح الهاجرة المحرق يصفع وجهه، وسيظل تائهاً شارداً متعباً قلقاً حتى يعود من جديد إلى منهج الله عز وجل الذي جعله الله جل وعلا سبباً للسعادة في الدنيا والآخرة.

ثالثاً : الإسلامُ وسعادةُ البشرية:

والسؤال الآن.. هل حقق الإسلام السعادة من قبل؟ والجواب نعم.

فلقد حقق منهج الله في الأرض الأمن والأمان والسعة والرخاء والسعادة والاطمئنان لا للمسلمين الذي حولوا منهج الله إلى واقع عملى فحسب.. بل لليهود والنصارى الذين عاشوا تحت ظلال الحكم الإسلامى الوارفه.

فهذا يهوديٌّ يسرق درعَ عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ وكان خليفةً للمسلمين وأميراً للمؤمنين، فقاضاه إلى قاضيه شريح، ولم يأمر عليٌّ باعتقاله أو بسجنه أو بقتله أو بأخذ درعه بالقوة.

ومَثُلَ عليٌّ مع اليهودي أمام القاضي المسلم ونادى القاضي على عليّ بكنيته قائلاً : يا أبا الحسن، ونادى على اليهودى باسمه دون أن يكنيه،

---

(١) سورة طه: ١٢٣-١٢٧.

فغضب عليّ ـ رضي الله عنه ـ وقال للقاضي: إما أن تكنى الخصمين معاً أو تدع تكنيتهما معاً. ثم سأل شريحٌ أمير المؤمنين عن قضيته فقال على: الدرع درعي ولم أبعْ ولم أهبْ، فسأل شريحٌ اليهودي فيما قاله عليٌّ فرد اليهودي بخبث ودهاء معهودين قائلاً: الدرع درعي وما أمير المؤمنين عندي بكاذب.

فيقول شريح لعليٍّ: هل من بينة؟

فقال عليٌّ: صدقت يا شريح ما لى بينةٌ.

وكان موقفُ شريحٍ رائعا كموقف أمير المؤمنين ـ رضي الله عنه ـ فلقد حكم بالدرع لليهودي لعدم وجود البينة عند المدعي ـ وهو أمير المؤمنين ـ وأخذ اليهودي الدرع ومضى وهو يحدث نفسه قائلاً: أمير المؤمنين يقاضيني إلى قاضيه فيقضي عليه، إنَّ هذه والله لأخلاقُ أنبياء ثم عاد فقال: يا أمير المؤمنين الدرع درعك سقطت من على بعيرك فأخذتها.

وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

فيرد عليه عَلِيّ قائلاً: أما وقد أسلمت فهي هدية مني لك.. الله أكبر.

ذاك يهودي وهذا قبطي يسبق ابن عمرو بن العاص في مصر، ويغضبُ ابنُ والى مصر أن سبقه القبطي فضربه ابنُ عمرو ضربة على رأسه وهو يقول: خذها وأنا ابنُ الأكرمين فرحل والد هذا القبطي إلى واحة العدل والأمن والأمان إلى المدينة المنورة حيث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ الذي استدعى عمرو وولدَه فورا ويأمر عمرُ بالقصاص، وأعطى القبطي عصاه وهو يقول له: اضرب ابنَ الأكرمين ثم التفت إلى عمرو وقال قولتَه الخالدة: «يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟!»

ففي ظل الإسلام عاش اليهود والنصارى في أمن وأمان، وها هو التاريخُ مفتوحةٌ صفحاتُه لمن أراد أن يتعرف على الحق، ولقد حقق منهجُ الله الرخاء الاقتصادي بوضع نظام اقتصادي عادل يربط الغني بالفقير، ويقضي على الجشع والشح والطمع، حتى جاء يوم أرسل فيه خليفة المسلمين عمرُ بنُ عبد العزيز منادياً يبحث عن الفقراء ليغنيهم، وعن المحتاجين ليواسيهم وعن الشباب العاجز عن الباءة ليزوجَه.

والإسلام الذي حقق هذا كفيل بتحقيقه اليوم لمن يأوون إلى رحابه ويعيشون في ظلاله.

ولقد حقق منهجُ الله الطمأنينة النفسية، والسعادة القلبية والعصبية؛ لأن طمأنينة النفس وسعادة القلب وانشراح الصدر نعمةٌ لا يحظى بها إلا المؤمنون. وفي صحيح مسلم من حديث صهيب الرومي ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**عَجَبًا لأَمْرِ الْمؤْمنِ إنَّ أَمْرَهُ كلَّـهُ لَهُ خَيْرٌ إنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»(١).

ولقد آن الأوان أن نعرف إسلامَنا، وأن نحوله على أرض الواقع إلى منهج حياة لنقدمه للبشرية كلها لتسعد في الدنيا والآخرة، فإننا لن نقدم الإسلام للبشرية بالخطب الرنانة والمواعظ المؤثرة، ولكن بتحويل هذا الإسلام على أرض الواقع مرة أخرى إلى منهج حياة، وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

(١) صحيح: [ص.ج: ٣٩٨٠] أخرجه مسلم رقم (٢٩٩٩) في الزهد، وأحمد في المسند (١١٦/٦).

الخطبة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أحبتي في الله :

وأخيرا.. السعادة الحقيقية ووسائلها:

أما في الدنيا فلا تتحقق إلا في الإيمان بالله والعمل الصالح قال تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾(١).

وأما السعادةُ في الآخرة ففي الجنة وأعلاها التمتع بالنظر إلى وجه الله جل وعلا قال تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿**يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**﴾(٣).

---

(١) سورة النحل: ٩٧.

(٢) سورة القيامة: ٢٢.

(٣) سورة هود: ١٠٥-١٠٧.

وفي صحيح مسلم من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: يَا أَهْلَ الجَنَّة، فَيقُولُونَ: لَبَّيكَ رَبَّنا وَسَعْدَيكَ والخيرُ بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضيتُم؟ فَيَقْولونَ: ومَا لَنَا لاَ نَرْضَى وَقَدْ أَعْطيتَنا ممَّا لم تُعْط أَحَدًا من خَلْقكَ فيقُولُ : أَلا أُعْطيكُمْ أَفْضَل منْ ذَلكَ ؟ فَيَقُولُونَ: يا ربِّ! وأيُّ: شيء أفضَلُ منْ ذَلكَ ؟ فيَقُولُ: أُحلُّ علَيكُم رضْواني فَلاَ أسخَطُ عليكم بَعْدَهُ أبدًا»[1].

وسائل السعادة:

أولاً: الاستقامة على منهج الله عز وجل.. قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ**﴾[2].

ثانياً: الإيمان بالقضاء والقدر.. فَلَذَّةُ الإيمانِ بالقضاءِ والقدرِ سعادةٌ لا يحظى بها إلا الموحدون.

ثالثاً: الإحسان إلى الناس.. ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال:

«مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمنٍ كُربةً منْ كُرَب الدنيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً منْ كُرَب يَوْمِ القيَامَة ومَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسرٍ ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْه في الدُّنْيَا وَ الآخرَة، وَمَنْ سَتَرَ

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى رقم (٦٥٤٩) فى الرقاق، رقم (٧٥١٨) فى التوحيد، رواه مسلم (٩/٢٨٢٩) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، والترمذى رقم (٢٥٥٥)، وأحمد فى مسنده (٣/٨٨).

(٢) سورة فصلت: ٣٠-٣٢.

مُسْلمًـا، سَتَرَهُ اللَّهُ في الدُّنْيَـا والآخِرَة، واللَّهُ في عَوْن العَـبْد مَا كَانَ الْعَـبْدُ في عَـوْن أَخيـه وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَـمسُ فيـه علْمًـا ، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ به طَرِيقًـا إِلَى الْجَنَّة، وَمَـا جَلَسَ قَوْمٌ في بَيْت منْ بُيُـوت الله يَتْلُونَ كتَـابَ الله وَيَتَـدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِـينَةُ وَغَشيَتْهُمُ الـرَّحْمَةُ وَحَفَّتـهُمُ الملائكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فيمَنْ عنْدَهُ وَمَنْ بَطأَ به عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ به نَسَبُهُ»(١) .

رابعـا: النظر إلى من هو فـوقك في أمـور الدين، وإلى من هو دونك في أمور الدنيا..

وفي صحـيح مسلم أنه ﷺ قـال: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْـفَلَ منْكُم، وَلاَ تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَلاَّ تَزْدَرُوا نعْمَةَ اللَّه»(٢) .

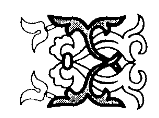
اللهم أسـعـدنا بطاعتك فـي الدنيا وبرضـوانك فـي الآخـرة يارب العالمين. . . الدعاء.

* * *

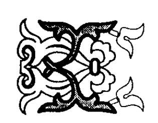
---

(١) صحيح: [ص. ج: ٦٥٧٧]، رواه مسلم رقم (٢٦٩٩) في الذكر والدعاء، وأبو داود رقم (٤٩٤٦) في الأدب، والترمذي رقم (١٤٢٥) في الحدود، رقم (١٩٣١) في البر والصلة، رقم (٢٩٤٦) في القراءات.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٩٦٣) في الزهد والرقائق.



لا تقنطوا من رحمة الله(*)



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا لله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا وحبيبنا محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله.. أدَّى الأمانةَ، وبَلَّغَ الرسالةَ، ونَصَحَ الأمةَ، وكشف الله به الغمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، اللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبيا عن أمته، ورسولاً عن دعوته ورسالته وصلِّ اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفي أثره إلى يوم الدين..

أما بعد :

فحيَّا الله هذه الوجوه الطيبة المشرقة، وزكَّى الله هذه الأنفس، وشرح الله هذه الصدور.

أَحِبَّائي يَاملأَ الْفُؤاد تَحيَّةً تَجُوزُ إِلَيْكُمْ كُلُّ سَهْلٍ وَعَائقِ
لَقَدْ شَدَّنـي شَوْقٌ إِلَيْكُمْ مَكَلَّلٌ بالحبِّ والتقْدير والدُّعَاءِ المشْفقِ
وأَرَّقَنـي فِي المظلمَات عَلَيْكُمُ تَكَالُبُ أَعْدَاءٍ سَعَوْا بالبَوائقِ

(*) ألقيت هذه الخطبة بمسجد العبد بفارسكور.

أَرَدْتُمْ رِضَا الرَّحْمَنِ قَلْبًا وَقَالِبًا وَمَا أَرَادُوا إِلاَّ حَقِيرَ المأزق
فَسَدَّدَ اللَّهُ عَلَى دَرْبِ الحقِّ خُطَاكُمُ وَجَنَّبَكُمْ فِيهِ خَفِيَّ المزَالِقِ

طبتم جميعا وطاب ممشاكم وتبوأتم من الجنة منزلا.

حياكم الله جميعاً وأسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجمعني وإياكم في الدنيا دائما وأبداً على طاعته وفي الآخرة مع سيد الدعاة وإمام النبيين في جنتة ودار كرامته.

إنه ولى ذلك ومولاه وهو على كل شئ قدير..

« لا تقنطوا من رحمة اللَّه » :

هذا هو عنوان خطبتنا في هذا اليوم المبارك أسأل الله جل وعلا أن يذلل لي ولكم الصعاب، وأن ييسر لى ولكم الأسباب، وأن يفتح لي ولكم الأبواب، إنه الحليم الكريم الوهاب.

ونظراً لطول هذا الموضوع فسوف ينتظم حديثي مع أحبابي في العناصر التالية:

أولا: الدنيا دار ابتلاء وبوتقة اختبار.

ثانيا: خطر الذنوب والمعاصي.

ثالثا: نداء علوي رقيق.

وأخيرا: فهل من توبة ؟

فأعيروني القلوبَ والأسماعَ. فإن هذا الموضوع من الأهمية بمكان .

أولاً : الدنيا دار ابتلاء وبوتقة اختبار:

أيها الحبيب الكريم. من يوم أن وجدت في هذه الدنيا وأنت مبتلى، وأنت مختبر، إن مَنَّ الله عليك بالمال فأنت في بوتقة اختبار، إن مَنَّ الله عليك بالعافية والصحة فأنت مبتلى.. إن ابتلاك الله بالشك والضيق فأنت مبتلى.

﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾(١) هذه الدنيا دار ابتلاء وبوتقة اختبار، ليست دار قرار وإنما هى دار بلاء ودار زوال .

اسمع إلى الكبير المتعال جل جلاله وهو يقول:

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾(٢).

هذا حكم الله جل وعلا على هذه الدار.

فانتبه أيها الحبيب. .ولقد تعمدت أن أبدأ الموضوع بهذا العنصر؛ لينتبه كل غافل وليستعد كل ظالم.. ولينتبه كل مسوِّفٍ للتوبة ظنا منه أن هذه الدنيا دار إقامة..، ودار قرار.. كلا إن الدنيا دار ابتلاء وبوتقة اختبار.. ومهما طالت فهى قصيرة.. ومهما عَظُمَت فهى حقيرة، لأن الليل مهما طال لابد من طلوع الفجر، ولأن العمر مهما طال لابد من دخول القبر.

---

(١) سورة الأنبياء : ٣٥.

(٢) سورة الحديد: ٢٠.

استمع إلى حبيبك المصطفي ﷺ وهو يبين لنا حقيقة هذه الدار في هذا الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه:

يقول الحبيب ﷺ: «**إنَّ ثَلاثَةَ نَفَرٍ في بَني إسْرائيلَ: أَبْرَص، وأَقْرَعَ، وأَعْمَى أرادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَليَهُمْ، فَبَعَثَ إلَيْهِمْ ملكًا، فَأَتَى الأبْرَصَ فَقَالَ: أَيُّ شَيء أحبُّ إلَيْكَ؟ قَالَ: لَونٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، ويَذْهَبُ عَنِّي إنِّي قَدْ قَذِرَني النَّاس**(٢) **فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُه، وأعْطي لَوْنًا حَسَنًا، وَجِلْدًا حَسَنًا قَالَ: فَأيُّ المال أحبُّ إلَيْكَ؟ قَالَ: الإبلُ: فأعْطى ناقةً عُشَراءَ، فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فيْهَا.**

فَأَتَى الأَقْرَعَ فَقَال: أَيُّ شَيء أَحَبُّ إلَيْكَ؟ قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذي قَذِرَني النَّاسُ. فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ وأُعْطيَ شَعْرًا حَسَنًا. قَالَ: فَأَيُّ المَال أحَبُّ إليكَ؟ قَالَ: البَقَرُ. فأعْطيَ بَقَرَةً حَاملاً، وقَالَ بَارَكَ اللهُ لَكَ فيْهَا. قَالَ أَتَى الأَعْمَى فَقَالَ: أَيُّ شَيء أحبُّ إلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ إليَّ بَصري. فأبْصرُ النَّاسَ. فَمَسَحَهُ فردَّ اللَّهُ إلَيْه بَصَرَهُ. قَالَ: فَأَيُّ المَال أحبُّ إلَيْكَ؟ قَالَ: الغَنَمُ، فَأُعْطي شاةً والدًا، فأنْتجَ هَذَان، وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَانَ لهَذا واد منَ الإبل، وَلهَذَا واد منَ البَقَر، ولهَذَا واد منَ الغَنَم».

اسمع أيها الحبيب: فأرسل الله جل وعلا المَلَك إليهم مرة أخرى لكن الملك ذهب إلى كل واحد منهم على صورته التي كان عليها من قبل فذهب الملك في صورة رجل أبرص إلى الرجل الأول.

يقول المصطفي ﷺ: «**ثُمَّ إنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ في صُورَته وَهَيْئَته فَقَالَ: رَجُلٌ**

(١) أي تباعدوا عنى وكرهونى بسببه. (٢) أي الأسباب.

مسْكِينٌ قَد انْقَطَعتْ بي الْحبَالُ[٢] في سَفَرِي فَلاَ بَلاَغَ لِي الْيَوْمَ إلاَّ بالله ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بالَّذي أَعْطَاكَ اللَّونَ الحَسَنَ، والْجلْدَ الحَسَنَ وَالمالَ، بَعيرًا أتَبَلَّغُ بِه[١] في سَفَري فَقَالَ: الْحُقُوقُ كَثيرَةٌ، كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُ أَبْرصَ يَقْذرُكَ النَّاسَ؟ فَقيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ؟! فَقَالَ: إنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا المالَ كَابرًا عَنْ كَابر!!».

استمع أيها الحبيب: ألم أقل لك أن الدنيا دار ابتلاء وبوتقة اختبار؟! لما أعطاه الله المال نسي أصله ونسي فقره وعجزه، وحين ينسى الإنسان أصله.. تعالى..، وتكبر..، واستعلى.. إذا نسي الإنسان أنه كان شيئًا لا يذكر.. تعالى.

أَصْلُك يا بن آدم من تراب.. وفصلك يا ابن آدم من النطفة..!!

وأَصْلُك يوطأ بالأقدام .. وفصلُكَ تطهر منه الأبدان..!!

قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الإنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيم * الَّذى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَك * في أَىِّ صُورة مَا شَاءَ رَكَّبَك﴾[٢].

ورد في مسند الإمام أحمد بسند حسن من حديث بُسر بن جُحاش القرشى أن رسول الله ﷺ بصق يوماً في كفه فوضع عليها أصبعه ثم قال: قال الله عزوجل: «يَا بْنَ آدَمَ أَنَّى تُعْجِزُنِي وَقَدْ خَلَقْتُكَ منْ مثْلِ هَذه حَتَّى إذَا سَوَّيْتُكَ وَعَدَلْتُكَ مَشَيْتَ بَيْنَ بُرْدَيْنِ وَللأَرْض مِنْكَ وَئِيدٌ، فَجَمَعْتَ وَمَنَعْتَ، حتَّى إذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِي قُلْتَ: أَتَصَدَّقُ وَأَنَّى أَوَانُ الصَّدَقَة»[٣].

﴿حَتَّى إذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ

---

(١) أى أبلغ بها المنزل الذى أريد.

(٢) سورة الإنفطار: ٦-٨.

(٣) رواه أحمد فى مسنده (٤/ ٢١٠)،(١٧٨٠٩).

صَالحًا فيمَا تَركْتُ كَلاَّ إنَّهَا كَلمَةٌ هُوَ قَائلُهَا وَمن وَرَائهم بَرْزَخٌ إلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[١].

أحبتي في الله نعود إلى الحديث : «يَقُولُ المَلَكُ: أَلَمْ تَكُ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ ، فَقيرًا فَأَغْنَاكَ اللَّهُ؟!

فَقَالَ : إنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا المَالَ كَابرًا عَن كَابرٍ» كلمتان كانت السبب في محو هذه النعمة وفي زوال هذا الخير . .

يقول له الملك: « إنْ كُنْتَ كَاذبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهَ إلَى مَا كُنْتَ» .

يعلق الحافظ ابن حجر في «الفتح» ويقول: وجاء في النص النبوي أن الله عزوجل قد فعل به ورده إلى ما كان إليه أول مرة.

«ثُمَّ ذَهَبَ المَلَكُ إلَى الرَّجلِ الثَّاني وَقَالَ لَهُ مثْلَ مَا قَالَ للرَّجُل الأوَّل فَرَدَّ عَلَيْه مثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْه الرَّجُلُ الأَوَّلُ فَقَالَ لَهُ المَلَكُ: إنْ كُنْتَ كَاذبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إلَى مَا كَنْت» فصار إلى ما كان كما قال الحافظ بن حجر، «ثُمَّ ذَهَبَ المَلَكُ إلَى الرَّجُل الثَّالث وَهُو الأَعْمَى فَقَالَ: «رَجُلٌ مسْكينٌ وابْنُ سَبيل، تَقَطَّعَتْ بي الحبَالُ في سَفَري ، فَلاَ بَلاَغَ لي اليَوْمَ إلاَّ باللَّه ثُمَّ بكَ، أَسْأَلُكَ بالَّذي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ، شَاةً أَتبَلَّغُ بهَا في سَفَري. فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ إلَيَّ بَصَري ، فَخُذْ مَا شئْتَ وَدَعْ مَا شئْتَ فوَ الله مَا أَجْهدَكَ [٢] اليومَ بشَيء أَخَذْتَهُ لله عزَّ وَجلَّ.

فَقَالَ المَلَكُ : أَمْسكْ عَلَيْكَ مَالَكَ فَإنَّمَا ابْتُليتُمْ، فَقَدْ رَضي اللَّهُ عَنْكَ وسَخطَ علَى صَاحبَيْكَ»[٣].

---

(١) سورة المؤمنون: ٩٩-١٠٠.

(٢) لا أجهدك: أي: لا أشق عليك في الأخذ والامتنان.

(٣) **متفق عليه**: [ص.ج: ٢٠٥٢] رواه البخاري (٦/٣٦٤) في الانبياء، ومسلم رقم (٢٩٦٤) في الزهد.

ألم أقل لك أيها الحبيب بأن الدنيا دار ابتلاء.. ألم أقل لك أيها الحبيب بأن الدنيا دار اختبار؟!.

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ۞ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾(١).

أيها الحبيب الكريم:

قال لقمان الحكيم لولده: أي: بني! إنك من يوم أن نزلت إلى الدنيا استدبرت الدنيا، واستقبلت الآخرة، فأنت على دار تقبل عليها أقرب من دار تبتعد عنها.

أيها الحبيب الكريم.. أيها الشاب.. أيها الوالد الفاضل.. أيتها الأخت الكريمة الفاضلة:

دَعْ عَنْكَ مَا قَدْ فَاتَ فِي زَمَنِ الصِّبَا ... وَاذْكُرْ ذُنُوبَكَ وَابْكِهَا يَا مُذْنِبُ
لَمْ يَنْسَهُ الملَكَانِ حِينَ نَسِيْتَهُ ... بَلْ أَثْبَتَاهُ وَأَنْتَ لاَهٍ تَلْعَبُ
والرُّوحُ مِنْكَ وَدِيْعَةٌ أَوْدَعْتَهَا ... سَتَرُدُّهَا بالرَّغْمِ مِنْكَ وَتُسْلَبُ
وَغُرُورُ دُنْيَاكَ الَّتِي تَسْعَى لَهَا ... دَارٌ حَقِيْقَتُهَا مَتَاعٌ يَذْهَبُ
اللَّيلُ فَاعْلَمْ والنَّهَارُ كِلاَهُمَا ... أَنْفَاسُنَا فِيْهَا تُعَدُّ وَتُحْسَبُ

أيها الحبيب الكريم.. الدنيا دار ابتلاء وبوتقة اختبار، وليست دار قرار، وإنما دار القرار هي الجنة، جنة الكبير المتعال أسأل الله أن يجعلني وإياكم من أهلها.

---

(١) سورة الكهف: ٤٥-٤٦.

هذا بإيجاز عن العنصر الأوَّلِ حتى أُعَـرِّج على بقية عناصر الموضوع إن شاء الله جل وعلا.

ثانيا: خطر الذنوب والمعاصي:

لما كان الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الإنسان ويعلم ضعفه وفقره وعجزه، ويعلم أنه لا يستطيع أن يقنن أو يشرع لنفسه ما يسعده في الدنيا والآخرة. جعل الله للإنسان منهجا يضـمن له السعادة في الدنيا والآخرة فقال:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَـهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُـرُهُ يَومَ القِيَامَة أَعمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتتكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِـكَ اليَومَ تُنسى وَكَذَلِك نَجزِي مَن أَسرَفَ وَلَم يُؤمن بآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشدُّ وَأَبقى﴾(١).

أيها الحبيب:

وضع الله للبشرية منهجا يضمن لها السعادة في الدنيا والآخرة. فمن اتبع منهج الله؛ سـعـد في دنيـاه وسـعد في أخـراه، ومن أعـرض عن منهج الله وعصى مولاه شقى في دنياه، وهلك في أخراه.

فالمعاصي سبب للشـقاء في الدنيا والآخرة.. المعصيـة سبب للشقاء في الدنيا والآخرة. الله جل وعلا يأمرك.. فائتـمر.. نهاك فانته.. حد لك حدودا لسعادتك فامتثل حدود الله، وأوامر الله.. احفظ الله يحفظك..

يقول الحـافظ ابن رجب: احفظ الله بالامـتثال لأوامـره والاستـجابة

(١) سورة طه: ١٢٤-١٢٧.

لنواهيه والوقوف عند حدوده. إن فعلت ذلك فأنت ممن حفظ أوامر الله تبارك وتعالى.

أيها الحبيب الكريم:

المعصية ابتعاد عن منهج الله، ابتعاد عن حدود الله، تحد لأوامر الله تبارك وتعالى، فمن أخطر آثار المعاصي والذنوب أنها أخرجت الأبوين الكريمين من الجنة.. نعم بسبب المعصية. ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾[1]. فمن الذي أخرج الأبوين الكريمين من الجنة.. وما الذي طرد إبليس من رحمة الله.. وما الذي أهلك قوم فرعون .. وما الذي أهلك قوم عاد.. وما الذي أهلك قوم ثمود.. وما الذي أهلك قوم قارون.. وما الذي أهلك الظَّلَمَةَ والفجَرَةَ والجبابرة في كل عصر وحين.. إنه شؤم المعاصي والذنوب. فالمعاصي سبب للشقاء في الدنيا والآخرة.

وانتبه أيها الحبيب الكريم: فمن أخطر آثار المعاصي والذنوب..

١ - حرمان العلم:

يقول عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -، في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾[2].

انتبه.. فإن كثيراً من طلاب العلم يشتكي سوء حفظه، وضعف ذاكرته ولو فتشت أيها الحبيب الكريم لعلمت أن السبب هو المعاصي والذنوب.

(١) سورة طه : ١٢١.

(٢) سورة البقرة : ٢٨٢.

يقول ابن عباس:

إن للمعصية سواداً في الوجه، وظلمة في القبر، وَوَهَناً في البدن، وضيقاً في الرزق، وبُغضاً في قلوب الخلق، وإن للطاعة: نوراً في الوجه، ونوراً في القلب، وقوة في البدن، وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الخلق.

يقول ابن مسعود:

«إنى لأحسب أن الرجل ينسى العلم يعلمه بالذنب يعمله».

لما أراد الشافعي الإمام أن يتلقى العلم على يدي سيد المسلمين في زمانه الإمام مالك بن أنس بعدما تلقى العربية وفنونها في قبيلة هُذيل. عاد الشافعي يتكلم العربية بلغة فصيحة عجيبة فاغتاظ منه أحد بني أعمامه وقال: يا شافعيُّ يعز عليّ ألا أرى مع هذه اللغة فقهاً وعلماً. فقال الشافعي: فَعَلَى يَدِ مَنْ أطلب العلم: قال على يد سيد المسلمين، اذهب إلى مالك بن أنس في مدينة رسول الله ﷺ.

وانطلق هذا الشاب الزكى العبقري الصغير الذي لم يكن حينها قد جاوز الخامس عشرة من عمره، انطلق الشافعي ليبحث عن كتاب الإمام مالك «الموطأ» فاستعار الموطأ من رجل وعكف الشافعي مع الموطأ فحفظه عن ظهر قلب في تسع ليال. وأخذه في صدره، وانطلق إلى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام.

وجلس الشافعي الإمام بين يدي أستاذه وشيخه مالك بن أنس وافتتح الشافعي الموطأ من حفظه، فكلما نظر مالك إلى الشافعى يقرأ الموطأ من صدره أعجب بذكاءه، وبحسن قراءته وقوة حافظته وذاكرته وببلاغته.

يقول الشافعي: فكلما نظرت إلى مالك تهيبت أن أواصل القراءة، فنظر إلى مالك وقد أعجب بحسن قراءتي وحفظي وقال لي: زد يا فتى.. زد يا فتى.. زد يا فتى.. حتى أنهيت الموطأ كله في أيام قليلة. فلما رأى مالك هذا الذكاء وهذا الحفظ من الشافعي قال:

«يا شافعي إني أرى الله قد ألقى على قلبك نورًا فلا تطفئه بظلمة المعصية».

أحبتي.. ألم أقل إن للطاعة نورا في الوجه، ونورا في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق؟

ألم أقل كما قال ابن عباس:

«إن للمعصية سواداً في الوجه، وظلمة في القلب والقبر، وضيقاً في الرزق، ووهناً في البدن، وبُغضاً في قلوب الخلق»؟

قال الشافعي بسند صحيح:

شَكَوْتُ إِلَى وَكِيعٍ سُوْءَ حِفْظِي ... فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ المعَاصِي
وَأَوْصَانِي بِأَنَّ الْعِلْمَ نورٌ ... وَنُورُ اللهِ لاَ يُؤْتَاهُ عَاصِي

فيا أيها الحبيب الكريم:

اعلم بأن من أخطر آثار الذنوب والمعاصي أن تحرم من العلم، فإن زلت قدمك..، وجاذبتك أشواك الطريق يا طالب العلم فأنت بشر.. لست ملكاً مقرب، ولست نبياً مرسلاً، إنما ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»(١).

---

(١) حسن: [ص.ج:٤٥١٥]، [المشكاة: ٢٣٤١]، رواه الترمذي رقم (٢٥٠١) في صفة القيامة وابن ماجه رقم (٤٢٥١) في الزهد، والدارمي(٢/٣٠٣) في الرقاق، وأحمد (١٩٨/٣).

فإن زلت قدمك وجاهدك أشواك الطريق فتب إلى الله، وعد إلى الله واعلم بأنك على الحق إن شاء الله جل وعلا.

٢- حرمان الرزق:

فقد ورد في المسند بسند جيد بأن رسول الله ﷺ قال:

«إِنَّ العَبْدَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ».

قد يقول قائل: ما بال هؤلاء الكفرة الملاحدة يتنعمون بأرزاق الله؟ نقول: لقد تكفل الله ـ سبحانه وتعالى ـ برزق الخلق جميعاً، مَنْ أخذ بالأسباب أعطته الأسباب النتائج بأمر مسبب الأسباب تبارك وتعالى حتى لو أخذ بهذه الأسباب كافر بمولاه.

هذا عهد الله جل وعلا ويتبقى الحساب في يوم لا ينفع فيه مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وإذا رأيت الرجل في نعمة الله . فاعلم أنه استدراج له من الله إن كان على معصية مولاه، اسمع إلى الله جل وعلا وهو يقول:

﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لا يَشْعُرُونَ﴾(١).

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٢).

---

(١) سورة المؤمنون: ٥٥-٥٦.

(٢) سورة الأنعام: ٤٤-٤٥.

﴿فأمَّا الإنسان إذا مَا ابتلاهُ ربُّهُ فأكرمَهُ ونعَّمَهُ فيقولُ ربِّى أكرَمَن وأما إذا ما ابتَلاهُ فَقَدَرَ عَليه رزقَهُ فيقولُ ربِّي أهانَن﴾(١).

كلا - كلا ليس الأمر كما تقولون وكما تدَّعون فليس كل من يسر اللَّه عليه يكون قد فاز برضوان اللَّه، وليس كل من ضيِّق عليه يكون قد باء بغضب اللَّه.

إذن أيها الحبيب الكريم:

اعلم بأن ما عند الله لاينال إلا بطاعته وإياك أن تظن أن ما عند الله ينال بمعصية، وأحرص أن تأكل الحلال الطيب. فإن العمر قليل، وإن أقرب غائب تنتظره هو الموت، وإن جسداً نبت على السُّحت وعلى أكل الحرام، فالنار أولى به.

فإياك والرشوةَ، وإياك والحرامَ، وإياك والباطلَ، وإنما أَدْخِلْ على ولدك الحلالَ الطيب. ليُربِّي الله لك ولدك التربية الطيبة الصالحة في حياتك وبعد مماتك.

﴿ولْيَخْشَ الَّذينَ لَوْ تَرَكُوا منْ خَلفِهِم ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَليهِم فَليَتَّقُوا اللَّهَ وليقُولُوا قَولاً سَديداً﴾(٢).

دخلوا على عمر بن العزيز ـ رضي الله عنه ـ وهو على فراش الموت: وقالوا : يا أمير المؤمنين ألا توصي لأولادك بشيء، فلقد أقفرت أفواه بنيك. فقال: أجلسوني، فأجلسوه فقال: فوالله ما ظلمتهم حقًّا هو لهم، ولم أكن لأعطيهم شيئا لغيرهم، وإن وَصِيِّي فيهم ﴿اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ

---

(١) سورة الفجر : ١٥-١٦.

(٢) سورة النساء : ٩.

الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾(١).

وإنما ولد عمر بين أحد رجلين: إما رجل صالح فالله يتولى الصالحين وإما غير ذلك فلن أترك له ما يستعين به على معصية الله. ادعوا لى بنيّ، فأتوه.

فلما رآهم ترقرقت عيناه وقال: بنفسي فتية تركتهم عالة لا شيء لهم وبكى، يا بنيَّ إني قد تركت لكم خيراً كثيراً، لا تمرون بأحد من المسلمين وأهل ذمتهم إلا رأوا لكم حقا. يا بَنيّ إني قد خُيرت بين أمرين: إما أن تستغنوا وأدخل النار أو تفتقروا إلى آخر يوم الأبد وأدخل الجنة، فأرى أن تفتقروا إلى ذلك أحب إليّ، قوموا عصمكم الله، قوموا رزقكم الله.

﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴾(٢).

٣- الذل والهوان :

لا تغتر بأهل الدنيا إن كانوا محادين لله ورسوله.

إن الله يذل العاصي لشهوته. . لكرسيه. . لزوجته. . لابنه الضال. . وإن طقطقت بهم البغال، وهملجت (*) بهم البراذين، فإن ذل المعصية في قلوبهم. . يأبى الله إلا أن يذل من عصاه.

يا ابن آدم. . يا من عبدت الكرسي والمنصب الفانى. . إن غرتك قوتك فلم استحكمت فيك شهوتك؟ وإن غرك غناك فارزق عباد الله في أرض الله يوماً واحداً.

---

(١) سورة الأعراف : ١٩٦.

(٢) سورة النساء : ٩.

(*) هملجت بهم البراذين: أي حسنت بهم السير في سرعةٍ وبَخْتَرة.

﴿وَمَا من دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾(١).

لا على شرق ملحد، ولا على غرب كافر. وإنما على الله ﴿إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾.

اسمع ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾(١).

من أعجب ما قرأت في الحلية لأبي نعيم: أن إبراهيم بن أدهم جلس يوما يأكل بعض قطع اللحم المشوي فجاءت قطة فأخذت قطعة لحم وانصرفت ، فجرى وراءها إبراهيم بن أدهم ليراقب الموقف، وإذ به يرى القطة تضع قطعة اللحم أمام جُحر مهجور، فراقب الموقف بشدة وانتباه فينظر إبراهيم فيرى ثعباناً أعمى يخرج من جحره؛ ليأخذ قطعة اللحم ويرجع مرة أخرى، فبكى إبراهيم بن أدهم ورفع رأسه إلى الرزاق ذي القوة المتين وقال: سبحانك يا من سخرت الأعداء يرزق بعضهم بعضاً.

﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾.

ولكن لما قَلَّت ثقتنا في الرزاق. .وضعف يقيننا في الرزاق. . رأينا الفسق وباركناه، وفتحنا أندية القمار وزكيناه. . وفتحنا الأبواب على مصراعيها للسياحة الداعرة. . وقنَّنا وشرَّعنا لهم شرب الخمور في بلاد المسلمين ما دام أن المسلمين لا يشربون الخمر فما الضير في ذلك؟! ما داموا يدخلون لنا الأموال التي حرمها الكبير المتعال جل وعلا.

ليس هناك ثقة في الرزاق !! والله سبحانه وتعالى يقول:

---

(١) سورة هود : ٦.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾(١). الله أكبر.

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾(٢).

إذن أيها الحبيب الكريم من آثار المعاصي والذنوب.. الذل والذلة والمهانة.. العز في الطاعة.. والذل في المعصية.

المعصية ذلة وذل ومهانة وحقارة وضعف.. ولكن إن تبت إلى الله وعدت إلى الله فأنت كريم على الله.. عزيز على الله جل وعلا.

* وخذوا هذه العبارة التي ينبغي أن تسطر بالنور لا بالذهب من شيخ الإسلام والمسلمين القائم ببيان الحق ونصرة الدين: ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وطيب الله ثُراه: يقول:

«الأصل في الكبائر التوبة وليس إقامة الحدود».

عبارة عجيبة.. إن وقعتَ في كبيرة من الكبائر وسَتَرَكَ الله، استر على نفسك، وتب إلى الله جل وعلا.. أما إن وصل أَمرُك إلى ولي الأمر وجب عليه حينئذ أن يقيم عليك حد الله، ولا ينبغي أن تأخذنا الشفقة والعطف والرحمة إذا ما تقدم الجاني ليقام عليه حد الله.. بل إن الرحمة بعينها هي أن يقام حد الله على الجاني، ليموت هذا من أجل أن يحيا المجتمع بأسره.

---

(١) سورة الأعراف: ٩٦.

(٢) سورة نوح: ١٠-١٣.

قال تعالى: ﴿**وَلَكُم فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلبَابِ لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ**﴾(١).

اسمع إلى المصطفى ﷺ وهو حديث صحيح من حديث ثوبان - رضي الله عنه - أنه ﷺ قال: «**يُوشكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ، كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا**»، فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ الله، وَمِنْ قِلَّة نَحْنُ يَوْمَئِذ؟ قَالَ: «**بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذ كَثِيرٌ ولَكنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاء السَّيْلِ، ولَيَنْزعَنَّ اللَّهُ منْ صُدُور عَدُوِّكُمُ المَهَابَةَ مِنْكُم، وَلَيَقْذفَنَّ في قُلُوبكُمُ الوَهَن**»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ الله، مَا الْوَهَنُ؟ قَالَ: «**حُبُّ الدُّنْيَا وكَرَاهيَةُ المَوْت**»(٢).

الأمة الآن في ذل.. بسبب الإعراض عن منهج الله.. أذلها الله لإخوان القردة والخنازير من أبناء يهود.

لماذا؟ لأن الأمة قد تخلت عن أصل عزها وعن نبع شرفها وعن معين كرامتها ووجودها.

فراحت تبحث عن العز والسيادة في الشرق الملحد تارة، وفي الغرب الكافر تارة أخرى، فأذلها الله، وسلط الله عليها ذلاً لن ينزعه إلا إذا عادت مرة أخرى إلى دين ربها، وإلى كتاب ربها، وإلى سنة الحبيب محمد ﷺ.

ها نحن نرى الأمة الآن ذلت بعد عزة.. وضعفت بعد قوة.. وجَهِلَت بعد علم.. وأصبحت في ذيل قافلة الإنسانية، بعد أن كانت

---

(١) سورة البقرة: ١٧٩.

(٢) صحيح: [ص.ج: ٨١٨٣]، أخرجه أبو داود رقم (٤٢٩٧) في الأمم، ورواه أحمد (٥/ ٢٧٨) انظر الصحيحة رقم (٩٥٨).

بالأمس القريب تقود القافلة كلها بجدارة واقتدار . . ونرى الأمة الآن تَتَسَوَّل على موائد الفكر الإنسانى، بعد أن كانت الأمة بالأمس القريب، منارة تهدي الحيارى والتائهين، الذين أحرقهم لفح الهاجرة القاتل وأرهقهم طول المشي في التِّيه والظلام، ونرى الأمة اليوم تتأرجح في سيرها ولا تعرف طريقها التي يجب عليها أن تسلكه، وأن تسير فيه بعد أن كانت الأمة بالأمس القريب الدليل الحاذق الأَرِبَ في الدروب المتشابكة في الصحراء المهلكة، التي لايهتدي فيها إلا الأدلاء المجربون. فمن أخطر آثار المعاصي والذنوب «الضنك والضيق» الذي يعيشه الناس.

نعم أيها الأحباب:

ورد من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال:

« يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ : خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُم بِهِنَّ، وأَعُوذُ بالله أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ لَمْ تَظْهَرُ الفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطٌّ ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلاَّ فَشَا فِيهِم الطَّاعُون والأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكنْ مَضَتْ فِي أَسْلاَفِهم الذِينَ مَضُوا ، ولَمْ يَنْقُصُوا المِكْيَالَ والمِيزَانَ إِلاَّ أُخِذُوا بالسِّنِينَ وَشِدَّةِ المؤُنَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ ، ولَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلاَّ مُنِعُوا القَطْرَ مِنَ السَّمَاء ولَوْلاَ البَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، ولَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّه وعَهْدَ رَسُوله إِلاَّ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِم عَدُوًّا من غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيْهِمْ وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُم بكتَابِ الله، وَيَتَخَيَّروا (أي يطلبون الخير مما أنزل اللَّه) **إِلاَّ جَعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُم»**(١).

فانظر أيها الحبيب إلى هذا الحديث العظيم وانظر إلى حالنا وتفكر . . كأن النبي ﷺ يجسد حال الأمة الآن . .

(١) صحيح: [الصحيحة: ١٠٦]، جه (٤٠١٩) نعيم في الحلية (٨/ ٣٣٣-٣٣٤).

أظهرنا الفاحشة.. فظهرت الأمراض والأوجاع، وأنقصنا الميزان.. فأخذنا بالسنين وشدة المؤونة، وهل هناك شدة أكثر مما نحن عليه.

ونقضنا عهد الله وعهد رسوله بعد أن بعدنا عن مصدر عزنا ونبع شرفنا.. فسلط الله علينا اللئام، وطمع فينا الضعيف قبل القوي، والذليل قبل العزيز، والقاصي قبل الداني، وسلبت أرضنا.. وضاع قدسنا وراح شرفنا، وَانتُهِكَ عرضنا، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

«**وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أئمتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّه إلاَّ جَعَلَ اللَّهُ بَأسَهُمْ بَيْنَهُمْ**».

وضعنا كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ واستبدلنا بالعبير بعراً والثريا ثرى، والرحيق المختوم حريقاً محرقا، وشأننا في ذلك كشأن الجعل يتأذى من رائحة المسك الفواح، ويحيى ويعيش ويسعد برائحة القذر والنتن في الخلاء والمستراح. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وأخيراً من آثار المعاصي والذنوب.. وانتبه لهذه الأخيرة؛ لأنها من أخطر آثار المعاصي والذنوب أيها الشباب.. أيها الأحباب.. أيتها الأخوات الفضليات.. إن إدمان المعصية يؤثر على صاحبها عند الموت فلا يتمكن من النطق بكلمة التوحيد.

والله إن لم يكن من آثار المعاصي والذنوب إلا هذه لارتعدت منها القلوب في الصدور.

يخون القلب واللسان صاحبه العاصي إذا نام على فراش الموت فكيف يوفق بالنطق بلا إله إلا الله من غفل في دنياه، عن ذكر مولاه، واتبع هواه، وكان أمره فرطا؟

كيف يوفق للنطق بكلمة التوحيد؟

لا يوفق للنطق بكلمة التوحيد، إلا من عاش في الدنيا على الطاعة وعاش على التوحيد، وامتلأ قلبه بالتوحيد، وتحرك التوحيد وأُشرِب قلبه التوحيد.

أما من عاش على المعاصي، وأُشرِب قلبه بحب المعاصي، وابتعد عن الطاعة، واستمر على غير حق، وعلى غير هدى.. هذا من عدل الله أنه يختتم له بسوء الخاتمة عياذا بالله.. أعاذنا الله وإياكم من سوء الخاتمة، فوالله إنما الأعمال بالخواتيم.

أخبرنا علماؤنا كابن القيم، وابن الجوزي، والطبري، والطبراني، والقرطبي وغيرهم في مراجعهم: أن رجلاً كان يعمل بالأذان في مصر مدة طويلة وقام يوماً ليرفع الآذان، فمرت عليه امرأة فسألته سؤالا وقالت: أين الطريق إلى حمام منجاب؟. فنظر الرجل إليها نظرة، فوقعت في قلبه فأشار إلى باب داره وقال: هذا هو حمام منجاب، فدخلت المرأة الدار على أنه الحمام الذي يتجمل فيه النساء، فلما نظرت وعلمت أنها قد وقعت في فخ المعصية، وأنه قد خدعها، أظهرت له البشر والفرح باجتماعها معه، وقالت له: يصلح أن يكون معنا مايطيب به عيشنا، وتقر به عيوننا فقال لها: الساعة آتيك بكل ماتريدين وتشتهين وخرج، وتركها في الدار، ولم يغلقها، فأخذ مايصلح لهما ورجع، فوجدها قد خرجت وذهبت ، فهام الرجل، وجعل يمشي في الطرقات والأزقة ويقول:

يَا رُبَّ قَائلةٍ يَوْمًا وَقَدْ تَعِبَتْ   أَيْنَ الطَّرِيقُ إِلَى حَمَّامِ مِنْجَابِ

وظل الرجل يردد هذا البيت وامتنع عن الأذان وعن الصلوات إلى أن نام على فراش الموت، فذهب إليه بعض الصالحين ليلقنوه كلمة

التوحيد. . ويذكروه بالأذان الذي رفعه حيال السنوات الماضية نسأل الله العصمة والسلامة. . فكان يرد عليهم بقوله:

يارُبَّ قائلةٍ يومًا وقد تَعِبَتْ أينَ الطريقُ إلى حمَّامِ مِنْجَابِ

وخُتِم له وهو يردد هذا البيت والعياذ بالله .

فإنما الأعمال بالخواتيم يقول الحافظ ابن كثير:

لقد أجرى الكريم عادته بكرمه أن من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بعث عليه.

فإن عشت على الطاعة مت على الطاعة، وبعثت على الطاعة، وإن عشت على المعصية مت على المعصية وبعثت على المعصية، ففي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله: أن رسول الله ﷺ قال:

« **يُبْعَثُ كُل عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ** »(١).

فانتبه! وأحذر نفسي وإياك ورب الكعبة ﴿**إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾(٢).

فإن العاصي يُخشى عليه أن يخونه قلبه ولسانه وجوارحه التي استغلها طيلة عمره في معصية الله جل وعلا.

فيا أيها الحبيب! استعن بالله واستقم على الطاعة وابعد عن المعاصي والذنوب، فإن البعد عن المعاصي والذنوب سبب رئيسي من أسباب حسن الخاتمة، أسأل الله أن يختم لي ولك بها.

---

(١) صحيح: [ص. ج: ٨٠١٥]رواه مسلم رقم (٢٨٧٨) في الجنة باب: الأمر بحسن الظن بالله عند الموت.

(٢) سورة يوسف: ٥٣.

أما إذا ما ذل الإنسان ووقع في كبيرة من الكبائر، أو معصية من المعاصى وضاقت عليه الأرض بما رحبت، وضاقت عليه نفسه، وظن أنه قد هلك. وظن أنه قد ضاع .. وظن أنه قد فقد كل شيء.

فليستمع إلى هذا النداء العلوي الندي الراقي.. الذي يملأ عليه أركان جوارحه، وينادي عليه صاحب هذا النداء جل جلاله.. لاتقنط ولاتيأس.

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(١).

يا الله نداء عذب.. نداء نديّ.. نداء رخيّ يملأ القلوب أمنا.. واطمئنانا.. ورجاءً في الرحيم الكريم اللطيف جل جلاله.

إن وقعت.. زلت قدمك فأنت بشر فأصغِ سمعك ،وأحضر قلبك لهذا النداء العلوى الجليل.

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ﴾ واسعد واسجد لربك شكراً أن نَسَبَكَ الله، لتكون عبداً له.. ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾.

يا له من شرف.. أن ينسب الله الذين أسرفوا على أنفسهم بالمعاصى والذنوب ويجعلهم عباداً لعلام الغيوب جل جلاله.

من أنا؟ ومن أنت؟ على المعصية ننسب عباداً لله.. ما طردنا الله من هذه الصلة.. لا والله لأنه خالقنا.. لأنه هو الذي يعلم ضعفنا، ويعلم فقرنا ويعلم عجزنا.. ويعلم جهلنا.. ويعلم ذلنا.

(١) سورة الزمر : ٥٣.

فإن زلت قوتُك ووقعت في كبيرة من الكبائر.. أو في معصية من المعاصي.. فهيا.. إياك أن يخذلك الشيطان.. وأن يصرفك عن قرع باب الرحيم الرحمن.

لا تتردد.. تعال.. تعال إلى ربك.. على الرغم من ذنوبك.. على الرغم من معاصيك.. واسمع إلى الله.. إلى هذا النداء العلويّ: **﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾**.

اسمع إلى الله جل وعلا وهو ينادى عليك في الحديث القدسى الجليل الذي رواه مسلم والترمذى واللفظ للترمذى.

«قَالَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَني وَرَجَوْتَني غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلاَ أُبَالي ....، يَا ابْنَ آدَمَ! لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَني غَفَرتُ لَكَ وَلاَ أُبَالي، يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ أَتَيْتَني بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيْتَني لاَ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»(١).

يا ابن آدم! لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي.. إنها رحمة الله جل وعلا.. وفضل الله سبحانه وتعالى.

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

* * *

---

(١) حسن: [ص.ج: ٤٣٣٨]، [الصحيحة: ١٢٧]، [المشكاة:٤٣٣٦]. رواه الترمذى (٢/ ٢٧٠)، والدارمي (٢/ ٣٢٢)، وأحمد (٥/ ١٧٢).

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وصلِّ الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.. وبعد.

هيا أيها الحبيب، أقبل وتب إلى الله تبارك وتعالى، وأقلع عن المعاصى والذنوب، يامن قضيت الوقت على المقاهي أمام المباريات.. وضيعت حق رب الأرض والسموات.. يا من أسرفت على نفسك بالمعاصي الذنوب.. انتبه فإن الموت قادم.. والله إن العمر قليل.. وإن أقرب قادم تنتظره هو الموت ولن تنفعك هذه اللحظات التي قضيتها أمام المباريات.. غافلاً عن السجود والركوع بين يدي رب الأرض والسموات يا من تجلس الآن على المقهى مضيعاً أمر الله، وحق الله.. اعلم بأنك على خطر ويخشى أن تموت على غير الإسلام.

هل من توبة؟ هل من عودة؟ هل من أوبة؟ مَنْ منا سيعاهد الله الليلة أن يتوب إلى الله؟..وأن يعود إليه.. وأن يحرص على صحبة الأطهار الأخيار الأبرار.. وأن يحرص أن يسأل من الليلة عن دينه، ليرضي ربه العزيز الغفار.. وليرضي نبيه المختارﷺ.. من منا سيعاهد الله بالتوبة والأوبة؟

هيا تب إلى الله،وعد إلى الله، واعلم بأن الدنيا مهما طالت فهى قصيرة، ومهما عظمت فهي حقيرة..وأن الليل مهما طال،لابد من طلوع، الفجر وأن العمر مهما طال لابد من دخول القبر.. اعلم بأن السفر بعيد وبأن العقبة كؤود..وبأن الناقد بصير.

سَفَرِي بَعِيْدٌ وَزَادِي لَنْ يُبَلِّغَنِي وَقُوَّتِي ضَعُفَتْ والموْتُ يَطْلُبُنِي
وَلِي بَقَايَا ذُنُوب لستُ أعلمُها اللهُ يعلمُهَا في السرِّ والعَلَنِ
وَأَنَا الذي أُغْلِقُ الأبوابَ مُجْتَهِدًا عَلَى المَعَاصِي وَعَيْنُ الله تَنْظُرُنِي
مَا أَحْلَمَ اللهَ عَنِّي حَيْثُ أَمْهَلَنِي وَقَدْ تَمَادَيْتُ فِي ذَنْبِي وَيَسْتُرُنِي
كَأَنَّنِي بَيْنَ تِلْكَ الأَهْلِ مُنْطَرِحًا عَلَى الفِرَاشِ وَأَيْدِيهِمْ تُقَلِّبُنِي
وَقَدْ أَتَوا بطَبِيْبٍ كَيْ يُعَالِجَنِي وَلَمْ أَرَ الطبيبَ اليومَ ينفعُنِي
واشْتَدَّ نَزْعِي وَصَارَ الموتُ يَجْذِبُهَا مِنْ كُلِّ عِرْقٍ بِلاَ رِفْقٍ وَلاَ هَوَنِ
كَأَنَّنِي وَحَوْلِي مَنْ يَنُوحُ وَمَنْ يَبْكِي عَلَيَّ وَيَنْعَانِي ويندُبُنِي
وَقَامَ مَنْ كَانَ أحبَّ النَّاسِ فِي عَجَلٍ نَحْوَ المُغَسِّلِ يأتِينِي يُغَسِّلُنِي
فَجَاءَنِي رجلٌ مِنْهُمْ فَجَرَّدَنِي مِنَ الثِّيَابِ وَأَعْرَانِي وأَفْرَدَنِي
وَأَوْدَعُونِي عَلَى الأَلْوَاحِ مُنْطَرِحًا وصَارَ فَوقِي خَرِيرُ الماء يُنَظِّفُنِي
وَأَسْكَبَ المَاءَ مِنْ فَوْقِي وَغَسَّلَنِي غُسْلاً ثلاثًا ونَادَى القومَ بالكَفَنِ
وحَمَّلُونِي عَلَى الأَكْتَافِ أربعةٌ مِنَ الرِّجَالِ وَخَلْفِي مَنْ يُشَيِّعُنِي
وَأَخْرَجُونِي مِنَ الدُّنْيَا فَوَا أَسَفَا عَلَى رَحِيْلٍ بِلاَ زاد يُبَلِّغنِي
وَقَدَّمُونِي إلى المحراب وانْصَرَفُوا خَلْفَ الإِمَامِ فَصَلَّى ثُمَّ وَدَّعَنِي
صَلُّوا عَلَيَّ صَلاةً لا رُكُوعَ لَهَا وَلاَ سُجُودَ لعلَّ اللَّهَ يَرْحَمُنِي
وَأَنْزَلُونِي إِلَى قَبْرِي عَلَى مَهَلٍ وقَدَّمُوا واحدًا مِنْهُمْ يُلَحِّدُنِي
فَكَشَفَ الثوبَ عَنْ وَجْهِي لِيَنْظُرَنِي فَأَسْكَبَ الدَّمعَ مِنْ عَيْنَيْهِ أَغْرَقَنِي
وَقَالَ هُلُّوا عَلَيْهِ التُّرَابَ وَاغْتَنِمُوا حُسن الثَّوَابِ مِنَ الرَّحْمَنِ ذي المنن
وَتَقَاسَمَ الأَهلُ مَالِي بَعْدَمَا انْصَرَفُوا وَصَارَ وِزْرِي عَلَى ظَهْرِي فَأَثْقَلَنِي
فَلاَ تَغُرَّنَّكَ الدُّنْيَا وَزِيْنَتُهَا وانْظُرْ إِلَى فِعْلِهَا فِي الأَهْلِ وَالْوَطَنِ

يَا نَفْسُ كُفِّي عَنِ الْعِصْيَانِ وَاغْتَنِمِي فِعْلاً جَمِيْلاً لَعَلَّ اللهَ يَرْحَمُنِي
يا نفسُ وَيْحَك تُوبِي وَاعْمَلِي حُسُنًا عَسَى تَجْزِينَ بَعْدَ الموت بِالْحُسْنِ
وَامْنُنْ عَلَيَّ بِعَفْوٍ منكَ يَا أَمَلِي فَإِنَّكَ أَنْتَ الرَّحْمَنُ ذُو المنن

❊ ❊ ❊

أَيَا مَنْ يَدَّعِي الْفَهمْ إِلَى كَمْ يَا أَخِي الْوَهْمْ
تُتْبِعُ الذَّنْبَ بِالذَّنْب وَتُخْطِي الخَطَأَ الجَمْ
أَمَا بَانَ لَكَ الْعَيبْ أَمَا أَنْذَرَكَ الشَّيبْ
وَمَا فِي نُصْحِه رَيْب أَمَا نَادَى بِكَ الموتْ
أَمَا أَسْمَعَكَ الصَّوتْ أَمَا تَخْشَى مِنَ الْفَوتْ
فَتَحْتَاطَ وَتَهْتَمّ فَكَمْ تَسْيرُ فِي السَّهو
وَتَخْتَالُ مِنَ الزَّهْو وَتَنْفَضُّ إِلَى اللَّهْو
كَأَنَّ الموْتَ مَا عَمّ كَأَنِّي بِكَ تَنْحَطّ
إِلَى اللَّحْد وَتَنْغَطّ وَقَدْ أَسْلَمَكَ الرَّهْط
إِلَى أَضيقَ مِنْ سَمْ هُنَاكَ الجِسْم ممدود
لِيَسْتَأ كلَهُ الدُّود إِلَى أَنْ يَنْخُرَ العُودْ
وَيُمْسِي العَظْمَ قَدْ رَم فَزَوِّدْ نَفْسَكَ الخَير
وَدَعْ مَا يَعْقبُ الضَّيْر وَهَيِّئْ مَرْكَبَ السَّير
وَخِفْ مِنْ لُجَّةِ اليَم بِذَا أُوصِيكَ يَا صَاح
وَقَدْ بحتك من بَاح فَطُوبَى لِفَتى رَاح
بِآدَابِ مُحَمَّد يَأْتَمّ

يَا نَفْسُ قَدْ أَزِفَ الرَّحِيلُ وَأَظَلَّكَ الْخَطْبُ الجَلِيْلُ
فَتَأَهَّبِي يَا نَفْسُ لاَ يَلْعَبْ بِكَ الأَمَلُ الطَّوِيلُ

فَلَتَنْزِلنَّ بمنزل يَنْسَى الخليلَ به الخليلُ وَلَيرْكَبَنَّ عَلَيْك فيه منَ الثَّرَى ثقْلٌ ثَقيلٌ
قُرِنَ الفَنَاءُ بِنَا جَمِيْعًا فَلاَ يَبْقَى الْعَزِيزُ وَلاَ الذَّلِيْلُ

هل من توبة؟ هل من توبة؟

وأول شرط من شروطها. . أن تقلعَ عنِ المعصيةِ. . وشرطها الثانى وركنها الأعظم. . هو الندمُ على ما فرط منك، وأن يتقطع قلبك، وأن تحترقَ أحشاؤك، وأن تقضي سائر عمرك على وجل ألاَّ يقبلك الله في الصالحين.

يا مَنْ ضيعت الصلاة. . يا من ضيعت الزكاة. . يا من حاربت منهجَ الله. . يا من حاربت دينَ الله. . يا من حاربت الأطهار والأخيار. يا من حاربت سنة المصطفى. يا من عقَقْتَ أباك. يا من عققت أمك. يا من قطعت رحمك. يا من آذيت الجيران. . يا من آذيت الأحباب. . عد إلى الله وتب إلى الله.

واندم على مافات. . واعلم بأن ربك غفور رحيم.

وشرط التوبة الثالث أن تداوم على الطاعات وأن تعاهد رب الأرض والسموات.

أسأل الله جل وعلا بأسمائه الحسنى. . وصفاته العلا. . أن يرزقنا قبل الموت توبة. . اللهم ارزقنا قبل الموت توبة. . اللهم ارزقنا قبل الموت توبة. . وعند الموت شهادة. . وبعد الموت جنة ورضوانا. . اللهم بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا. . لا تدع لأحدٍ منا في هذا الجمع المبارك ذنبا إلا غفرته. . ولا مريضاً إلا شفيته. . ولا دَيْنًا إلا أديته. .

ولاطائعا إلا ثبته. . ولا عاصياً إلا هديته. . ولا حاجة هى لك رضا ولنا فيهـا صلاح إلا قضيتهـا يارب العالمين. . اللهم اجعل جمعنا هذا جـمعاً مرحوماً. . وتفرقنا من بعده تفرقا معـصوما. . ولا تجعل اللهم فينا شقياً ولا محروماً.

اللهم اهدنا واهد بنا واجعلنا سببا لمن اهتدى.

اللهم أحفظ شبابنا واستر نساءنا.

اللهم وفق إخواننا وأبناءنا الطلاب وذلل لهم الصـعاب. . وبسر لهم الأسبـاب ،وافتح لهم الأبوابَ، وأدخل علـى أهلهم السعـادة والسرور يا تواب اللهم ارحـمنا برحمـتك فإنك بنـا راحم، ولا تعذبنا فـأنت علينا قادر، اللهم لاتعـاملنا بذنوبنا. . فأنت أهل التقوى وأهل المغـفرة، اللهم عاملنا بفضلك يا أهل الإحسان.

اللهم أنت غياثنا فبك نُغَوِّثُ. . وأنت عياذنا فبك نعوذ، اللهم أنت ملاذنا فـبك نلوذ. . يا ودود يا ودود. . يا ذا العرش المجـيد يا فـعال لما يريد. . يا من ملأ نوره أركان عرشه.

يا مغيث المسـتغيثين ويا مجيب المضطرين. يا مـفرج كرب المكروبين فـرج كرب أمـة حبـيبك المصطفى، الـلهم أعز الإسـلام والمسلمين وأعلِ بفضـلك كلمة الحق والدين،اللهم فك أسـر إخواننا المأسـورين. . اللهم اربط على قلوبنا وإياهم يا أرحم الراحمين.

اللهم احفظ نساءهم. . واحفظ بناتهم. . واحفظ أولادهم.

اللهم اقبلنا وتقبل منا وتب علينا وارحمنا . .إنك أنت التواب الرحيم.

هذا وأستغفر الله لي ولكم.

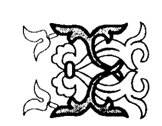
هذا وما كان من توفيق فمن الله وما كان من خطأ أو سهو أو نسيان فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء.

وأعوذ بالله أن أذكركم به وأنساه.

وأعوذ بالله أن أكون جسراً تعبرون عليه إلى الجنة ويقذف به في جهنم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *



الهجرة دروس وعبر (*)



إن الحمد لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئاتِ أعمالِنَـا، من يهده اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضللْ فلا هاديَ له، وأشهـد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه، وأشهد أن مـحمدا عـبده ورسـوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(1).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾(2).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾(3).

(*) ألقيت هذه الخطبة بمجمع الإيمان بالمنصورة بتاريخ ٣/١/١٤١٦ هـ.

(1) سورة آل عمران: ١٠٢.

(2) سورة النساء: ١.

(3) سورة الأحزاب: ٧٠، ٧١.

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ مُحدثةٍ بِدعةٌ، وكلَّ بِدعَةٍ ضلالةٌ،وكُلَّ ضَلالَةٍ في النَّارِ.

أحبتي في الله إن شـاء الله تبارك وتعالى سوف ينتظم حـديثى معكم تحت هذا العنوان في العناصر التالية:

أولا: أسف وألم.

ثانيا: ولماذا الهجرة؟

ثالثا: درس فى التخطيط والتنظيم.

رابعا: وكيف يُنسى دور الصديق.

خامسا: وللشباب دور.

وأخيرا: وقفة للتأمل.

أولا : أسفٌ وألم:

يُؤسف ويُؤلمُ كل مـسلم غيـور، أن الأمة تحـتفل مع بداية كـل عام هجرى جـديد بذكرى هجـرة المصطفي ﷺ في الوقت الذي نَحَّت فـيـه شريعته وانحرفت عن سُنَّته.

واختارت لنفسـها من المناهج الأرضية والقوانين الوضعـية.ما ينقض من الأساس زعمها الباهت أنها تكرم سيد البشرية!!

بل لقد أصـبحت السيـرةُ اليوم تعـرضُ لمجرد الإعجـاب السالب أو للدراسة النظرية الـبحتة، وكـأننا لسنا مطالبين بأن نعيش هذه السـيرة، وأن نحـوِّلها في حـياتنا إلى منهج حـياة، وإلى واقع يتـحرك في دنـيا

الناس، فيسمعُ كثيرٌ من المسلمين السيرة، وينطلق ولسان حاله يردد.. كان يا ماكان في سالف الأيام على عهد النبي عليه الصلاة والسلام.

مع أن الله جل وعلا لم يبعث محمداً ﷺ إلا ليكون قدوةً متجددةً على مر الأجيال والقرون، وإلا ليكون مثلاً أعلى لكل زمان ومكان.

فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾(1).

نعم لقد أدبه الله ورباه على عينه.. وشرح له صدره.. ورفع له ذكره ووضع عنه وزره وأعلى له قدره وزكاه فى كل شئ.

زكاه في عقله، فقال سبحانه: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ [النجم: ٢].

وزكاه في صدقه فقال سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ [النجم: ٣].

وزكاه في صدره فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١].

وزكاه في ذكره، فقال سبحانه: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤].

وزكاه في حلمه، فقال سبحانه: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وزكاه في علمه، فقال سبحانه: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم: ٥].

وزكاه في خلقه، فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خيرُ خلق الله كلهم.. فلقد جمع الله في شخص المصطفي القدوة الحية الكاملة للمنهج التربوي الإسلامي على مدار التاريخ كله.

* فهو رسول يتلقى الوحي من الله جل وعلا؛ ليربط الأرض بالسماء بأعظم رباط وأشرف صلة.

---

(١) سورة الأحزاب: ٢١.

* وهو رجل سيـاسة يقيم الأمـة من فتات مـتناثر، فإذا هي بناءٌ لا يطاوله بناء وغـيَّر مجـرى التاريخ في فتـرة لا تساوي في حـساب الزمن شيئاً.

* وهو رجلُ حربٍ يضع الخطط،ويقود الجيوش كقائد متخصص في القتال، فـكان إذا صمتت الألسنة وبلغت القلوب الحناجر قـام في الميدان ينادي بأعلى صوته:

«**أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ.. أَنَا ابْنُ عَبْدِ المطَّلِبْ**» (١).

* وهو أب، وزوج، ورب أسرة كبيرة تحتاج كثيراً من النفقات - من نفقات النفس والتربية والتوجيه فضلاً عن نفقات المال - فيقوم بهذا الدور الكبير على أعلى نسق شهدته الأرض وعرفه التاريخ.

* وهو عابد خاشع خـاضع لربه كأنه ماخُلِقَ إلا للعبـادة، وكأنه قد تفرغ لها ومع هذا كله فهو قائم على أعظم دعوة شهدتها الأرض،أخذت عقلَه وفكرَه وروحَه وعرقَه ودمَه.

كل هذه العظمات،كل هذه الطاقـات،وكل هذه الأشخاص المتـفرقة تجمعت في شخص المصطفي ﷺ.

* فـهو القـدوة ُالطيـبة ُوالمثل الأعلى الذي يـجب ألا تكون سيـرته ماضياً أبداً بل يجب أن تكـون سيرته الزكية شعلة توقدُ شـموسَ الحياة، ودماءً تتدفق في عروق المستقبل والأجيال.

---

(١) مـتفق عليـه: [ص.ج: ١٤٥١]، [مخـتصر م:١١٨٩] رواه البـخاري (٨/ ٢١، ٣٧) في المغازي، مسلم رقم (١٧٧٦) في الجهاد، والترمذي رقم (١٦٨٨) في الجهاد.

ثانيا : ولماذا الهجرة:

وللجواب على هذا السؤال قصة.

إنها قصة طفل طهور، وديع كالنسيم، ولد يتيمًا واستمر الْيُتْمُ يلاحقه ويلاحق طفولته في طرقات مكة ودروبها.

ويكبر محمدﷺ، وتكبر غربته، ويكتشف في دروب الحياة يتماً أكبر من يتمه، وهَمًّا أثقل من هَمّه.. فالأرض كلها يتم.. والبشرية كلها تئن بالألم و يعصر قلبها الحزن.

فالجزيرة العربية كلها غابة من الأصنام، وأودية تسيل بالدماء البريئة والعادات العالية والتقاليد المحيرة.

فماذا يفعل محمد ﷺ سوى أن يهجر هذه البيئة لينطلق بعيداً.. بعيداً على قمة جبل النور؛ ليقضى النهار في التأمل والتفكر والتدبر وليقضي الليل في التعبد والتبتل والتضرع.

وفى ليلة مباركة من ليالي شهر رمضان يصمت الكون كله.. النجوم فى السماء والرمال فى الصحراء.. والوحوش في البيداء.. إنها لحظات فريدة.. إنها لحظات تربط الأرض بالسماء.. فها هو أمين وحي السماء جبريل - عليه السلام - يتنزل بالوحى على رسول الله ﷺ، ويحمل النبي الأمانة، وينطلق بها إلى قومه، وينطلق بها بهجة وبشرى لهم، ينتظر الإجابة، وتأتي الإجابة على غير ما يتمنى.

تأتي الإجابة سبًا وتكذيبًا وتعذيبًا.

وتحت وطأة هذا الظلم والطغيان لم يجد النبي ﷺ بداً من أن يشير على أصحابه بالهجرة.. بالهجرة إلى أين؟ إلى الحبشة لأن بها ملكا

لا يظلم عنده أحد ولتغسل شلالات الحبشة دموعَ المؤمنين وأحزانهم.

ويشتد الأذى ويزيد الابتلاء فيخرج الحبيب المصطفي ﷺ بنفسه يشق الأودية والجبال على قدميه الداميتين المتعبتين تحت حرارة الشمس المحرقة، وعلى الرمال والصخور الملتهبة ولكن إلى أين؟!

إلى الطائف لعله يجد أرضاً تقبل بذرة التوحيد. .لعله يجد يداً حانية تحمل هذا الدين، وتنشر معه هذا النور.

وإذا بأرض الطائف هى الأخرى تلفظ بذرة التوحيد،وإذا بأهلها يفعلون معه أخس ما يفعله الإنسان بأخيه الإنسان.

ولا تزيد الأيام قريشا إلا بطشا، وظلما، وطغيانا، ويأمر النبي ﷺ أصحابه مرة أخرى بالهجرة. . إلى أين؟! إلى يثرب.

ويشعر المشركون لأول مرة بحجم الخطر ويَعقدُ البرلمان الشركي أخطر اجتماع له فى التاريخ لإصدار قرار بالإجماع للقضاء على حامل لواء الدعوة؛ لقطع تيار نورها عن الوجود نهائيا.

﴿**وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾(١).

﴿**وإذ يمكُرُ بك الذين كفروا ليُثبِتُوكَ أو يَقتُلُوكَ أو يُخرجُوكَ ويَمكُرُونَ ويمكُرُ اللَّه واللَّه خَير الماكرين**﴾(٢) ويعلم النبي ﷺ بهذا الاجتماع الخطير فماذا صنع المصطفي ﷺ؟

والجواب أنه التخطيط الدقيق، والتنظيم المحكم الذي لا يدع أبداً مكاناً للحظوظ العمياء، وهذا هو عنصرنا الثالث من عناصر هذه الخطبة.

---

(١) سورة يوسف: ٢١.

(٢) سورة الأنفال: ٣٠.

ثالثا: درس في التخطيط والتنظيم:

فلقد كُلف النبي ﷺ بالهجرة،وعمره ثلاثٌ وخمسون سنة في ظروف صعبة قاسية حتى يرى نفسه مضطراً أن يهاجر بليل مختفياً هو وصاحبه من أعين المطاردين الذين رصدوا الجوائز المغرية لمن يأتي بمحمد حياً أو ميتاً.

فيضع النبي خطة الهجرة بمنتهى الدقة والحكمة.

* فيأذن ﷺ لسائر المؤمنين بالهجرة، ويأمر أن يبقى أبو بكر وعلى رضي الله عنهما.

* والمدينة المنورة تقع إلى الشمال من مكة، والمسافر إليها يتجه شمالاً ولكنه ﷺ يتجه جنوبا ناحية اليمن ليضلل المطاردين.

* والأمر يحتاج إلى دابة قوية فيجيء الصديق براحلتين قويتين ويقوم على أمرهما .

* والطريق يحتاج إلى رجل خبير لا يعرف الطرق الممهدة فقط بل يجب أن يعرف الطرق الجانبية والفرعية التي يمكن أن تُسلك ليتمكنوا من الفرار من المطاردين، ولا حرج أن يكون على الشرك بعدما تيقن من أمانته.

* ولن تهدأ قريش فى الأيام الثلاثة الأولى- لا في الليل ولا في النهار - عن البحث عن النبي ﷺ وصاحبه. إذن فلا بد من الاختفاء فى الغار في هذه الأيام.

* وكيف تُعرف الأخبار؟! والخطط التي تدبرها قريش؟!

يأتي عبد الله بن أبي بكر بليل؛ لينقل كل ما سمع من أخبار وقبل الفجر يكون في مكة كأنه بات فيها.

* وكيف التغلب على آثار الأقدام على الرمال وأهل مكة يجيدون معرفة الآثار؟! فليأت عامر بن فهيره مولى أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - ليرعى الأغنام فتمحو الآثار ويحلب لهما اللبن، ويقدم لهما الطعام.

* وفي بيت المصطفي ﷺ ينام عليّ على فراشه، ويلتف ببرده الكريم، حيطة بالغة ودقة محكمة لم يعرف تاريخ البشرية لها مثيلاً، وهذا هو المعنى الحقيقي للتوكل على الله عزوجل.. إنه الاحترام الكامل لقانون السببية الذي أودعه الله في هذا الكون مع الثقة في نصر الله عز وجل.

ومع تقدير الإسلام لقانون السببية وتنفيذ النبي ﷺ له تنفيذاً بليغاً دقيقاً ،فأنا لا أعرف الآن أمة استهانت بقانون السببية، وخرجت عليه، واستَخفَّت بمقدماته ونتائجه كالأمة الإسلامية اليوم.

وزعمت باسم التوكل، أن كل شيء يمشي بالفوضى، والعشوائية، والدروشة فلم تجنِ إلا الذل، والضعف، والهوان، والذيلية لأخس أمم الأرض.

فنحن أولى الناس بأن نتعرف على إسلامنا وديننا، وأن نعلم أن ما نحياه من واقع مُر أليم إنما وقع وفق السنن الربانية الثابتة التي لا تتبدل ولا تتغير والتي لا تحابي أحداً من الخلق مهما ادعى لنفسه من مقدمات المحاباه.

رابعا: وكيف يُنسى دور الصديق؟

نعم كيف يُنسى رجلٌ بأمة؟..

كيف يُنسى رجل جَنَّدَ ماله وبيته وعقله وفكره ودمه لدين الله عز وجل.. ولم يتلعثم في إيمانه طرفة عين، فلقد كان الصديق طيفاً من الحنان..، وسحابة من الحب تُظِلّ رسول الله ﷺ.

وكأني به يود لو صنع من جسده درعاً يحمي به رسول الله ﷺ. فهو يمشى أمام النبي ﷺ مرة ويمشي خلفه أخرى، ويلتفت ويكثر الالتفات. فسأله النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله إذا كنت خلفك خشيتُ أن تُؤتى من أمامك، وإذا كنت أمامك خشيت أن تُؤتى من خلفك» والحديث رواه ابن هشام وهو حديث حسن بشواهده، واستمر أبو بكر في ذلك حتى لامست أقدامهما غار ثور.

بل خاف على رسول الله ﷺ أن يدخل إلى هذا الغار المهجور قبل أن يطمئن هو على سلامته فيقول لرسول الله ﷺ: مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ، فدخل فاستبرأ، أى تبين، ثم قال: انزل يا رسول الله.

يقول عمر ـ رضي الله عنه ـ:

«والذي نفسي بيده لعلك الليلة خير من عمر وآل عمر» والحديث رواه البيهقي، وهو حديث مرسل، لكن له شواهد ترقى به إلى درجة الحسن.

وتحتبس أنفاس الصديق ويطير فؤاده، وهو يرى أقدام الطغاة الماردين من قريش حول باب الغار، ويهجم الخوف والرعب من شقوق الغار من سيوف الطغاه وعيونهم التي تتطاير شرراً وإجراماً.

وفي حوار هامس يقول للحبيب المصطفي ﷺ يا رسول الله: لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لرآنا. فيرد عليه الحبيب بلغة يحدوها الآمل..، وبقلب يملأه اليقين:

«يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا»(١).

«لاَ تَحْزَنْ إِنّ اللهَ مَعَنَا».. الله أكبر.

وإذا كان الأمر كذلك فوالله لو سار مع قريش كل الأحياء..، وانشقت

(١) متفق عليه: [ص. ج: ٦١٠٩]. رواه البخاري رقم (٣٦٥٣)، ومسلم والترمذي والنسائي.

المقابر فخرج كل الأموات...، يسحبون أكفانهم خلف أبي جهل يقلبون معه حجارة الأرض...، ويزحزحون الجبال...، ويُنَقِّبون في الرمال...، ما قدروا أبداً على اثنين الله ثالثهما.

﴿ إلا تنصرُوه فقد نصره اللَّه إذ أخرجَهُ الذين كفروا ثانيَ اثنين إذ هُما في الغار إذ يقُولُ لصاحبه لا تحزن إن اللَّه معنا فأنزل اللَّه سكينَتَهُ عليه وأيَّدَهُ بجنود لم ترَوهَا وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة اللَّه هي العليا واللَّه عزيز حكيم﴾[1].

ومنْ ثَمَّ استحق الصديق بجدارة أن يتبوأ ذروة سنام الصديقين، وأن يكون أحب الناس إلى قلب سيد البشرية ﷺ.

كما في الحديث الذي رواه البخاري من حديث عمرو بن العاص قلت: يا رسول الله، أى الناس أحب إليك؟ قال: «**عَائِشَةُ**». قلت من الرجال قال: **أبوها**. قلت: ثم من؟ قال: **عمر**[2].

وفي صحيح البخاري من حديث أبو هريرة أن النبيﷺ قال:

«**مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْن في سَبِيْل اللَّه نُوديَ منْ أَبْوَاب الجَنَّة يَا عَبْدَ اللَّه هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ منْ أَهْل الصَّلاة دُعيَ منْ بَاب الصَّلاَة، وَمَنْ كَانَ منْ أَهْل الْجهَاد، دُعيَ منْ بَاب الْجهَاد، وَمَنْ كَانَ منْ أَهْل الصِّيَام دُعيَ منْ بَاب الريَّان، وَمَنْ كَانَ منْ أَهْل الصَّدَقَة دُعيَ منْ بَاب الصَّدَقَة**»[3]. قال أبو بكر: هل يدعي أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: «**نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ منْهُم**»[3].

---

(١) سورة التوبة: ٤٠.

(٢) **صحيح**: رواه البخارى رقم (٣٦٦٢) فى فضائل الصحابة.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخارى (٦/٣٦) فى الجهاد، ومسلم رقم (١٠٢٧) فى الزكاة، والنسائى (٦/٤٨) فى الجهاد.

خامسا : وللشباب دور:

نعم، فهذا عبد الله بن أبي بكر، وعامر بن فهيرة، يقومان بواجبهما على أكمل وجـه وهذا البطل الشريف والفدائي العـظيم الذي علَّم الدنيا شرف البطولة. وحقيقة الفداء.

إنه الفدائي الذي أحب الله ورسوله، وأحبه الله ورسوله. . إنه تلميذ بيت النبوة الذي تربى في حجر المصطفي ﷺ وكفي أنه أسد الله الغالب: على بن أبي طالب الذي نام في فراش النبي ﷺ وهو يعلم يقيناً أنه يقدم جسده للموت، ويبيع نفسه لله ليفتدي حبيبه رسول الله ﷺ.

والشـباب هم مسـتقبل الأمـة وعلى أكـتافـهم وسواعـدهم تتقـدم الحضارات.

من أجل ذلك فلقـد كان ﷺ شديد الحفاوة بالشـباب فهو الذي أخذ برأيهم في غزوة أحـد، وهو الذي ولَّى أسامة بن زيد قيـادة الجيش وهو الشاب الذي لم يبلغ العشرين من عمره، وجند هذا الجيش أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وخالد وعمرو بن العاص. . !!

سادسا : وللمرأة دور:

فهذه هي المجاهدة الصادقة الصابرة أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين ـ رضي الله عنهما ـ التي قدمت أروع المثل في التضحية والتعقل.

تقول أسماء: لما خرج رسول الله ﷺ وخرج معه أبو بكر وحمل ماله كله فدخل علينا جدي أبو قحافة، وقد ذهب بصره فقال: والله إنى لأراه قد فَجعكم بماله مع نـفسه فقالت: كلا يا أبت، بل ترك لنا خيـرا كثيرا، وأخذت أحجـاراً فوضعـتها حـيث كان أبي يضع المال، ووضعت عليـها

ثوبي، ثم أخذت بيده، فقلت: يا أبتى! ضع يدك على هذا المال، فوضع يده فقال: لا بأس إن كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن.

تقول أسماء: لا والله، وما ترك لنا شيئا ولكنى أردت أن أسكت هذا الشيخ بذلك. والحديث رواه ابن إسحاق وأحمد بسند صحيح.

ولا عجب فإنها الزهرة التي تربت في حقل الإسلام، ورباها الصديق بتربية القرآن والسنة.

وأخيرا: وقفة للتأمل.. سؤال هام

أيها الحبيب: لقد مضى عام من عمرك، فقربك إلى الله عاماً، وأبعدك عن الدنيا عاماً.

فهل تأملت وتدبرت هذا؟

وهل سألت نفسك: ماذا قدمت؟

فإن الإنسان يذكر القريب ولكن كلما ضرب الزمن بأيامه ولياليه..، فإن الجروح تندمل..، والمعالم تنمحى، وينشغل الإنسان بحاضره وينسى ما مضى.

ولكن..، هل ما ينساه الإنسان ينساه الديان؟؟

دَعْ عَنْكَ مَا قَدْ فَاتَ في زَمَنِ الصِّبَا ... وَاذْكُرْ ذُنُوبَكَ وَابْكِهَا يَا مُذْنِبُ
لَمْ يَنْسَهُ المَلَكَان حِينَ نَسِيْتَهُ ... بَلْ أَثْبَتَاهُ وَأَنْتَ لاهٍ تَلْعَبُ
والرُّوحُ مِنْكَ وَدِيعَةٌ أُودِعْتَهَا ... سَتَرُدُّهَا بِالرَّغْمِ مِنْكَ وَتُسْلَبُ
وَغُرُورُ دُنْيَاكَ الَّتي تَسْعَى لَهَا ... دارٌ حَقِيقَتُهَا مَتَاعٌ يَذْهَبُ
الليلُ فَاعْلَمْ والنَّهَارُ كِلاَهُمَا ... أَنْفَاسُنَا فِيهَا تُعَدُّ وَتُحْسَبُ

يَا نَفْسُ قَدْ أَزِفَ الرَّحِيلُ وأَظَلَّكَ الخَطْبُ الجَلِيلُ
فَتَأَهَّبِي يَا نَفْسُ لاَ يَلْعَبُ بِكِ الأَملُ الطَّوِيلُ
فَلَتَنْزِلِنَّ بِمَنْزِلٍ يَنْسَى الخَلِيْلُ به الخَلِيلَ
ولَيَرْكَبَنَّ عَلَيْكِ فِيهِ الثَّرَى ثِقْلٌ ثَقِيْلُ
قُرِنَ الْفَنَاءُ بِنَا جَمِيْعًا
فَلاَ يَبْقَى الْعَزِيْزُ وَلاَ الذَّلِيلُ

فهيا أيها المسلمون لدين الله ودعوة رسول الله.

فكل واحد منكم يستطيع أن يدرك ثواب الهجرة.. نعم.

ففي الحديث الصحيح عن مقبل بن يسار أن النبي ﷺ قال:

«العِبَادَةُ فِي الهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيّ»(١).

والمراد بالهرج هنا: الفتن، فالهرج: عندما تكثر الفتن وتنتشر الرذيلة وتغلب الرذيلة.

فالصبر على الدين والعبادة، ينال به التقى الصابر أجر وثواب الهجرة إلى رسول الله ﷺ.

لأن الهجرة لم تُكَرَّم لأنها سفر من مكان إلى مكان.

فما أكثر الذين يسافرون ،فالهجرة لم تكرم على أنها سفر، لكنها كُرِّمَتْ؛ لأنها انتقال عَقَدي ونفسي وفكري وروحي إلى حيث يريد الله

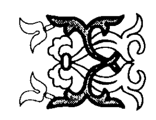
---

(١) صحيح:[ص.ج: ٤١١٩]، [مختصر م: ٢٠٤٠]، رواه مسلم رقم (٢٩٤٨) في الفتن، والترمذي رقم (٢٢٠٢) في الفتن.

ورسوله ﷺ .

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجنبنا الـفتن ما ظهر منها ومـا بطن، اللهم ارزقنا قـبل الموت توبة وعند الموت شـهادة، وبعـد الموت جنة ورضـوانا.. الـلهم اهدنا واهد بنا واجـعلـنا سـبـبـا لمن اهتدى.. الدعاء.

* * *



الصوم(*)



إن الحمد لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئاتِ أعمالِنَا، من يهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(1).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾(2).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(3).

(*) ألقيت هذه الخطبة بمسجد أم القرى بالسويس.

(1) سورة آل عمران: ١٠٢.

(2) سورة النساء: ١.

(3) سورة الأحزاب: ٧٠، ٧١.

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ مُحدثةٍ بِدعةٌ، وكلَّ بِدعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضَلالَةٍ في النَّار.

أَحبتي في الله:

لقد كان موضوع خطبتنا الماضية (وصايا رمضانية) واليوم بإذن الله وعونه وحوله وطوله وتوفيقه فإن موضوعنا اليوم هو: «من أحكام الصيام».

وسوف ينتظم حديثي مع حضراتكم في العناصر التالية:

أولا: معنى الصيام وحكمته.

ثانيا: أركان الصيام.

ثالثا: مبطلات الصيام.

رابعًا: رخص الصيام وآدابه.

وأخيرا: أخطاءٌ في الصيام.

أولاً: معنى الصيام وحكمته:

الصيام لغـةً: هو الإمساك والكفُ عن الشيء ما قال تعالى حكاية عن مريم ـ عليها السلام ـ: ﴿**إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا**﴾ [مريم:٢٦] أي: إمساكًا عن الكلام.

والصيام شرعاً: الإمساك عن جميع المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع النية، أما حكمة مشروعية الصيام: فهي كثيرة ولله الحمد.

فما من عبادة شرعها الله لعباده إلا لحكمة بالغة عَلِمَهَا من علمها وجَهِلَها من جهلها، وليس جهلُنا بحكمة شيء من العبادات دليلاً على أنه لا حكمة لها؛ بل هو دليلٌ على عجزنا نحن إدراك حكمة الله ـ

سبحانه وتعالى - القائل: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٨٥].

ومنْ ثَمَّ فإن من أعظم حكم الصيام أنه سبب للتقوى كما قال سبحانه وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(١).

والتقوى: هي وصية الله للأولين والآخرين من خلقه.

وهي كما عرفها ابن مسعود - رضي الله عنه -:

أن يطاع الله فلا يُعصى وأن يذكرَ فلا يُنْسَى..، وأن يشكرَ فلا يكفر.

وعرفها طلق بن حبيب بقوله:

التقوى: هي أن تعمل بطاعة الله على نور من الله..، ترجو ثواب الله..، وأن تترك معصية الله..، على نور من الله..، تخافُ عقابَ الله.

والصومُ من أعظم العبادات التي تهيىء النفوسَ لتقوى الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

لأن الصوم أمرٌ موكولٌ إلى نفس الصائمِ، وضميره، إذ لا رقيب عليه إلا الله.

ومن هنا قال اللَّه تعالى في الحديث القدسي: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدمَ لَهُ، إلاَّ الصَّومَ فَإِنَّهُ لي وَأَنَا أَجْزِي به،والصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثُ، ولاَ يَصْخَبْ، فَإِنْ شَاتَمَهُ أَحَدٌ، أَوْ قَاتَلَه، فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ إِنِّي صَائِمٌ وَالذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِه لَخَلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ

(١) سورة البقرة: ١٨٣.

وَللصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا، إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِه»(١).

ومن حكمه العظيمة تربيةُ النفس بكفها عن شهواتها والحدِّ من كبريائها حتى تخضع للحقِ وتلين للخلق.

ومن حِكمه البليغة. تذكيرُ الأغنياءِ الذين يرفلُون في نعم الله جل وعلا بأن لهم إخواناً لا يتضورون جوعاً في نهار رمضان فحسب بل في جميع أيام العام..!! بل ومنهم من يموت جوعاً. ومِنْ ثَمَّ يتحركُ أصحابُ القلوبِ الحيةِ والنفوسِ الأبية للبذل والإنفاق والعطاء.

أما فوائدُ الصيام الصحية فلا يجهلُها أحد.

فما أعظمَ حكمةَ الله وأبلغَها وصدق الله إذ يقول: ﴿**أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ؟ وهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِير**﴾(٢).

ثانيا: أركانُ الصيام:

الركن الأول - النية:

وهى ركن في جميع العبادات وهى عمل من أعمال القلب لقوله سبحانه: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء**﴾(٣).

ولقوله ﷺ فى الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث

(١) متفق عليه: [ص.ج: ٤٣٢٨]، [مختصر م: ٥٧١]، رواه البخاري (٤/٨٨-٩٤) فى الصوم، ومسلم رقم (١١٥١) في الصيام، وأبو داود رقم (٢٣٦٣) في الصوم، والترمذي رقم (٧٦٤) في الصوم، والنسائي (٤/١٦٢-١٦٥) في الصوم.

(٢) سورة الملك: ١٤.

(٣) سورة البينة: ٢٥.

عمر بن الخطاب: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى...» [(١)].

ويرى جمهورُ الفقهاءِ تبييت النية ليلاً في صيام الفرض لما رواه أصحابُ السنن بسند صحيح عن حفصة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «مَنْ لَمْ يُبَيِّتِ الصِّيَام مِنَ اللَّيْلِ فَلاَ صِيَامَ لَهُ»[(٢)].

وهذا خاص بصيام الفرض، أما صيامُ النوافل فلا يجب فيه تبييتُ النية من الليل، بل يجوز بنية من ليل أو نهار، إن لم يكن قد طعم شيئاً للحديث الذي رواه مسلم وغيره من حديث عائشة رضي الله عنها قالت:

دخل عليَّ النبيُ ﷺ ذات يوم فقال: «هَلْ عِنْدَكُمْ شَيءٌ». قلنا: لا، قال: «فَإِنِّي إِذًا صَائِمٌ»، ثُمَّ أَتَانَا يَومًا آخَرَ، فقلنا: يَا رَسُولَ الله أُهدي لنا حيس[(٣)]، فقال: «أَرِنيهِ فَلَقَدْ أَصْبَحْتُ صَائِمًا فَأَكَلَ»[(٤)].

وهنا سؤال: هل تكفي نيةٌ واحدة لصيام الشهر كله؟

والجواب أن العلماء قد اختلفوا في ذلك على قولين:

الأول: للمالكية حيث قالوا بأن نيةً واحدةً في أول الشهر تكفي لصيام الشهر كله.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١/ ٩/ ١)، (١٩٧/ ١٥١٥/ ٣)، وأبو داود (٢١٨٦/ ٢٨٤/ ٦)، والترمذي (١٦٩٨/ ١٠٠/ ٣)، وابن ماجة (٤٢٢٧/ ١٤١٣/ ٢)، والنسائي (٥٩/ ١).

(٢) صحيح: [الإرواء: ٩١٤]، رواه أبو داود رقم (٢٤٥٤)، وابن خزيمة رقم (١٩٣٣) فى صحيحه.

(٣) حيس: تمر يخلط بسمن وأقِط فيعجن شديداً، وربما جعل فيه سويق.

(٤) صحيح: [مختصر م: ٦٣٠]، رواه مسلم رقم (١١٥٤) في الصيام، والنسائي (٤/ ١٩٣-١٩٥) في الصوم، والترمذي رقم (٧٣٣، ٧٣٤) في الصوم، وأبو داود رقم (٢٤٥٥) في الصوم، وابن خزيمة (٢١٤١) في صحيحه.

أما القولُ الثاني وهو الراجح ـ والله تعالى أعلى وأعلم ـ وهو قولُ جمهورِ الفقهاء حيث قالوا: لابد من تبييت النية لكل يوم.

ومن رحمة الله تعالى أنه لا يشترط التلفظُ بالنية وإنما يكفي أن ينوي بقلبه. فضلاً عن أن سحوره يعتبر نية، والحمد لله على تيسيره وفضله.

هذا هو الركن الأول من أركان الصيام.

الركنُ الثانـي - الإمساك عن جـميع المفطِّرات من طلوع الفـجر إلى غروب الشمس:

لقوله سبحانه: ﴿**وَكُلُوا وَاشرَبُوا حَتَّى يَتَبيَّنَ لَكُمُ الخَيطُ الأَبيَضُ مِنَ الخَيطِ الأَسوَدِ مِنَ الفَجرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصيَّامَ إِلَى الليلِ**﴾(١).

والمرادُ بالخَـيط الأبيضِ: بياضُ النهــار. والمراد بالخيط الأســود: سوادُ الليل.

لما ورد في الصحيحين من حديث عدي بن حاتم ـ رضي الله عنه ـ:

قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿**وَكُلُوا وَاشرَبُوا حَتَّى ..**﴾ عمدت إلى عقالٍ أسود وإلى عـقالٍ أبيض فجعلتهما تحت وسـادتى فجعلت أنظر في الليلِ فلا يستبينُ لي، فلما أصبحتُ غدوتُ إلى رسول الله ﷺ فأخـبرتُه فضحك النبي ﷺ وقال: «**إِنَّ وِسَادَكَ إِذًا لَعَرِيضٌ طَوِيْلٌ إِنَّمَا هُوَ سَوَادُ اللَّيلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ**»(٢).

ولا شك أن **الركن الثالث هو الصائم** نفسُه ويشترط أن يكون مسلماً بالغاً عاقلاً قادرا على الصوم، وهذا بَيِّن للجميع بإذن الله.

---

(١) سورة البقرة: ١٨٧.

(٢) متفق عليه: [ص.ج: ٢٢٧٥] مختصر البخارى رقم (٩٣٠)،ورواه مسلم رقم (١٠٩٠) فى الصوم.

ثالثا : مبطلاتُ الصيام:

ونبدأُ بأشدها وأكبرها إثماً وهو:

أولا - الجماع:

فمتى جامع الصائمُ في نهار رمضان بَطَل صومُه ووجب عليه القضاءُ والكفارةُ المغلظة وهى:

عتقُ رقبةٍ مؤمنة. فإن لم يجد فصيامُ شهرين متتابعين لا يُفْطِرْ بينهما إلا لعذر شرعى، كأيام العيدين، أو لعذر حسىٍّ كالمرض، فإن أفطر لغير عذرٍ ولو يوماً واحداً ألزمَهُ أن يستأنف الصيام من جديدٍ مرةً أخرى ليحصل التتابع.

فإن لم يستطع فإطعامُ ستينَ مسكيناً.

واختلف الفقهاء في حكم الكفارة، هل هى على الترتيب أم على التخيير، والراجح أنها على الترتيب وهو ما ذهب إليه الجمهور.

والدليل على ذلك ما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «بينما نحنُ جلوسٌ عند النبي ﷺ إذ جاءه رجلٌ فقال: يا رسول الله هلكت. !

وفي رواية في الصحيح أيضاً قال: يا رسول الله احترقت!

فقال النبي ﷺ: مالك؟

فقال: وقعتُ على امرأتى وأنا صائم.

فقال رسولُ الله ﷺ: هل تجدُ رقبة تُعْتِقُها؟

قال: لا.

قال: فهل تستطيعُ أن تصوم شهرين متتابعين؟

قال: لا.

قال: فهل تجدُ إطعامَ ستينَ مسكينا؟

قال: لا.

قال: فمكث النبي ﷺ فبينا نحنُ على ذلك أُتي النبيُّ ﷺ بعَرَق (أى بمكْتَل) فيها تمر.

فقال النبى: أين السائل؟ وفي رواية عائشة أين المحترقُ آنفًا؟.

فقال: أنا يا رسول الله.

قال: خذ هذا فتصدق به.

فقال الرجل: على أفقرَ مني يا رسول الله؟! فوالله ما بين لابتيها (أى المدينة) أهلُ بيتٍ أفقرُ من أهل بيتي.

فضحك النبي حتى بدت أنيابُه ثم قال: أطعْمهُ أهْلَك»[1].

واختلف الفقهاء أيضاً على ثلاثة أقوال في حُكم المرأة التي يكرهها زوجُها على الجماع في نهار رمضان.

والراجح والله أعلم أن عليها القضاءَ فقط، دونَ الكفارة إذا أجبرها الزوج، ولم يثبت دليلٌ صحيح يُلزمُها بالكفارة.

ثانياً - إنزالُ المنيِّ باختياره بتقبيل أو لمس أو استمناء باليد أو غير ذلك:

لأن هذا كلَّه من الشهوة التي لا يكونُ الصومُ إلا باجتنابها كما في الحديث القدسى الذي رواه البخاري وفيه: «**يَدَعُ طَعَامَه وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي**»[2].

---

(١) متفق عليه: [الإرواء: ٩٣٩]، رواه البخاري (٤/ ١٤١ - ١٤٩و١٥١)، ومسلم (٣/ ١٣٩)، وأبو داود رقم (٢٣٩٠) وغيرهم.

(٢) صحيح: [ص.ج: ٣٨٧٧]، رواه البخاري في كتاب الصيام، وأبو داود رقم (٢٣٦٣).

* فمن أنزل منيًّا بشهوةٍ في نهار رمضان بطل صومُه، ووجب عليه القضاء فقط، إذ لم تثبت الكفارةُ إلا في الجماع فقط، ولا حجة لمن قال بخلاف ذلك. والله أعلم.

* أما الإنزالُ بالاحتلام. فلا يبطل الصوم؛ لأن الاحتلامَ بغير اختيارِ من الصائم. فإذا نام الصائمُ في نهار رمضان ثم استيقظ، فرأى أنه قد احتلم، فليغتسلْ وليتمَّ صومَه وصيامُه صحيحٌ ولا شيء عليه.

* وأما إن قَبَّلَ الصائمُ زوجته أو باشرها بدون إنزال فلا شيء عليه، وصيامه صحيح لما ورد في «الصحيحين» من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ «أن النبي ﷺ كان يُقبل وهو صائم، ويباشرُ وهو صائمٌ، ولكنه كان أمْلككم لإرْبِه»(١).

* ويبقى سؤالٌ هام متعلقٌ بهذا البحث وهو: ما حكمُ من جامع زوجته في الليل ثم نام ولم يغتسل حتى أذن الفجر؟

والجواب أن صيامَه صحيح لما رواه البخاري ومسلم عن عائشة وأم سلمة ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي كان يدركه الفجرُ وهو جنبٌ من أهله ثم يغتسل ويصوم»(٢).

ثالثاً – من مبطلات الصيام: الأكلُ والشربُ عمدا

لقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾(٣).

---

(١) متفق عليه: [الإرواء: ٩٣٤]، رواه البخاري (١/ ٤٨٠)، ومسلم (٣/ ١٣٥)، وأبو داود رقم (٢٣٨٢)، والترمذي (١/ ١٤١)، وابن ماجه (١٦٨٧) وغيرهم.

(٢) متفق عليه: [ص.ج: ٤٩٣٨].

(٣) سورة البقرة: ١٨٧.

أما من أَكَلَ أو شربَ في نهار رمضان ناسـياً فلا شيء عليه، وصومه صحـيح للحديث الذي رواه البـخاري ومسلم من حـديث أبي هريرة أن النـبي ﷺ قـال: «**مَنْ نَسِيَ وَهُوَ صَائِمٌ فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ**»(١).

رابعاً - من مبطلات الصيام القيءُ عمدا:

وهو أن يتعمد الصائمُ إفراغَ ما في معدته، فإن فعل ذلك بطل صومه ويجب عليه القضـاء، أما من غلبه القيءُ بدون رغبةٍ منه ولا اخـتيار فلا شيء عليه وليتمَّ صومَه، وصيامُه صحيح.

لما ورد في الحديث الذي رواه الترمذي وأبو داود وصححه الحاكمُ في المستـدرك وصحـحه أيضاً شـيخ الإسلام ابنُ تيـميـة في كتابه «حـقيـقة الصيام». وفيه أنه ﷺ قال: «**مَنْ ذَرَعَهُ القِيءُ وَهُوَ صَائِمٌ فَلَيْسَ عَلَيْهِ قَضَاءٌ وَمَن اسْتَقَاءَ فَلْيَقْضِ**»(٢).

خامساً - من مبطلات الصيام: الحيضُ والنفاسُ للمرأة:

فمـتى رأتِ المرأةُ دمَ الحيض أو النِّفاس بطل صـومُها، سـواءٌ كان في أول اليوم، أو في آخرِه، ولو قبل الغـروب بلحظات، ويجب عليها بعد الطُّهر أن تقضي ما فاتها من أيامها.

لما ورد في صحيح مسلم من حـديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ لـما سُئلت ما بال الحـائض تقضي الصومَ ولا تقضي الصلاة؟ فـقالت: «كان

---

(١) متـفق عليه: [الإرواء: ٩٣٨]، رواه البخـاري (١/ ٤٨١)، ومسلم (٣/ ١٦٠)، وأبو داود رقم (٢٣٩٨)، وابن ماجه (١٦٧٣) وغيرهم.

(٢) صـــحـيح: [ص.ج: ٦٢٤٣، الإرواء: ٩٣٠]، رواه أحـمــد (٢/٤٩٨)، وأبو داود (٢٣٨٠)، وغيرهم.

يُصيبنا ذلك فنؤمرُ بقضاءِ الصومِ ولا نؤمرُ بقضاءِ الصلاة»(١).

هذه هى أشهرُ المفطِّرات بإيجاز شديد.

رابعا -- من عناصر اللقاء : رُخصُ الصيام وآدابُه:

هناك رخص عـديدة امتن الله بها على عـباده دفـعاً للحـرج ورفعـاً للمشقة . . ومنها:

١- جوازُ الفطرِ في نهار رمـضان للمريض، وكذا للمـسافر الذي يشق عليه الصوم.

لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضا أو عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِن أيامٍ أُخر يُرِيدُ اللَّه بِكُم اليُسرَ ولا يُرِيدُ بِكُم العُسر﴾(٢).

٢- ومنها جوازُ استخـدام السواك في كل وقت للصائم، قبل الزوال، وبعد الزوال، وهذا هو الـقول الصحـيح إن شاء الله تعالى. واسـتدلالُ بعضِ أهل العلم بعدم الجواز بعـد الزوال بحديث علي - رضي الله عنه - مرفوعا: «إذا صمـتم فاستاكوا بالغداة ولا تستاكـوا بالعشي» فهو حديث رواه البيهقى والدارقطنى وهو حديث ضعيف جدا(٣).

فالسواك مشروع للصائم في كل وقت وبخاصة في المواضع التي ورد النصُّ بذكرها وهى ستة:

١- عند الصلاة.

---

(١) متفق عليه: رواه مسلم (٣٣٥/ ٢٦٥/ ١) وهذا لفظه، والبخـاري (٣٢١/ ٤٢١/ ١)، والترمذي (١٣٠/ ٨٧/ ١)، وأبو داود (٢٥٩/ ٤٤٤/ ١)، وابن ماجه (٦٣١/ ٢٠٧/ ١).

(٢) سورة البقرة: ١٨٥.

(٣) انظر السلسلة الضعيفة: ٤٠١

٢- وعند الوضوء.

٣- وعند دخول المنزل.

٤- وعند الاستيقاظ من النوم.

٥- وعند قراءة القرآن.

٦- وعند تغير رائحة الفم.

٣- ومن الرخص أيضاً المضمضةُ والاستنشاق بدون مبالغة. خشية أن يصل شيء من الماء إلى الحلق، فيَبطُلُ صـومه بذلك. للحديث الذي رواه الترمذي والنسائي وأبو داود وأحمد من حديث لقيط بن صبرة أن النبي ﷺ قال له: «**وَبَالِغْ فِي المَضْمَضَةِ وَالاسْتِنْشَاقِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ صَائِمًا**»(١).

٤- ومن الرخص أنه يجـوز للمـرأة أن تتـذوق الطعـام أثناء الطهي بشرط ألا يصل إلى جوفها.

٥- ومن الرخص أنه يجوز للصـائم أن يخفف عن نفسـه شدة الحر والعطش بالاغتسـال والتبـرد بالماء، لما ورد في الحديث الصـحيح عن أبي بكر بن عبد الرحـمن عن بعض أصحاب النبي ﷺ قـال: «**رَأَيْتُ النَّبِيَّ يَصُبُّ المَاءَ عَلَى رَأْسِهِ وَهُوَ صَائِمٌ مِنَ العَطَشِ أَوْ مِنَ الحَرِّ**»(٢).

٦- ومن الرخص أيضا أنه يـجوز للصائم إن احـتاج أن يضع الدواء في أذنه أو عينه، حـتى ولو وجد طعمـه في حلقه، لأن ذلك ليس بأكل ولا شرب ولا بمعنى الأكل والشرب كما قـال شيخ الإسلام ابن تيمية -

(١) صحيح: [ص.د: ١٢٩، ١٣٠]، رواه أبو داود رقم (١٤٢، ١٤٣، ١٤٤) في الطهارة، والترمذي رقم (٣٨) في الطهارة، والنسائي (١/ ٦٦)، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٣)، والحاكم (١/ ١٤٧، ١٤٨).

(٢) صحيح: [ص.د: ٢٠٧٢]، رواه أبو داود رقم (٢٣٤٨).

رحمه الله تعالى ـ.

وكذا يرخص للصائم إن كان مريضاً بالربو، أن يستخدم البخاخ في حال أزمة في التنفس وليتم صومه، وصيامُه صحيح لأن هذا البخاخ ليس أكلاً ولا شرباً، ولا هو بمعنى الأكلِ والشرب أيضاً ولله الحمد والمنة.

أما آداب الصيام فمنها:

١- السحور لقوله ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم: «**تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السُّحُورِ بَرَكَةً**»(١).

ويتحقق السحور بقليل الطعام ولو بجرعة ماء، والمستحب تأخيره لما ورد في الصحيحين من حديث أنس، عن زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ قال: تسحرنا مع رسول الله ﷺ ثم قمنا إلى الصلاة. قلتُ (أي أنس) كم كان بين الأذان والسحور؟ قال: «**قَدْرُ خَمْسِينَ آيَةً**»(٢).

٢- ومنها تعجيلُ الفطر لحديث سهل بن سعدٍ في «الصحيحين» أن النبي ﷺ قال: «**لاَ يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الفِطْرَ**»(٣).

ومن السنة أن يكون على رطب فإن لم يجد فعلى تمر فإن لم يجد فعلى الماء.

٣- ومن آدابه الدعاء عند الإفطار، فإن دعوة الصائم، لا ترد ومن

(١) متفق عليه: [ص.ج: ٢٩٤٣]، [مختصرم م: ٥٨]، رواه البخاري (١٩٢٣/١٣٩/٤)، ومسلم (١٠٩٥/٧٧/٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٢١/١٣٨/٤)، ومسلم (١٠٩٧/٧٧١/٢)، والترمذي (٦٩٩/١٠٤/٢)، والنسائي (١٤٣/٤).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٥٧/١٩٨/٤)، ومسلم (١٠٩٨/٧٧١/٢)، والترمذي (٦٩٥/١٠٣/٢).

أحسن ما ثبت عنه ﷺ ما رواه أبو داود من حديث ابن عمر بسند حسن أنه ﷺ كان إذا أفطر يقول: «**ذَهَبَ الظَّمَأُ وابْتَلَّت العُرُوقُ وَثَبَتَ الأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ**»(١).

٤- ومن آداب الصيام الواجبة تركُ الغيبة والنميمة وقول الزور فإذا صامت بطنك أيها الحبيب عن الطعام والشراب فلتصم جميعُ جوارحك عن جميع المعاصي والآثام.

أسأل الله جل وعلا أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وأخيراً .. أخطاءٌ في الصيام.

لا ريب أن الصائمين من خير عباد الله تعالى، لكنْ هناك بعضُ الأخطاء يقع فيها أيضاً بعضُ الصائمين ومنها:

١- أن منهم من يقبل على العبادة في أول رمضان إقبالاً طيباً فيحافظ على الصلاة مع الجماعة، ويحرص على قراءة القرآن، وإكثار الذكر، والاستغفار، ويحرص على صلاة التراويح، فإذا انقضت الأيام الأولى، تكاسل، وانشغل، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فتذكر أيها الحبيب قول النبي ﷺ: «**أَحَبُّ الأَعْمَال إِلَى اللَّه أَدْوَمُهَا وإِنْ قَلَّ**»(٢).

واذكر قوله: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيم**»(٣).

٢- ومن الأخطاء الكبيرة التي يقع فيها بعض الصائمين القسوة والفظاظة والغلظة، وسوءُ التعامل مع الموظفين أو الآخرين، بحجة أنهم

---

(١) حسن: [ص.د: ٢٠٦٦]، رواه أبو داود رقم (٢٣٥٧) في الصوم.

(٢) متفق عليه: [ص.ج: ١٦٣]، رواه البخاري، ومسلم رقم (٧٨٣) في الصلاة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١١/٤٣٦) في القدر، وفي الجهاد، وفي المغازى، وفي الرقاق، ومسلم رقم (١١٢) في الإيمان من حديث سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه.

صائمون. وهل الصوم يأمرك بالتصرفات المتشنجة؟ أو يحثك على استعمال الألفاظ النابية؟ أو يحضك على القسوة والفظاظة والغلظة؟

هيهات.. هيهات.

إن الصوم مدرسةٌ للتربية على كل فضيلة وخلق.

واذكر دوماً وصية النبي ﷺ في الصحيحين: «**وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ فَإِذَا كَانَ يَوْم صُوْمِ أَحَدكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ فَإِنْ شَاتَمَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ.. إِنِّي صَائِمٌ**»(١).

٣- ومن الأخطاء التى يقع فيها بعضُ الصائمين أيضا أنهم يتخذون رمضان فرصة للنوم والكسل والخمول، فترى أحدهم ينام النهار كله وقد يضيع الصلاة والعياذ بالله ثم يسهر الليل. وقد يحتج أحدهم بحديث (نوم الصائم عبادة) وهو حديث ضعيف(٢).

٤- ومن الأخطاء الكبيرة التوسعُ الملفت في المآكل والمشارب والتخلص من الكميات الكبيرة الفائضة بإلقائها في سلة المهملات، وهذا إسراف محرم وهذا بلا شك يناقض الحكمة من مشروعية الصيام أصلاً.

ورحم الله من قال: «إنكم تأكلون الأرطال، وتشربون الأسطال، وتنامون الليل ولو طال، وتزعمون أنكم أبطال؟!».

فالمقصود الاعتدالُ وإلا فنحن لا نحرّمُ طيبات ما أحل اللهُ لعباده.

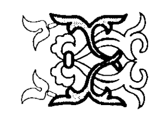
نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يتقبل الله منا صيامنا، وقيامنا، وصلاتنا، وزكاتنا، إنه ولي ذلك ومولاه... الدعاء.

* * *

---

(١) تقدم ص ٧٢.

(٢) انظر السلسلة الضعيفة للألباني: ٤٦٩٦.



الابتــــلاء(*)



إن الحمد لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئاتِ أعمالِنَـا، من يهدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضللْ فلا هاديَ له، وأشهـد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه، وأشهد أن مـحمداً عـبده ورسـوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَـنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَـمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَـا وَبَـثَّ مِنْهُمَا رِجَـالاً كَثِيـراً وَنِسَاءً وَاتَّقُـوا اللَّهَ الَّذِي تَـسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾(٢).

﴿يَا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُـولُوا قَوْلاً سَـدِيدًا * يُـصْلِـحْ لَكُـمْ أَعْـمَالَكُـمْ وَيَغْـفِرْ لَكُـــمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُـولَهُ فَقَـدْ فَـازَ فَـوْزًا عَظِيمًا﴾(٣).

(*) ألقيت هذه الخطبة بساحة مسجد النبي موسى - السويس.

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٠، ٧١.

أما بعد: فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ مُحدثةٍ بِدعةٌ، وكلَّ بِدعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضَلالَة في النَّار.

﴿الم ① أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ② وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾(١).

والفتن التي يتعرض لها أهل الإيمان كثيرة:

* ومن بين هذه الفتن أن يتعرض المؤمن للأذى والاضطهاد من الباطل وأهله، ثم لا يجد النصير الذي يسانده ويدفع عنه الأذى، ولا يملك لنفسه النصرة أو المنعة ولا يجد القوة التي يواجه بها الطغيان، وهذه هي أبرز الصور التي تقفز للأذهان إذا ما ذكرت الفتن التي يتعرض لها أهلُ الإيمان وبالرغم من ذلك فإن هناك من الفتن التى يتعرض لها أهل الإيمان ما هو أَمَرُّ وأدهى من ذلك!!

* فهناك فتنة الأهل والأولاد والأحباء الذين يخشى أن يصيبهم الأذى بسببه، وقد يهتفون به ويتوسلون إليه، وينادونه باسم الحب والقرابة أن يسالم أو يستسلم في الوقت الذي لا يملك عنهم دفعاً وهذه من أشد الفتن.

وقد تزداد الفتنة إذا وقع بهم الأذى والابتلاء أمام عينه وبين يديه وهو لا يستطيع أن يدفع عنهم أذى أو يرد عنهم سوءًا.

* وهناك فتنة أخرى خطيرة، إنها فتنة إقبال الدنيا على المبطلين والعاصين والمذنبين والظالمين ورؤية الناس لهم ناجحين مرموقين تهتف لهم

(١) سورة العنكبوت: ١-٣.

الدنيا وتصفق لهـم الجماهير، وتتحطم فى طريقـهم العوائق، وتذلل لهم الصعاب، وتفتح لهم الأبواب وتهيىء لهم الأسباب.

تصاغ لهم الأمجاد، وتصفو لهم الحياة، والمؤمن مُهملٌ منكر لا يحس به أحـدٌ، ولا يدافع عنه أحـد، ولا يشعـر بقيـمـة الحق الذى معـه إلا القليلون من أمثاله الذين لا يملكون من أمر الحياة شيئاً.

* وهناك فتنة الغربة في هذا الدين. متى ينظر المؤمن فيرى معظم ما حوله ومَنْ حـوله غارقاً في تيـار الضلالة والشـهوات والشبـهات، وهو وحده غريب طريدٌ شريد.

* وهناك فتنة نراها بارزة في هذه الأيام ألا وهى: أن المؤمن يجد أمماً ودولاً غـارقة في الرذيلة والمعـصـية وبالرغم من ذلـك فإنهـا راقيـة في مجتمعهـا متحضرة في حياتها، ويجد الفرد فيـها من الرعاية والحماية ما يليق به كإنسان!!!

* وهناك الفـتنة الكبـرى فـتنة النفس والشـهوة، وجـاذبيـة الأرض والطين، وصعوبة الاستقامة على صراط الله المستقيم.

كل هذه فتن. فـإذا طال الأمد وأبطأ نـصر الله، كـانت الفتنة أشـد وأقصى، وكان الابتلاء أشد وأعنف، ولن يثبت إلا من عصمه الله عز وجل.

فمـا هى الحكمة من كل هذه الفـتن والابتلاءات التي يبتـلي الله بها المؤمنين؟! فى الوقت الذى ينتشي[1] فيه الظالمون ويبغي فيه المبطلون.

حاشا لله: أن يعذب المؤمـنين بالابتلاء وأن يؤذيهم بالفتن كلا ولكن الإعداد الحقـيقى لتحمل الأمانة الكبـرى، والمسئولية العظمى، والعـقيدة العليـا، لأنهـا في حـاجـة إلى إعـداد خـاص لا يتم إلا بالمعـاناة، وإلا

(١) ينتشي: يسكر [لسان العرب في (نشا)].

بالاستعلاء الحقيقى على الشهوات، وإلا بالصبر الحقيقي على الآلام، وإلا بالثقة الحقيقية في نصر الله أو فى ثوابه على الرغم من طول الفتنة وشدة الابتلاء.

فكما تفتن النار الذهب لتفصل بينه وبين العناصر الرخيصة العالقة به، كذلك تصنع الفتن بالنفوس تصهرها فتنفى عنها الخبث.

وَحَسْبُ المؤمنين الذين تصيبهم الفتنة، ويقع عليهم البلاء حسبهم أن يكونوا هم المختارون من الله؛ ليكونوا أمناء على حق الله وعلى دين الله عز وجل.

وأن يشهد الله لهم بأن في دينهم صلابة. وفي عقيدتهم قوة فهو سبحانه يختارهم للابتلاء. فإنه كما قال المصطفى ﷺ:

«أَشَدُّ النَّاس بَلاءً الأَنْبياءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الرجلُ عَلَى حَسَبِ دينه، فَإِنْ كَانَ في دينه صَلاَبَةٌ، اشْتَدَّ بَلاَؤُه، وَإِنْ كَانَ في دينه رقة ابتُلي عَلَى قَدْرِ دينه، فَمَا يَبْرَحُ البَلاء بالعَبدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ وَمَا عَلَيْه خَطِيئَةٌ»(١).

ويقول المصطفى ﷺ: «أَشَدُّ النَّاس بَلاءً الأَنْبيَاءُ، ثُمَّ الصَّالحُونَ، لَقَدْ كَانَ أَحَدهُم يُبْتَلَى بالفقر حَتَّى مَا يَجدُ إلاَّ العَبَاءَةَ يَجُوبُهَا(٢)، فَيَلْبَسُهَا، ويُبْتَلَى بالقُمل، حَتَّى يَقْتُلهُ، وَلأَحَدهُمْ كَانَ أَشَدَّ فَرَحًا بالبلاء منْ أَحَدكُمْ بالعَطَاء»(٣).

* قال ابن القيم - رحمه الله -:

إن الله سبحانه وتعالى اقتضت حكمته أنه لابد أن يمتحن النفوس

---

(١) صحيح: [ص.ج: ٩٩٢]، [المشكاة: ١٥٦٢]، [الصحيحة: ١٤٣] من حديث سعد.

(٢) يجوبها: أى يقطع وسطها ليلبسها.

(٣) صحيح: [الصحيحة: ١٤٤]، [ص.ج: ٩٩٥] رواه البيهقي وأبو يعلى والحاكم من حديث أبي سعيد.

ويبتليها، فيظهر بالامتحان طيِّبُهَا من خبيثها، ومن يصلح لموالاته وكرامته ومن لا يصلح، وليمحص النفوس التى تصلح له ويخلصها بكير الامتحان كالذهب الذي لا يخلص ولا يصــفو من غشه إلا بالامتــحان، إذ النفس في الأصل جاهلة ظـالمة، وقد حصل لهـا بالجهل والظلم من الخـبث ما يحتاج خروجه إلى السبك والتـصفية، فإن خرج فى هذه الدار وإلا ففى كير جهنم، فإذا هذب العبد ونُقى أُذن له فى دخول الجنة»(١).

وليس أحدٌ أغير عـلى الحق وأهله من الله.. ولكنها سنة الله الجارية لامتحان القلوب وتمحيص الصفوف.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾(٢).

فما الذي لاقاه نوح ـ عليه السلام ـ؟، وما الذي لاقاه إبراهيم؟، وما الذى لاقاه موسى؟، وما الذى لاقاه عيـسى؟، وما الذى لاقاه محمد ﷺ؟ وهم أطهـر الناس وأشرف الناس، اصـطفاهم الله عـز وجل واختـارهم وأحبهم إلى الله وأقربهم إلى الله هو حبيبه ومصطفاه محمد ﷺ.

فلقد ورد في «صحـيح البخاري» أن النبي ﷺ قام يومـا يصلى فى حجر الكعبـة فأقبل عقبة بن أبى معيط فـوضع ثوبه في عنق النبي فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر حـتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ وهـو يقول: «أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله»(٣).

وورد فى البخارى أيضاً أن هذا الفاجر عـقبة بن أبي معيط جاء يوما

---

(١) زاد المعاد لابن القيم (٣/١٨) ط. الرسالة بتحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط.

(٢) سورة العنكبوت: ٣.

(٣) صحيح: رواه البخاري في مناقب الأنصار (٧/٢٠٣).

على رسول الله ﷺ بسلى جزور فقذفه على ظهر النبى ﷺ وهو ساجد فلم يرفع رسول الله ﷺ رأسه حتى جاءت فاطمة ـ رضى الله عنها فرفعته عن ظهر المصطفى ﷺ فرفع رأسه ثم قال: «**اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ**» ثلاث مرات(١).

وتعلمون ما الذي حدث له بالطائف فضلاً عن وصفهم له بالسحر والجنون واتهموه فى شرفه وعرضه. ها هو ذا رسول الله ﷺ وهو في الذروة من بنى هاشم، ها هو ذا يرمى في بيته وفي من؟! في عائشة التى أحبها من قلبه. ها هو ذا يُرمى في طهارة فراشه وهو الطاهر الذى تفيض منه الطهارة. وها هو ذا يرمى في صيانة حرمته وهو القائم على صيانة الحرمات في أمته. إنها أشد فتنة على الإطلاق تعرض لها رسول الله ﷺ وهو الحبيب عند ربه جل وعلا. بل أظنها أضخم المعارك التى خاضها رسول الله ﷺ.

إنها الفتن والابتلاءات ولقد ورد أيضا في «صحيح البخاري» عن خباب بن الأرت ـ رضى الله عنه ـ قال: أتيت النبي ﷺ وهو متوسد بردة فى ظل الكعبة ـ ولقد لقينا من المشركين شدة ـ فقلت: يا رسول الله ألا تدعوا الله لنا، ألا تستنصر لنا، فقعد وهو مُحمرٌ وجهه فقال: «**لَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ مِنَ الحَدِيدِ مَا دُونَ عَظْمِه مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِه، وَلَيُتِمَنَّ اللهُ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الراكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ**

(١) صحيح: رواه البخاري فى الوضوء، ومسلم في الجهاد والسير، والسلى: هي الجلدة التي تكون فيها الولد يقال لها ذلك من البهائم، وأما من الآدميات فالمشيمة.

إِلَى حَضْرَموتَ لاَ يَخَافُ إِلاَّ اللَّهَ»[(١)].

وإذا كانت هذه الاعتداءات على النبي ﷺ وله من الجلال والوقار في نفوس العامة والخاصة فكيف بالصحـابة الكرام، لا سيما الضعفاء منهم، فأنتم تعلمون مـا الذي كان يُفعل ببلال وخباب وآل ياسـر وصهيب وابن مسعود وغيرهم ممن قالوا: لا إله إلا الله.

فضربوا لنا أروع الأمثلة فى الصبر على البـلاء والتضحية لهذا الدين حتى ولو كانت بالأرواح والأبدان.

فلقـــد كـان الدين عندهم أغـلى من أي شيء حـتى مـن أرواحـهم وأولادهم وأزواجهم وأموالهم.

ولذلك أيدهم الله بنصره كما نصر المؤمنين من قبلهم وينصر الموحدين من بعدهم.. وتكون العـاقبة على من عـاداهم، وانظر كيف كان عاقـبة المجرمين..!!

* فأين فـرعون الذى قـال لقومـه: ما علمت لكم من إله غـيري؟ والذي قال لقـومه :أنا ربكم الأعلى والذى قال: يـا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتي؟ فأجراها الله من فوقه!

* وأين هامان؟ وأين قارون؟ وأين عاد؟ وأين ثمود؟

﴿فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[(٢)].

---

(١) صحيح: رواه البخاري في مناقب الأنصار، وأحمد (٥/١٠٩).

(٢) سورة العنكبوت: ٤٠.

وصدق من قال:

أَينَ الظَّالمونَ وَأَينَ التَّابِعُونَ لَهم ... في الْغَيِّ بَلْ أَيْنَ فِرْعَون وَهَامَان؟
وَأَين مَنْ دَوَّخُوا الدُّنْيَا بسَطْوَتِهمْ ... وَذِكْرُهُم في الورَى ظُلْمٌ وَطُغْيَانُ؟
أَيْنَ الجَبَابرَةُ الطَّاغُونَ وَيْحَهُمُوا؟ ... وَأَيْنَ مَنْ غَرَّهُمْ لَهْوٌ وَسلْطَانُ؟
هَلْ أَبْقَى الموتُ ذَا عِزٍ لِعِزَّته؟ ... أَوْ هَلْ نَجَا مِنْهُ بالأَمْوَال إنْسَانُ؟
لاَ وَالَّذي خَلَقَ الأَكْوَانَ مِنْ عَدَمٍ ... الْكُلُّ يَفْنَى فَلاَ إنْسٌ ولاَ جَان

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[1].

فمهلاً أيها الظالمون.. محال أن يموت المظلومون ويبقى الظالمون.. فاعملوا ما شئتم إنا عاملون، وجوروا فإنا بالله مستجيرون واظلموا فإنا إلى الله متظلمون ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[2].

أَيُّهَا المَظْلُومُ صَبْرًا لاَ تَهِنْ ... إنَّ عَينَ اللـه يَقْظَى لاَ تَنَامْ
نَمْ قَرِيْرَ العين واهْنَأ خَاطِرًا ... فَعَدْلُ الله دائمٌ بَيْنَ الأَنَامْ
وَإنْ أَمْهَلَ اللهُ يومًا ظالمًا ... فَإنَّ أَخْذَهُ شَدِيدٌ ذُو انْتِقَامْ

أيها الظالمون:

«اتَّقُوا دَعْوَةَ المظْلُوم فَلَيْس بَيْنَهَا وَبَيْنَ الله حجَابٌ يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الغمَام وَيَقُولُ لَهَا: وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي لأَنْصُرَنَّك وَلَوْ بَعْدَ حِيْنٍ»[3].

---

(١) سورة الفجر: ٦-١٤.

(٢) سورة الشعراء: ٢٢٧.

(٣) صحيح: [ص.ج: ١١٨، الصحيحة: ٨٧٠] رواه الحاكم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

احذر من المظلوم سهماً صائباً واعلم بأن دعاءه لا يحجب.

وَلاَ تَظْلمَنَّ إذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدرًا فَالظُّلْمُ تَرْجعُ عُقْبَاهُ إلَى النَّدَم

تَنَــامُ عَيْنَاكَ والمَظْلُــومُ مُنْتَبِـهٌ يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ الله لَمْ تَنَم

وتبقى لى نصيحة أخيرة لجميع المسلمين:

فيا أيها المسلمون: إن كان الشيوخ عقول الأمة التي تفكر فإن الشباب هم سواعدها التى تبنى وتعمر ،وهل يمكن لعقل أن يأتى مجرداً لا يمشى على رجلين، ولا يقوى بساعدين؟!.

إن الشـباب هم مسـتـقبل الأمـة وعلى أكتـافهم وسـواعدهم تقـوم الحضارات من أجل ذلك فلقـد كان الرسول ﷺ شديد الحفـاوة بالشباب فهو الذى أخذ برأيهم في غزوة أحد، وهو الذي ولى أسامة بن زيد قيادة الجيش وهو الشاب الذى لم يبلغ العشـرين من عمره، وجُند هذا الجيش أبو بكر وعـمر وعـثمـان وعلى وخالد وعـمرو بن العـاص!! وإلى أي الجهات كانت وجهة الجيش؟! إلى الروم؟! ليناطح الصخور الصماء.

هكذا ينبغى أن يـعامل الشبـاب؛ لأنه في حاجة إلى توجـيه من أبوة حانية أو من أخوة صادقة... إنه فـي حاجة إلى محاورة.. إلى حديث العقل والروح إنه في حاجة إلى أن تحترم عقولهم وأن تصان آدميتهم وأن يقدر فكرهم.. فهم أبناؤنا وإخواننا وأحبابنا.

* أمـا أنتم أيها الشـبـاب فتـمـسكوا بدينكم، واعـتزوا بإسـلامكم وتوحيدكم وتخلقوا بأخلاق نبيكم، وادعوا الناس إلى هذا الدين بالحكمة والموعظة الحـسنة فإن العنف يهـدم ولا يبني وإن الشدة تفسـد ولا تصلح ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَـضُّـوا مِنْ حَـوْلِكَ فَـاعْفُ عَنْهُمْ

وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾(١).

أيها الشباب دعوا الفرقة بينكم، ووحدوا صفوفكم، ولا تختلفوا فيما بينكم فتختلف قلوبكم، واتركوا الألقاب والشعارات، وتجردوا من كل الأسماء والمسميات، واخفضوا جميع الرايات، والشعارات، إلا راية التوحيد لرب الأرض والسموات.

اتحدوا فإن في اتحادكم عزاً ورفعة. ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(٢).

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن ينصر الإسلام، ويعز المسلمين وأن يوحد كلمة المسلمين بمنك وكرمك يا أكرم الأكرمين... الدعاء.

---

(١) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٢) سورة آل عمران: ١٠٣-١٠٧.



الحمـد لله الذى نور بكتابه القلوب.. وأنزله في أوجز لفظ وأعـجز أسلوب.. فأعيت بلاغتُه البلغاء..

وأعجزت حكمتُه الحكماء.. وأبكمت فصاحته الخطباء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهـد أن محمداً عـبده ورسوله وصفـيه من خلقه وخليله البشـير النذير.. السراجُ المزهر المـنير.. خيرُ الأنبـياء مقـاماً.. وأحسنُ الأنبـياء كلاماً.

رافع الإصر والأغلال.

والداعي إلى خير الأقوال وأحسن الأعمال.

أرسله الله عز وجل والناسُ صنفان:

مغضوب عليهم جفاة.. وضالون غُلاة.

فجاء بالدين الـوسط..، وحذر من الزيغ والشطط..، وتركنا على المحجة البيضاء ليلُها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

فاللهم اجزه عنا خير ما جزيـت به نبياً عن أمته، ورسولاً عن دعوته ورسالته وصلِّ اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

(*) ألقيت هذه الخطبة بمسجد الراجحي - القصيم - المملكة العربية السعودية.

وبعد.. فحيا الله هذه الوجوه الطيبة المشرقة، وزكّى الله هذه الأنفس، وشرح الله هذه الصدور، وأسأل الله أن يتقبل منا وإياكم صالح الأعمال، وأن يجمعنا وإياكم في الدنيا على طاعته وفي الآخرة في جنته ودار كرامته.

أحبتي في الله:

وهذا هو لقاؤنا الثاني مع هذا الموضوع الكريم.. وأود أن أوضح في البداية أن كلمة رحلة ليست بمعنى النزهة أو الفسحة، وإنما الرِّحْلة والرُّحْلة والتَّرحلُ، والارتحال بمعنى: الانتقالِ والمسير، يُقال: دَنَتْ رحلتنا ورحل فلان وارتحل بمعنى سار ورجل وحول، وقومٌ رُحّلٌ أى: يرتحلون كثيراً. وفي حديث ابن مسعود: إنما هو رَحْل أو سَرج فرَحْلٌ إلى بيت الله وسَرجٌ في سبيل الله يريد أن الإبل تُركب فى الحج والخيلُ تركب في الجهاد.

وإنما أردت أن أبين ذلك؛ لأن بعض الأحبة قد ظن أن الرحلة بمعنى النزهة والفسحة ورأى أنها لا تليق بحج بيت الله الحرام، فأردت التوضيح والبيان ومِنْ ثَمَّ فتعالوا بنا لنرحل سويًّا على جناح السرعة لنعيش مع الحبيب المصطفي ﷺ في حجته الوحيدة والتي تُسمى بحجة الوداع.

وقد ورد فيها حديثٌ طويل عظيم، يشتمل على كثير من الفوائد والنفائس والقواعد الفقهية الجليلة، حتى صنف فيه الإمامُ أبو بكر بنُ المنذر جزءاً كبيراً وخرج منه ما يزيدُ على مائة وخمسين مسألة من مسائل الفقه وتعقبه الإمام النووي فقال: ولو تقصى لزاد على هذا القدر من المسائل ما يساويه.

وهذا الحديث العظيم الجليل من أفراد مسلم أى: رواه الإمام مسلم

في صحيحه من حديث جـابر بن عبد الله، ولم يروه الإمام البخاري في صحيحه والحديث: عن جعفـر بن محمد عن أبيه قال: دخلنا على جابر ابن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ فسأل عن القوم حتى انتهى إليَّ فقلت: أنا محمـد بنُ على بن حسين... فقال جابر: مـرحبًا بك يا بن أخي، سلْ عما شئت.

قال محمـد بنُ على بنِ الحسين، فسألته وهو أعمى فـقلت: أخبرنى عن حجةِ رسول الله ﷺ...

فقال جابر: إن رسول الله ﷺ مكث تسع سنين لم يَحُجَّ ثم أذن في الناس فى العاشرة أن رسول الله ﷺ حاج.

وقد استدل بعضُ أهلِ العلم بـهذا على جواز التراخى في الحج لأن الرسول ﷺ فُرض عليه الحج سنة تسع عند أكثر أهل العلم من المحققين وأخره الـنبي إلى السنة العاشـرة ولكن النبيَّ ﷺ أخـره لعذر لأنه كـره الاختلاط في الحج بأهـل الشرك؛ لأنهم كانوا يحجون ويطـوفون بالبيت وهم عُراة فلما طهـر الله البيت الحرام منهم حج النبي ﷺ.. ولذا فـمن يسر الله له النفقة والاستطاعة وجب عليه الحج فوراً لقول النبي ﷺ فـي الحديث الذي رواه أحمـد وهو حديث حسن: «**تَعَـجَّـلُوا الْحَجَّ** (يَعْـنِي: الفَرِيْضَةَ) **فَإِن أَحَدَكُمْ لاَ يَدْرِي مَا يَعْرِضُ لَهُ**».

يقول جـابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهـما ـ: ثم أذن في الناس في السنة العاشرة أن رسول الله حَاجٌ فقـدم المدينة بشرٌ كثير كلهم يلتَمِسُ أن يأتم برسول الله ﷺ ويعملَ مثلَ عمله.

يقول جابر: فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحُليفة.

* وذو الحُليفة ميقاتُ أهل المدينة والذي يُسمَّى اليوم (بأبيار على).

* والميقاتُ الثاني هو الجُحفة وتعرف الآن (برابغ) وهى ميقاتٌ لأهل الشام ومصر ومن مر بها.

* والميقات الثالث هو قرنُ المنازل ويُعرف الآن (بالسيل الكبير) وهو ميقاتٌ لأهل نجد والطائف ومن مر به.

* والميقات الرابع هو يَلَمْلَم ويعرف الآن (بالسعدية) وهو ميقاتٌ لأهل اليمن ومن مر به.

هذه هي المواقيتُ المكانية لمن أراد الحج أو العمرة ،فيجب عليه أن يحرم منها أو بمجازاتها، ومن تجاوزها بدون إحرام فعليه دمُ جبران وهو قولُ جمهورِ أهل العلم.

يقول جابر: فخرجنا مع رسول الله ﷺ حتى أتينا ذا الحليفة فولدت أسماءُ بنت عُمَيْسٍ محمدَ بنَ أبي بكر، فأرسلت إلى رسول الله ﷺكيف أصنع؟ قال: اغتسلي واستثري بثوب وأحرمي.

وفي هذا دليل على استحباب الغسل للحائض والنُّفساء وهو قولَ الجمهور وفيه أيضاً صحةُ إحرام الحائض والنفساء، وأن عليها أن تفعل كل ما يفعله الحاجُّ غير أنها لا تطوف بالبيت.

وفي الصحيح عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها حاضت قبل أداء مناسك العمرة فأمرها النبي أن تحرم بالحج غير أن لا تطوف بالبيت حتى تطهر وأن تفعل ما يفعله الحاج.

أما إن جاء الحيضُ بعد طواف الإفاضة والسعي وقبل طواف الوداع سقط عنها طوافُ الوداع؛ لأن الحائض والنفساء ليس عليها طوافُ الوداع.

يقول جابر: فصلى رسول الله ﷺ في المسجد.

ولذا استحب الجمهور أن يكون الإحرامُ بعده صلاة. إما فريضة وإما

نافلة.

يقول جابر: فصلى رسول الله ﷺ في المسجد ثم رَكِبَ القَصْواء (وهو اسم لناقة الرسول ﷺ) حتى إذا استوت به ناقتُه على البيداء نظرتُ إلى مدِّ بصرى بين يديه من راكبٍ وماشٍ وعن يمينه مثلَ ذلك وعن يساره مثلَ ذلك ومن خَلفه مثلَ ذلك. ورسول الله ﷺ بين أَظهُرنا وعليه ينزلُ القرآن وهو يعرفُ تأويله وما عمل به من شيء عملنا به فأهلَّ النبي ﷺ بالتوحيد: «**لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ. لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ إنَّ الحَمْدَ والنِّعْمَةَ لَكَ وَالمُلْكَ لاَ شَرِيْكَ لَكَ**».

وهذه التلبية أيها الأحبة كانت تحتاجُ منا إلى لقاء كاملٍ مستقل وقد علق عليها الإمام ابنُ القيم تعليقاً بديعاً واستخرج منها أكثر من عشرين فائدة في تعليقه على سنن أبي داود لمن أراد أن يراجعها في كتاب عون المعبود. ومن بين هذه الفوائد البديعة التي ذكرها أن التلبية هى شعارُ حج التوحيد الذي هو روحُ الحج ومقصده، بل هو روحُ العباداتِ كلِّها وتتضمن هذه التلبية من الخضوعِ والذلِ والمحبةِ والقرب ما تتحقق به العبوديةُ لله عز وجل كما أنها متضمنة للرد على كل مُبطل في صفات الله عز وجل وتوحيده فهى مبطلةٌ لقول المشركين ولقول الجهمية المعطلين ولقولِ مجوسِ الأمة المعاندين.. لأنها تثبت كل صفات الكمالِ والجلال لله رب العالمين.

ولذا ورد في الحديث الذي رواه مسلم من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان المشركون يقولون: لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك قال ابن عباس: فيقول رسول الله ﷺ «**قد قد**» أى قد كفاكم هذا فاقتصروا عليه ولا تزيدوا، لأنهم كانوا يقولون بعدها: إلا شريكا هو لك

تملكُهُ وما مَلك، يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت».

يقول جابر: حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن. أى مسحه بيده وهو سنة في كل طواف وفي صحيح مسلم أن رسولَ الله ﷺ كان لا يستلمُ إلا الحجر والركن اليماني، وقد أجمعت الأمة على استحباب استلام الركنين وتقبيل الحجر الأسود إن أمكنَ ذلك من غير إيذاء لأحدٍ من المسلمين والمسلمات.

وفي الحديث الذي رواه مسلم أن عمر بن الخطاب قبَّل الحجر الأسود وقال: والله إنى لأُقبلُك وإنى أعلمُ أنك حجر وأنك لا تضرُّ ولا تنفع ولولا أنى رأيتُ رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتُك».

يقول جابر: حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فَرَمَلَ ثلاثا ومشى أربعاً.

والرَمَلُ: هو إسراعُ المشي مع تقارب الخطا وهو مستحب في الأشواط الثلاثة الأُول.

وفي صحيح مسلم من حديث ابن عباس قال: قدم رسولُ الله ﷺ وأصحابُه مكة وقد وهنتهم حُمى يثرب، فقال المشركون: إنه قُدم عليكم غداً قومٌ قد وهنتهم الحمى، ولَقُوا منها شدة، فجلسوا مما يلي الحِجْرَ وأمرهم النبي أن يرمُلُوا ثلاثة أشواطٍ وأن يمشوا ما بين الركنين ليرى المشركون جَلَدَهم فقال المشركون: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم هؤلاء أجلدُ من كذا وكذا، قال ابن عباس: ولم يمنعْهُ أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كُلها إلا الإبقاءُ عليهم».

يقول جابر: ثم نفذ إلى مقام إبراهيم - عليه السلام - فقرأ: ﴿**وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى**﴾ [البقرة:١٢٥] فجعل المقام بينه وبين

البيت وصلى ركعتين [قرأ فيهما: قل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد] ثم رجع إلى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب إلى الصفا فلما دنا من الصفا قرأ:

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ من شَعَائِر اللَّه فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَو اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْه أَن يَطَّوَّفَ بهمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكرٌ عَليمٌ﴾ [البقرة:١٥٨] ثم قال النبي ﷺ: «**أبدأُ بما بَدَأَ به اللهُ عزَّ وجل**» فبدأ (بالصفا) فَرقى عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة [وفي رواية أبي هريرة - رضي الله عنه - في صحيح مسلم (ورفع يديه) فوحد الله وكبره وقال: «**لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ، وَحدهُ لاَ شريكَ لَهُ، لَهُ الملكُ ولَهُ الحمدُ، وهُوَ على كلِّ شَيء قَدير، لاَ إلهَ إلاَ اللهُ وَحْدَهُ أنجزَ وعدَهُ ونصرَ عبدَهُ وهزَمَ الأحزابَ وحْدَهُ**» ثمَّ دعا بين ذلك قال مثلَ هذا ثلاث مرات.

ثم نزل إلى المروة حتى إذا أتى المروة ففعل عليها كما فعل على الصفا. حتى إذا كان آخرُ طوافه على المروة فقال: «**لَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ منْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لَمْ أَسُق الهَدْي وَجَعَلْتُهَا عُمْرَة. فَمَنْ كَانَ منْكُمْ لَيْسَ مَعَهُ هديٌ فَلْيحلَّ وليجعلهَا عُمرةً**» فقام سُراقةُ بنُ مالك فقال يا رسول الله ألعامنا هذا أم لأبد فشبك رسولُ الله ﷺ بين أصابعه وقال: «**دَخَلَت الْعُمْرَة في الحجِّ لأَبَد الأَبَد**».

قال جابر: فحل الناسُ كلُّهم وقصَّروا إلا النبيﷺ ومن كان معه هديٌ.

فلما كان يومُ التروية (ويومُ التروية هو اليوم الثامن من ذي الحجة).

توجهوا إلى منى فأهلوا بالحج وركب رسولُ الله ﷺ فصلى بمنى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمسُ وأمر بخيمة تُضرب له بنَمرة فسارَ رسول الله ﷺ ولا تشكُّ قريشٌ

إلا أنه واقف عند المشعرِ الحرام كما كـانت قريشٌ تصنعُ في الجاهلية فأجاز رسـولُ الله ﷺ حتى أتى عرفه فوجد القـبة قد ضُربت له بنمرة فنزل بها حـتى إذا زاغت الشـمس أمر بـالقصـواء فَـرُحلَتْ له فـأتى بطنَ الوادى فخطب الناس وقال: «**إنَّ دماءَكم وأموالَكم حرامٌ عليكُم كحُرْمة يومكُم هَذا في بَلَدكُمْ هَذَا، ألاَ كـلُّ شَيءِ منْ أمـر الجَاهـلية مَـوْضُـوع، ودمـاءُ الجَـاهليـة موضوعَـةٌ وإنَّ أولَ دمٍ أضعُ منَ دمائنا دمُ ابنَ ربيعة بن الحـارث، ورِبَا الجَاهلية موضوعٌ وأوَّلُ ربًا أضعُ ربا العباس بن عبد المُطَلب فإنه موضوعٌ كُلُّه**..

ثم قـــال ﷺ: «**اتَّقُوا اللَّهَ في النِّسَـاء فَإنَّـكُمْ أَخَذتُمـوهنَّ بأَمَـان اللَّه واستَحْلَلتُم فـروجَهنَّ بكَلمة الله...**» ثم قال ﷺ: «**وَقَدْ تَرَكْتُ فِـيكُمْ مَا لنْ تَضلُّوا بَعْدهُ إن اعْتصَمْتُمْ به كَتابَ الله عزَّ وجل**».

ثم قال ﷺ: «**وَأَنْتُمْ سَتُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُم قَائلُونَ؟**» قالوا: نشهد أنك قد بلَّغت وأدَّيت ونصحت فقال بإصبعه السَّـبَابة يرفعها إلى السماء وينكُتُها إلى الـناس«**اللَّهُمَّ اشْهَدْ الـلَّهُمَّ اشْهَدْ**» ثلاث مرات. ثم أذن ثم أقـام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر، ولم يصلِّ بينهما شيئاً ثم ركب رسولُ اللهﷺ حتى أتى الموقف [بـالقرب من الصخـرات] واستقـبل القبلة [يدعـو الله عز وجل] فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمـس وذهبت الصفرة قليلاً حتى غابَ القرصُ، فأردف أسامة بنَ زيد خلفـه. ودفع رسولُ الله وقد شَنَقَ للقصواء الزمام حتى لا تسرع والرسول يشير للناس بيده اليمنى. ويقول: «**أيُّهَا النَاسُ السكينة السكينةَ**..» حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغربَ والعشاءَ بأذانٍ واحد وإقامتـين ،ولم يُسبِّح بينهما شـيئا (أى لم يصلِّ بينهـما نافلة) ثم اضطجعَ رسـولُ الله ﷺ حتى طلع الفجر وصلى الفـجر حين تبين له الصبحُ بأذان وإقامة ،ثـم ركب القصواء حتى أتى المشـعَر الحرام فاسـتقبل القبلة فـدعاهُ

وكبره وهلله ووحَّده فلم يزل واقفاً حتى أسفَر جداً فدفع قبل أن تطلُعَ الشمس... حتى أتى الجمرة الكبرى فرماها بسبعِ حصيات يُكَبِّرُ مع كل حصاة منها ثم انصرف إلى المنحر فنحر ثلاثا وستين بدنة بيده وفي مسند أحمد وصحيح مسلم من حديث أنس أن رسول الله ﷺ أتى منى فرمى الجمرة ثم أتى منزله بمنى ونحر ثم قال للحلاق: «خُذْ» وَأَشَارَ إِلَى جَانِبِهِ الأَيمنِ ثُمَّ الأَيْسَرِ ثُمَّ جَعَلَ يُعطيهُ للناسِ».

قال جابر: ثم رَكِبَ رسولُ الله إلى مكة فأفاض إلى البيت [أى طاف طواف الإفاضة وهو ركن من أركان الحج بإجماع المسلمين] ثم صلى النبي بمكة الظهر وأتى بني عبد المطلب وهم يسقون على زمزم فقال: **«أنزِعُوا بني عبد المطَّلب فَلَولا أن يَغلِبَكُم الناسُ على سِقَايَتِكُمْ لَنَزَعْتُ معكم»** فناولوه دَلْواً فشربَ منه.

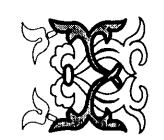
تقول عائشة ـ كما في مسند أحمد وسنن أبي داود ـ: ثم رجع رسولُ الله ﷺ إلى منى فمكث بها ليالي أيام التشريق يرمي الجمرة إذا زالت الشمس كل جمرةٍ بسبعِ حصيات يكبِّرُ مع كل حصاة ويقف عند الأولى وعند الثانية فيطيلُ القيام ويتضرع ويرمى الثالثة ولا يقف عندها.

وبعد انتهاء أيام التشريق عاد النبي ﷺ مرة أخرى إلى مكة ليطوف طواف الوداع كما في صحيح مسلم من حديث ابن عباس قال: كان الناس ينصرفون في كل وجه فقال رسول الله ﷺ لا ينفر أحدٌ حتى يكون آخر عهده بالبيت.

وهذا بإيجاز هو حج المصطفي ﷺ الذي قال: **«خُذُوا عَنِّي مَنَاسككُمْ»**. وهذه هي الحجة الوحيدة التي حجها النبي ﷺ.

وصلى الله وسلم على محمد ﷺ.

* * *




بأى عيد نفرح ..؟!
خطبة عيد الأضحى(*)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٣).

(*) خطبة عيد الأضحى لعام ١٤١٤ هـ باستاد المنصورة الرياضي.

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٠، ٧١.

أما بعد :

الله أكبر . . الله أكبر، لا إله إلا الله . . الله أكبر . . الله أكبر .

أحبتي في الله:

اعلم أن اليوم عيد ومن حقنا أن نفرح . . ولقلوبنا أن تسعد

ولكن بأي عيد نفرح وبأى قلب نسعد؟!

والله إن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن لما آل إليه أمر المسلمين. فإن المتأمل لأحوال الأمة سيبكي دماً بدل الدمع!!

فَفي كلِّ بلد عَلَى الإسْلاَم دائرةٌ ... يَنْهَدُّ منْ هَوْلها رَضوَى وثَهْلانُ
ذبحٌ وصلبٌ وتقتيلٌ بإخوتنا ... كما أُعدت لتُشْفيَ الحقدَ نيرانُ
يَسْتَصرخُونَ ذَوي الإيمان عاطفَةً ... فلم يغثْهم بيوم الروعِ أعوانُ
فَهَلْ هذهِ غَيْرةٌ أمْ هذه ضِعَةٌ ... للكفرِ ذكرٌ وللإسلام نِسْيانُ

※ فبأي عيد تفرح أيها المسلم، وبأى قلب تسعد؟! وولدك في البوسنة قد شُوي على النار، أمام والده ولمَّا تمَّ شيُّه قطعوه قطعاً وأجبروا أباه تحت التهديد والوعيد على أن يأكل من لحم طفله فلذة كبده وثمرة فؤاده، ثم بعد ذلك أطلقوا عليه النيران فَقتلوه!!.

※ فبأى عيد تفرح أيها المسلم وبأى قلب تسعد؟!

وأخوك قد هدم بيته، وشرد أهله، وسلبت أرضه، وسفكت دماؤه، ومزقت أشلاؤه.

※ فبأى عيد تفرح أيها المسلم وبأي قلب تسعد؟!

وأختك في البوسنة قد انتهك عرضها . .، وضاع شرفها . . .، وها هي أخيراً تصرخ قائلة: أن اقتلوني . . .، واقتلوا العار الذي أحمله بين أحشائي.

هذا هو رجاؤها الأخير بعد ما صرخت طويلاً . . ، طويلاً . . !!

وا إسلاماه . . وا إسلاماه . . وامعتصماه .

ولكن . . .

* ما ثمَّ معتصم يغيث من استغاث به وصاح .

ذبحوا الصبيَّ وأُمَّه وفتاتها ذاتَ الوشاح .

وعدوا على الأعراض في انتشاء وانشراح .

يا ألف مليونٍ وأين همو إذا دعت الجراح .

ما ثم معتصم يغيث من استغاث به وصاح .

مع أنه ﷺ يقول كما في الصحيحين من حديث النعمان بن البشير :

«مَثلُ المؤمنينَ في تَوادِّهِمْ وتَرَاحُمِـهم وتَعَاطُفِهم كَمَثل الجَسَدِ الوَاحِد إذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضوٌ تَدَاعى لَهُ سَائرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى»(1) .

فبأي عيد تفرح أيها المسلم، وبأى قلب تسعد؟!

وبرك الدماء وأكوام الأشلاء تجسد الفجيعة وتحكي المأساة، فلا زالت أحداث المسرحية الهزلية المحرقة تمارسُ على خشبة المسرح العالمى . . ، فى البوسنة . . ، فى الصومال . . ، في كشمير . . ، في أوغندا . . ، في الفلبين . . ، في بورما . . ، في تركستان . . ، في طاجكستان . . ، في كمبوديا . . ، في سيريلانكا . . ، في فلسطين . . ، في أفغانستان . . ، في الجزائر . . ، وأخيراً في اليمن .

ولا زال المشاهدون من جميع أنحاء العالم قابعين في مقاعدهم، منهم من يبارك هذه التصفية الجسدية، والتفرقة العنصرية، ومنهم من جلس

(١) **متفق عليه**: [ص.ج: ٥٨٤٩]، رواه البخاري (١٠/٣٦٦) في الأدب، ومسلم (٢٥٨٦) في البر والصلة.

يبكى ويمسح عينه بمنديل حريرى، ولكنه ما زال قابعاً في مقعده، ليشهد آخر فصول المسرحية !!

مُتُّمْ قروناً والمُحَاق الأعمى يليه مُحاق.

أيُّ شيء في عالمِ الغابِ فنحن ... آدميونَ أمْ نعاجٌ نساقُ
يَا قطيعاً من ألفِ مليونِ رأسٍ ... صارَ نهباً يجري عَليه السباقُ
نَحنُ لحمٌ للوحشِ والطيرِ منا الـ ... جثث الحمرُ والدَّمُ الدفاقُ
وعلَى المحصناتِ تَبكي البواكي ... يَا لَعرضِ الإسلامِ كيفَ يُراقُ
قَد هَوينَا لما هوتْ وأعَدُّوا ... وأعَدُّوا من الرَّدَى ترياقُ
واقْتَلعنَا الإيمانَ فَاسوَدت الد ... دنيا علينا واسْودَّت الأعمَاقُ
وإذا الجزر مات في باطن الـ ... أرض تموتُ الأغصانُ والأوراقُ

ما الذي حدث؟ وما الذي جرى لأمة . دستورها هو القرآن..، ونبيُّها هو محمدٌ ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

ما الذي غيرها وما الذي بدَّلها؟

ذلت بعد عزة..!!

وضعفت بعد قوة..!!

وجَهلت بعد علم.. !!

* وأصبحت في ذيل القافلة الإنسانية بعد أن كانت تقود الإنسانية بجدارة واقتدار.

* وأصبحت تتسولُ على موائد الفكر الإنسانى، بعد أن كانت منارة

تهدي الحيارى، والتائهين، الذين أحرقهم لفحُ الهاجرةِ القاتل وأرهقهم طول المشي في التيه والظلام.

* وأصبحت الأمةُ تتأرجح في سيرها، بل ولا تعرفُ طريقها الذي يجبُ عليها أن تسلكه بعد أن كانت الدليلَ الحاذق في الدروب المتشابكة في الصحراء المهلكة التي لا يهتدي للسير فيها إلاَّ الأدلاَّءُ المجربون.

أهذه هي الأمة التي وصفها الله بالخيرية في قوله سبحانه:

﴿كُنتُم خَيرَ أُمة أُخرِجَت للنَّاسِ تَأمُرونَ بالمعرُوفِ وتَنهَونَ عن المُنكَرِ وتُؤمنُونَ باللَّه﴾(١).

أهذه هي الأمة التي وصفها الله بالوسطية..!؟ فقال سبحانه:

﴿وكَذَلكَ جَعلنَاكُم أُمة وَسَطًا لتكونوا شُهَدَاءَ على النَّاسِ ويكون الرَّسُولُ عَليكُم شَهيداً﴾(٢).

أهذه هى الأمة التي وصفها الله بالوحدة..!؟ في قوله جل وعلا:

﴿إِنَّ هَذه أُمتُكُم أُمَّةً وَاحدةً وَأَنَا ربُّكُم فَاعبُدُونِ﴾(٣).

والجواب بحق وصدق:

إن البون شاسع..، وإن الفرق كبير بين الأمة التي زكاها الله في قرآنه كلَّ هذه التزكية، وبينَ الأمةِ التي نراها الآن في واقعنا المعاصر.

فإننا نرى أُمةً عُطِّلت طاقاتها العقليةُ..، والعمليةُ..، والعدديةُ..، والاقتصادية..، بل والروحية..، وأخلدت إلى الوحل، والطين..، وتركت ذروة سنام الإسلام..، ورضيت بالزرع..، وتبعت أذناب البقر.

---

(١) سورة آل عمران: ١١٠.
(٢) سورة التوبة: ١٤٣.
(٣) سورة الأنبياء: ٩٢.

فطمع فيها الضعيف قبل القوي، والفقير قبل الغني. . ، والذليل قبل العزيز. . ، والقاصي قبل الداني. . ، وسلط الله عليها ذلاً مريراً أذلها لمن كتب الله عليهم الذُّل والذِّلة، من إخوان القردة والخنازير، من أبناء يهود.

وصدق فيها قول نبيها ﷺ كما في الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود من حديث ثوبان: «**يُوشكُ أَن تَدَاعىَ عَليكُمُ الأمَمُ كَمَا تَدَاعَى الأكَلَةُ إلَى قَصْعَتهَا ، فَقَالَ قائلٌ: منْ قلَّة نحن يَوْمَئذ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئذ كثير، ولَكنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاء السَّيْلِ ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللهُ منْ صُدُور عَدُوِّكُم المهَابَةَ منْكُمْ، وَلَيَقْذفَنَّ في قُلُوبكُمُ الوَهَنَ ، قيلَ :ومَا الوَهَنُ يَا رَسُولَ اللَّه؟ قَالَ: حبُّ الدُّنيَا وكَرَاهيَةُ الموت**»(١).

والسؤال الذي يطرح نفسه بشدة. .

وما الذي أوصل الأمة إلى هذه الحالة المزرية من ضعفٍ وذلٍ؟

ما الذي أوصل الأمة إلى هذه الحالة المزرية من جهل وفرقة وهوان؟

والجواب في قول الله جل وعلا:

﴿**إن اللَّه لا يغير مَا بِقَومٍ حَتَى يُغَيرُوا مَا بأنفُسهم**﴾ [الرعد:١١] هذه سنة ربانية ثابتة لا تتغير، ينبغي أن تكون راسخةً في القلوب والعقول.

ولقد غيرت الأمة وبدَّلت. . ، وابتعدت كثيراً. . كثيراً عن منهج الله جل وعلا.

في جانب العقيدة. . ، وفي جانب العبادة. . ، وفي جانب التشريع. . ، وفي جانب الاتباع. . ، وفي جانب الأخلاق. . ، والمعاملات والسلوك.

---

(١) صحيح: [ص.ج: ٨١٨٣]، أخرجه أبو داود (٤٢٩٧) في الملاحم، ورواه أحمد (٥/ ٢٧٨) انظر الصحيحة رقم (٩٥٨).

والسؤال الذي بدأت تتعالى به أصوات المخلصين الصادقين من أبناء الطائفة المنصورة.

ما هو الحل وأين طريق الخلاص؟

والآن ..!!

مع كل هذه الضربات وفي وسط تلك المؤامرات وبالرغم من وجود هذه التحديات. . بفضل رب الأرض والسماوات.

بدأت الأمة تصحو من جديد. .، وتعالت أصوات المخلصين الصادقين من أبناء الطائفة المنصورة التي لا يخلو منها زمان بموعود الصادق المصدوق ﷺ كما في صحيح مسلم من حديث معاوية: «**لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتي قائمَةً بِأَمْر اللَّه لاَ يَضُرُّهُم مَن خذَلَهُمْ وَلاَ مَنْ خَالَفهُم حَتَّى يأْتِي أَمْرُ اللَّه، وَهُمْ ظَاهرُونَ عَلَى النَّاس**»(١).

تعالت أصوات أبناء هذه الطائفة الكريمة ومن تبعهم من شباب في ريعان الصبا، وفتيات في عمر الورود تتساءل بمرارة:

فما الحل وأين طريق الخلاص؟

وهذه نقطة البداية الصحيحة

وكان الجواب حاضراً ـ بحمد الله ـ على ألسنة الكثيرين منهم ألا وهو:

لا طريق لهذه الأمة للخروج مما هي فيه، من الذلِّ، والضعف، والهوان، والاستسلام، إلا أن تعود بكليتها إلى الإسلام بكماله، وشموله، وفروعه، وأصوله.

---

(١) متفق عليه: [ص.ج: ٧٢٩٠]، رواه البخاري (١٣/ ٣٥٠) في الاعتصام، ومسلم رقم (١٠٣٧) في الزكاة، ورقم (١٩٢٥) في الإمارة، وأبو داود رقم (٤٢٥٢) في الفتن، والترمذي رقم (٢١٧٧، ٢٢٣٠) في الفتن.

إلى مصـدر عزها..، ونبع شرفهـا..، ومعين كرامتـها..، وأصل قيادتها..، وسيادتها وبقائها.

وأن تعي الأمة إلى درجـة اليقين هذه الحقيـقة الكبيرة، التي يعـرفها أعداؤها إلى درجة اليقين.

ولكن المشكلة الحقيقية التي تواجه المخلصين الصادقين الآن هي :

كيف نُعيد بناءَ الأمة من هذا الفتات المتناثر؟!

وذلك أمر يحتاج إلى جهد كبير..، وصبر جميل..، وتجرد لا ينقطع في أي مرحلة من مراحل البناء.

والحق أن ما هدم في سنوات لا يمكن مطلقاً أن يُبنى في أيام!!

ولنعلم يقينا أنه لا يمكن أن نربِّي الأمـة من جديد على المنهج الربانى دفعة واحدة.

وأنه لا يمكن أيضا أن نربي كل فرد من أفراد الأمة على حدة!!

وأعظم مُربٍّ عرفته الدنيا..، وأعظمُ قـائد شهدته الأرض محمد ﷺ، الذي بنى أمة من فـتات متناثر، وأقام دولة أذلت الأكـاسرة..، وأهانت القياصرة..، وغيرت مجرى التاريخ في فترة لا تساوي في حساب الزمن شيئاً.

هذا المربي العظيم والنبيُ الكريم ﷺ لم يربِّى أمته دفعة واحدة، ولم يربى كلّ فرد من أفراد الأمة، بل لقد كان فى أمته ضِعَافُ الإيمان، وأهلُ المعاصي، والذنوب، والمعوقون والمثبطون، والمرجفون، والمنافقون.

إذن ما الذي صنعه رسول الله ﷺ ؟!

ربَّى القـاعدة القوية المخلـصة الصادقـة، ثم انطلقت هذه القـاعدة؛ لتربي بقيـة الأمة بالقدوة الصالحـة الطيبة، حينما انطلقـت لتحول المنهج

النظري إلى منهج حياةٍ متحركٍ في دنيا الناس.

ونحتاج اليوم لـذات المنهج الذي أزال الغربة الأولى للإسلام، لنزيل به الغربة الثانية مقتدين في ذلك بأعظم الخلق وحبيب الحق محمد ﷺ ومن اقتفي أثره، واتبع هداه، من الصحابة المهديين، ومن يتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وأستطيع في عجالة سـريعة أن أضع بين أيدي حضراتكم بعض بنود هذا المنهج للعودة بالأمة إلى مكانتها.

وكلكم مسئول أمام الله عز وجل عن تحويل هذا المنهج إلى واقع عملي.

لأن القول إذا خـالف العمل بذر بذور النفـاق في القلوب كمـا قال علامُ الغيوبِ جل وعلا:

﴿ يا أيها الذينَ آمنُوا لِمَ تَقُولُون ما لا تفعلون * كَبُرَ مَقتاً عِندَ اللَّه أَن تَقُولُوا مَا لا تَفعَلُون﴾(١).

أولاً - نبذُ الفرقة وتوحيدُ الصف:

فإن الفرقة والنزاع سببٌ لذَهاب الريح وتبديد القوة قال تعالى :

﴿ ولا تَنَازَعُوا فَتَفشَلُوا وتَذهَب ريحُكُم﴾(٢).

وقال سـبحـانه **﴿ ولا تَكُونُوا كَالـذينَ تَفرَّقُوا واخـتَلَفُوا من بَعـدِ مَا جَاءَهُم البينَاتُ وأُولَئكَ لهم عَذابٌ عَظيم﴾**(٣).

---

(١) سورة الصف: ٢، ٣.

(٢) سورة الأنفال: ٤٦.

(٣) سورة آل عمران: ١٠٥.

ونحن إذ ننادي بنبذ الفرقة وتوحيد الصف، فإنا لانريدها وحدة على غير أصول، ولا نريدها وحدةً تجمع شتاتاً متناقضاً على غير حق وهدى.. كلا..!!

إنما نريدها وحدة صادقة تقوم على أصولٍ ثابتة محددة هي :

الأصل الأول: الانتماءُ للإسلام دون سواه:

فلننبذ كل العصبيات، والنعرات، والقوميات، وليكن ولاؤنا للإسلام دون سواه. ولنردد مع سلمان الفارسي - رضي الله عنه - قوله الجميل:

أَبِي الإِسْلاَمُ لاَ أَبَ لِي سِوَاهُ ... إِذَا افْتَخَرُوا بِقَيْسٍ أَوْ تَمِيمِ

الأصل الثاني: توحيد مصدر الهداية والتشريع:

ومصدر الهداية والتشريع هو الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، وحينئذ فقط توحد العقيدة وتُصفي وتُوحدُ الشريعة وتُنقى.

ثانياً - إعدادُ الكوادرِ الإسلامية المتخصصة في كل مجالات الحياة التي تنطلق من فهم دقيق ووعي عميق بالإسلام الشامل الكامل لتحول هذا الإسلام إلى منهج حياة..، وواقع متحرك..، ولتسير شئون الحياة في كل نواحيها من منظور الإسلام.

وهذا أمر عملي خطير، ولا يمكن على الإطلاق أن يتم إلا على أيدى هذه الكوادرِ المسلمة الداعية التي تشهد للإسلام شهادة عملية بعد أن شهدت له من قبل شهادة قولية.

ثالثاً – السعي الجاد لبناء الأخلاق الإسلامية:

وقد يقال: إننا في حاجة إلى علم وتقدم مادي، وسلاح، ونحن نقر هذا، ولكننا لعلى يقين جازم أن هذا كله بدون بناء أخلاقي لا قيمة له..، بل قد يعود علينا بالهلاك، والضرر، والدمار.

فهذا مهندس مؤتمن على مشاريع الأمة لا يتقي الله، ولا يعرف إلا الغش، ولا يفكر إلا فى المال، فماذا تكون النتيجة.

انهيار رهيب لمئات البيوت، ومِنْ ثَمَّ قتل وتشريد. وهكذا فلننظر إلى جميع من ولاَّهم الله المسئولية في هذه الأمة وقد تحرروا من الأخلاق وتجردوا من الفضيلة، إلا من رحم الله جل وعلا وماذا تكون النتيجة؟!!

إذن لابد أن تُقيد كلُّ هذه المقومات بأخلاق الإسلام.

رابعا – كن إيجابيا ولا تكن سلبيا فأنت على ثغر من ثغور الإسلام لأننا نرى سلبية قاتلة لا مبرر لها، من منطلق فهم مغلوط لقول الله جل وعلا: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا عليكم أَنفُسَكُم لا يضركم من ضَلَّ إذا اهتَدَيتُم**﴾[(1)].

وقديماً خشى صدِّيقُ الأمة الأكبر ـ رضي الله عنه ـ هذه السلبية الناتجة عن هذا الفهم المغلوط فقام في الناس خطيبا ليوضح لهم المعنى الصحيح لهذه الآية الكريمة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية وتضعونها في غير موضعها وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ وَلاَ يُغَيِّرُونَهُ يُوشِكُ اللَّهُ عزَّ وجل أَنْ يَعُمَّهُمْ بِعِقَابٍ مِنْ عِنْدِهِ**»[(2)].

---

(١) سورة المائدة: ١٠٥.

(٢) صحيح: [الصحيحة: ١٦٧١، المشكاة: ٥١٤٢، الطحاوية: ٧٧٧] رواه أحمد وأبو داود والترمذي.

فإذا قمت بأداء واجبك فأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر ودعوت إلى الله بالحكمة البالغة، والموعظة الحسنة، لم يضرك بعد ذلك ضلال الضُّلال.

فهيا تحرك أيها المسلم لهذا الدين، واحمل همَّه في قلبك..، لا تأكل ملء بطنك ولا تنم ملء عينيك..، ولا تضحك ملء فمك..، وكأن الأمرَ لا يعنيك!!!

فهيا! تحرك فلقد جاء دورك أيها العملاق الحنون، هيَّا قُمْ ودثِّر العالَم كلَّه ببرْدَتك ذات العبق المحمدي.

هيا ضمَّ العالمَ إلى صدركِ..، وأسمعه خفقات قلبك الذي وحدَّ الله.

هيا قم واسق الدنيا كأس الفطرة..، لتحيا بعد مُوات..، ولتروى بعَد ظمأ..، ولتُهدى بعد ضلال.

هيا قم أيها الموحد.. لتؤدي دورك الذي من أجله خلقك الله جل وعلا، لتجمع العالم بعد شتات.. ولتمزق غشاوة الكفر، والكيد الشيطاني بشعاع النورِ القرآني والنبوي.

هيا! فلقد جاء دورك أيها الموحدلله جل وعلا.

ومَن أروع ما قاله المفكر الشهير شبنجلز فى كتابه «سقوط الحضارة» يقول:

« إن للحضارة دورات فلكية تغرب هنا لتشرق هناك، وإن حضارة جديدة أوشكت على الشروق في أروع صورة هى حضارة الإسلام، الذي يملك أقوى قوة روحانية عالمية نقية».

بل إنه دين الأمن، والأمان، والرخـاء، والاستقرار، واسألـوا اليهود والنصارى الذين عاشوا في كنفه، وتحت ظلاله الوارفة.

وأخيراً أيها الأحباب فبقلبٍ ملأه اليقين وَبِلُغَةٍ يحدوها الأمل أقول:

إن المستقبل لهذا الدين رغم كيد الكافرين.

وها هي كتائب الصَّحوة الإسلامية تتوالى تتـرى في كل بقاع الدنيا رغم كل هذه الضربـات المتلاحقـة لتثبت للأعـداء المتربصين: أن شـجرة الدعوة تنمو بين الصخور..، وأن ماء الدعوة يسرى بين الحجارة!!

ونحن لا نقول ذلك رجماً بالغيب..، ولا من باب الأحلام الوردية لتسكين الآلام وتضميد الجراح.. كلا.

ولكنه القرآن الكريم يتحدث..، والصـادق الأمين يبشر..، والتاريخ، والواقع يشهدان..

يقول الله جل وعلا: ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطفِئُوا نُورَ اللَّـهِ بأفواهِهِم واللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ ولَو كَرِهَ الكافرون**﴾(١).

ويقول سبحانه: ﴿**إن الذين كفروا ينفقون أموالهم لِيَصُدُّوا عن سبيل اللَّه فسينفقُونَهَا ثم تكُونُ عليهم حَسرةً ثم يُغلبون**﴾(٢).

ويقول عـز وجل: ﴿**وَعَدَ اللَّه الذين آمَنُوا منكم وعـملوا الصالحات ليستخلفَنَّهم في الأرضِ كما استَخلَفَ الذين من قَبلهم وليمكِّنَنّ لهم دينهُمُ الذي ارتَضَى لهم وليُبَدِّلَنَّهُم مِن بَعدِ خَوفِهِم أمناً يَعبُدُونَنى لا يُشرِكُونَ بى شيئاً**﴾(٣).

(١) سورة الصف: ٨.

(٢) سورة الأنفال: ٣٦.

(٣) سورة النور: ٥٥.

وفي الحديث الذي رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط وهو حديث حسن من حديث حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ قال ﷺ: «تَكُونُ النُّبُوةُ فيْكُم مَا شَاء اللهُ أنْ تكُونَ ثُمَّ يرفَعُها اللهُ إذَا شاءَ أنْ يرْفَعَهَا ثُمَّ تكونُ خلافَةٌ علَى منْهاج النُّبوَّة فتَكُون فيكم مَا شاءَ اللهُ أَنْ تَكُون ثُمَّ يرفَعُهَا اللهُ إذَا شَاءَ أَنْ يَرفعَهَا».

ثُمَّ تكون مُلْكًا عَاضًّا فتَكُونُ فِيْكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللهُ إذَا شَاءَ أَنْ يرفَعَهَا.

ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيًّا،

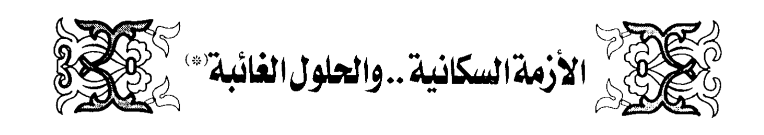
ثُمَّ تَكُونُ خلاَفةٌ علَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّة ثُمَّ سَكَتَ»(١).

فإن الإسلام قادم؛ لأنه الدين الذي ارتضاه الله للبشرية كلها وإن تأخر النصر فوعد الله لا يخلف.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن ينصر الإسلام ويعز المسلمين.

اللهم ارزقنا قبل الموت توبة ،وعند الموت شهادة، وبعد الموت جنة ورضواناً. . . الدعاء.

* * *



الأزمة السكانية .. والحلول الغائبة(*)

إن الحمد لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئاتِ أعمالِنَا، من يهده اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضللْ فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٣).

(*) ألقيت هذه الخطبة بمسجد الجمعية الشرعية بالمنصورة.

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٠، ٧١.

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ مُحدثةٍ بِدعةٌ، وكلَّ بِدعَةٍ ضلالةٌ،وكُلَّ ضَلالَةٍ في النَّارِ.

أما بعد

أحبـتى في الله.. عنوان لقائنا فى هذا اليـوم المبارك إن شاء الله جل وعلا الأزمة السكانية والحلول الغائبـة وحتى لا ينسحب بساط الوقت من تحت أقدامنا فسوف أركز الحديث في العناصر التالية:

أولاً – صراع بين الحق والباطل.

ثانياً – أزمة مفتعلة وحقدٌ دفين.

ثالثاً – الحلول المقترحة:

❊ تحديد النسل.

❊ تأخير سن الزواج.

❊ الإجهاض.

وأخيراً.. الحلول الغائبة.

أولاً – الصراع بين الحق والباطل:

إنها قصة طويلة بطول هذا الصراع. فإن الصراع بين الحق والباطل.. بين الإيمان والكفـر.. بين الفضيلة والرذيلة.. بـين الخير والشـر. صراعٌ دائمٌ لا تهدأ معاركه. ولا تخبو جذوته.

وقد ينزوي الحـقُ في فترة من الفـترات كـأنه مغلوب.. وقد يـنتفخُ الباطلُ وينتفش كأنه غالب.

ولكن المؤمنين الصادقين لا يخالجهم الشك أبداً في هذه الحقيقة الكبيرة. والسنة الأزلية الباقية التي قام عليها بناءُ السماءِ والأرض. وقامت عليها العقائد والدعوات.

ألا وهي: أنه مهما بلغت قوة الباطل وصولتُه ومهما كانت دولتُه وكثرتُه. فإن الحق خالدٌ ظاهرٌ. وإن الباطل زاهق زائل.

يقول الحق سبحانه: ﴿**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ**﴾(١).

وقال سبحانه: ﴿**وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**﴾(٢).

إنها حقيقة كبيرة يقررها الحق جل وعلا بذاته بصيغة التوكيد.

وإن بدا للنظرة الأولى أن للباطل صَوْلَةً ودَوْلَة.

فقد ينتفخُ الباطلُ وينتفش.. ولكنه هش ضعيف. كشعلة الهشيم ترتفعُ نارُها ثم تخبو سريعاً وتصير إلى رماد.. أو كالزبد يطغى على الماء ولكنه سرعان ما يذهب جُفاء ويبقى الماء.

إن الباطل كان زهوقاً.. وعد الله وإن طال زمن الباطل.

وما من مؤمن ذاق طعم الإيمان إلا وذاق معه حلاوة هذا الوعد ومن أصدق من الله حديثاً؟

أحببتُ أن أقدم لموضوعِنا اليومَ بهذه المقدمة الموجزة.. لأننا نشهدُ

(١) سورة الأنبياء: ١٨.

(٢) سورة الإسراء: ٨١.

الآن مرحلةً من أخـطرِ مراحل الصراع التي انـتفخ فيـها البـاطلُ وانتفش يتولى كبرها الغربُ الحاقد الذي تقـدم ليقود البشرية كلها على حين غفلة من أمة الـقيادة والريادة، وصـاحبـة الحق الذي من أجله خُلقت السـماءُ والأرض، والجنةُ والـنار، ومن أجـل هذا الحـق أنزلت الكتـب وأرسلت الرسل.

ومكمنُ الخطرِ في هذه المرحلة أن الغـربَ يريدُ بطريقـة أو بأخرى أن يُلزمَ المجتـمعات المسلمة بما وصل إلـيه من تفسخ عَقَـدي وتحلل أخلاقى وفساد اجتماعى.

حتى لا يفيق العالمُ الإسلامى من غفلته ويبقى قـصعة مستباحة لهؤلاء المجرمين!!

وأخيراً.. افـتعلوا هذه الأزمة التي بينت لكل غافـل حقدهم الدفين على الإسلام والمسلمين.

وهذا هو العنصرُ الثاني من عناصر هذا اللقاء.

ثانياً – أزمة مفتعلة وحقد دفين:

فلقد أثاروا ضـجة إعلاميـة رهيبة عمـا يسمونه بالأزمـة السكانية أو الانفـجار السكانى، إذ تشـير وثيـقة المؤتمر الـدولى للسكان والتنميـة أنه بحلول عام ٢٠٥٠ يظهرُ الإسقاطُ المنخـفض للأمم المتحدة تعداداً سكانياً عالمياً يبلغ ٧٫٨ بليون نسمة.. ويظهر الإسقاطُ العالى تعداداً سكانياً عالمياً يبلغ ١٢٫٥ بليون نسمة. {ثم يتألون على الله عز وجل}.

ويقولون: وهذه كارثةٌ بكل المقاييس تدمر أيَّ خُطةٍ للتنمية الاقتصادية

إذ من المستحيل أن تفي المواردُ بكل احتياجات هذه الأفواه الجائعة!!!

ونسي الإنسان المتبجحُ المغـرور أنه لن يستطيع أيُّ مؤتمر للسكان على ظهر الأرض أن يحدد السكان إلا بقدر ما يريد رازقهم جل وعلا وسيأتي القادمون الجُدد إلى هذه الحياة بأمر خالقهم لا بأمر الهندسة الوراثية.

وهؤلاء الذين يقننون ويتعاركون فيمن يأتي غداً إلى الحياة ومن لا يأتى ومن يُخلـق ومن لا يخلق، هؤلاء أنفـسـهم لا يملكون أن يـكونوا بين الأحياء أو لا يكونوا فالكل راحلٌ رغم أنفه وإن طالت به الحياة!!!

* ولابد أن نعلم يقيناً أن الغرب ما تحـرك اليوم بهذه القوة لحل هذه الأزمة على مسـتوى البلدان النامية أي الإسلامـية بصفة خاصـة ما تحرك لحلها حرصاً عليها وحباً لها وإشفاقاً على شعوبها كلا . . كلا.

فإن الغرب لا يزعجه مطلقاً أن تعيش هذه الأفواه أو أن يموت. . بل هو الذي يبـيدها بوحـشيـة وبربرية وقـحة بأسلحـة الدمار الذى أعـدها وبحرمانها من فائض كبير في موارده، يلقى به في البحر في الوقت الذي يموت فيـه الآلاف من أبناء هذه الدول التي يتـغنى اليوم بأنه مـا جاء إلا لتنميتها!!! وإسـعادها. . إنه الكذب الذي لم يعد ينطلى إلا على السذج فلابد أن نعلم أيها المسـلمون أن الغرب ما تحرك اليـوم بهذه القوة لوقف نسل المسلمين إلا خـوفـاً من اختـلال ميـزان القـوى في العالم لصـالح المسلمين. . ولا نقول هذا تضمـيداً للجراح أو تسكيناً للآلام أو من باب الأحلام الوردية أبداً.

(علماء السياسة والاجتماع)

* فـمنذُ سنوات وعلمـاء السيـاسة والاجـتـماع في أوربا وأمـريكا يحذرون بشدة من المصير الذي ينتظر نفـوذ أوربا وأمريكا إذا ما استمرت معـدلات النمو السكانى في الكرة الأرضيـة كما هى عليـه دون ضبط أو تعديل، إذ أن شـعوب العالم النامي ستـصبح هى الكتلة البشريـة الأكبر والأعظمُ في الكرة الأرضية فبحسب تقديرات خبراء السكان بالأمم المتحدة أنه مع نهاية القرن الحادى والعشـرين سيكون في مقابل كل فرد أوربى أو أمريكى ثمانيـة عشر فرداً من أبناء العالم الثالث على حـد تعبيرهم، وإذا استمر الوضع على ما هو عليه فالمستقبل ينذر بكارثة كبيرة على حد تعليق أحد مسئولي مركز الأبحاث السكانية الدولية في باريس.

(باول شمتز)

* وقد عبـر عن هذا الرعب والفزع المفكر الألمانى (باول شـمتز) إذ يقول: «يوجد لدى المسلمين عنصران يؤثران تأثيراً كبيراً هما:

الزيادة المطردة في عدد سكانه.

والمواد الخام.

وهما مصدرُ القوة النامية في العالم الإسلامى ثم يقول:

وتشير ظاهرةُ النمو السكاني في أقطار الشـرق الإسلامى إلى احتمال وقوع هزة في ميزان القوى بين الشرق والغرب، فقد دلت الدراسات على أن لدى سكان هذه المنطقة خصـوبة بشرية تفوق نسبتهـا ما لدى الشعوب الأوربية وهذه الـزيادة في الإنتاج البشـرى سوف تمكن الشـرق على نقل السلطة في مدة لا تتجاوز بضعة عقود».

(المفوض السابق لشئون اللاجئين)

* ويؤكد هذه الحقائق أيضاً بشكل جَلِي المفوض السابق لشئون اللاجئين بالأمم المتحدة إذ يقول بمنتهى الصراحة:

«إن هذه الزيادةَ المطردةَ في سكان العالم الثالث والدول الأفريقية خاصة تهدد أمن الدول الأوربية بشكل مباشر».

(وزارة الدفاع الأمريكية)

* ولقد أجرت وزارة الدفاع الأمريكية سلسلة من الدراسات عن طريق مركزها للدراسات الاستراتيچية.

ومن أهم ما خلصت إليه الدراسة:

أن النمو السكاني في العالم الثالث يهدد بصورة مرعبة المصالح الاستراتيچية الأمريكية.

وأن جهود ضبط النسل ووقف النمو السكاني فى العالم الثالث ينبغي أن يلقى اهتماماً يعادل ما توجهه الولايات المتحدة لإنتاج الأسلحة الجديدة.

* واحفظوا هذا الرقم الخطير الذي يقول:

بأن التقديرات النهائية لنفقات البرنامج العالمي لخفض السكان يبلغ ١٧ مليار دولار.

والحصة المطلوبة من الدول النامية من مجموع هذه النفقات تقدر بحوالى ١١ مليون دولار تؤخذ من هذه الدول الفقيرة التي يتغنون بأنهم يريدون بها تنمية اقتصادية تكفل الاستقرار لأفرادها.

هذه المليارات تنفق كلها على الحد من النسل ولا ينفق منها دولاراً

واحداً على التنمية التي ضحكوا بها علينا في عنوان المؤتمر الدولى للسكان والتنمية.

والأعجب من هذا هو:

كيف تتم جباية هذا المبلغ الرهيب من هذه الدول الفقيرة المعدمة؟

والجـواب من رئيس الـبنك الدولي: بأن تخـصـم كل دولة من هذه الدول تلك المبالغ الرهيبة من ميـزانيات التسليح لديها وهذا قرار ملزم من الأمم المتحدة.

* هذه الخلفية الخطيـرة وحدها هى التي تفسر الضـغوط القوية التي تمارسهـا الآن أمريكا والدول الغربيـة مستـخدمة في ذلك الأمم المتـحدة لمحاولة وقف نمو العالم الإسـلامي بكل وسيلة.. ليس قلقاً على عافـيته كما زعموا.. وليس سعياً في تنميته كما كذبوا..

بل حمـاية لنفوذهم واستـعلائهم وهيمنتـهم وتدعيمـاً لسياسة العـصا الغليظة التي يرفـعونها!!! بدليل أنهم صَـدَّروا هذه الدعاوى لدول إسلامـية تعـانى أصلاً من قلة النسل كـسوريا وليـبيـا والسودان والـعراق والأردن ولبنان وغيرها.

ثالثا - الحلول المقترحة:

* وفي سبيل تخفيف هذه الغاية جاءت حلولهم المقترحة غالباً بصورة تضحكُ وتبكي في آن واحد.

* فلقد خـرج علينا [جراح كبـير في لندن] يفـتى بأن حل المشكلة السكانية يتمثل في تخليق فيـروس بالهندسة الوراثية يؤدى إلى العقم عند الرجال والنسـاء فنعالج المشكلة من جـذورها!!! ثم يقول وحتى نهـتدى

إلى هذا الفيروس علينا ألا نسمح بالإنجـاب إلا برخصة من وزارة الصحة وعلى من ينجب بدون رخصــة أن يدفع غرامة كـبيرة ويُحـرم من التأمين الصحى والمعاش وإذا عاد يسجن ويُعامل معاملة الشخصيات الخطرة.

* ويخرج علينا عبقري آخر من جامـعة ست نفورد بأمريكا ويقترح هذا الاقتراح لحل المشكلة السكانية فيقول:

أقترح أن {يخلط القمح} والذي يصدر إلى البلاد النامـية بعقاقير منع الحمل..!!، وكـأنما أصبحت البـلاد النامية في نظر هذا الوقح وأمـثاله مزرعة للدواجن أو حظيرةً لفئران التجارب!!!

الإجهــاض:

* **وأخيرا**.. كان من بين المقترحات التي اقترحها مؤتمر السكان للحدِّ من النمو السكاني في دول العـالم الإسلامي اقتراح الإجـهاض، ومنهم من أيد، ومنهم من عارض، دون أدنى خجل أو وجل ولست الآن بصدد بيان الحكم الشرعي فى هـذه المسألة الخطيرة فهي محـسومة في ديننا ولله الحمد.

واقترح المؤتمر أيضاً لحل هذه المشكلة اقتراحاً غريباً جداً يقول:

* بتأخير سن الزواج.

ولا يمكن للأهل أن يؤخروا سنَّ الزواج إلا بتـيسير البـدائل الأخرى لممارسـة الجنس، وليس هذا تعسفاً منا في تفـسير هذا الاقتـراح بل لقد صرحت بـذلك وبوضوح وثيـقة المؤتمر في صـفحة رقم ٣٠ في الـفصل الخامس.

إذ تقـول الوثيقـة: «ينبغي (نعم هـكذا ينبغي) أن تتـخذ الحكومـات إجراءات فعالة للقضاء على جميع أشكال الإكـراه والتمييز في السياسات والممارسات المتعلقة بالزواج وأشكال الاقتران الأخرى.

وأشكالُ الاقتران الأخرى غيرُ الشرعية هي زواجُ الرجل بالرجل..، والمرأة بالمرأة..، وهى ممارسات لا تؤدي إلى إنجـاب وتصل إلى الحد من النسل من أقصر طريق!! إلـى آخر ما في هذه الوثيقة من غـثاء فهي في مجمـوعها نغمٌ مصنوع بعناية فائقـة لنسف الهوية الإسلامية بصفـة عامة وقلبِ العالمِ الإسلامى «مصر» بصفة خاصة.

وهكذا، أنكر هؤلاء أو تناسوا عن عمد مفضوح أن المنجم الحقيقي للتنمـية هو الكثـافة السكانيـة. فلا توجـد ثروة على الإطلاق أغلى من الإنسان الذي يملك وحده القدرة على العـمل والإبداع والابتكار فالكثافة السكانية تدخل ضمن الموارد ولا تدخل فى حساب الفاقد.

إذا ما استغلت الحكومـات هذا العنصر الفعال استغـلالاً علمياً مدرباً ونبـذت تلك الحكوماتُ هذه البـيروقـراطيـة والروتين القاتل الذي يبـدد الطاقات، ويقتل المذاهـب، وأفسحت المجال لهذه الطاقـات للعمل الجاد والإبداع الفعال وحينئذ فقط تتحول هذه الكثـافة السكانية إلى نعمة كبيرة لا إلى نقمة كما يدعون!!!

وأمام أعيننا الآن بعضُ النماذج التي تستحق الدراسة الطويلة.

ففي اليابان يتجاوز عددُ السكان مائةً وعشرين مليوناً في مساحة أصغر من مسـاحة مـصر، ومع ذلك فـهي المنافس الأول في الأسواق العـالمية للاقتـصاد الأمريكـى بل وأصبحت أمـريكا تلوح الآن بالتهـديد الصريح

لليابان إذا لم تفتح أسواقها أمام المنتجات الأمريكية.

وتعيش اليابان بلا فقر، ولا مجاعة، بل تملك الآن فائضاً يزيد على الفائض الأمريكي مع أن اليابان ليس فيها بترول ولا فحم ولا حتى خام الحديد، ولكنها تملك أثمن كنز ألا وهو الإنسان.

ونفسُ الكلام يقال عن هونج كونج وعن سنغافورة وعن كوريا وغيرها من النمور الأسيوية التي بدأت في الانطلاق.

فالمشكلة يا سادة ليست كثافة السكان ولا تتمثل في قلة الموارد كما يزعمون كلا.

ففي مصر تشير الدراسات إلى أن ٩٨٫٨٪ من مجموع سكان مصر يحتشدون بصورة مثيرة في شريط ضيق من مساحة مصر هو وادى النيل والدلتا مع أن تلك المساحة لا تجاوز ٤٪ من مساحة البلاد التي تبلغ حوالى مليون كيلو متر مربع.

أما الصحارى التي تغطى مساحة ٩٦٪ من المساحة الكلية لمصر فلا يسكنها سوى ٦٧١ ألف نسمة فقط لا غير.

وللأسف الشديد، فإن هذا الخلل الرهيب في التوزيع لا يلقى الاهتمام الذي يلقاه مشروعُ الحدِ من النسل أو مشروعُ تنظيم الأسرة.

وإن بلدا شاسعا كالسودان يملك من الأراضى البكر والمواد الخام ما يكفي العالم كله بل تسقط الثمار على الأرض لا تجد من يأكلها. وفي غيره من البلدان الإسلامية.

فالموارد كثيرة ولله الحمد والسكان أقلُّ من المعدل المطلوب لاستغلال تلك الموارد واستصلاح تلك الأراضى.

ولكنه الروتين القاتل.
والتكاسل المدمر.
والظلم الجشع في توزيع الثروات.
وتبديدُ الطاقات فيما لا ينفع على الإطلاق.

وأخيرا: الحلول الغائبة

أولاً: أيها الأحبة تمنينا أن نُسمع تلك الجمهرة الكبيرة من المؤتمرين من كل الملل أنهم قد تغافلوا عن حقيقة كبيرة اسمها الرزاق ذو القوة المتين.

وقد يتململون ويتغامزون من هذا الكلام الذي يحكم اليوم على أصحابه في مثل هذه المؤتمرات بالتخلف العقلي ولكننا برؤوس عالية تناطح السحاب نعلنه بأعلى أصواتنا ونفخر به.

أن المتكفل بأرزاق هذه الأفواه هو الرزاق ذو القوة المتين. الذي أوجب على نفسه اختياراً منه سبحانه أن يرزق كل دابة على ظهر هذه الأرض.

فقال سبحانه: ﴿**ومَا مِنَ دَابَّةٍ في الأرضِ إلاَّ عَلى اللَّه رِزقُها**﴾[1].

نعم فما من دابة من هذه الدواب التي لا يحيط بها حصر ولا يلم بها إحصاء إلا وعند الله علمها وعلى الله رزقها.

فما من جبل على ظهر هذه الأرض إلا ويعلم الله ما في وعره..، ولا بحر على سطح هذه الأرض إلا ويدرى الله ما في ثغره..،

---

(١) سورة هود: ٦.

ولا تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾(١).

ومن اللفتات القرآنية الدقيقة التي تستحق الدراسة والتأمل، تلك اللفتة في قول الله عز وجل: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ...﴾.

مع أن أسباب الرزق الظاهرة في الأرض حتى لا تتعلق القلوب بالأسباب لأنها وحدها لا تضر...، ولا تنفع..، ولا ترزق..، ولا تمنع..، إلا بأمر مسبب الأسباب جل وعلا.

ليس معنى هذا أن نضيع الأسباب وألا نأخذ بها كلا.

فإننا فى هذه الجزئية نطمئن العلمانيين من كل الملل أن ديننا يأمرنا أن نأخذ بالأسباب، وأن نتوكل على الله، وهذا ما نخالفهم فيه، في أننا مع أخذنا بكل الأسباب، نعلم يقيناً أن الأمر ابتداء وانتهاء بأمر الله عز وجل.

وفي الحديث القدسى الجليل الذي رواه مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **قال اللَّه تعالى: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمتُ الظُّلمَ علَى نَفسي وَجَعَلْته بينكُمْ محرَمًا ، فَلاَ تَظَّالموا، يَا عبَادي كُلُّكُمْ ضَال إلاَّ مَنْ هَدَيْتهُ فَاستَهْدُوني أَهْدكُم، يَا عبَادي كُلُّكُم عَار إلاَّ مَنْ كَسَوْتُه فاسْتكسُوني أَكسكُمْ، يَا عبادي إنَّكُم تُخْطئُونَ باللَّيل والنَّهَار ، وأَنَا أَغْفرُ الذُّنُوبَ جَميعا فَاستَغْفرُوني أغْفر لَكُمْ، يَا عبَادي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ و آخرَكُمْ وإنْسكُمْ وَجنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْب رَجُل واحد منْكُمْ مَا زَادَ ذَلكَ في مُلْكي شيئًا.**

يَا عبَادي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وآخركُم وإنْسَكُمْ وجنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْب

(١) سورة الأنعام: ٥٩.

رَجُل منْكُم مَـا نقصَ ذَلكَ منْ مُلْكي شَـيْـئًـا يَا عِبَـادي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخـرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجنَّكُمْ قَامُوا في صَعيد واحد فـسَألُوني، فَأَعْطَيْتُ كُل إنْسان مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلكَ مـمَّا عندي إلاَّ كَـمَا يَنْقُص المخيطُ إذَا أدْخلَ الـبَحْرَ، يَا عـبادي إنَّمَا هي أَعْمَالَكُمْ أُحصيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوفـيكُمْ إيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فلْيَحمَد اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إلاَّ نَفْسَهُ »[(١)].

وتدبر معى أيها المسلم هذا الحديث الكريم الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال واللفظ هذا للبخارى في كتـاب التوحـيد: «**إنَّ يَمينَ الله مَلأَى لاَ يَغيْـضُهَا نَفَقة سَـحَّاءُ اللَّيل والنهار أرأَيْتُم مَـا أَنْـفَقَ مُنْذُ خَلَـق السَّـمـوات والأرضَ؟ فَـإنَّهُ لَمْ يـغض مَـا في يَمينه..**»[(٢)].

فإذا استـقرت هذه الحقيقـة في قلب المسلم وقف على الأرض بأقدام ثابتة لا تزعجـه معونة شرقيـة..، ولا تهدده معونة غربيـة؛ لأنه حينئذ سيـعلم يقيناً أن عليـه أن يضع البذرة وأن يتعـهدها بالعناية والرعـاية أما جميع عناصر الإنبات الأخرى فإنما هي هبة إلهية من عند الله جل وعلا.

الشمس والمطر والرطوبة والطقس فعلى الإنـسان أن يعرف قدره وألا يتجـاوز حجمـه وألا يلوح بيده بعنجهـية واستـعلاء كأنه صـاحبُ الأمر والنهي فالأمر كله لله.

---

(١) **صـحـيح**: رواه مسلم رقم (٢٥٧٧) في البر والصلة، والتـرمذي رقم (٢٤٩٧) في صفة القيامـة وباب رقم (٤٩)، وهذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام، قـد اشتمل على قواعد عظيمة في أصول الدين، وهو من الأحاديث التى علـيها مدار الإسلام، وقد شرحه العلماء وأفردوه بالتأليف.

(٢) **متـفق عليه**: [ص.ج: ٢٢٧٧] رواه البخاري ومسلم وأحمـد، لا يغيضها: أي لا تنقص ولا يقل خيرها، وسحاء: أي دائمة العطاء.

ثانيا - الإيمانُ والتقوى:

قال الرزاق سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾(١).

ثالثا - الاستغفار:

وقد يضحك العلمانيون بملء أفواههم حينما يسمعون إلى رجل يقول أيها الناس إن مفتاح الأرزاق هو الاستغفار، بل وربما ينشرون على صفحات الجرائد الأولى حكاية هذا الرجل البدائي المتخلف الذي يقترح حلاً للمشكلة السكانية هو الاستغفار.

ولكنها حقيقة مطلقة نصدقها بقدر ما يكذبها العلمانيون لأنها من عند الله خالق ورازق هذا الإنسان.

قال الله سبحانه حكاية عن نبيه نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾(٢).

رابعا - العلم والعمل وفتح الأبواب للإبداع والابتكار:

ودينا يأمرنا بذلك أيضاً فى آيات كثيرة جداً وفى الأحاديث الصحيحة.

خامسا - الاستغلالُ الأمثل للموارد والعدالة في توزيع وإزالة الحواجز الجغرافية والنفسية التي زرعها الاستعمار بين بلاد العالم الإسلامي كخطوة للتكامل الاقتصادي لا سيما ونحن نعيش الآن عصر التكتلات.

---

(١) سورة الأعراف: ٩٦.

(٢) سورة نوح: ١٠-١٢.

وبعد فيا أيها الأحبة:

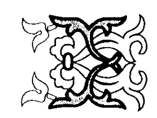
هذا ما ندين لله به في هذه المسألة الخطيـرة التي دار حولها الجدل في الأيام الماضية وكان واجباً على أهل الحق أن يقولوا كلمتهم، وألا يكتموا الحق الذي علمهم الله عز وجل إياه.

أما مـا قدمه المؤتمرون من الإجـهاض والعازل الذكـرى والجنس الحر فهو من جهالات هذا العصر الذي أراد الله عز وجل أن يطلعنا فيه بجلاء على سفاهة عقول القلة المترفة التي تحكم العالم اليوم.

ووالله لقد آن الأوان لتفيء البشرية مـرة أخرى إلى منهج الله لتستظل بظلاله الوارفة بعد أن أحرقها لفح الهاجرة القاتل.

نسأل الله أن يرد الـبشرية إلى الإسـلام رداً جمـيلاً، وأن يقر أعـيننا بنصرة الإسلام وعز الموحدين إنه ولي ذلك ومولاه . . . الدعاء.

* * *



وفاة الرسول(*)



الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي أذل بالموت رقاب الجبابرة. . ، الحمدُ لله الذي أنهى بالموت آمال القياصرة. . ، فنقلهم بالموت من القصور إلى القبور. . ، ومن ضياء المهود إلى ظلمة اللحود. .، ومن ملاعبة النساء والغلمان إلى مقاساة الهوام والديدان. . ، ومن التنعم في الطعام والشراب إلى التمرغ في الوحلِ والتراب.

سبحانه . . سبحانه . . سبحانه

اللهم إنا نبرأ من الثقة إلا بك، ومن الأمل إلا فيك، ومن التسليم إلا لك، ومن التفويض إلا إليك، ومن التوكل إلا عليك، ومن الرجاء إلا لما في يديك الكريمتين.

اللهم تتابع برك. . ، واتصل خيرك. . ، وكمل عطاؤك. . ، وعمت فواضلك. . ، وتمت نوافلك. . ، وبر قسمك. . ، وصدق وعدك. . ، وحق على أعدائك وعيدك ووعدك. . ، ولم تبق حاجة لنا إلا قضيتها ويسرتها يا أرحم الراحمين.

❊ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

❊ هو الواحد الذي لا ضد له. .، وهو الصمد الذي لا منازع له. . ،

(*) ألقيت هذه الخطبة بمسجد النبي موسى - السويس.

وهو الغني الذي لا حـاجة له. . ، وهو القـوى الذي لايعجـزه شيء في الأرض ولا فى السـماء. . ، وهو جـبـار السمـاوات والأرض. . لا راد لحكمه. . ولا معقب لأمره.

❊ هو الأول فلا شيء قبله. . ، وهو الآخر فلا شيء بعده. . ، وهو الظاهر فلا شيء فوقه. . ، وهو الباطن فلا شيء دونه. . ، وهو على كل شيء قدير.

هو الحى الذي لا يموت. . ، صـاحبُ الملك والملكوت. . ، صـاحب العزة والجـبروت. . ، الذي كتب الفناء على جمـيع خلقه. . ، وهو الحيُّ الباقى الذي لا يموت.

❊ وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله أدى الرسالة. . ، وبلغ الأمانة. . ، ونصح الأمة. . ، وكشف الله به الغمة. . ، وعبد ربَّه حـتى لبَّى داعيه. . ، وجاهد في سبـيله حتى أجاب مناديه. . ، وعاش طوال أيامه ولياليه. . يمشي على شوك الأسى، ويخطو على جمر الكيد والعنت. . ، يلتمس الطريق لهـداية الضالين. .، وإرشاد الحائرين. . ، حـتى علَّم الجـاهل. . ، وقـوم المعـوج. . ، وأَمَّن الخـائف. . ، وطمـأن القلق. . ، ونشـر أضواءَ الحقِّ والخيـرِ والإيمان والتوحيـد. . ، كمـا تنشر الشمسُ ضياءها في رابعة النهار. فاللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبيًّا عن أمتـه ورسولاً عن دعوته ورسالـته. . ، وصلِّ اللهم وسلِّم. . وزد وبارك على نبينا محمدٍ وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعـــد ..

أحبتي في الله: لقد خلق اللهُ الأرض، واختار منها بلده الحرام ففضَّله على جميع بقاع الأرض.

وخلق اللهُ السماواتِ سبـعاً، فاختار العليا منها فـفضلها بالقرب من كرسيه ومن عرشه جل وعلا.

وخلق اللهُ الجنان وفـضَّل جنةَ الفردوس على سـائر الجنان فسـقفُـها عرش الرحمن.

وخلق الله الملائكة واصطفي منهم جبريل وإسرافيل وميكائيل.

فجبريلُ صاحبُ الوحي الذى به حياة القلوب والأرواح.

وميكائيل صاحبُ القطر الذي به حياةُ الأرض ومن عليها من الأحياء.

وإسرافيل صاحبُ الصور الذي بنفخته يُبعث الناسُ ليوم النشور.

وخلق الله البـشـر واصطفى منهـم الأنبـياء والـرسل، واصطفى من الرسل أولى العـزم الخمـسـة واصطفى من أولى العزم خـليله وحبـيبـه محـمداً ﷺ ففضله على جميع الأنبيـاء والمرسلين. وتلبية لرغبة إخواننا وأحبابنا فإن موعدنا اليوم مع رسول الله ﷺ بين التكريم والموت.

وما أجملَ أن يكون اللقاءُ مع رسول الله!

وما أحلى أن يكون الحديثُ عن رسول الله!

فهو إمامُ الأنبياء.. وإمامُ الأتقياء.. وإمامُ الأصفياء.

وخاتمُ الأنبياء.. وسيدُ المرسلين.. وقائدُ الغر المحجلين.

وصاحبُ الشفاعةِ العظمـى يوم الدين.. وصاحبُ المقامِ المحمود.. وصاحبُ اللواء المعقود.. وصاحبُ الحوضِ المورود.

شـرح الله لـه صـدره. . ، ورفع الله له ذكـــره. . ، ووضع الله عنه وزره. . ، وزكاه في كل شيء.

زكاه في عقله فقال: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ [النجم: ٢].

وزكاه في صدقه فقال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ [النجم: ٣].

وزكاه في معلمه فقال: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم: ٥].

وزكاه في بصره فقال: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم: ١٧].

وزكاه في فؤاده فقال: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١].

وزكاه في صدره فقال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١].

وزكاه في ذكره فقال: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]

وزكاه كله فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

فهـو حبيب الله. . وهو خليل الله. . وهو أكـرم الخلق على الله عزَّ وجل.

وما من نبي من الأنبياء إلا وقد أخذ الله عليه العهد والميثاق أن يؤمن برسـول الله ﷺ وأن ينصـره إذا بعث كمـا قال الله جل وعلا في سـورة آل عمران:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾[1].

* وفي الحديث الذي أخرجه مـسلم والترمـذي وأحمـد مـن حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

(١) سورة آل عمران: ٨١.

«فُضِّلْتُ عَلَى الأنبياء بستٍّ:

١ ـ أُعطيتُ جَوامِعَ الكَلِمِ

٢ ـ ونُصِرْتُ بالرُّعْبِ (وفي رواية البخاري مَسِيْرَةَ شَهر).

٣ ـ وأُحِلَّتْ ليَ الغنائم

٤ ـ وجُعِلتْ لي الأرضُ طَهُورًا ومسجدًا.

٥ ـ وأُرْسِلْتُ إلَى الخَلْقِ كَافَّةً

٦ ـ وخُتِمَ بي النَّبِيُّونَ»(١).

* وفي الحديث الذي رواه البخاري، ومسلم، من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**إنَّ مَثَلي وَمَثل الأنبيَاء منْ قَبْلي كَمَثَل رَجُل بَنَى بُنيانًا فَأحْسَنه وأَجْـمَلَه، إلاَّ مَوْضعَ لَبنَة منْ زَاوية منْ زَوَايَاهُ، فَجَعَلَ الناسُ يَطُوفُونَ به ويَعْـجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلا وُضِعَتْ اللَّبنَةُ؟ قـال: فأنا اللَّبنَةُ وأنا خَاتَم النَّبيِّين**»(٢).

* وفي الحديث الذي رواه مسلم، وأبو داود، وأحـمد، من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عـنه ـ أن النبي ﷺ قـال: «**أنَا سَيـدُ وَلَد آدمَ يومَ القيَامَة، وأوَّلُ من يَنْشَقُّ عنه القبرُ وأوَّلُ شَافع وأوَّلُ مُشَفَّع**»(٣).

ففي يوم يزداد همهُ وكربه، على جميع الناس، يومَ تدنو الشمسُ من

---

(١) **صحيح**: [ص. ج: ٤٢٢٢]، رواه البخاري (٦/ ٩٠) في الجهاد، ومسلم رقم (٥٢٣) في المساجد، والترمذي (١٥٥٣) في السير، والنسائي (٦/ ٣، ٤) في الجهاد.

(٢) **صحيح**: [ص. ج: ٥٨٥٧]، رواه البخاري (٦/ ٤٠٨) في الأنبياء، ومسلم رقم (٢٢٨٦) في الفضائل، والترمذي رقم (٢٨٦٦) في الأمثال.

(٣) **صحيح**: [مختصر مسلم: ١٥٢٤]، رواه مسلم رقم (٢٢٧٨) في الفضائل، وأبو داود رقم (٤٧٦٣) في السنة، والترمذي رقم (٣٦١٥) في المناقب، وأحمد في مسنده (٢/ ٥٤٠).

الرءوس فتغلي من حرارتها، ثم يؤتى بجهنم كـما أخبر الحبيب ﷺ فـي الحديث الذي رواه مسلم من حديث عـبد الله بن مسعود: «**يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذ، لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَك يجرُّونَهَا**»(١).

فإذا رأت الخلائق زفرت، وزمجرت غـضباً لغضب الله عز وجل فإذا رآها الخلائق لا يقـوى مخلوق في أرض المحشر أن يقف على قـدميه من الحسرة والفزع والهول فيخر جاثياً على ركبته.

﴿**يَوْمَ تَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً**﴾(٢).

ويطول الموقف على جميع الناس، حتى الأنبياء، فيقول بعضهم لبعض ألا ترون ما أنتم فيـه...، ألا ترون ما قد بلغكم...، ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس لبعض ائتوا آدم ـ عليه السلام.

* والحـديث رواه البخـاري ومسلم وأحـمـد وهذا لفظ أحمـد من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه ﷺ قال يوماً: «**أَنَا سَيِّد النَّاسِ يَومَ القِيَامَةِ وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَاكَ؟**».

يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد.

فيقـول بعضُ الناسِ لبعضٍ ائتوا آدمَ فيقـولون: يا آدمُ أنت أبو البشر، خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فـسجدوا لك، فاشفع لنا إلى ربّك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلَغَنا؟

فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبلَه مِثلَهُ ولن يغضب

---

(١) **صحيح**: [ص.ج: ٨٠٠١]، رواه مسلم رقم (٢٨٤٢) في صفـة الجنة، والترمذي رقم (٢٥٧٦) في صفة جهنم.

(٢) سورة الجاثية: ٢٨.

بعده مـثلَهُ، وإنه نهـاني عن الشجـرة فعصـيتُ، نفسي. . ، نـفسي. . ، نفسي. . ، اذهبوا إلى غيري.

اذهبوا إلى نوح.

فيـأتون نوحاً فـيقـولون: يا نوحُ أنت أولُ الرسلِ إلى أهل الأرض، وسمّاك الله عبداً شكوراً، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟

فيقول نوحُ: إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغـضب بعـده مـثله، وإنه كـانت لى دعـوةٌ دعـوتُ بهـا على قـومي. نفسي. . ، نفسي. . ، نفسي. . ، اذهبوا إلى غيري.

اذهبوا إلى إبراهيم.

فيـأتون إبراهيم فيـقولون: يا إبـراهيمُ أنت نبي الله وخليلُهُ من أهل الأرض ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟

فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، وذكر كَذِبَاته . نفسي.، نفسي. .، نفسي. .، اذهبوا إلى غيري.

اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى.

فيقولون: يا موسى أنت رسول الله اصطفاك الله برسالاته، وبتكليمه على الناس، اشفع لنـا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيـه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟

فيقـول لهم موسى: إن ربي قد غضب الـيوم غضباً لم يغـضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله ، وإني قتلت نفـساً لم أومر بقتلها، نفسي نفسي. . ، نفسي. . ، اذهبوا إلى غيري.

اذهبوا إلى عيسى. فيأتون عيسى.

فيـقولون: يا عـيسى أنت رسولُ الله وكلمـتُهُ ألقـاها إلى مريم وروحٌ منه، قال: هكذا هو. وكلمتَ الناسَ في المهـد فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟

فيقول لهم عيسى: إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنباً، نفسي. . ، نفسي. . ، نفسي. . ، اذهبوا إلى غيري. اذهبوا إلى محمد ﷺ.

فيأتوني. فيقولون: يا محمد أنت رسولُ الله، وخاتم الأنبياء، وغفر الله لك مـا تقدم من ذنبك ومـا تأخر، فـاشفع لنا إلى ربك ألا تـرى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟

فأقومُ فآتي تحت العرش فأقعُ ساجدا لربي عز وجل، ثم يَفْتَحُ اللهُ عليَّ ويُلهِمُني من محامده وحُسنِ الثناءِ عليه ما لم يفتحْهُ على أحد قبلي.

فيـقال: يا محمـدُ، ارفع رأسك سل تعطه، اشفع تُشفّع. فـأقول: يارَبِّ أمتي أمتي، يارب أمتي أمتي، يارب أمتي أمتي.

ـ وفي الروايات الأخرى ـ فأقـول: يارب وعدتني الشفاعة فـشفعني في خلقك، فاقض بينهم.

فيقول سبحانه وتعالى: شفعتك أنا آتيكم فأقضِ بينكم[1].

وصدق الله عز وجل إذ يقول:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

---

(١) صحيح: [ص.ج: ١٤٦٦]، رواه البخاري (٢/٣٣٤-٣٣٥)، ومسلم (١/١٢٧-١٢٩)، وأحمد (٢/٤٣٥)، وابن خزيمة (١٩٧)،وأبو عوانة (١/ ١٧٠-١٧٥)، والترمذي (٢/ ٧٠-٧١) وصححه.

* **وبالجملة أيها الأحباب:**

فإن الله عز وجل قد كرم نبيه محمداً ﷺ تكريما في الدنيا والآخرة ما كرمه لأحدٍ من العالمين.

فهل منعــه هذا التكريم من الموت . كلا ﴿**وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ**﴾(١).

إلى أن نزل عليه قول الله جل وعلا:

﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا**﴾(٢).

أخرج الطبراني عن جابر بن عبد الله أنه قال لما نزلت هذه السورة.

قال النبي ﷺ لجبريل: «**نَعَيْتَ إِلَيَّ نَفْسِي يَا جِبْرِيلُ**».

فقال جبريلُ: «والآخرة خير لك من الأولى».

وفي الحديث الذي انفرد به البخاري عن ابن عباس أنه قال في سورة النصر هو أجل رسول الله ﷺ.

وفي الحــديث الذي رواه أحمــد عن ابن عــباس لما نزلت قــال ﷺ: «**نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي**»(٣).

وقال مجاهد والضحاك وغيرهم إنها أجلُ رسول الله ﷺ.

وفي أول شهر ربيع الأول من العام الحادي عــشر للهجرة بدأ رسولُ الله ﷺ يحسُّ بالألم الشديد في رأسه، فكان أول مــا ابتدأ به رسول الله ﷺ أنه خرج إلى بقيع الغرقد. فسلم على أهل البقيع واستغفر لهم.

---

(١) سورة ق: ١٩.

(٢) سورة النصر.

(٣) صحيح: رواه البخاري رقم (٤٩٦٩) في التفسير.

تقول عائشة ـ رضي الله عنها ـ فلما رجع رسولُ الله ﷺ من البقيع وجدنى وأنا أجد صداعاً في رأسي وأنا أقول وا رأساه فقال: «**بَلْ أَنَا وَاللهِ يَا عَائِشَةُ وَارَأْسَاه**»(١).

فقامت عائشة ـ رضي الله عنها ـ الصديقةُ بنتُ الصديق ترقي النبي ﷺ.

ففي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم أن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى نَفَثَ على نفسه بالمعوذات ومسح عنه بيده، فلـما اشتكى وجـعه الذي تُوفِّي فيـه طفقتُ أنفثُ على نفـسه بالمعوذات التي كان ينفث وأمسح بيد النبي عنه».

وفي رواية للإمام مالك.

«وأمسحُ بيد النبيِّ على جسده رجاءَ بَرَكَتِها».

وفي رواية الإمام مسلم.

«وأمسح بيد رسول الله لأنها كانت أعظمَ بركةً من يَدي».

* واشتد الوجعُ برسول الله ﷺوهو في بيت ميمونة ـ رضي الله عنها ـ فدعا نساءه فاستأذنهن في أن يمرَّض في بيت عائشة فأذنَّ له ـ رضي الله عنهن ـ.

واشتد الوجعُ والألمُ برسول الله ﷺ حتى قَلِق الصحابةُ قلقاً شديداً وحزنوا حزناً بليغًا فشعر النبيُّ بهذا الحزن وهذا القلق.

فأمرهم أن يصبوا عليه الماء.

كما ورد في الحـديث الذي رواه البخاري من حديث عـائشة ـ رضي الله عنهـا ـ قالت: لما دخل رسـول الله ﷺبيتي واشـتد به وجعـه قال:

---

(١) صحيح: [صحيح ابن ماجة ١١٩٧]، رواه ابن ماجة رقم (١٤٦٥) في الجنائز، والدارمي (١/ ٣٧) المقدمة.

«هَرِيقُوا عَلَيَّ من سَبعِ قِرَبٍ لَعَلِي أَعهَدُ إِلَى النَّاسِ». وفي رواية ابن إسحاق حتى أخرج إلى الناس فأعهدَ إليهم.

تقول عائشة فأجلسناه في مخضبٍ لحفصة زوج النبي ﷺ ثم طفقنا نصبُّ عليه من تلك القرب حتى طفق يشيرُ إلينا بيده أن قد فعلتن (وفي رواية ابن إسحاق) حتى طفق يقول: «حَسبُكمْ حَسبُكمْ».

ثم خرجَ إلى الناس عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر.

فكان أول ما ذكر بعد حمدِ الله والثناء عليه ذكر أصحابَ أحدٍ فاستغفر لهم ودعا لهم وأكثر الصلاة عليهم. ثم قال:

«أيُّهَا النَّاسُ إنِّي بَينَ أَيْدِيكُمْ فَرْطٌ وأَنَا علَيْكُم شَهِيْد، وإنَّ مَوعِدَكُم الحَوْضُ وَإِنِّي لأَنظرُ إليْه منع مَقَامِي هَذَا، وَ إِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أنْ تُشْرِكُوا بَعدِي ولَكنِّي أخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا كَمَا تَنَافَسُوا فيهَا فَتُهْلَكُكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ»»(١).

ثم قال ﷺ: «إنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّه خَيَّرهُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَ اللَّه فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّه».

ففهمها أبو بكر - رضي الله عنه - وعرف أن العبد المخير هو رسولُ الله فبكى الصديق وقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله.

بل نحن نفديك بآبائنا وأمهاتنا وأنفسنا وأموالنا فعجب الناسُ من بكاء أبي بكر - رضي الله عنه - فقال الرسول ﷺ:

«عَلَى رِسْلِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ».

---

(١) متفق عليه: [ص.ج: ٢٤٦٩]، رواه البخاري (١١/ ٤١٤) في الرقاق، وفي الجنائز، وفي الأنبياء، وفي المغازي، ومسلم رقم (٢٢٩٦) في الفضائل.

ثم قال: «أَيُّها النَّاسُ إنَّ أمنَّ الناس عليَّ بصُحْـبَته وَمَاله أَبُو بَكْر، كُلُّكُمْ كَانَ لَهُ عنْدَنَا يدٌ كَافَأْنَاهُ بهَا مُتَّخذًا إلا الصِّديقُ فَإنَّا تَرَكْنَا مكَافَأَته للَّه عَزَّ وَجَل. لَوْ كُنْتُ مُتَّخذًا مـنَ الْعبَاد خَليْلاً لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْر خَليْلاً وَلَكنْ أُخُـوَّةٌ وَصُحْبَةٌ وَانْظُرُوا إلَى هَذه الأَبْوَاب النَّافذَة إلَى المسْجد فَسُدُّوهَا إلاَّ بَيْتَ أَبي بَكْر»(١).

ثم قال: «يَا مَعْشَرَ المهاجرينَ اسْتَوْصُوا بالأَنْصَار خَيْرًا فَإنَّ النَّاسَ يَزيْدونَ وإنَّ الأَنْصَار عَلَى هَيْئَتهَا لا تَزيْدُ، وَإنَّهُم كَانُوا عَيْبَتي الَّتي أَوَيْتُ إلَيْهَا فَأحْسنُوا إلَى مُحْسنهم وتَجَاوزُوا عَنْ مُسيئهم»(٢) والحديث رواه البخاري ومسلم..

ثم نزل رسول الله ﷺ فدخل بيت عائشة وتقامَّ به وجعه، وثقل عليه المرض، ولم يعد يقدر على الخروج للصلاة بالمسلمين، فأمر النبي ﷺ أن يصلي أبو بكر - رضي الله عنه - بالمسلمين.

وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم أن عبد الله بن مسعود دخل على رسول الله ﷺ وقد اشتدت به الحمى فقال:

إنك لتوعك وعكاً شـديداً يا رسول الله قال: «أَجَلْ يَا عَـبْـدَ اللَّه إنِّي أُوْعَكُ كَـمَا يُوْعَكُ الرَّجُـلاَن منْكُمْ، قُلْتُ: إنَّ لَكَ لأَجْرَيْن، قَـالَ: نَعَمْ وَالَّذي نَفْسي بيَده مَا عَلَى الأَرْض مُسْلمٌ يُصيْبُهُ أَذى منْ مَرَض ممَّا سوَاهُ إلاَّ حَطَّ اللَّهُ عَنْهُ خَطَايَاهُ كَمَا تَحطُّ الشجرةُ وَرَقَهَا»(٣).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١/ ٢٢، ٤٢٩، ٢/ ٦٣٨)، وابن أبي شيبة (١٢/ ٦)، وابن أبي عاصم في السنة (١٢٢٧).

(٢) صـحـيح: [ص. ج: ٩٥٩]، أخـرجـه ابن حـبان (٢٢٩٣)، وأحـمـد (٣/ ١٨٧، ٢٠٥-٢٠٦)، وأحمد (٣/ ١٦٢).

(٣) مـتـفق عليـه: [ص. ج: ٥٧٦٣]، رواه البـخـاري (١٠/ ١١٦) فـي المرض، ومـسلم (١٦/ ١٢٧) في البر والصلة.

ثم دخل عليَّ عبـد الرحمنُ بن أبي بكر كما تقـول عائشة رضي الله عنها في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم قالت:

«إن الله جمـع بين ريقي وريقه عند الموت ،دخل عليَّ عـبد الرحـمن وبيده سواك، وأنا مـسندة رسول الله ﷺ إلى صدري، فـرأيته ينظر إلى السواك، وأنا أعرف أنه يحب الســواك، فقلت: آخذه لك يا رسول الله، فأشار برأسه: أن نعم. فتناولته فأخذته، ومـضغته، ثم لينته، ثم طيبته، ثم أعطيتـه لرسول الله ﷺ فاستاك به جيـداً، فلما انتهى أخذت السواك وأخذتُ أمْتَص من السواك ريق رسول الله فكان هذا هو آخر عهدي بريق المصطفى ﷺ.

فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة.

وكـان ﷺ بين يديه ركوة فيها ماء فـجعل يُدخل يده في الماء فيمسح بهما وجـهه ويقول: **«لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ إِنَّ لِلْمَـوْتِ لَسَكَرَاتٍ اللَّهُمَّ أَعنِّي عَلَى سَكَرَاتِ الموت»**(١).

* وأقبلت عليـه فاطمة الزهراء ـ رضي الله عنهـا ـ وكانت من أحب الناس إلى رسـول الله ﷺ وكانت إذا دخلت عليه في حالة صـحته قام إليها وقبلهـا وأجلسها في مجلسه ولكنه اليوم لا يستطيع القـيام كما ورد في الحديث الذي رواه أبو داود والتـرمذى والنسائى.وابن حبـان والحاكم من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

«ما رأيت أحداً أشبه سمتاً وهدياً برسول الله بقيامها وقعودها من فاطمة وكانت إذا دخلت على النبي ﷺقام إليها وقبلها وأجلسها في مجلسه».

---

(١) صحيح: [ص.ج: ٧١٧٥]، رواه البخاري (٢/ ٦٤٠) باب «مرض النبي ﷺ».

فلمـا مرض الرسـول ﷺ دعاها كـما ورد في الحـديث الذي رواه البخـاري من حديث عائشـة. «دعا النبي ﷺ فاطمـة عليهـا السلام في شكواه الذي قبـض فيه فـسارها بشيء فـبكت، ثم دعاها فسـارها بشيء فضـحكت، فسألنا عن ذلك فقـالت: سارني النبيّ أنه يقبض في وجـعه الذي تُوفي فـيه، فبكيت ثم سـارني فأخـبرني أنّي أولُ أهله (لحـوقاً به) يتبعه، فضحكت»[(١)].

ثم قال: «**يَا فَاطمةُ إنَّ جَبْريلَ كَانَ يُعَارضُني القُرْأنَ في كُلِّ عَامٍ مَرَّةً ولَقَدْ عَـارَضَني القَـرْأَنَ في هَذَا العَـامِ مَـرَّتَين وَمَا أَرَاهُ إلاَّ أَنَّـهُ قَد اقْـتَـرَبَ الأَجَلُ يَا فَاطمة**» فبكت ـ رضي الله عنها ـ فقال: «**يَا فَاطمةُ إنَّك أَشَد نسَاء المسْلمينَ مُـصَابًا بي بَـعدَ مَـوْتي فَـلاَ تَكُوني أَقَلَّ امـرأة منْهُمْ صَبْـرًا فَـاصبـري يا بُنَيَّـتي واحْـتَـسبي عنْدَ اللَّه أَجْـرُك**» فقامت فـاطمة تبكى وهى تقول احتـسبتك عند الله يا رسول الله.

❊ فلما كـان يوم الإثنين الذي تُوفي فيـه رسول الله ﷺ خـرج إلى الناس وهم يصلون الصـبح فـرفع السـتر وقـام على باب عـائشـة فكاد المسلمون يُفتنون في صـلاتهم فرحاً برسول الله ﷺ حين رأوه وهـمَّ أبو بكر أن يتأخر فأشار إليهم أن اثبتوا على صلاتكم وتبسم ﷺ لما رأى من هيئتهم في صلاتهم ثم رجع وأرخى الستر[(٢)].

وعاد وقد اقترب الأجل وبدأت اللحظات الأخيرة من عمره الشريف تتلاشى وتنتهي.

تقول عائشة: «مات رسول الله ﷺ بين سحرى ونحرى وأنا مسندته

(١) صحيح: رواه البخاري (٢/ ٦٣٨).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٢/ ٦٤٠) فى مرض النبي ﷺ.

إلى صدري فرأيته رفع يده أو إصبعه ثم قال: «**بَلِ الرَّفِيْقُ الأَعْلَى، بَلِ الرَّفِيْقُ الأَعَلى، بَلِ الرَّفِيْقُ الأَعْلَى** فعلمت أنه لا يختارنا»(١).

وعن أنس قال: لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه فقالت فاطمة عليها السلام: واكرب أبتاه، فقال لها: ليس على أبيك كربٌ بعد اليوم فلما مات قالت: يا أبتاه أجاب ربًّا دعاه، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه فلما دفن قالت فاطمة: يا أنس أطابت نفوسكم أن تحثو على رسول الله ﷺ التراب»(٢).

مات رسول الله.. مات المصطفي محمد ﷺ.. مات خير خلق الله.. مات إمام الأنبياء.. ومات إمام الأصفياء.. مات إمام الأتقياء.

وقام عمر يصرخ ويقول: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد مات، وإن رسول الله ﷺ والله ما مات ولكنه ذهب إلى لقاء ربه كما ذهب موسى بن عمران فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم والله ليرجعن رسول الله فليقطعن يدي رجال وأرجلهم زعموا أنه قد مات.

وعقر عليّ فقعد في الأرض لا يستطيع القيام.

وخرس لسان عثمان يذهب به ويأتى به من يده لا يتكلم.

وجاء الصديق وعمر يكلم الناس فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على الجسمان الطاهر الشريف وهو مسجى في بيت عائشة، فكشف الثوب عن وجهه وأقبل عليه يقبله، وبكى وهو يقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله..

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٢/٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١) باب «آخر ما تكلم النبي ﷺ».

(٢) صحيح: رواه البخاري (٢/٦٤١)، (٧/٧٥٥) في كتاب المغازي، وأحمد (٣/٢٠٤)، والدارمي (١/ ٤٠، ٤١)، وابن ماجه (١٦٣٠) وغيرهم.

وانبياه واصفياه واخليلاه. أمـا الموتةُ التي قد كتبها الله عزَّ وجل عليك فقد ذقتها ثم لن تصيـبك بعدها موتة أبدًا ثم رد البرد على وجهه، وخرج إلى الناس فقـال: على رسلك يا عمـر فأبي إلا أن يتكلم فأقـبل الناس على أبي بكر فحـمد الله وأثنى عليه ثم قرأ على الناس قـول الله تعالى: ﴿**وَمَـا مُـحَـمَّدٌ إلاَّ رَسُـولٌ قَدْ خَلَتْ من قَبْله الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابكُمْ وَمَن يَنقَلبْ عَلَى عَقبَيْه فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزي اللَّهُ الشَّاكرينَ**﴾[1].

فوالله لكأن النـاس لم يعلموا أن هذه الآية قد نزلـت وأخذها الناس عن أبي بكر فإنما هي في أفـواههم. فلما سمعـها عمر عـقر ووقع على الأرض لا تحمله رجلاه وعلم أن رسول الله ﷺ قد مات[2].

وجاءت فاطمة تبكي وتقول: يا أبتاه أجابَ ربًّا دعاه. . ، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه. . ، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه[3].

ثم غسلوه في ثيـابه، وكفنوه، ودفنوه في حجرة عـائشة ـ رضي الله عنها ـ.

والله إن العين لتدمع. . وإن القلب ليحـزن. . وإنا لفراق رسول الله ﷺ لمحزونون.

* * *

(١) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٢/ ٦٤٠، ٦٤١).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٢/ ٦٤١) باب «مرض النبي ﷺ».

الخطبة الثانية

إنها الحقيقة الكبرى يا عباد الله . . .

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾(١).

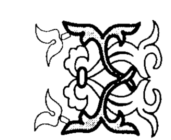
إنها الحقيقة التي تسربل بها طوعاً أو كرهاً العصاة والطائعون وشرب كأسها الأنبياءُ والمرسلون. . إنها الحقيقة التي تصبغ الحياة البشرية كلها بصبغة الذل والعبودية لقهار السماوات والأرض. . إنها الحقيقة التي تعلن على مدى الزمان والمكان في أُذن كل سامع، وعقل كل مفكر وأديب، أنه لابقاء إلا لله الحيِّ القيوم.

أَيَا عَبْد كَمْ يَرَاكَ اللهُ عَاصِيًا ... حريصًا عَلَى الدُّنْيَا ولِلْموْت نَاسيًا
أَنَسيْتَ لقَاء الله واللَّحدَ والثَّرَى ... ويومًا عبوسًا تَشيْبُ فيْه النَّوَاصيَا
لَوْ أَنَّ المرءَ لمْ يَلبسْ ثيابًا منَ التُّقَى ... تَجَرَّدَ عُرْيانًا وَلَوْ كَانَ كَاسيًا
وَلَوْ أَنَّ الدُّنْيَا تَدُومُ لأَهْلهَا ... لَكَانَ رَسُولُ اللَّه حيًّا وباقيًا

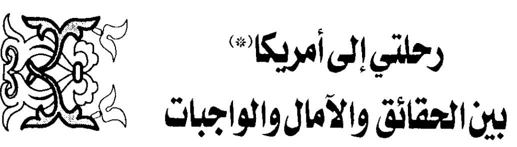
فلترسخ هذه الحقيقة في القلوب والعقول، ولنعلم أن قدر رسول الله ﷺ في قلوبنا على قدر اتباعنا له. فمحبتنا له ﷺ تستلزم اتباعه في كل ما أمر والانتهاء عما نهى عنه وزجر وتصديقه في كل ما أخبر ومحبته أكثر من النفس والمال والولد دون غلو أو إطراء. . اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم واجزه عنا خير ما جزيت نبيًّا عن أمته ورسولاً عن دعوته ورسالته، واحشرنا في زمرته وتحت لوائه واسقنا بيده الشريفة شربة هنيئة مريئة لا نظمأ بعدها أبداً يارب العالمين. . . الدعاء.

---

(١) سورة آل عمران: ١٨٤.



رحلتي إلى أمريكا(*) بين الحقائق والآمال والواجبات



الحمـد لله الذي نور بكتابه القلوب.. وأنزله في أوجز لفظ وأعـجز أسلوب.. فـأعيت بـلاغتُـه البلغـاء.. وأعجـزت حكمـتُه الحكمـاء.. وأبكمت فصحاته الخطباء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن مـحمداً عبده ورسـوله، وصفيه من خلقه وخليله البـشير النذير.. السراجُ المزهر المنير.. خيرُ الأنبياء مقاماً.. وأحسنُ الأنبياء كلاماً.

رافع الإصر والأغلال.

والداعي إلى خير الأقوال وأحسن الأعمال.

أرسله الله عز وجل والناسُ صنفان.

مغضوب عليهم جفاة.. وضالون غُلاة.

فجاء بالدين الـوسط..، وحذر من الزيغ والشطط..، وتركنا على المحجة البيضاء ليلُها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

فاللهم اجزه عنا خـير ما جزيت به نبـيًّا عن أمتـه..، ورسولاً عن دعـوته..، ورسالتـه..، وصلِّ اللهم وسلم وزد وبارك عليـه وعلى آله وصحبه أجمعين.

(*) كانت هذه الخطبـة في شهر ديسمبـر لعام ١٩٩٣م، جامع الراجحي بالقـصيم - المملكة العربية السعودية..

وبعد.. فحيا الله هذه الوجوة الطيبة المشرقة وزكَّى الله عز وجل هذه الأنفس وشرح الله هذه الصدور، وأسأل الله أن يتقبل منا وإياكم صالح الأعمال وأن يجمعنا وإياكم في الدنيا على طاعته وفي الآخرة في جنته ودار كرامته.

أيها الأحبة:

اسمحوا لي أن يكون لقاؤنا اليومَ بعد هذه الغيبة بعنوان:

«رحلتي إلى أمريكا بين الحقائق والآمالِ والواجبات».

فلقد شرفني اللهُ جل وعلا بالمشاركةِ في ثلاثةِ مؤتمراتٍ إسلامية عُقدت في أمريكا في الأيام الأخيرة من هذا العام المنصرم فى النصف الثاني من شهر ديسمبر.

أما المؤتمرُ الأول فقد عُقد في مدينة إنديانا بوليس تحت إشراف جمعية القرآنِ والسنة التي يقوم عليها إخوةٌ كرامٌ أفاضل يقدمون الإسلام غضًّا صافياً من القرآن والسنة بفهم سلف الأمة.

يقدمونه للناس في بيئة أحرقها لفحُ الهاجرةِ القاتل وأرهقها طولُ المشى في التيه والظلام.

وكان موضوعُ المؤتمر في هذا العام بعنوان: «العملُ الإسلاميُّ المعاصر بين عذاب الاختلاف ورحمة الائتلاف».

وقد شارك فيه مجموعةٌ كريمةٌ من العلماء والدعاة وحضره عدةُ مئات من المسلمين والمسلمات.

أما المؤتمر الثاني فقد عقد في مدينة «ديترُويت» تحت إشراف رابطة الشباب المسلم العربي التي يقوم عليها أخوةٌ يعتز بهم كلُّ مسلم. إخوةٌ

واصلوا الليلَ بالنهـار في العمل الجاد المخلص للإسـلام في هذه البلاد. وبلغوا درجةً من التنظيم والتنسيق تبعث على الفخر والاعتزاز.

وقد حضر هذا المؤتمر ستة آلاف مسلمٍ ومسلمة في مظاهرة إسلاميةٍ تُبكي العيونَ فرحاً. وتملأ القلوبَ أملاً.!!

وقد شارك فيه عدد كبير من أكابر العلماء والدعاة أيضاً من معظم أنحاء العالم الإسلامي. وكان موضوع المؤتمر «الأمة الإسلاميةُ شروق لا غروب».

أما المؤتمر الثالث فقد عُقد في كندا تحت إشراف الاتحاد الإسلامي الصومالي وكان يقوم عليه إخوةٌ فضلاء من الصومال، وقد حضره عدة مئات من المسلمين والمسلمات وشارك فيه مجموعة من العلماءوالدعاة وكان موضوعه «نحو منهج السلف».

ثم قمنا بزيارة بعض المراكز الإسلامية، وكانت سعادتُنا غامرة ونحن نتجول في مركز الدراسات الإسلامية والعربية التابع لجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية في فرچينيا، هذا الصرح الذي افتتح رسميًّا منذ عام تقريباً ويقدم جهدا عظيما للدعوة إلى الله في مثل هذه البلاد بأحدث الطرق العلمية والتقنية للعرب والأمريكان.

ومن بديع ما قدمه هذا المعهد في هذه الفترة القريبة برنامجاً بالكمبيوتر لتعليم الإسلام باللغة الإنجليزية لغير المسلمين. بالإضافة إلى التعليم وطبع النشرات والدوريات وترجمة بعض الكتب.

ويقوم عليه إخوة كرامٌ أفاضل يحملون همَّ هذا الدين، فنسأل الله عزوجل لهم ولجميع الإخوة العاملين للإسلام الثبات والتوفيق إنه ولي ذلك ومولاه وهو على كل شيء قدير.

وبعد هذه الجولة السريعة في عدة ولايات، أستطيعُ أن أسجل لكم بعض انطباعاتي بين الحقائق والآمال والواجبات في نقاطٍ سريعة.

أولاً - الحقائق:

وإن أكبر حقيقة أذكر بها نفسي وإياكم أن من قدَّر الله عزَّ وجل له زيارة هذه البلاد عرف أن أعظم نعمةٍ امتن الله بها علينا هى نعمةُ الإسلام والإيمان.

وذلك محضُ فضلِ الله علينا ابتداءً وانتهاءً.. قال الله عز وجل: ﴿وَمَا بِكُم من نِعمَة فَمنَ اللَّه﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿وَلَكنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِليكُمُ ا لإيمَانَ وَزيَّنَهُ فى قُلُوبكُم وَكَرَّهَ إِلَيكُمُ الكُفرَ وَالفُسُوقَ وَالعصيَانَ أُولَئكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ * فَضلاً منَ اللَّه ونعمة واللَّهُ عليمٌ حكيم﴾[2].

وقال عز وجل: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيكَ أَن أَسلَمُوا قُل لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسلامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيكُم أَن هَدَاكُم للإيمَانِ إِن كُنتُم صَادقين﴾[3].

وفي الصحيحين من حديث أبى هريرة أن النبي ﷺ قال: «كُلُّ مَوْلُود يُولَدُ عَلَى الفطْرَة»[4]، وفي لفظ مسلم: «مَا منْ مَوْلُود إلاَّ وَيُولَدُ علَى الفطْرَة فَأَبَوَاهُ يُهودَانه ويُنَصرَانه ويُمَجسَانه كَمَا تُنْتَجُ البَهيمَةُ بَهيْمَة جَمْعَاءُ»[5] (أى

(١) سورة النمل: ٥٣.

(٢) سورة الحجرات: ٧، ٨.

(٣) سورة الحجرات: ١٧.

(٤) صحيح: [ص.ج: ٤٥٥٩] أخرجه البخاري (١/ ٣٤١، ٣٤٨)، ومسلم (٨/ ٥٣)، والطيالسي (٢٣٥٩)، أحمد (٢/ ٢٩٣).

(٥) صحيح: [ص.ج: ٥٧٨٤]، رواه البخاري في الجنائز (٣/ ١٧٦، ١٩٧، ١٩٩)، وأخرجه مسلم رقم (٢٦٥٨) في القدر، والموطأ (٥٢) الجنائز، والترمذي رقم (٢١٣٩) في القدر، أبو داود رقم (٤٧١٤) في السنة.

مجتمعة الأعضاء) ثم قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم قول الله عز وجل: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾[الروم: ٣٠].

وفي صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار وفيه أن النبي ﷺ قال: «قَال اللَّه تعالى: إِنِّي خَلَقْت عِبَادي حُنَفَاء فَجَاءَتْهُم الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُم عَنْ دينهم وَحَرَّمَت عَلَيهِم مَا أَحْلَلَتُ لَهُم وَأَمَرَتهُم أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنزِّل به سُلْطَانًا».

فمن نحنُ ليشرفنا اللهُ بعبادته وتوحيده وطاعته جل وعلا.. إنه فضل الله علينا ابتداءً وانتهاءً لم ننله بفضل عقل ولا بقوة بدن.

وَمِمَّا زَادَنِي فَخْرًا وَتِيهًا ... وَكِدْتُ بِأُخْمُصِي أَطَأُ الثُّرَيَّا
دُخُولِي تَحْتَ قَوْلِكَ يَا عِبَادِي ... وَأَنْ أَرْسَلْتَ أَحْمَدَ لِي نَبِيًّا

فلا يسعنا إلا أن نخر لله سجداً.

وأن نحمده في كل نفس من أنفاس حياتنا على هذه النعمة العظيمة.

وأن نضرع إليه مخلصين أن يحفظها علينا، وأن يختم لنا بها عند الموت؛ لنسعد في الدنيا والآخرة.

ويزداد فضل الله علينا، وتغمرنا رحمته وبركته ويغشانا إحسانه بعد إنعامه علينا بنعمة الإسلام والإيمان بأن يختار لنا بيئةً طيبة تعيننا على طاعة الله وتذكرنا به إذا نسينا..

فإن البيئة هناك لا تذكرك بالله عز وجل أبداً بل تدفعك دفعاً ولو كنت ورعاً تقيًّا إلى معصية الله جل وعلا..!!

ففي كل مكان ترى المعصية، في الطائرة..، في القطار..، في الباص..، في الشارع..، في الفندق..، في المحل..، فى المطعم..،

في المأكل. . .، في المشرب. . .، وتخشى إذا ابتعدت عن إخوانك أن تأكل أو أن تشرب، فهى بيئة تتصاعد منها أنفاسُ العصاة في كل لحظة.

ومن رأى هذه البيئة، وعاش فيها عرف يقيناً.

وأقسم على ذلك بالله العظيم إن أطهر وأشرف بيئة على ظهر هذه الأرض، تعينك على طاعة الله، وتحجزك عن معصية الله هى بلاد الحرمين الشريفين، ولا ينكر ذلك إلا جاحدٌ مريضُ القلب، فهي جزيرة الإسلام ومهبط الوحي وأرض الرسالات والنبوات وفيها بيت الله جل وعلا ومسجدُ رسوله المصطفي ونبيه المجتبى ﷺ.

وكيف لا وقد قال الصادق المصدوق ﷺ مخاطباً مكة يوم هجرته منها: «**وَاللَّه إنَّك لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّه وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّه إلَى اللَّه وَلَوْلاَ أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ**» أخرجه الترمذى وابن ماجه وإسناده صحيح.

ودعا الحبيب لمدينته الغراء كما في صحيح البخاري ومسلم من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ بِالمدينة ضعفَي مَا جَعَلْتَ بِمَكَّةَ منَ البَرَكَة**»(١).

وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال: «**إنَّ أَنْقَاب المدينة مَلاَئكَةَ لاَ يَدْخُلُها الطَّاعُونُ ولاَ الدَّجَّالُ**»(٢).

وفي«الصحيحين» من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال: «**إنَّ الإيمانَ ليأرزُ**

(١) متفق عليه: [ص.ج: ١٢٥٦]، أخرجه مسلم رقم (١٣٦٩) في الحج.

(٢) متفق عليه: [ص.ج: ٤٠٢٩]، رواه البخاري (٤/٨٢) في الفضائل وفي الطب وفي الفتن، ورواه مسلم رقم (١٣٧٩)، (١٣٨٠) في الحج، والموطأ (٢/٨٩٢) في الجامع، والترمذي رقم (٢٢٤٤) في الفتن.

إِلَى المدينة كَمَا تَأرزُ الحَيَّةُ إلى جُحْرِهَا »[١]، وفي لفظ مسلم «إنَّ الإسلامَ بَدَا غريبًا وسَيَعُودُ غَرِيْبًا كَمَا بَدَأَ وَهُوَ يَأرِزُ (أي: ينضم ويجتمع) بَيْنَ المسْجِدَيْن أيْ بَيْنَ المسَجْدِ الحَرَامِ والمسَجْدِ النَّبَوي كَمَا تَأرزُ الحيَّةُ في جُحْرِهَا»[٢].

وقال بأبي هو وأمي في جزيرة العرب كما في صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله قال ﷺ:

«إنَّ الشَّيطَانَ قَدْ أيسَ أَنْ يَعبدَهُ المصلُّونَ في جَزيرةِ العَربِ ولَكنْ في التَّحْرِيشِ بَيْنَهمْ»[٣] أي بإيقاع الفتن بين الناس وحمل بعضهم على بعض.

فمن منَّ الله عليه، وأسكنه هذه البلاد، وتلك الأرض، فليحمد الله عز وجل وليعرف قدر هذه النعمة فإنها والله أرضٌ مباركة طيبة تدفعك دفعاً إلى طاعة الله، وتحول بينك وبين معصية الله، وتعيش فيها آمناً على دينك، وهذا أعظمُ أمانٍ على الإطلاق.

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قال: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ ورُزِقَ كَفَافاً وقنَّعهُ اللَّهُ بمَا آتَاهُ»[٣]. وفي لفظ الترمذى من حديث فُضَاله بن عبيد أنه ﷺ قال: «طُوبَى لمنْ هُدِي للإسْلاَمِ وكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وقَنَع».

فكيف بمن هداه الله للإسلام وأسكنه بلاد الإسلام وأغدق عليه

---

(١) متفق عليه: [ص.ج: ١٥٨٩]، رواه البخاري (٤/ ٨٠، ٨١) في فضائل المدينة، ومسلم رقم (١٤٧) في الإيمان.

(٢) صحيح: [ص.ج: ١٥٨١]، رواه مسلم رقم (١٤٦) في الإيمان.

(٣) صحيح: [ص.ج: ١٦٥١]، رواه مسلم رقم (٢٨١٢) في الفتن.

(٤) صحيح: [ص.ج: ٤٣٦٨]، رواه مسلم رقم (١٠٥٤) في الزكاة، والترمذي رقم (٢٣٤٩) في الزهد..

العطاء والنعم فلنعرف نعمة الله علينا ولنخر له سجدًا شاكرين، ولنؤدي حق الله علينا في كل هذه النعم، ونضرع إلى الله تعالى أن يجعل بلاد الحرمين أمناً أماناً سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين إنه على كل شيء قدير.

ثانياً - الآمال . .

وهي كثيرة ولله الحمد والمنة. . وكلُّها تردد بثقةٍ ويقين قائلةً:

إن الإسلامَ قادم كقدوم الليل والنهار.

وَلَئِنْ عَرفَ التَّاريخُ أَوْسًا وَخزْرَجًا فَلِلَّه أَوْسٌ قَادِمُونَ وَخَزْرَجُ
وَإِنَّ كُنوزَ الغَيبِ تَخْفَى طَلاَئِعًا حُـرَّةً رَغْمَ المَكائد تَخرُجُ

نعم. . إن أمة الإسلام قد مرضت وطال مرضها. . ، ونامت وطال رقادها. . ، ولكنها بفضل الله جل وعلا لا تموت.

وإن الذي يفصل في الأمر في نهاية المطاف ليس قوةُ الباطل، ولكن الذي يفصل في الأمر هو قوة الحق.

ولا شك على الإطلاق أن معنا الحق الذي من أجله خلقت السماوات والأرض. . ، والجنة والنار. . ، ومن أجله أنزلت الكتب. . ، وأرسلت الرسل.

معنا رصيد الفطرة. . فطرةُ الكون وفطرة الإنسان. . وقبل كل ذلك وبعد كل ذلك معنا الله، ويا لها والله من معية كريمة مباركة ﴿**واللَّه غَالبٌ عَلَى أَمرِه ولَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعلَمُون**﴾(١).

---

(١) سورة يوسف: ٢١.

﴿وَلَقَد سَبقَت كَلمَتُنَا لعبَادنَا المرسَلين إنهُم لَهُمُ المنصُورُون وإنَّ جُندَنَا لَهُمُ الغَالبُون﴾(١).

﴿يُريدُونَ ليُطفِئُوا نُورَ اللَّه بأفواهِهِم واللَّهُ مُتمُّ نُورِه ولو كره الكافرون﴾(٢).

نعم أيها الأحباب:

إنه وعد الله الذي لا يخلف وسنة الله التي لا تتغير ولا تتبدل.

يقول المفكر الشهير (ماكنيل): «إن الحضارة الغربية الآن في الطور الأخيرة من أطوار حياتها...».

نعم أيها الأحبة:

فلقد استطاعت الحضارة الغربية أن تقدم تكنيكاً رائعاً وتقدماً علمياً مذهلاً، يناطح السحاب وحولت العالم كله إلى قرية صغيرة عن طريق التقدم المذهل في عالم الاتصالات والمواصلات.

ولكنها فشلت أن تقدم الراحة للقلوب...، والطمأنينة للنفوس...، والسكينة للإنسان...، والاستقرار للضمير...، والهدوء للأعصاب. والسَّبب بسيط جدًّا وهو:

أن هذه الأمور تتعلق بالروح، بالشق الثاني من هذا الإنسان والروحُ لا يشبعها ولا يسعدها ولا يريحها إلا أن تعبد خالقها عزَّ وجل.

فالحضارة الغربية فضلت فى أن تتعامل مع إنسانية الإنسان لأنها لا تُقاس بالأمتار...، ولا توزن بالجرام...، ولا تخضع للبارومتر

(١) سورة الصافات: ١٧٣. (٢) سورة الصف: ٧.

الزئبقى. . ، ولا تتجمد في بوتقة الاختبار في المعامل ولذا حصل الشقاءُ بِحَقٍّ لإنسان هذه الحضارة من اليأس. . ، والقلق. . ، والألم. . ، والملل. . ، والتمرد. . ، والتمزق. . ، والمأساة. . ، والشذوذ. . ، والجنس بكل صوره وأشكاله.

حتى يقول آرثر ميللر الكاتب الأمريكى المشهور: «إن أكثر الأماكن براءةً في بلدي هو مصحة الأمراض العقلية، وكمال البراءة هو الجنون».

حتى لقد عقدت جامعة هارفارد في عام ١٩٧٩ مؤتمراً لكبار الأساتذة والمفكرين وعلماء النفس والاجتماع وجميع مجالات العلوم الإنسانية وطرح عليهم سؤالين هما:

❊ **الأول**: ما معنى الحياة في أمريكا؟

❊ **والثاني**: ما هى فلسفة التعليم وهدفه في أمريكا؟

ويلخص شوبنهار حياة الغرب في كلمات فيقول: «إن الحياة تتأرجح من اليمين إلى اليسار، من الألم إلى الملل، وليستغث هذا الغربُ المسكين إلهه إذا شاء إنه سيظل فريسةَ مَصيره فالقدر لا يرحم».

وهناك إحصائيات أخيرة وخطيرة جداًّ تؤكد هذا الخطر.

ذلك وعد الله عزَّ وجل.

قال سبحانه: ﴿**فلمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا به فَتَحْنَا عَلَيهِم أَبوَابَ كُلِّ شَيءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغتَةً فإذَا هُم مُّبلِسُون فقُطِعَ دَابرُ القَومِ الذِينَ ظَلَمُوا وَالحَمدُ للَّه رَبِّ العَالَمِين**﴾[1].

---

(١) سورة الأنعام: ٤٤، ٤٥.

ومن أروع ما قرأت للكاتب المشهور شبنجلز في كتابه سقوط الحضارة يقول: «إن للحضارة دورات فلكيةً تغرب هنا لتشرق هناك وإن حضارةً جديدة أوشكت على الشروق في أروع صورة هي حضارةُ الإسلام الذي يملك أقوى قوةٍ روحانيةٍ عالميةٍ نقية».

وإليكم هذه البشائر التي تُسعدُ كلَّ مسلمٍ ومسلمة:

* ففي الشهر الماضي أقيم في البنتاجون حفلٌ فريد من نوعه **لأول** مرة في تاريخ أمريكا **وهو حفل تنصيب إمام أمريكى مسلم للصلاة بالمسلمين في الجيش** الأمريكى وسمح لهم القانون بأداء الصلاة في أوقاتها في وقت العمل الرسمي. وهذا الإمام هو النقيب المسلم عبد الرشيد محمد وهو أمريكى مسلم.. وحضر الحفل عدةُ وفود تمثل سفارات بعض الدول الإسلامية، وقد اهتمت وكالات الأنباء والصحف والمجلات فى أمريكا بهذا الخبر الجديد.

* وصل عدد المسلمين في أمريكا إلى ما يقرب من **ستة مليون مسلم ومسلمة**.

* وصل عددُ المساجد الآن في أمريكا إلى ما يقرب من ١٠٠٠ مسجد.

*في شيكاغو وحدها التي تعتبر من أكبر أماكن العالم فى الجريمة. بها **٤٩ مركزًا إسلاميًّا**.

* مؤسسة إسلامية كبيرة تعرف بمؤسسة الأخت كليرا محمد أنشأت **خمسين مدرسة إسلامية** في أكثر من ولاية وأنشأت **كلية المعلمين المسلمين** أخيراً في فرچينا؛ لتخريج المدرسين.

* افتتح في آخر الشهر المنصرم أول **برنامج إذاعي إسلامى** في إذاعة جديدة تسمى **صوت الحق** تبث برامجها للأمريكيين المسلمين باللغة الإنجليزية.

* افتتح منذ عام تقريباً معهد الدراسات الإسلامية والعربية التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الذي يعطى شهادة البكالوريوس والماجستير في الدراسات الإسلامية، إلى جانب الأعمال الدَعَوِيَّة الأخرى في ولاية فرچينا وغيرها من الولايات.

* وجود مثل هذه المؤتمرات والندوات والمجلات والدوريات التي يصدرها الأخوة الكرام من المسلمين العرب والأمريكان.. على الرغم من تفرقهم أحياناً واختلافهم فأدعو الله عز وجل أن يجمع شملهم، وأن يوحد صفهم، وأن يؤلف بين قلوبهم، إنه ولي ذلك ومولاه.

وأخيراً أيها الأحباب:

فالإسلام قادم كقدوم الليل والنهار.. ذلكم وعد الله عز وجل ووعدُ رسوله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، وفي الحديث الذي رواه أحمد والطبراني في الكبير والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي من حديث تميم الداري أنه ﷺ قال: «**لَيَبلَغَنَّ هَذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ والنَّارُ وَلاَ يَتْرُكَ اللَّهُ بَيْتَ مدر وَلاَ وبر إلاَّ أدخلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بعزِّ عزيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ عِزاً يَعِزُّ اللهُ به الإسْلاَمَ وَذُلاًّ يَذِلُّ اللهُ به الكُفْرَ**».

والمبشرات القرآنية والنبوية كثيرة وقد أفردت لها لقائين بعنوان (**المستقبل لهذا الدين**) وكذلك (**بشرى وأمل**).

وها هي كتائبُ الصحوة الإسلامية العالمية المباركة تتوالى يغذيها

كل يوم شبان في ريعان الصبا، وفتياتٌ في عمر الورود، تلكم الكواكب الكريمة..

وأخيراً الواجبات:

فما هو دورنا وما واجبنا وما الذي قدمناه، وما الذي يجب علينا أن نقدمه أيها الحبيب.. أيتها المسلمة:

كلنا على ثغر من ثغور الإسلام.

فواجبنا جميعاً أن نكون إيجابيين متجردين في العمل لهذا الدين.

أغرس على قدر استطاعتك..، ولا تتعجل الثمرة حتى ولو أكلها غيرك، فما عليك أنت إلا أن تغرس لهذا الدين حتى ولو قامت الساعة كما في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد عن أنس عن رسول الله ﷺ: «إِذَا قَامتَ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيْلَةٌ فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَلاَّ تَقُومَ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا فَلَهُ بِذَلِكَ أَجْرٌ».

فلا تحقرن من المعروف شيئاً، وابذل جهدك لدين الله على قدر استطاعتك.

واحمل هم هذا الدين وتحرك بقلب يتحرق على الأمة التي نزفت دماؤها في كل مكان ومزقت أشلاؤها، وانتهكت أعراضها وسلبت أرضها.

فهل أنت كذلك أم أنك تنام ملء جفنيك وتأكل ملء بطنك وتضحك ملء فمك؟

علينا جميعاً أن نعمل للإسلام لنكون ممن شرفهم الله بالسير على طريق الأنبياء.

ففي الصحيح عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ

بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّة قَبْلِي إِلاَّ وَكَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِه حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِه وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِه، ثُمَّ إِنَّهَا تخلُفُ مِنْ بَعدهم خُلوفٌ يَقُولونَ: مَا لاَ يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لاَ يُؤْمَرُونَ فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِه فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُم بِلِسَانِه فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُم بِقَلْبِه فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيْمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»(١).

وعلينا أن نتحرك للدعوة فهي الآن كما قال علماؤنا: فرض عين على كل مسلم ومسلمة وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَة» فكم تحفظ من الآيات وكم تعرف من الأحاديث؟!

وإن أعظم عمل نقدمه الآن للإسلام هو أن نشهد له شهادة عملية على أرض الواقع كما شهدنا له جميعاً من قبل شهادة قولية فإننا لن نعيد الإسلام من جديد بالخطب الرنانة والمواعظ المؤثرة وإنما نعيدة منهجاً للحياة فهل من مدكر؟!

نسأل الله العظيم أن يرد البشرية إلى الإسلام ردًّا جميلاً وأن يقر أعيننا بنصرة الإسلام وعز الموحدين... الدعاء.

❊ ❊ ❊

(١) صحيح: رواه مسلم رقم (٥٠) في الإيمان، باب «كون النهي عن المنكر من الإيمان».

خطب الشيخ

محمد حسان

الجزء الثالث

دار ابن رجب

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

رقم الإيداع : ٧٦٢٦ / ٢٠٠٥
الترقيم الدولى : 6 - 057 - 390 - 977

دار ابن رجب طبع. نشر. توزيع

فارسكور : تليفاكس ٠٠٢٠٥٧٤٤١٥٥٠ جوال : ٠١٢٢٣٦٨٠٠٢
المنصورة : شارع جمال الدين الأفغاني هاتف : ٠٠٢٠٥٠٢٣١٢٠٦٨

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الاحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. أما بعد

فحياكم الله جميعاً أيها الآباء الفضلاء، وأيها الأخوة الأحباب الأعزاء وطبتم جميعاً وطاب ممشاكم وتبوأتم من الجنة منزلا وأسال الله العظيم جل وعلا الذي جمعني وإياكم في هذا الجمع الطيب المبارك الكريم على

طاعته أن يجمعني وإياكم جميعاً في الآخرة مع سيد الدعاة المصطفى ﷺ في جنته إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله :

«**المداومة على العمل الصالح شعار المؤمنين**» هذا هو عنوان لقائنا مع حضراتكم في هذا اليوم الكريم المبارك في أول جمعة بعد شهر رمضان، وكعادتنا فسوف ينتظم حديثنا مع حضراتكم تحت هذا العنوان في العناصر التالية :

أولا: إعراض وفتور .

ثانيا : ثمارٌ زكية .

ثالثا :أسباب معينة على المداومة على العمل الصالح

رابعا : مُثل عَلِيّه ونماذج مشرقة .

وأخيرا: احذروا المنية .

فأعرني قلبك وسمعك أيها الحبيب الكريم،فإن هذا الموضوع بعد رمضان من الأهمية بمكان ، والله أسأل أن يجعلنى وإياكم جميعاً ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب .

أولا : إعراض وفتور:

أيها الأحبة الكرام . .هاهي الساعات تمر والأيام تجري وراءها وانتهى شهر رمضان ،ربح فيه من ربح ٠٠ وخسر فيه من خسر ٠٠ وقُبل فيه من قُبل ٠٠ وطرد فيه من طرد. . فياليت شعرى ٠٠ من المقبول منا فنهنئه ؟. ياليت شعري ٠٠ من المطرود منا فنعزيه !! .

فَيَا عَيْنُ جُودي بالدَّمعِ منْ أَسَفٍ   عَلَى فِراق ليالٍ ذات أنوارِ
عَلَى ليالٍ لشَهْرِ الصَّوْمِ مَا جُعلتْ   إلاَّ لتَمْحِيصِ آثامٍ وأوزارِ
مَا كَانَ أَحْسَنَنَا والشَّمْلُ مجتمعٌ   منا المصلِّي ومنَّا القَانتُ القَاري
فَابْكُوا مَا مَضَى فِي الشَّهْرِ واغْتَنِمُوا   ما قَدْ بقيَ إخوتي من فضل أعماري

أيها الأحبة :

لقد رأينا المساجد معطرة بأنفاس الصائمين في رمضان .. ورأينا المساجد في رمضان مزدحمة بصفوف المصلين .. بل وسمعنا للمساجد في رمضان دويًّا بالذكر وقرآن رب العالمين، بل وأسعد قلوبنا في رمضان تنافسُ أهل البر والخير من المحسنين .

ولكن .. مع أول فجر من أيام شهر شوال يتألم قلبك .. وتبكي عينك .. ويتحسر فؤادك .. وتتمزق نفسك حسرات !!!

أين المؤمنون ؟! .. أين المصلون في رمضان ؟!! أين القائمون لله في رمضان ؟!! أين الذاكرون الله كثيراً والذاكرات ؟!!

إنك بعد انقضاء رمضان ترى المساجد خاوية إلا من رحم الله !! مع أول فجر من شوال تشكي المساجد حالها إلى الكبير المتعال .. !!

الله أكبر .. ما الذي حدث ؟!!

إعراض وفتور يؤلم القلب الأبيّ التقي النقي .

والفتور لغة: هو الانقطاع بعد الاستمرار وهو التكاسل والتراخي والتباطؤ، كما قال ابن منظور في لسان العرب: فَتَرَ، يَفْتُرُ ،فُتُوراً أي: سَكَنَ بعد حدة ولان بعد شدة .

فإنك ترى يا عبدالله فتورا ملفتا لجميع الأنظار مع انقضاء آخر ليلة من

ليالي شهر رمضان !!،بل ولست مبالغا ـ ورب الكعبة ـ إذا قلت لحضراتكم أن هذا الفتور قد يتطرق ويزيد إلى درجة الإعراض لا أقول عن نافلة من النوافل .. بل عن فريضة افترضها الله جل وعلا على عباده على الدوام لا في المناسبات ومواسم الطاعات،كأن يعرض كثيراً من المسلمين عن صلاة الفريضة في غير رمضان .

يا عبدالله! هل كنت تعبد في رمضان ربًّا وتعبد في بقية الشهور ربًّا آخر؟!!

إن رب رمضان هو رب بقية الشهور والأيام ... هو الإله الواحد الحق .. الذي لا ند له .. ولا ضد له .. ولا والد له .. ولا ولد له .. قل هو الله أحد .. أحد في أسمائه .. أحد في صفاته .. أحد في أفعاله جل وعلا .

فيا من صليت لله في رمضان وضيعت الصلاة في غير رمضان. احذر واعلم يقيناً بأن هذه من علامات النفاق.أسأل الله أن يملأ قلبي وقلبك إيماناً إنه ولي ذلك ومولاه .

إن المداومة على العمل الصالح شعار المؤمنين .. بل ومن أحب القربات إلى الله رب العالمين كما في الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها ـ أن النبي ﷺ قال :

« **أكْلَفُوا[*] منَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ ، فَإنَّ اللهَ لاَ يملُّ حتَّى تَملُّوا ، وَإنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إلَى اللهِ أدْوَمُهُ وَإنْ قَلَّ** » وكان إذا عمل عملاً أثبته[1] .

(*) أكْلَفوا :كلفت بهذا الأمر،أكْلَفُ به: إذا أولعت به،وكَلَّفه تكليفا:إذا أمره بما شق عليه،والُمتكلِّفَ:الُمتعرِّض لما لا يعينه .

(١)رواه البخاري(١/ ١٠٩، ١١٠)في الإيمان،باب أحب الدين إلى الله أدومه(١٤/ ٧٨، ٧٩)=

وأثبته :أى داوم عليه وواظب عليه .

«وكـــان ﷺ إذا فاته شيء مـن صلاة الليل لنوم أو مـرض صلاه من النهار اثنتى عشـرة ركعة» وهاأنذا أذكر في هذا اليوم نفـسي وأحبابي وإخواني بفضل المداومة على الطاعـات، .وهذا هو عنصرنا الثاني بإيجاز لأعرج على بقية العناصر وعنوانه.

ثمار زكية:

ثمار زكيـة للمداومة على الأعمال الصـالحات التى ترضي رب البرية .. فإن من داوم على العمل الصالح وذاق حلاوة هذه المداومة سعد في الدنيا والآخرة.

وانتبه معي أيها الكريم لتتعـرف على أهم الثمار للمداومة على العمل الصالح الذي يرضي العزيز الغفار .

وأولها:أن المداومـة سبب لطهارة القلب من النفـاق واتصاله بربه الخلاق والقلب هو الأصل كما قال أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ:

القلب ملك الأعضاء، والأعضاء جنوده ،فإذا طاب الملك طابت جنوده وإذا خبث الملك خبثت جنوده ، فبعلاج القلب يصلح البدن كله وبفساد القلب يفسد البدن كله كما في الصحـيحين من حديث النعمان بن بشير وفيـه « **أَلاَ وَإِنَّ في الجَسَدِ مُضْغَـةً إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهي القَلْبُ** »[1] .

= في الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، ومسلم رقم(٧٨٢) في الصلاة ، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل، والموطأ(١/ ١١٨)، وأبو داود (١/ ٣١٥) في صلاة الليل، باب ما يؤمـر به من القصد فـى الصلاة واللفظ له، والنسائي (٣/ ٢١٨) فـي صلاة الليل، باب الاختلاف على عائشة فى إحياء الليل.

(١) رواه البخارى(١/ ١١٧) في الإيمان، باب فضل من استـبرأ لدينه، وفي البيوع باب الحلال =

ويقول الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ :

« الأعـمـال تتفـاضل عند الله بتـفـاضل مـا في القلوب لا بكثـرتهـا وصورها ٠٠ » .

ولذا يقول المصطفي ﷺ كما في صحـيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عـنه « **إنَّ اللهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُـوَرِكُمْ وَأَمْـوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعمَالِكُمْ**»[1] .

فإذا استنار القلب بنور التـوحيد والإيمان أقبلت وفود الخـيرات إليه من كل ناحية فينتقل صاحبه من طاعة إلـى طاعة .

وإذا أظلم القلب أقبلت سحائب البلاء والشر عليه من كل مكان فينقل صاحبه من معصية إلى معصية ، فيصبحُ كالأعمى الذي يتخبط في غياهب الظلام ، فمن أعظم علامـات صحة القلب وطهارته مداومة صـاحبه على العمل الصالح مع شعوره بالتقصير وخوفه ألا يتقبل منه الرب القدير .

كما قال سبحانه : ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ**﴾ [المؤمنون: ٦٠] .

قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ قلت يا رسول الله: « **والذين يؤتون ما**

= بين والحـرام بـين ، ومـسلم رقم(١٥٩٩) فـي المسـاقـاة ، باب أخـذ الحـلال وترك الشبـهـات ، وأبو داود رقم(٣٣٢٩ , ٣٣٣٠) فى البـيـوع ، والتـرمـذى رقم (١٢٠٥) في البيوع ، باب ما جاء في ترك الشبهات ، والنسائي (٧/ ٢٤١) في البيوع .

(١) رواه البـخاري(٩/ ١٧١) في النـكاح ، باب لا يخطب على خطبـة أخيـه حـتى ينكح أو يدع ، وفي الأدب ، وفي الفرائـض ومسلم رقم (٢٥٦٣) في البر والصلـة ، باب تحريم الظن والتـجـسس والتنافس ، والموطأ (٢/ ٩٠٧ , ٩٠٨) فـي حـسن الخلق ، باب مـا جـاء في المهـاجـرة ، وأبو داود رقـم (٤٨٨٢ , ٤٩١٧) في الأدب ، باب في الغـيـبـة ، وباب في الظن ، والترمذي رقم (١٩٢٨) فى البر والصلة ، باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم .

آتوا وقلوبهم وجلة » أهو الرجل يزني، ويسرق، ويشرب الخمر ؟

قال: «**لاَ يَا عَائِشَةُ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ وَهُوَ يَخَافُ أَلاَّ يُقبلَ مِنْهُ**» والحديث رواه أحمد في مسنده .

يقول ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول: إنى على إيمان جبريل وميكائيل[1] .

وهذا هو فاروق الأمة عمر ـ رضي الله عنه ـ الذي أجرى الله الحق على لسانه وقلبه بشهادة الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ومع هذا يذهب إلى حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ يقول له :

«أنشدك الله ياحذيفة هل سماني لك رسول الله ﷺ في المنافقين!!» عمر يخشى النفاق على نفسه ؟! نعم يخشى النفاق على نفسه .

يقول الحسن البصرى: ما أمن النفاق إلا منافق وما خاف النفاق إلا مؤمن[2].

وبالجملة أيها الأحبة :

فمن أعظم ثمار المداومة على العمل الصالح طهارة القلب من النفاق واتصاله بالملك الخلاق جل وعلا .

ثانيا: من ثمار المداومة على العمل الصالح ـ فروضه ونوافله ـ أنها سبب لمحبة الله لعبده .

وانتبه أيها الحبيب فإنني أقول: إنها سبب لمحبة الله لعبده ولم أقل إنها سبب لمحبة العبد لربه ..

(١ ،٢) رواه البخاري معلقا في الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لايدري.

وشتان شتان بين المنزلتين فأنَّى لنور السهى من شمس الضحى ! وأنَّى للثرى من كواكب الجوزاء !

محبـة العبد لربه جل وعلا أمر طبيـعي وأما محبة الرب لعبـده فأمر تُحبس أمامه ألسنَةُ البلغاء والفصحاء !!

يقول الله جل وعلا في الحديث القدسي الجليل :

« مَنْ عَادَى لي وَليًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بالحرب، وَمَا تَقَرَّبَ إلى عَبْدي بشَيء أَحبَّ إليَّ منْ أدَاء مَـا افْتَـرَضْتُ عَلَيْه ، ولاَ يزَالُ عَـبْدي يتَـقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوَافلِ حـتَّى أُحبَّـه، فَإذَا أَحْبَبْـتُهُ كُنْتُ سَمْعَـهُ الَّذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبْـصرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطشُ بهَا ، وَرجْلَهُ الَّتي يَمْـشي بهَا وَإنْ سَأَلَني أَعْطَيْتُهُ ، وإن اسْـتَعَاذَ بي أَعَـذْتُهُ ، ومَـا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيء أَنا فَـاعلُهُ ، تَرَدُّدي عَنْ نَفْس المـؤمن ، يَكْرَهُ الموتَ وأَنَا أَكْرَهُ مُسَاءَتَهُ »(١) .

ثالثا: ومن أعظم ثمار المداومة على العمل الصالح أنها سبب للنجاة من المصـائب والشدائـد، فمن حـرص على العـمل في وقت الرخاء مـا تخلى الله جل وعلا عنه في وقت الشدة .

كما في وصية النبي ﷺ الغالية لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ:

« يَا غُلاَمُ، أَلاَ أُعَلِّمُكَ كلمَـات يَنْفَعُكَ اللهُ بهنَّ» فَقَالَ : بَلَـى . فَقَالَ: «احْفَظ اللهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظ اللهَ تَجدْهُ تُجَاهَكَ ـ أَوْ قال: أمامك ـ تَعَرَّفْ إلَى الله في الرَّخاء يَعْـرفْكَ في الشِّدَّة ، إذَا سَأَلْتَ فَاسْأَل الـلهَ، وإذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعنْ بالله ، فَإنَّ الْعـبَادَ لَو اجْتَمَـعُوا عَلَى أنْ يَضُرُّوكَ بشَيء لَمْ يَكْتُـبْهُ اللَّهُ

---

(١) رواه البخاري(١١/ ٢٩٢, ٢٩٥) في الرقاق، باب التواضع، وانظر « الفتح » للحافظ ابن حـجر ومـا قـاله الحـافظ ابن رجب الحنبلي في « جـامع العلوم والحكم » حـول هذا الحديث.

عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ، جَفَّت الأَقْلامُ، وطُوِيَت الصُّحُفُ»(١) .

رابعـــاً: ومن أعظم ثمار المداومـة على العمل الصالح أنهـا سبب لحسن الخاتمة والفوز بالجنة

يقول الحافظ ابن كثير :

لقـد أجـرى الـكريم عـادته بكرمـه أن من عـــاش على شيء مـات عليه، ومن مات على شيء بُعث عليه .

فلا يزال المـؤمن يجاهد نفـسه على طاعة الله حـتى يختم له بـحسن الخاتمة .

يقـول سبحـانه : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت : ٦٩].

ويقول سبحانه : ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [إبراهيم : ٢٧].

وفي الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي وأحمد من حديث أنس أن النبيﷺ قال: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بعَبْد خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ. قِيلَ: كَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ؟ قَالَ: يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْه»(٢) .

فأنت يا عبد الله إن وُفِّقْت للعـمل الصالح وداومت عليه قبضت على

---

(١) يقول شـيخنا شعـيب الأرناؤوط في تخريج جامع الأصـول: هو حديث حسن بمجـموع طرقه، بعـضه عند أحمد، وبعـضه عند الترمذي، وبـعضه عند غيـره وانظر « جامع العلوم والحكم » لابن رجب الحنبلي في حديث البـاب، والمقاصد الحسنة للسـخاوي، في حديث «لن يغلب عسر يسرين» .

(٢) أخرجـه الترمذي رقـم (٢١٤٣) في القدر، باب ما جـاء أن الله كتب كتـابا لأهل الجنة وأهل النار ، وقال الترمذي: هذا حديث صحيح، وهو كما قال.

هذا العمل الصالح ،وعلى نفس الطاعة تُبْعَث إن شاء الله جل وعلا ..

ومن أعجب ما سمعت في الأسبوع الماضى .. طفل صغير لم يتجاوز العاشرة من عمره،ما ذهبت إلى القاهرة في خطبة جمعة أو محاضرة إلا ورأيت هذا الطفل بين يَدَي إلى جوار المنبر،فتعلقت به وتعرفت عليه.

وفي الجمعة الماضية أقبل عليّ والده دونه !! فقلت:أين ولدك ؟ فبكى!! قلت:سبحان الله ما الذي حدث؟ قال:إنه مات ..

قلت:إنا لله وإنا إليه راجعون .. إنا لله وإنا إليه راجعون .. أسأل الله أن يعوضك خيراً وأن يجعله فرطا لك على الحوض.

قال لى:والله يا شيخ أنا لا أبكي الآن على فراقه،وإنما أبكي لما رأيت عند وفاته .. فلقد رأينا عجبا عجابا .!!

هذا الطفل العجيب الصغير كان يُعَلِّم الكبار في حياته ..كان يأخذ مصروفه فيشتري شريطاً لمحاضرة يسمع الشريط ثم يعير الشريط لبعض إخوانه ويأخذ جزءًا من مصروفه فيضع هذا الجزء في صندوق التبرعات بالمسجد ويشتري بالجزء الآخر قدراً من الحلوي ليوزعه على الفقراء .

وفي اليوم الكريم المبارك في أول جمعة من شهر رمضان ..اغتسل في بيته وقال لأبيه: أريد أن أخرج مبكرا إلى المسجد؛ حتى أكون في الصف الأول ،ولبس ثوباً أبيضًا جميلاً وتطيب وتعطر وانطلق إلى المسجد ،ينزل من السيارة وبينه وبين باب المسجد خطوات وإذا بسيارة أخرى طائشة تصدمه ويطير في الهواء، فيُحْمَل وهو في غيبوبة الموت

إلى مستشفى الدمرداش، وقرر الأطباء أن الطفل يحتضر وأنه بالفعل في غيبوبة الموت، وإذا بالأذان يرفع على المآذن في المساجد القريبة من المستشفى، إنه أذان الجمعة فلفت الأنظار هذا الطفل العجيب حينما رفع يده وأشار بسبابته إلى السماء معلنا توحيده لرب الأرض والسماء . .

عجز لسانه أن يردد كلمة التوحيد فتحرك القلب في صدره وأصدر أوامره للجنود والأعضاء، فارتفعت اليد وأشارت السبابة تعلن توحيدها لله جل وعلا . . إنها الخاتمة . . إنها الخواتيم يا عباد الله . . نسأل الله أن يرزقنا وإياكم حسن الخاتمة .

« **يبعث كل عبد على مات عليه**» .

قال الله تعالى : ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ**﴾ [إبراهيم : ٢٧].

وقال سبحانه ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [العنكبوت : ٦٩].

اللهم اجعلنا من المحسنين يارب العالمين . . فيا من جاهدت نفسك . . يا من صبرت نفسك على طريق الطاعة . . وصبرت نفسك عن المعصية . . اعلم أنه بمقدور الله أن يهديك السبيل، وأن يثبتك وأن يسددك على الطريق . . وأن يكون الله معك؛ لأنك حينئذ ستكون من المحسنين . . والمحسن هو الذي يعبد الله كأنه يراه وهو يعلم يقينا أنه إن لم ير الله فإن الله جلّ وعلا يراه .

«**يَا محمدُ .. مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبَدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**» .

وهنا أيها الأحبة: قد يتساءل كثير من المسلمين ويقول: فما هو السبيل إلى هذا الخير ؟

وما هي الأسباب التي تعيننا على المداومة على العمل الصالح ؟

وهذا هو عنصرنا الثالث من عناصر هذا اللقاء ألا وهو . .

أسباب معينة:

إن من أعظم الأسباب التي تعينك على المداومة على العمل الصالح.

الاستعانة بالله جل وعلا . . فإن من أعانه الله فهو المعان ومن خذله الله فهو المخذول . . فاطلب العون من الله أن يسددك، وأن يوفقك، وأن يؤيدك، وأن يعينك على العمل الصالح الذي يرضيه.

عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - في الحديث الذي رواه أحمد والترمذي وهو حديث صحيح أن المصطفى ﷺ أخذ بيده وقال:

« **يَا مُعَاذُ إِنِّي وَالله لأُحِبُّكَ فَلاَ تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صلاة أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِني عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ** »[١].

فاطلب العون من الله أن يعينك على العمل الصالح الذي يرضيه.

ومن أعظم الأسباب المعينة على المداومة على العمل الصالح القصد والاعتدال في الطاعات والأعمال بلا إفراط أو تفريط فخير الأمور الوسط.

وقد حذر النبي ﷺ من الغلو والتشدد؛ لأن الإنسان لا يصبر عليه.

---

(١) صححه الألباني في صحيح الكلم الطيب رقم (٩٥)

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ وهذا لفظ البخاري أن النبي ﷺ قال:

«إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغُدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»(١).

ففي الصحيحين أن النبي ﷺ دخل المسجد مرة ،فرأي حبلاً ممدودًا بين ساريتين فقال: **«مَا هَذَا الحبلُ»**؟

قالوا: هذا حبلٌ لزينب فإذا فترَتْ تعلَّقَت به.

فقال النبي ﷺ: **«لاَ، حُلُّوهُ لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ فَإِذَا فَتَرَ فليَقعُدْ»**(٢).

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ:

جاء ثلاثة رهط إلى بيوت النبي ﷺ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها، قالوا :فأين نحن من رسول الله ﷺ ،وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟

قال أحدهم :أما أنا فأصلي الليل أبدًا.

وقال الآخر :أنا أصوم الدهر ولا أفطر.

وقال الآخر وأنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبدًا.

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٩) في الإيمان باب الدين يسر وقول النبي ﷺ أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة.

(٢) رواه البخاري (٣/ ٢٧٨) في أبواب التهجد باب مـا يكره من التشديد في العبادة، وأبو داود رقم (١٣١٢) في الصلاة :باب النعاس في الصلاة ،والنسائي (٣/ ٢١٨، ٢١٩) في قيام الليل :باب الاختلاف على عائشة ـ رضي الله عنها ـ في إحياء الليل.

فجـاء رسول الله ﷺ إليهم ، فـقال «أَنْتُمُ الَّذينَ قُلْتُمْ كَذَا وكَـذَا ؟ أَمَا والله إنِّي لأَخْـشَاكُمْ لله؟ وَأَتْقَـاكُمْ لَهُ ولَكنِّي أَصُومُ وَأُفْطرُ وأُصَلِّـي وأَرْقُدُ، وَأَتزَوَّج النِّسَاء، فَمَنْ رَغبَ عَنْ سُنَّتي فَلَيْسَ مِنِّي»(١).

وهكذا يُحوِّل النبي ﷺ منهج التوازن والاعتدال والوسطية إلى منهج عملي على أرض الواقع وتدبر معي دعاءه الكريم ﷺ الذي رواه مسلم أنه كان يقول: « اللَّهُمَّ أَصْلحْ لي ديني الَّذي هُوَ عصْـمَةُ أَمْري وأَصلح لي دُنْيَايَ الَّتي فيْهَـا معَاشي وَأَصْلحْ لي آخرَتي الَّتي إلَيْهَا مَعَـادي وَاجْعَل الحياةَ زيَادَةً لي في كُلِّ خَيْر وَاجْعَل الموْتَ رَاحَةً لي منْ كُلِّ شَرٍّ»(٢).

وهكذا بأوجز لفظ وأبلغ أسلوب بَيَّنَ لنا الحبيـب كيف يكون الاقتصاد والاعتدال والتوازن بين الدين والدنيا ليقوي الإنسان على المداومة.

ومن أهم الأسباب المعينة على الدوام على العمل الصالح التدرج في الطاعة، فيـبدأ الإنسان بالأسهل والأيسر والأحب إلـى قلبه،ثم يترقى بعد ذلك في الأعمال والطاعات.

وفي صحيح البخاري عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «أَوَّلُ مَا أُنْزلَ منَ القـرآن سـورٌ في ذكـر الجنة والنـار حـتَّى إذَا ثابَ الناسُ إلى الإسلام نزلَ الحـلالُ والحرامُ ولو نزلَ أولاً لاَ تَـشْرَبُوا الخمـرَ ولا تَزْنُوا لقالوا: لاَ ندعُ الخمرَ ولا ندعُ الزنَا أبدًا».

وهذا ما فهمـه أيضا الخليفة الراشد عمر بـن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ حينما ذهب إليـه ولده التقي المتحمس « عبد الملك» وقـد أنكر على أبيه عدم

(١) رواه البخـاري(١١/ ٤)في النكاح ،باب الترغيب فـي النكاح .ومسلم رقم (١٤٠١) ، باب استحباب النكاح ،والنسائي (٦/ ٦٠) في النكاح أيضاً باب النهي عن التبتل .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٧٢٠) في الذكر والدعاء،باب التعوذ من شرِّ ما عمل ومن شرِّ ما لم يُعمل.

الإسراع في التغـيير، فقال الولد لأبيه: يـا أبتِ مالك لا تحمل الناس على الحق جملة واحدة فوالله ما أبالي لو غَلَتْ بي وبك القدور في سبيل الله جل وعلا .

فقال الوالد الفقيه: لا تعجل يا بني فإن الله ذم الخمر في القرآن مرتين وحرمها في الثالثة وإني أخـاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيدعوه جملة فتكون فتنة.

ومن أعظم الأسباب أيضـا صحبة الأخيار الـذين يعينونك على طاعة الله جل وعلا .

لأن الإنســان قد ينشط إذا رأى إخـوانه من حوله على طاعـة الله جل وعلا وقد يشعر الإنسان بالخجل من نفسه إذا رأى إخوانه في طاعة وهو مقصر، فاصحب الأطهـار والأخيار وأهل الفضل والعلم والصلاح الذين إذا رأيتهم تذكرك رؤيتهم بالله عز وجل وبطاعة الله سبحانه وتعالى .

ففي سنن ابن ماجه والحديث حسن أن النبي ﷺ قال: « **إنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ للشَّرِّ** »(١)

فيـاعبد الله صـاحب مفاتيح الخـير؛ ليـفتحـوا قلبك لحب الله وذكر الله وطاعة الله جل وعلا ،وانصرف عن مفاتيح الشر الذين يغلقون قلبك عن طاعة الله وعن حب الله وعن ذكر الله جل وعلا .

واحرص على صحبة الأطهار .. واحرص على صحبة الأخيار الذين يذكرونك بالعزيز الغفـار فإن صحبتهم ستعينك عـلى طاعة الله وستأخذ بيديك إلى المداومة على العمل الـصالح؛ حتى تلقى الله جل وعلا وأنت على طاعة .ويبـقى أن أذكر بالعنصرين الآخرين في إيجـاز شديد وذلك بعد جلسة الاستراحة وأقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم .

(١) رواه ابن ماجه رقم (٢٣٧) باب من كان مفتاحًا للخير.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين وأشـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهـد أن سيدنا وحبـيبنا محـمدًا عبـده ورسوله اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه وعلى آلـه وأصحابه وأحبـابه وأتباعـه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفي أثره إلى يوم الدين. . . أما بعد:

فيا أيها الأحبة مع العنصر الرابع من عناصر هذا اللقاء ألا وهو:

نماذج مشرقة:

أود أن أذكِّر حـضراتـكم بنموذجين جليلين من أصـحاب رسـول الله ﷺ، لنتعرف كيف بُشِّر بعضهم بالجنة وهو لا يزال يعيش في هذه الدنيا فـهذا أبو بكر الصـديق - رضي الله عنه - أخـرج الإمام مـسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ قال يوما:

« مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائمًا ؟

قال أبو بكر الصديق: أنا.

قال: « فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً ؟

قال أبو بكر: أنا.

قال: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ اليومَ مِسْكِينًا؟

قال أبو بكر: أنا.

قال: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ اليومَ مَرِيضًا»؟

قال أبو بكر: أنا.

قال رسول الله ﷺ: « مَا اجْتَمَعَتْ فِي رَجُلٍ إلاَّ وَدَخَلَ الجَنَّةَ»[١].

(١) رواه مسلم رقم (١٠٢٨) في الزكاة، باب من جمع من جمع الصدقة، وأعمال البر، وفي فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر - رضي الله عنه -.

وهذا بلال ذلكم العبد الحبشي الذي رفعه الإسلام إلى درجة عالية حتى قال الرسول ﷺ يوما كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -: « **يَا بِلاَلُ حَدِّثْنِي بأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإِسْلاَمِ فَإِنِّي سَمِعْتُ دُفَّ نَعْلَيكَ بَيْنَ يَدَي فِي الجنة** ».

فقال: ما عملتُ عملا أرجى عندي من أني لم أتطهر طهوراً في ساعة من ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي.

إنها المداومة على الأعمال الصالحات التي ترضي رب الأرض والسماوات أيها الأحبة. وأخيراً ..

اذكروا الموت..

فإنك إذا علمت أن أقرب غائب تنتظره هو الموت حرصت على أن تستغل كل ساعة من عمرك في طاعة الملك جل وعلا .. فذَكِّر نفسك أيها الحبيب بهذا الغائب القريب. وقل لنفسك:

يَا نَفْسُ قَدْ أَزِفَ الرَّحِيْلُ ... وَأَظَلَّكِ الخَطْبُ الجَلِيلُ
فَتَأَهَّبِي يَا نَفْسُ لاَ ... يَلْعَبُ بِكِ الأَمَلُ الطَّوِيلُ
فَلَتَنْزِلِنّ بِمَنْزِلٍ يَنْسَى ... الخَلِيْلَ بِهِ الخَلِيلُ
وَلَيَرْكَبَنّ عَلَيْكِ فِيهِ ... مِنَ الثَّرَى ثِقَلٌ ثَقِيلُ
قُرِنَ الفَنَاءُ بِنَا جَمِيعًا ... فَلاَ يَبْقَى العزيزُ ولا الذليلُ

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق:١٩].

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾. والحق أنك ستموت والله حيٌّ لا يموت ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾.. والحق أن ترى عند موتك ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب.

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ . . والحق أن يكون قبرك روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران.

﴿ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ . . ذلك ما كنت منه تهرب . . تحيد الى الطبيب إذا جاءك المرض خوفاً من الموت، وتحيد إلى الطعام إذا أحسست بالجوع خوفا من الموت !! وتحيد إلى الشراب إذا أحسست بالظمأ خوفاً من الموت!! ولكن ثم ماذا ؟!

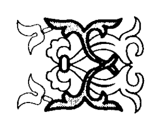
أيها القويُّ الفتي . . أيها الذكي العبقرى . . ياأيها الأديبُ . . ياأيها المفكر . . ياأيها الوزير . . يا أيها الرئيس . . يا أيها الملك . . ياأيها الكبير . . ياأيها الحقير . .

كل باكٍ فَسَيُبْكَى . . وكل ناع فسينعى . . وكل مزخورٍ سيفنى . . وكل مذكورٍ سيُنسى . . ليس غير الله يبقى . . من علا فالله أعلى.

فالمداومة على العمل الصالح من شعار المؤمنين، أسأل الله جل وعلا أن يوفقنا وإياكم للمداومة على العمل الصالح الذي يرضيه إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أَيَا عَبْدُ كَمْ يَرَاكَ اللهُ عَاصِيًا ... حريصًا على الدُّنيا وللموت ناسيًا
أَنَسِيْتَ لقاءَ اللهِ واللَّحْدَ والثَّرَى ... ويومًا عبوسًا تَشِيْبُ فيه النَّواصيَا
لَو المرءُ لَمْ يَلْبَسْ ثيابًا منَ التُّقى ... تَجَرَّدَ عُرْيَانًا ولَوْ كَانَ كَاسِيَا
ولَوْ أَنَّ الدُّنْيَا تَدُومُ لأَهْلِهَا ... لَكَانَ رَسُولُ الله حيًّا وبَاقِيَا
ولَكنَّهَا تَفْنَى ويَفْنَى نَعِيْمُهَا ... وتَبْقَى الذُّنُوبُ والمَعاصِي كَمَا هِيَ

. . . الدعاء .



الولاءوالبــراء



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونسـتغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ..

وأشهد أن محمداً عـبده ورسوله. اللهم صلِّ وسلم وزد و بارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه، وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفي أثره إلى يوم الدين .

أما بعد:

فحياكم الله جميعاً أيها الأحـبة الكرام، وطبتم جميعاً وطاب ممشاكم وتبوأتم من الجنة منزلاً.

وأسأل الله جل وعـلا أن يجمعني وإياكم في هذه الدنيـا دائماً وأبدًا على طاعته ،وفي الآخرة مع سـيد الدعاة المصطفي ﷺ في جنتـه ودار كرامته إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله .. « **الولاء والبراء** »

هذا هو مـوضوعنا اليـوم بإذن الله تعالى،وحـتى لا ينسحب بـساط الوقت من تحت أقدامنا فسوف أركز الحديث مع حضراتكم في العناصر التالية :

أولا : انفصام نكد.

ثانيًـا: الأدلة القرآنية والنبوية على تحـريم موالاة الكافرين ووجوب

موالاة المؤمنين .

ثالثاً :صور مشرقة من التطبيق العملي لمفهوم الولاء والبراء .

رابعاً : استثناءاتٌ لا تنقضُ أصل البراء .

وأخيراً :لا تهنوا ولا تحزنوا ..

فأعيروني القلوب والأسماع فإن هذا الموضوع من الأهمية بمكان .

أولاً : انفصام نَكِد :

أحبتي في الله :

لازال الإسلام منذ أن بزغ فجرُه واستفاضَ نورُه إلى يومنا هذا ـ لازال ـ محاربا من قِبَل أعداء الإسلام الذين لم يتفقوا على شيء قدر اتفاقهم على الإسلام واستئصال شأفة المسلمين !!

ولقد علم أعداءُ الإسلام يقينا أن أعظم أسباب القوة في الدين الإسلامي يتمثل في العقيدة الصحيحة،فراحوا بخبث ودهاء يشوهون نقاءها ،ويعكرون صفوها ،ويضعون الحواجز والسدود بين الأمةِ وبين عقيدتها الخالصة !!

ولقد أعلنوا ذلك صراحة إذ يقول اللورد كرومر:لابد من المحافظة على المظاهر الزائفة للإسلام منعاً من إثارة الشكوك، وحتى لا ينتبه المسلمون إلى الكيد المدبر لهم، ويظلوا في اطمئنان خادع إلى أن إسلامهم ما زال بخير فلا يهبوا لنجدة العقيدة التى تُقتلع من جذورها .

نعم أيها الأحبة ... إن العقيدة كانت بالأمس إذا مُس جانبها سمعت الصدِّيق يتوعد،ويتوعد عمر ويهدد،وخالد يزمجر،ورأيت المؤمنين الصادقين يبذلون من أجلها النفس والولد والمال !!

أما اليوم فإن العقيدة تُقتلع من الجذور بمســخها وتشويهها وتنحيتها عن الواقع المر الأليم!!

إن العقيدة تذبح شر ذبحة على أيدي الكثـيرين ممن ينتسبون إليها !!! ممن لا يعرفون مـعناها،ولا يحققون مقـتضاها فوقعـوا في هذا الانفصام النكد والخلط العجيب والواقع الكئيب .

فكم من الناس يردد كلمة التوحيـد ، وهو لايعرف لها معنى ، ولايفهم لها مضمونا ،ولايحقق لها مقتضى ، بل وقد صرف كثيرًا كثيرًا من صور العبادة لغير الله جل وعلا . . !!

وكم من الناس اليوم يردد كلـمة التوحيـد وقد انطلق حرا غـير مكره ليخـتار لنفســه من القوانين الوضـعية والنظم الأرضـية والمناهج البـشرية مايناقض منهج رب البرية!! .

وكم من الناس اليوم يردد كلمة التوحـيد وهو يوالي أعداء الله ويخذل أولياء الله !!!

وكم من الناس اليوم يردد كلمـة التوحيد بلســانه !! وقد ترك الصلاة وضيَّع الزكـاة، وأكل الربا ، وشرب الخمر ، ومـارس الزنا ، بل ويأمر بالمنكر وينهى عن المعروف ، ومع ذلك فهو يعتقد أنه مؤمن كامل الإيمان مادام يردد كلمة التوحيد .

انفصام نكد . . وتناقض رهيب . . وواقع كئيب

وكم يعتصر القـلب كمدا وغيظا على غياب المفهـوم الصحيح الكامل لعقـيدة التوحيـد عن حس كثيـر من المسلمين، ومن ثَمَّ غاب معـها هذا

الأصل الكبير وهذا المفهوم الضخم ألا وهو مفهوم الولاء والبراء.

فلقد تبدلت المعايير . . وانقلبت الموازين . . وانتكست القلوب ـ إلا من رحم علام الغيوب ـ فصار الولاء والحب لأعداء الله عز وجل ،ووضع كثير من المسلمين أيديهم بأيدي الكفار ومنحوهم غاية المحبة، والمودة، والموالاة، ودافعوا عنهم وعن مناهجهم، وأفكارهم، وقوانينهم في الوقت الذي خذلوا فيه أهل التوحيد والإيمان، ومع ذلك فهم يعتقدون أنهم هم حماة الإسلام وخاصته !!!

أتحبُّ أَعْداءَ الحبيب وتدَّعي ... حبًّا لَهُ ماذاكَ في الإمْكَان
وكَذَا تُعَادي جَاهدًا أَحْبَابَهُ ... أينَ المحبَّةُ يا أخَا الشَّيْطَان
شرطُ المحبة أنْ تُوَافِقَ مَنْ تُحبّ ... عَلَى مَحَبَّتِه بلاَ نُقْصَان
فَإن ادَّعَيْتَ لَهُ المَحَبَّةَ مَعَ ... خلاَفكَ مَا يُحبُّ فَأنتَ ذُو بُهْتَان
نَعَمْ. لَوْ صَدَقْتَ اللهَ فيْمَا زَعَمْتَهُ ... لَعَادَيْتَ مَنْ بالله وَيْحَكَ يَكْفُرُ
وَوَالَيْتَ أَهْلَ الحقِّ سرًّا وجَهْرَةً ... ولما تهَاجِيْهِمْ وَللْكُفْر تَنْصُرُ
فَمَا كُلُّ مَنْ قَدْ قَالَ مَا قُلْت مسَلَّمٌ ... ولَكنْ بأَشْرَاط هُنَا لَكَ تُذْكَرُ
مُبَاينةُ الكفار في كُلِّ مَوْطن ... بذَا جَاءَنَا النَّصُّ الصَّحيحُ المقرَّرُ
وتَكْفيرُهُمْ جهراً وَتَسْفيْهُ رأيهمْ ... وتَضْليلُهُمْ فيمَا أَتَوهُ وأَظْهرُ
وَتَصْدَع بالتوحيد بينَ ظُهُورهمْ ... وَتَدْعُوهُمُ سرًّا لذَاكَ وَتَجْهَرُ
فَهَذَا هُوَ الدِّيْنُ الحنيفيُّ والهُدَى ... وملَّةُ إبراهيمَ لَوْ كُنْتَ تَشْعُرُ

وقد انقسم الناس في هذا الزمان في تعاملهم مع الكفار إلى ثلاثة أقسام . . وهي:

القسم الأول: قسم ناصرٌ لدين الله مجاهدٌ في سبيل الله، يحب الله عزَّ وجلَّ ورسوله ﷺ، والمؤمنين، ويعادي الشرك والمشركين وهؤلاء هم الأقلون عدداً الأعظمون أجراً عند الله جل وعلا

القسم الثاني: قسم خاذل لأهل الإسلام تارك لمعونتهم وإن كان معتزلاً عن الكفار .

القسم الثالث: قسم خارج عن الإسلام بموالاة الكفار ومناصرتهم بالقول والعمل والاعتقاد ومعاداة أهل الخير ومحاربتهم !!

ولخطورة الأمر فلقد تضافرت الأدلة القرآنية والنبوية على تجليته وتوضيحه بصورة حاسمة وهذا هو عنصرنا الثاني من عناصر هذا اللقاء

ثانيا :الأدلة القرآنية والنبوية على تحريم موالاة الكافرين

وسأكتفي بذكر بعض هذه الأدلة؛ لأكمل الحديث عن بقية العناصر إن شاء الله جل وعلا

الدليل الأول: قول الله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾
[المائدة : ٥١]

يقول حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ معلقًا على هذه الآية . . فليحذر أحدكم أن يكون يهوديا أو نصرانيا وهو لا يشعر بهذه الآية .

ويعلق شيخ المفسرين الإمام ابن جرير الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ فيقول: « إن من تولاهم ونصرهم على المؤمنين فهو من أهل دينهم وملتهم . . » .

وقال الإمام القرطبي في قوله سبحانه: ﴿ **ومن يتولهم منكم فإنه منهم**﴾ [المائدة: ٥١]

قال : أي من يناصرهم على المسلمين فحكمه حكمهم في الكفر والجزاء .

الدليل الثاني: قال تعالي: ﴿ **وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ**﴾ [البقرة: ١٢٠].

انتبه أيها الحبيب : فإن الذي يخبر بذلك هو الله رب العالمين الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، والذي يعلم ما كان وما هو كائن وما سيكون ﴿ **أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ [الملك: ١٤].

والآية كما ترى أيها الحبيب: حاسمة واضحة لا تحتاج إلى أن نعلق عليها بكلمات هزيلة من عند أنفسنا .

وتحت هذا المعنى الواضح وردت آيات كثيرة. كقول الله جل وعلا في سورة البقرة:

﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [البقرة : ١٠٩].

وتدبر معي جيداً قول الله جل وعلا في سورة آل عمران :

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ [آل عمران: ١١٨].

وتدبر معي جيداً قول الله جل وعلا في سورة آل عمران :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

[آل عمران : ١٠١]

الدليل الثالث: هو قول الله جل وعلا في سورة الأنفال :

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال : ٧٣] .

أي : إن لم تجانبوا الكفار وتتميزوا عن المشركين وتوالوا المؤمنين تقع فتنة في الأرض بالتباس الأمر على كثير من الناس فيقعوا في حيرة التمييز بين الحق والباطل .

الدليل الرابع: هو قول الله تعالى في سورة آل عمران :

﴿ لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران : ٢٨] .

يقول ابن جرير في قوله تعالى :﴿ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ﴾ يعني : قد برئ من الله وبرئ الله منه بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر .

﴿ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ أي : إلا إذا كان المسلم مغلوبًا على أمره مقهورًا لهم لا يقدر على إظهار عداوتهم فيضطر إلى أن يظهر لهم الرضا بلسانه أما قلبه فهو مطمئن بالإيمان . . ممتلىء بالعداوة والبغضاء لأعداء الرحمن .

وأختم بقول الله تعالى في سورة الممتحنة :

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ** ﴾ [الممتحنة: ١]

ومن الأدلة النبوية على تحريم موالاة الكافرين ووجوب موالاة المؤمنين عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: « **أَوْثَقُ عُرَى الإيمانِ الموالاةُ في اللهِ والمعاداةُ في اللهِ والحبُّ في اللهِ والبغضُ في الله** »[١] .

وعن أبي أمامة مرفوعا: «**مَنْ أحَبَّ للهِ وأَبْغَضَ للهِ وأعْطَى للهِ ومَنَعَ للهِ فَقَدْ استَكْمَلَ الإيمانَ**»[٢] .

وفي الحديث الصحيح أن جريراً ـ رضي الله عنه ـ قال: أَتَيْتُ النبيَّ ﷺ وَهُوَ يُبَايِعُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّه أَبْسطْ يَدَكَ حتَّى أُبَايِعَكَ وَاشْتَرِطْ عَلَيَّ فَأَنْتَ أَعْلَمُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَتُقِيمَ الصَّلاةَ المَكْتوبةَ وَتُؤتِي الزَّكَاةَ وَتَنْصَحَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ ، وَتَبْرَأَ مِنَ الشِّرْكِ**»[٣] .

ولقد كان مفهوم الولاء والبراء ناصعاً واضحاً في حس أصحاب النبي ﷺ وحولوه على أرض الواقع إلى صورة مشرقة لا مثيل لها ، بل وقد تقف الكلمات أمام وصفها خجلى !!

---

(١) رواه الطبراني في الكبير وصححه شيخنا الألباني في الصحيحة رقم (١٧٢٨) وهو في صحيح الجامع رقم (٢٥٣٩).

(٢) رواه أبو داود رقم (٤٦٨١) في السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان، وأخرجه أحمد في المسند (٣/٤٣٨ ، ٤٤٠) وصححه شيخنا الألباني في الصحيحة رقم (٣٨٠) وهو في صحيح الجامع رقم (٥٦٦٥).

(٣) رواه أحمد والنسائي وصححه شيخنا الألباني في االإرواء رقم (١٢٠٧) وهو في صحيح الجامع رقم (٢٥) .

وهذا هو العنصر الثالث من عناصر هذا اللقاء.

ثالثا: صورٌ مشرقة في التطبيق العملي لمفهوم الولاء والبراء:

أيها الأحبة .. إذا كانت الحكمة العربية القديمة تقول: من أخصب تحير فإني أجدها في هذا العنصر تنقلب عليّ!! فمن أخصب تَحَيَّر.

فالمواقف المشرقة أكثر من أن تحصى، ويكفي أن نستشهد ببعضها؛ ليتضح لنا إلى أي مدى حَوَّل أصحاب النبي ﷺ مفهوم الولاء والبراء إلى واقع عملي مشرقٍ يتألق سموًّا وروعة وجلالا.

من تلك الصور الرائعة ما حصل من المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - عندما نزل رسول الله ﷺ بالحديبية ومنعته قريش من دخول مكة، وأرسلت إليه رسلاً للمفاوضة، وكان بينهم عروة بن مسعود الثقفي - وكان عمّ المغيرة - فلما أقبل عروة وكان سيد ثقيف كان يمد يده خلال حديثه مع رسول الله ﷺ؛ ليتناول لحية رسول الله ﷺ وهو يكلمه.

فلما رأى المغيرة أن يد عروة تمتد إلى لحية الحبيب ﷺ ماذا قال المغيرة؟! لقد ضرب المغيرة يد عمه عروة بمؤخرة السيف ونظر إليه وهو يقول: اكفف يدك عن لحية رسول الله ﷺ قبل ألا تصل إليك!! الله أكبر

إنه الولاء .. إنه الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين .. إنه البراء من الشرك والمشركين ﴿ **وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾ [المائدة: ٥٦].

ولما عاد عروة بعدما رأى هذه الصورة إلى قَوْمِه من قريش.

قال عروة: يا معشر قريش والله لقد أتيت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه، فما رأيت أحداً في ملكه كما رأيت محمداً ﷺ.

ومن أروع هذه الصور ما رواه ابن جرير الطبري وغيره بسند صحيح أن النبي ﷺ قال: «**ادعوا لي عبدالله بن عبدالله بن أبي بن سلول**».

فلما جاء قال له رسول الله ﷺ: «**أَلاَ تَرَى مَا يَقُولُ أَبُوكَ يَا عَبْدَ اللَّه**»؟

فقال عبدالله: وماذا يقول أبي، بأبي أنت وأمي يا رسول الله ؟

فقال رسول الله ﷺ: «**يَقُولُ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المدينة لَيَخْرجَنَّ الأعزُّ منهَا الأذلّ**».

فقال عبدالله: لقد صدق والله يا رسول الله فأنت والله الأعز وهو الأذل .

أما والله لقد قدمت المدينة يا رسول الله وإن أهل يثرب لا يعلمون أحداً أَبَرَّ بأبيه مني ، أما وقد قال فلتسمعن ما تَقَرُّ به عينُك .

فلما قدموا المدينة قام عبدالله على بابها بالسيف لأبيه ثم قال: أنت القائل لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ؟! .

أما والله لتعرفن هل العزة لك أم لرسول الله ﷺ، والله لا يأويك ظلها، ولا تبيتن الليلة فيها إلا بإذن من الله ورسوله ﷺ.

فصرخ عبدالله بن أُبيّ: يا للخزرج ابني يمنعني بيتي .

فاجتمع إليه رجال فكلموه .

فقال: والله لا يدخل بيته إلا بإذن من الله ورسوله .

فأتوا النبي ﷺ فأخبروه فقال: «**اذْهَبُوا إِلَيْهِ فَقُولُوا لَهُ: يَقُولُ لَكَ رسُولُ اللَّه ﷺ خلِّه ومسكَنَه**» .

فأتوه فقالوا له ذلك، فقال: أما وقد جاء الأمر من رسول الله ﷺ فنعم ليعلم من الأعز ومن الأذل !!! إنه الولاء لله ورسوله !!

﴿ **لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ** ﴾ [المجادلة: ٢٢]

الله أكبر هؤلاء هم الذين حققوا الآية وحولوها إلى أرض الواقع إلى منهج حياة .

وأختم بهذا المشهد الذي يتألق سمواً وروعة وجلالاً .

إنه مشهد الصحابي الجليل عبدالله بن حذافة السهمي - رضي الله عنه - الذي وقع أسيراً في بلاد الروم فقالوا لملكهم :ها هو رجل من أصحاب محمد .

قال :أدخلوه عليّ. فدخل عبدالله بن حذافة على ملك الروم فعرض عليه صفقةً لو عُرِضَت على كثير من الساقطين المجرمين المتآمرين في هذه الأيام لباع الأرض والعِرض كما باعوا العقيدة، فماذا عرض ملك الروم؟! عرض على عبدالله بن حذافة نصف ملكه ويتنصر !!

فقال عبدالله :والله لو أعطيتنى جميع ما تملك، وجميع ما ملكته العرب على أن أتخلى عن دينى طرفة عين ما فعلت !!

قال ملك الروم: إذن أقتلك ، قال :أنت وذاك !!

فأمر ملك الروم بأسيرين من أسرى المسلمين فَقُتِلا أمام عبدالله بن حذافة لتختل قوته،ويختل يقينه، ولكن أنَّى للقلوب التى امتلأت بالخوف من علام الغيوب وحده أن تخشى طواغيت الأرض ولو اجتمعوا.

ثم قال له الملك:تتنصر؟ قال عبدالله :لا.

قال الملك:اقتلوه . فأخذوه ليقتلوه فبكى!!

قال الملك: ردوه عليّ لعله بكى خوفًا من الموت ويريد أن يقبل ما عرضته عليه، ثم سأله لماذا بكيت ؟!

قال عبدالله: والله ما بكيت خوفًا من الموت، ولكنني علمت يقيناً أنني سأقتل الآن، وكنت أتمنى أن تكون بعدد كل شعرة في جسدى نفس

تقتل في سبيل الله .

قِمَمٌ شمَّــاء .. مُثُل عُليا وقدوات طيــبة .. والله لو رأى الأعداء من أهل العــقيــدة الاستــعلاء والعــزة لأتوا إليهم في غــاية الذلة والصــغار، ولكنهم رأو أهل الإســلام فــي غايــة المهــانة والذلة والصــغــار فــأذلوهم وساموهم سوء العذاب .

قال ملك الروم: هل تُقَبِّل رأسي وأعفوا عنك؟!

قال عبــد الله : أُقَبِّلُ رأسك بشرط أن تعفُوَ عني وعن جــميع أسرى المسلمين. فقال ملك الروم: أفعل.

فقام عبــدالله بن حذافة فقبَّل رأس ملك الروم فعــفي عنه وعن جميع أسرى المسلمين، وانطلق عبدالله بالأسرى إلى المدينة فقابلهم فاروق الأمة عمر، فلما علم عمر بالأمر قال ـ رضي الله عنه ـ: حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبدالله بن حذافة وأنا أولكم .. فقام عمر فقبَّل رأس عبدالله وقام أصحاب رسول الله ﷺ رضوان الله عليهم جميعا[1] .

أيها الأحبة : هذا العنصر قد يحتاج إلى لقاءات لنتعرف كيف حَوَّل أصحــاب النبي ﷺ مفهوم الولاء والبــراء إلى واقع عملي يتألق ســمــوًّا وروعة وجلالا .

بقي أن أتحــدث عن عنصــرين آخرين مــن عناصر هذا الــلقاء فــأرجئ الحديث عنهما إلى ما بعد جلسة الاستراحة وأقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم .

---

(١) قال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تخريجه لسير أعلام النبلاء (١٤/ ٢): أخرجه ابن عساكر في تاريخه من طريق البيهقي، وكذا الحافظ في الإصابة، وله شاهد من حديث ابن عباس، موصولا عند ابن عساكر، وابن الأثير في أسد الغابة ٣/ ٢١٢ .

الخطبة الثانية

إن الحمـد لله نحمده ونسـتعينه ونسـتغفره .. ونعـوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .وأشهد أن لا إله إلا الله وحـده لا شريك له .. وأشهد أن مـحمداً عبده ورسوله وبعد، مع عنصرنا الرابع من عناصر هذا اللقاء وهو:

« **استثناءات لا تنقض أصل البراء** » :

وهذا عنصـر هام أضيفـه من باب الأمانة العلمـية والإنصـاف في تحرير المسألة وحتى لا يتعـامل بعض أحبابنا مع النصوص تعاملا خاطئـاً بوضعها في غير مـوضعها، أو بالاستشـهاد لها في غير محلهـا دون تحقيق المناطات الخاصة أو العامة ،للربط ربطاً صحيحاً بين دلالة النصوص وحركة الواقع.

أهمها أولاً: اللين عند عرض الدعوة إلى الإسلام .

فالإسلام يوجب على أهله أن يدعو الناس جميعاً إلى الإيمان بالله جل وعلا وهدايتهم إلى الخيـر .ولما كان هذا لا يمكن أن يتم إلا بالدخول إلى النفوس واستـمالتها وجلب رضاها فإن الإسـلام من أجل ذلك قد جعل السبيل لدعـوة الكفار وغيرهم هو الحكمة والموعـظة الحسنة والجدال بالتي هى أحسن.كما قال سبحانه :﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ [النحل:١٢٥]

وهذا لا يعـارض قـول الله تعـالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ**﴾ [التحريم:٩] فهذا مقام قتال والأول مقام الدعوة، وعدم التفريق بين المقامين أوقع كثيراً من الشباب في الخطأ أو الحرج فانتبه لهذا التأصيل فإنه هام .

ثانيـا: لا ينقض أصل البراء كـذلك الزواج من أهل الكتـاب أو أكل طعـامـهم: والنص القرآنـي في ذلك واضح صريح في قول الله تـعالى في سـورة المائدة: ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥]

وأخيراً: لا تهنوا ولا تحزنوا:

مع كل هذه المؤامرات .. ومع كـل هذه العقبـات. أقول: إنني لعلى يقين جازم بموعـود الله جل وعلا في قوله سبـحانه: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، ولكن حققوا الشرط يا مسلمون حتى لاتهـنوا ولا تحزنوا .. حقـقوا الإيمان فلن ينصـرنا الله إلا بالإيمان ولن يعـزنا الله إلا بالإيمان .. ولن يمكّـن الله لنا في الأرض إلا بالإيمان قال سبحانه ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

وقال جل وعلا: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]

وقـال جل وعـلا: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥]

أحبـتي في الله .. إن هذا الدين لا يمكن أبداً أن يقـوم بآلاف الكتب تكتب عن الإسلام ولا بالخطب الرنانة والمواعظ المؤثرة فحسب .

وإنما يقوم على واقع حي متحرك تـراه العيون وتلمسه الأيدي وتلاحظ آثاره جـمـيع العقـول. ولا يمكن أن يتم هذا أبـداً إلا على أيدي المؤمنين الصادقين الذين يتعلمون الإسلام ويفهمـونه بشموله وكماله. ثم يحولونه في جميع شئون الحياة إلى واقع عملي وإلى منهج حياة ثم يتحركون بعد

ذلك في خطوة ثالثـة حتـماً ألا وهى الدعـوة إلى هذا الإسلام بشـموله وتكامله وهم على يقين جازم بموعود الله جل وعلا في قوله سبحانه :

﴿ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]

وقـال تعـالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦] ، وقال سبحانه : ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة : ٥٦]

وقال سبـحانه : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩]

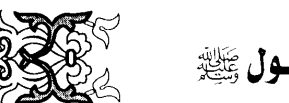
وأختم بحديث الحـبيب المحبوب ﷺ الذي رواه البخـاري ومسلم من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال ﷺ : «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ المسلمونُ اليهودَ فَيَقْتُلَهُمُ المسلمونُ حَتَّى يَخْتَبِئَ اليهوديُّ وراءَ الحجَرِ والشَّجَرِ، فيقـولُ الحجرُ والشجرُ: يا مسلمُ يا عبدَ الله هذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، تَعَـالَ فَاقْتُلْهُ، إلاَّ الغرقدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَـجَرِ اليَهُودِ»[1]. هذا وعد الله وإننا على ثقـة جازمة ويقين مطلق بموعود الله مهما انتفـش الباطل في فترة من الفترات، وظن أهل الحق أن الحق قد مات فليـعلموا جميعـاً أن الجولة في النهاية للحق ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١]

اللهم أقر أعيننا بنصرة الإسلام والمسلمين . . .

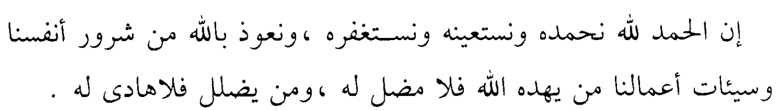
... الدعاء

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٧٥) في الجهاد، باب قتال اليهود، ومسلم رقم (٢٩٢٢) في الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون الميت من البلاء.



وصف الرسول ﷺ



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونسـتغفره ،ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ،ومن يضلل فلاهادى له .

وأشهـد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ‥ وأشـهد أن محـمداً عـبده ورسـوله. اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليـه وعلى آله وأصحـابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتـدى بهديه واستن بسنته واقتفي أثره إلى يوم الدين .

أما بعد

فحيـاكم الله جميعاً أيها الأحـبة الكرام وطبتم جميـعاً وطاب ممشاكم وتبوأتم من الجنة منزلاً. وأسأل الله جل وعلا أن يجمعني وإياكم في هذه الدنيا دائماً وأبداً على طاعته ،وفـي الآخرة مع سيد الدعاة المصطفى ﷺ في جنته ودار كرامته إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله :

إننا الليلة على موعد للحديث عن رسول الله ﷺ،وما أحلَى أن يكون اللقاء معـه،وما أجمل أن تكون الكلمات عنه،ورب الكعبة مـهما أوتيتُ من فصاحة اللسان وبلاغة الأسلوب والتبيان،فلم أستطع ولن أستطيع أن أوفي الحبيب قدره ‥ كيف لا وهو حبيب الرحيم الرحمن .

قال تعالى: ﴿ **وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ** ﴾ [القصص:٦٨].

فلقد خلق الله الخلق واصطفى من الخلق الأنبياء،واصطفى من الأنبياء

الرسل واصطفى من الرسل أولى العزم الخمسة، واصطفى من الخمسة إبراهيم ومحمداً عليهما الصــلاة والسلام، واصطفى محمداً على جميع خلقه .

زكاهُ ربه عز وجل . ومن زكَّاه ربــه فلا يجوز لأحد من أهل الأرض قاطبةً أن يظن أنه يأتي في يوم من الأيام ليــزكيه ،بل إن أي أحد وقف ليزكي رسول الله ﷺ وليصف رسول الله ﷺ وليتكلم عن قدر رسول الله ﷺ فإنما يرفع من قدر نفسه،ومن قدر السـامعين لحديثه عن الحبيب المصطفي ﷺ .

زكَّاه ربُّهُ في كل شيء:

زكَّاه في عقله :فقال جل وعلا: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: ٢]

زكَّاه في بصره: فقال جل وعلا: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧]

زكَّاه في صدره: فقال جل وعلا: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١]

زكَّاه في ذكره : فقال جل وعلا: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]

زكَّاه في طهره :فقال جل وعلا: ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ [الشرح: ٢]

زكَّاه في صدقه: فقال جل وعلا: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ [النجم: ٣]

زكَّاه في علمه: فقال جل وعلا: ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥]

زكّاه في حلمه: فقال جل وعلا: ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

[التوبة: ١٢٨]

وزكاه كله ﷺ فقال جل وعلا: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

[القلم: ٤]

صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم . . .

وَمِـــمَّـــا زَادَنِي فـخـــرًا وَتِيْـــهًـــا وَكِـــدْتُ بِأخْـمُـــصِي أَطَأُ الثُّـــرَيّا
دُخُـولِي تَحْتَ قَــوْلِكَ يَا عِـبَـادِي وَأَنْ أَرْسَلْتَ أَحْــمَــدَ لِي نبــيّــا

من أنا ؟!ومن أنت ؟! لنتشـرف أن يكون حبيبنا ونبـينا ورسولنا هو محمد بن عبدالله المصطفي ﷺ .

أيها الأحبة . .

إن كل مسلم صادق يحلو له ذكر الحبيب محمد ﷺ . . ويحلو له أن يتصـوره وأن يتخيله وأن يعـيش بقلبه من خـلال كتب الأثر . . مع وصف الحبيب ﷺ. وكيف كانت حياته ؟ وكيف كان طعامه ؟ وكيف كان شرابه ؟ وكيف نومـه ؟ وكيف كان ذكره ؟ وكيف كانت مـشيته ؟ وما صفة وجهه ؟ وما صفة شعره ؟ وما صفة لحيته ؟ وما صفة صدره؟ وما صفة قدمه ؟ كيف كان النبي ﷺ ؟ولم لا ؟ ! وقد أمرنا الله جل وعلا أن نقـتفي أثره وأنْ نسيـر على دربه . . وأن نقلده في كل شيء قـال جل وعـلا : ﴿لَقَـدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُـولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾

[الأحزاب : ٢١]

أنت مأمور أيها الموحد أن تسير على دربه ،وأن تقتفي أثره،وأن تتبع سنته فهو حبيـبك . . وهو قدوتك الطيبة. . . وهو أسوتك الحسنة .

ولن تصل إلى الله جـل وعـلا إلا من طريقـه ‥ ومـن البـاب الذي يوصلك منه الحبيب المصطفي ﷺ .

أيها الأحبة: إن رسول الله ﷺ بشر قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ**﴾ .

ولكـنه ﷺ لم يكن بشراً عاديًا، فمبلغ العلم فـيه أنه بشر ولكنه خير خلق الله كلهم ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ**﴾ [الكهف : ١١٠].

وهذا هو الفارق أنه ﷺ يوحى إليه من ربه جل وعلا ‥ وهذه هى التى رفـعت قدره ‥ وأعلت شـأنه ‥ ورفعت مكانتـه عند الله جل وعلا وعند الخلق .ولن تنال شـفاعتـه يوم القيامة إلا إذا اتبـعت سنته وسرت على طريقته واقتفيت أثره.

قال سبحانه : ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [آل عمران : ٣١] .

فقد ثبت في الصحيحين من حديث جابر رضي الله عنه أنه قال:

«جَاءَتْ مـلائكةٌ إِلَى النبيِّ ﷺ وَهُوَ نائمٌ فَقَالَ بَعْـضُهُمْ : إِنَّهُ نَائمٌ وقالَ بَعْضُـهُمْ: إنَّ الْعَيْنَ نائمـةٌ والقلب يقظانٌ، فَقَالوا: إنَّ لـصَاحبكم هَذَا مـثلاً ، قَالَ: فَاضْرِبُوا لَهُ مثلاً: قَالَ بعـضُهُم: إِنَّهُ نائمٌ، وقَالَ بَعضُهُمْ : إنَّ العينَ نائمة والقلبَ يقظان، فَقَـالوا: مَثَلُهُ كَمَـثلِ رجلٍ بنى دارًا وَجَعَلَ فيهَـا مأدُبةً وبَعَثَ دَاعيًـا، فَـمنْ أجـابَ الـدَاعي دخلَ الدارَ وأكَلَ منْ المأدبة، ومَـنْ لمْ يجبْ الداعِي لَمْ يَدْخُل الدَّارَ ولَمْ يأكلْ منْ المأدبة، فَقَالوا: أوِّلوهَا لَهُ يَفْقَـهُهَا، فَقَالَ بَعْضُـهُم : إِنَّهُ نائمٌ، وقَالَ بَعْـضُهُم: إنَّ العينَ نَائمـةٌ والقَلبَ يقظانٌ، فَـقَالوا: فَالدارُ الجنةُ والداعِي مُحَمدٌ ﷺ فمنْ أطاعَ محمدًا ﷺ فَقدْ أَطَاعَ اللَّه، وَمَنْ

عَصَى مُحَمدًا فَقدْ عَصى اللَّه وَمُحمد فرّقَ بين النَّاسِ» (١).

فمن آمن بالحبيب ﷺ وصار على دربه واتبع سنته نال شفاعة الحبيب يوم القيامة ونال رفقته وصحبته في الجنة، ومن خالف هدي الحبيب ﷺ لم ينل شفاعته وحُرِمَ من هذه الرِّفعة وتلك الصُّحبة.

أسأل الله جل وعلا أن يمتعنا وإياكم بصحبته بحبنا له إنه ولى ذلك والقادر عليه.

فتعالوا بنا أيها الأحبة نَصفُ المصطفي ﷺ كما نقل ذلك لنا صحابته رضوانُ الله عليهم، فكما نُقلت إلينا سنته، نُقِل إلينا أيضاً وصفه وصفته ﷺ.

أيها الأحبة: نبدأ بوجه النبي ﷺ:

عن البراء رضي الله عنه قال: «كَانَ رسولُ اللَّه ﷺ أَحْسَنَ الناسِ وجهًا وأحسنه خُلقًا لَيسَ بالطويلِ البائنِ ولا بالقصيرِ»(٢).

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال:

«كان رسولُ الله ﷺ أزهرَ اللونِ»(٣). أي: أبيض مستنير مائل إلى

(١) رواه البخاري رقم (٧٢٨١) في الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ.

(٢) رواه البخاري (٦/ ٤١٥، ٤١٦) في الأنبياء، باب صفة النبي ﷺ، ومسلم رقم (٢٣٣٧) في الفضائل، باب في صفة النبي ﷺ وإنه كان أحسن الناس وجهاً، وأبو داود رقم (٤١٨٣، ٤١٨٤، ٤١٨٥، ٤١٨٦) في الترجل، باب ما جاء في الشعر، والترمذي رقم (٣٦٣٩) في المناقب، باب في صفة النبي ﷺ، والنسائي (٨/ ١٨٣) في الزينة باب اتخاذ الجمة.

(٣) رواه البخاري (١٠/ ٤٢٠) في الأنبياء، باب صفة النبي ﷺ، ومسلم رقم (٢٣٣٠) في الفضائل، باب طيب رائحة النبي ﷺ ولين مسه، والترمذي رقم (٢٠١٦) في البر والصلة، باب ما جاء في خلق النبي ﷺ.

الحُمرة.

وعن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ سئل:

«أكانَ وجهُ رسولِ الله ﷺ مثلَ السَيفِ؟ قَالَ: لاَ، بَلْ مِثلُ القَمرِ»[١].

وعن أبي سعيد الخدرى ـ رضي الله عنه ـ قال:

« رأيت رسول الله ﷺ وما على وجه الأرض رجل رآه غيري. قيل له: كيف رأيته؟ قال: أبيض مليحاً مُقصَّداً»[٢].

وكان عليّ بن أبي طالب يصف النبي ﷺ وفيه:

« **فكان في وجهِهِ تَدويرٌ**»[٣].

وعن عبدالله بن كعب قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن تبوك قال: فلمَّا سلمت على رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور، وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه[٤].

ومن مجموع هذه الآثار الصحيحة نجد أن النبي ﷺ كان أحسن الناس وجها كالقمر ليلة البدر.. أبيضاً مليحاً، في وجهه تدوير، أزهر

(١) رواه البخاري (٦/٤١٦)في الأنبياء، باب صفة النبي ﷺ، والترمذي رقم(٣٦٤٠) في المناقب، باب صفة النبي ﷺ.

(٢) رواه مسلم رقم(٢٣٤٠) في الفضائل، باب في صفة النبي ﷺ، أبو داود رقم (٤٨٦٤) في الأدب، باب في هدي الرجل.

(٣) رواه الترمذي رقم (٣٦٤١، ٣٦٤٢) في المناقب، باب رقم (١٨) وحسنه شيخنا شعيب الأرناؤوط في تخريج جامع الأصول

(٤) رواه البخاري(٥/٢٨٩)في الوصايا، ومسلم رقم (٢٧٦٩) في التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك والترمذي رقم (٣١٠١) في التفسير، باب ومن سورة براءة، وأبو داود رقم (٢٢٠٢) في الطلاق، وفي الجهاد والنسائي (٦/١٥٢) في الطلاق، باب الحقى بأهلك وفي النذور، وأخرجه أحمد (٣/٤٥٩، ٤٦٠).

اللون أى أبيض مستنير مائل إلى الحمرة إذا سُرَّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر . . الله أكبر . . هذا وجه الحبيب . .

اللهم صلِّ عليه واجمعنا به في الجنة .

وأخرج الدارمي والبيهقي عن جابر بن سمرة والحديث حسن بشواهده أنه قال :

رأيت النبي ﷺ في ليلة أضحياه (أي في ليلة مقمرة) فجعلت أنظر إليه، وأنظر إلى القمر، أنظر إلى النبي، وأنظر إلى القمر ثم قال: فوالله لقد كان النبي ﷺ في عيني أحسن من القمر.

وأخرج الدارمي والبيهقي والطبراني وأبو نعيم، والحديث أيضاً حسن بالشواهد من حديث الرُّبَيِّع بنت معوذ - رضي الله عنها -: قيل لها: صفي لنا رسول الله ﷺ يا رُبيِّع .قالت: لو رأيت النبي ﷺ لقلت أن الشمس طالعة . . الله أكبر. . . صلِّ اللهم وسلم وزد وبارك عليه.

أما شعر النبي ﷺ: عن قتادة - رحمه الله - قال: «سَأَلتُ أَنَسًا - رَضِيَ الله عَنهُ - عَنْ شَعْرِ رَسُول الله ﷺ فَقَالَ: شَعَرٌ بَينَ شَعرين، لاَ رجِلٌ وَلاَ جَعد قططٌ، كَانَ بَينَ أُذُنيه وَعَاتقه»(١) .

شعر رجل : إذا لم يكن شديد الجعودة ، ولا شديد السبوطة .

وسبط : سائل ليس فيه شيء من الجعودة.

وفي رواية: «كان رَجِلاً، وليس بالسَّبِطِ ولا الجعد، بين أذنيه وعاتقه».

(١) رواه البخاري (١٠/ ٣٠٢) في اللباس، باب الجعد، وفي الأنبياء، باب صفة النبي ﷺ، ومسلم رقم (٢٣٣٨) في الفضائل، باب صفة شعر النبي ﷺ، وأبو داود رقم (٤١٨٥، ٤١٨٦) في الترجل، باب ما جاء في الشعر، والنسائي (٨/ ١٨٣) في الزينة، باب اتخاذ الجمة .

وفي أخرى: «كَانَ يَضربُ شَعره مَنكَبَيْه» .

وفي رواية أبي داود: «كَانَ شَعرُ رَسولِ الله ﷺ إلى شَحمة أُذنيه» .

وفي رواية : «إلى أَنصاف أُذنيه» .

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت :

«كُنتُ أَغتسلُ أنَا ورسول الله ﷺ منْ إنَاء، وكَانَ لَهُ شَعر فَوقَ الجُمَّة ودُونَ الوَفرة»[1] .

والوفرة: الشعر الواصل إلى شحمة الأذن.

و الجُمَّة: الشعر الواصل بين المنكبين .

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال:

« كَانَ أهلُ الكتاب يُسدلُونَ أشعارَهُمْ، وكَانَ المُشركُونَ يُفرقُون، وكَانَ رَسُول الله ﷺ يُعْجَبُه مُوَافقةُ أهلِ الكِتابِ فِيمَا لَم يُؤْمَرْ بِهِ، فَسدل رَسول الله ﷺ نَاصيته ثُم فَرق بَعد»[2] .

وسدل الشعر: إرساله و(**يفرقون**) مفرق الرأس: وسطه، وفرق الشعر أى جعله فرقتين والناصية هى مقدَّم الرأس.

أحبتي في الله : نرى من مجموع هذه الآثار أن شعر النبي ﷺ ليس بالسَّبط أى الناعم شديد النعومة ولا الجعد أى الخشن، وكان شعره ﷺ يضرب منكَبيْه وكان يسدله ثم فَرَقَه ﷺ وكان في شعره عشرين شعرة

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤١٨٧) في الترجل، باب ما جاء في الشعر، والترمذي رقم (١٧٥٠) في اللباس، باب ما جاء في الجمة واتخاذ الشعر وصححه شيخنا الألباني في صحيح سنن أبوداود رقم (٧٠).

(٢) رواه أبو داود رقم (٤١٩١) في اللباس، باب في البعل يعفص شعره، والترمذي رقم (١٧٨٢) في اللباس، باب رقم (٣٩) وهو حديث حسن .

بيضاء كما جاء في صحيح مسلم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت:

« مَاتَ رَسُـول الله ﷺ فِي الثَلاثةِ وَالسِّتـينَ وَلَمْ يكنْ فِي شَعرِه إلا عِشرونَ شَعرةً بَيضَاء » .

وكان يقول ﷺ: «**شيَّبَتْني هودٌ، وَالواقعةُ ،وَالمرسلاتُ، وَعمَّ يَتساءلونَ، وإذَا الشمسُ كُورتْ**»[١].

وعن ربيعة بن أبي عبدالرحمن قال:

« سمـعتُ أنسَ بنِ مالكٍ يصفُ النبيَّ ﷺ قَالَ كَانَ ربعـة منَ القوم، لَيس بَالطويلِ ولا بَالقـصيرِ، أزهر اللون (مـستنيـر، وهو أحسن الألوان، الزهرة: البـياض النيـر) ليس بأبيض أمـهق ولا آدم (أى ليس الأبيض الكريه البياض ولا شديد السمرة) ليس بجعد قطط ولا سَبِطٍ رجلٍ أنزل عليه وهو ابن أربعين، فلبث بمكـة عشر سنين ينزل عليه، وبالمدينـة عشر سنين وقـبض وليس في رأسه ولحـيتـه إلا عشـرون شعـرة بيضـاء، قال ربيعـة: فرأيت شعـراً من شعره فإذا هـو أحمر فسـألت فقيل أحـمر من الطيب »[٢].

وعن جرير بن عثمـان ـ رحمه الله ـ قال: «إنه سأل عبـدالله بن بُسْرٍ قال: أرأيـت رسول الله ﷺ كان شيخاً ؟ قال : كـان في عَنْفَقَتِه شعرات بيض»[٣] .

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٢٩٣) في التفسير، باب ومن سورة الواقعة وصححه شيخنا الألباني في الصحيحة رقم (٩٥٥).

(٢) رواه البـخاري (٦/ ٤١٢، ٤١٣) في الأنبـاء، باب صفـة النبي ﷺ، وفي اللبـاس باب الجعد، ومسلم رقم(٢٣٤٧)في الفضائل، باب في صـفة النبي ﷺ ومبعثه وسنه، والموطأ (٢/ ٩١٩)في صفة النبي باب ما جاء في صـفة النبي ﷺ، والترمذي رقم (٣٦٢٧)في المناقب، باب رقم (٦).

(٣) رواه البخاري(٦/ ٤١٢) في الأنبياء ، باب صفة النبي ﷺ .

والعنفق: هى ما تحت الشفة السفلى .

أما عين النبي ﷺ فكان أدعج العينين، أي: شديد سواد العينين إذا رأيته من بعيد تظن أنه مكتحل .

عن جابر بن سمرة ـ رضي الله عنه ـ قال: «كَانَ رسولُ الله ﷺ ضَلِيعَ الفمِ، أشكلَ العينينِ، منهوسَ العقبينِ، ضخمَ القدمين»(١) .

قيل لسماك: ما ضليع الفم، قال: عظيم الفم، قيل: ما أشكل العينين؟ قال: طويل شق العين. قيل: ما منهوس العَقِبِ ؟قال قليل لحم العقب.

وعن جابر بن سمرة قال: «كان في ساقي رسولِ الله ﷺ حُمُوشة، وكان لا يضحكُ إلا تبسمًا، وكُنتُ إذَا نَظرتُ إليهِ قُلتُ: أكحلَ العَينين، وليسَ بأكحل ﷺ»(٢) .

وكان ﷺ يكتحل بالإثمد كل ليلة في كل عين ثلاثة أطراف عند النوم.

وعن عليّ ـ رضي الله عنه ـ قال في وصف النبي ﷺ :

« لم يكنْ بالطويلِ الممغَّط(وهو الرجل البائن الطول) ولاَ بالقصيرِ المتردد، وكان ربعةً منِ القومِ (رجل ربعة: معتدل القامة، بين الطويل والقصير) ولم يكن بالجعد القطط ولا بالسبط، كان جعدًا رجلاً (أى أن شعره ﷺ لم يكن شديد الجعودة ولا سائل ليس فيه شىء من الجعودة) لم يكن بالمطهَّم ولا بالمكلثم، وكان في وجهه تدوير ، أبيض مشرب

(١) رواه مسلم رقم (٢٣٣٩) في الفضائل، باب صفة فم النبي ﷺ وعينيه وعقبيه، والترمذي رقم (٣٦٤٩) في المناقب ، باب رقم (٢٥).

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٦٤٨) في المناقب، باب ماجاء في صفة النبي ﷺ وهو حديث حسن.

بحمرة، أدعج العينين، أهدب الأشفار (الذي شعر أجفانه كثير مستطيل)جليل المشاش (عظيم رؤوس العظام: كالركبتين والمرفقين والمنكبين ونحو ذلك) والمكند (الكاهل)،أجرد ،ذو مشربة، شثن الكفين والقدمين، إذا مشى تقلَّع كأنما يمشي من صببٍ،إذا التفت التفت معاً،بين كتفيه خاتم النبوة ـ وهو خاتم النبيين ـ أجود الناس صدراً،وأصدق الناس لهجة،وألينهم عريكة،وأكرمهم عشرة،من رآه بَدَيْهةً هابَهُ،ومن خالَطَهُ مَعرفةً أحبهُ.يَقول ناعته (أي: من وصفه قال:) لَمْ أرَ قَبلَهُ وَلاَ بعدَهُ مثلَهُ»[1].

وكان النبي ﷺ أقنى الأنف: أي: طويل الأنف مع دقة الأرنبة يعني: أسفل الأنف .

أما فم المصطفي ﷺ قد تقدم حديث جابر بن سمرة أنه ﷺ كان ضليع الفم أي: واسع الفم، قالوا: والعرب تمدح بذلك وتذم صغر الفم وقيل واسع الفم من البلاغة فإذا كان الرجل ضليع الفم يكون بليغاً مفوهاً.

وكان ﷺ سهل الخدين ليس فيهما تجاعيد أو غيره .

وكان ﷺ مفلج الأسنان فلم تكن أسنانه ﷺ متلاصقة، وهذا أطيب للفم وأجمل ،وكان إذا رؤى وهو يتكلم ظن الناظر إليه كأن نور يخرج من بين ثناياه ﷺ .

والحديث رواه الترمذي من حديث ابن عباس وهو حديث حسن .

وكان ﷺ كث اللحية كانت لحيته تملأ صدره ﷺ .

(١) رواه الترمذي رقم (٣٦٤١,٣٦٤٢) في المناقب،باب رقم (١٨) وهو حديث حسن.

ففي سنن الترمذي من حديث البراء بن عازب قال:

«كَانَ رَسولُ الله ﷺ مَربوعاً، عريضَ مَا بينَ المنكبين كثَّ اللحية، تَعلوه حمرة، جُمته إلى شَحمةَ أُذنه، لقد رأيتُهُ فِي حُلَّةٍ حمراءَ، ما رَأيتُ أحسنَ منهُ»[(١)].

وكَانَ ﷺ رَحب القَدمين والكفين كما تقدم من حديث جابر بن سمرة وعن أنس وأبي هريرة قال:

«كان رسولُ الله ﷺ ضخمَ القَدمين، حَسنَ الوجه، لم أرَ بَعده مثله».

وفي رواية عن أنس: «ضخمَ اليدين، لَم أرَ قَبلهُ أو بعدَه مثلَه»[(٢)].

وفي أخرى: كَانَ ضَخم الرأس والقدمين، لم أر بعده ولا قبله مثله، وكان سبط الكفين وكان كف النبي ﷺ ألينُ من الحرير.

عن أنس - رضي الله عنه - وفي «صحيح البخاري» قال:

«**ما مسستُ حريراً ولا ديباجاً ألينَ من كفِّ رسولِ الله ﷺ**»[(٣)].

وكـان ﷺ ضـخم الكراديس كما في حديث عليّ المتقدم، والكراديس: كل عظمتين التقتا في مفصل فهو كردوس والجمع كراديس، نحو الركبتين والمنكبين والوركين.

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٦٣٩) في المناقب، باب صفة النبي ﷺ.

(٢) رواه البخاري(٦/ ٤١٢ , ٤١٣)في الأنبياء، باب صفة النبي ﷺ، وفي اللباس، باب الجعد، ومسلم رقم (٢٣٤٧) في الفضائل، باب في صفة النبي ﷺ، ومبعثه وسنه، والموطأ ٢/ ٩١٩ في صفة النبي ﷺ، باب ما جاء في صفة النبي ﷺ، والترمذي رقم (٣٦٢٧) في المناقب، باب رقم (٦).

(٣) رواه البخاري(١٠/ ٤٢٠) في الأنبياء، باب صفة النبي ﷺ، ومسلم رقم(٢٣٣)في الفضائل، باب طيب رائحة النبي ﷺ ولين مسه، والترمذى رقم (٣٠١٦) في البر والصلة، باب ما جاء في خلق النبي ﷺ.

وكـــان ﷺ: **سـواء البطـن والصـدر** دون ارتفـاع أو انخفـاض بينهمـا، أشعر المنكبين والذراعين وأعـالي الصدر ذا مشربة وهى الشـعر الدقيق من الصدر إلى السرة كالقضيب .

وكان ﷺ بين كتفيه خاتم النبوة كزر الحجلة، وكبيضة الحمامة .

عن جابر بن سمرة ـ رضي الله عنه ـ قال:

« كان رسول الله ﷺ قد شَمِطَ مقدَّم رأسه ولحيته، فكان إذا ادّهن لم يتبين فإذا شعثَ رأسُه تَبَيَّنَ، وكان كثيـرُ شعر اللحيةِ ، فقال رجل: وجهُهُ مثلُ السـيف ؟ قال: لا، بل مثل الشمس والقـمر، وكان مسـتديراً. قال: ورأيتُ الخاتم عند كتفيه مثل بيضة الحمام، يشبه جسده »(١) .

وكـان ﷺ إذا مشى كأنما تطوى له الأرض ويجـدُّون في لحاقه وهو غير مكترث.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال:

« ما رأيت أحسن من رسول الله ﷺ كأن الشمس تجري في وجهه، قال: وما رأيت أحداً أسرع في مشيه من رسول الله ﷺ، لكأنما الأرض تطوى له، كنا إذا مشينا معه نجهد أنفسنا، وإنه لغير مُكْتَرِث»(٢).

وكـان ﷺ إذا التفت التفت جمـيعاً ومعناه أنه ﷺ كـان لا ينظر من طرف عينه وهذه من علامات التواضع، فكان ﷺ خافض الطرف، نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى السماء .

---

(١) رواه مسـلم رقم (٢٣٤٤) في الفضـائل، باب شيـبه ﷺ، والنسـائي (٨/ ١٥٠) في الزينة، باب الدهن .

(٢) أخرجه الترمذي رقم (٣٦٥٠) في المناقب، باب رقم ٢٦ .

أما كلامه ﷺ فتدبر ما تقول أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق - رضي الله عنها -: قـالت: «أن النبي ﷺ كـان يحدث لـو عَدَّهُ العادّ لأحصاه»(١).

وفي سنن الترمذى قالت - رضي الله عنها -:

« مَـا كَان رَسـول الله ﷺ يَسرد كَسرْدكم هذا، ولَكنه كَانَ يَتكلم بكَلام يُبَيِّنُهُ، فصل، يحفَظُهُ مَنْ جَلسَ إليه»(٢).

وعنها - رضي الله عنها - قالت: «كَانَ كَلامُ رسولِ الله ﷺ كَلامٌ فَصل، يَفْهَمُهُ كلُّ مَنْ سَمِعَهُ» (٣).

اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما عرقه ﷺ فتدبر ما يقوله أنس - رضي الله عنه -:

يقول أنس: كان ﷺ يدخُلُ بيت أُمِّ سُلَيم، فينام على فراشها وليست فيه. قال: فجاء ذات يوم فنام على فراشها، فأتيتْ، فقيل لها: هذا النبي ﷺ نائم في بيتك على فراشك؟

قال: فجاءت وقد عَرِقَ، واستنقع عرقُه على قطعة أديم على الفراش.

ففتحت عتيدتها، فجعلت تنشف ذلك العرق، فتعصره في قواريرها، ففزع النبي ﷺ، فقال: «**مَا تَصْنَعِيْنَ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ؟**».

فقالت: يا رسول الله، نرجو بركته لصبياننا، قال: «**أَصَبْتِ**».

(١،٢) رواه البخاري (٦/ ٤٢٢) في الأنبياء، باب صفة النبي ﷺ، ومسلم رقم (٢٤٩٣) في فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة، وفي الزهد، باب التثبت في الحديث، والترمذي رقم (٣٦٤٣) في المناقب، باب رقم (٢٠)، وأبو داود رقم (٣٦٥٤، ٣٦٥٥) في العلم، باب في سرد الحديث.

(٣) رواه أبو داود رقم (٤٨٣٩) في الأدب، باب الهدي في الكلام، وإسناده حسن.

وفي رواية قالت: «هَذَا عَرَقُكَ نجعَلُهُ فِى طِيْبِنَا وَهُوَ أَطْيَبُ الطيبِ ».

وفي رواية قالت: «أجعلُ عرقكَ فِي طيبي»، فضحكَ رَسولُ الله ﷺ»[1] وأخرج الإمام أحمد والبيهقي عن عليّ بن أبي طالب قال: «كانَ العرقُ فِي وَجهِهِ ﷺ كَحباتِ اللُّؤلؤِ» . فكان ﷺ عندما ينزل عليه الوحي في الليلة الباردة يتناثر على وجهه العرق كحبات اللؤلؤ .

أما شجاعته ﷺ:

فتدبر ما يقوله فارس الفرسان وقائد القواد علي بن أبي طالب يقول: كنا إذا حمي الوطيس واشتدت المعركة اتقينا برسول الله ﷺ .

فكان ﷺ إذا دخل أرض المعركة وميادين النزال كان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يتقون به شدة الضربات، وأنتم تعلمون ماذا فعل النبي ﷺ يوم حنين، وماذا فعل يوم أحد . وماذا فعل النبي ﷺ يوم بدر. اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

فقد كان ﷺ أشجع الناس.

يقول أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ:

« كَانَ رسولُ ﷺ أحسنَ النَاسِ وَجهاً، وكَان أجودَ الناسِ، وكَانَ أشجعَ الناسِ، ولَقد فزع أهلُ المدينةِ ذاتَ ليلة، فانطلق ناسٌ من قِبَلِ، فتلقَّاهم رسول الله ﷺ راجعاً، وقد سبقهم إلى الصوت.

وفي رواية: «وقد استبرأ الخبر ـ وهو على فرس لأبي طلحة عُرْي، في عنقه السيف، وهو يقول: لن تراعوا، قال: وجدناه بحراً ـ أو إنه لبحر

(١) رواه البخاري (١١/ ٥٩) في الاستئذان ، باب من زار قوما فقال عندهم ، ومسلم (٢٣٣١) في الفضائل باب طيب عرق النبي ﷺ والتبرك به ، والنسائي (٨ /٢١٨) في الزينة ، باب ماجاء في الأنطاع.

قال: وكان فرساً تُبَطَّأُ» (١) .

أما خلـقه ﷺ فقد وصفـه ربه عزَّ وجلَّ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

تقول السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ : «مَا خُيِّر رسولُ الله ﷺ بَين أمرين قط، إلا أخـذ أيسرَهُمَا، مَا لمْ يكنْ إثمـًا، فإن كان إثما كـان أبعدَ الناسِ عنهُ، ومَا انتـقمَ رَسولُ الله ﷺ لنفسـهِ في شيء قط إلا أن تنتهَكَ حرمةُ الله فينتقمْ»(٢) .

وعن أنس رضي الله عنه قـال: « كـان النبي ﷺ إذا استقـبلهُ الرجلُ فصـافحَـهُ لاَ ينزعُ يدَه من يده، حتَّى يكون الرجلُ ينَـزع يَده، ولاَ يصرف وجهَهُ عَنْ وجهه، حتَّى يكونَ الرجلُ هو يصرفُهُ ، ولم يُرَ مُقدِّما ركبته بين يدي جليس له»(٣) .

وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال: « كانت الأَمَةُ من إمـاءِ المدينةِ لتأخذُ بيدِ رسولِ الله ﷺ، فتنطلقُ به حيثُ شاءت»(٤) .

وعن الأسود بـن يزيد النخعي ـ رحـمه الله ـ قـال: سُئِلت عـائشة ـ

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٤٤) في الجـهاد، باب اسم الفرس والحمار، وبـاب الحمائل وتعليق السيف بالعنق ومسلم رقم (٢٣٠٧) في الفضائل، باب في شجاعة النبي ﷺ وتقدمه للحرب ، وأبو داود رقم (٤٩٨٨) في الأدب باب رقم (٨٧)، والترمذي رقم (١٦٨٥) في الجهاد، باب ما جاء في الخروج عند الفزع .

(٢) رواه البـخاري (٦/ ٤١٩) في الأنبـياء، باب صـفة النبي ﷺ ، وفي الأدب، باب قـول النـبي ﷺ « **يسروا ولا تعسروا** » وفي الحدود ، باب إقامة الحـدود والانتقام لحرمات الله، وفي المحـاربين، باب كم التعـزير والأدب، ومـسلم رقم (٢٣٢٧) في الفضـائل، باب مـبـاعـدته ﷺ للآثام، والموطأ ٢/ ٩٠٣ فـي حسـن الخلق، باب مـا جـاء في حـسن الخلق، وأبو داود رقم (٤٧٨٥) في الأدب ، باب في التجاوز في الأمر .

(٣) رواه أبو داود رقم (٤٧٩٤) في الأدب باب في حسن العشرة والترمذي رقم(٢٤٩٢) في صفة القيامة باب رقم (٤٧)، وهو حديث حسن .

(٤) رواه البخاري(١٠/ ٤٠٨) في الأدب ، باب الكبر.

رضي الله عنها ـ: ما كان رسول الله ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: «يكونُ في مهنةِ أهلِه، فإذَا حَضرت الصَلاةُ يتوضَّأ ويَخرجُ إلى الصلاة»[1] . .

واسمع إلى أنس بن مالك خادم النبي ﷺ يقول:

« خَدمتُ النبيَّ ﷺ عشرَ سنينَ، والله مَا قال لي أفٍّ قط، ولا قال لشيءٍ لم فعلت كذا ؟ وهلا فعلت كذا»[2].

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أيضاً قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلُقاً، وكان لى أخ يقال له: أبو عمير ـ وهو فطيم ـ كان إذا جاءنا «قَالَ: **يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النَّغيرُ؟**»، لنغير كان يلعب به فمات، فدخل النبيُّ ﷺ ذاتَ يوم، فرآه حزينا، فقال: ما شأنه ؟ قالوا: مات نَغْرُهُ ، فقال: « **يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النَّغيرُ؟**»[3] .

هكذا كان ﷺ . . . وهكذا كان خلقه ﷺ . .

أسأل الله جل وعلا أن يجعلني وإياكم ممن أحبوا الحبيب ﷺ واقتفوا أثر الحبيب وساروا على دربه واتبعوا سنته . .

. . . الدعاء.

---

(١) رواه البخاري (٥/ ١٣٦، ١٣٧) في الأذان، باب من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج والترمذي رقم (٢٤٩١) في صفة القيامة، باب رقم (٤٦) .

(٢) رواه البخاري (١٠/ ٣٨٣، ٣٨٤)في الأدب، باب حسن الخلق والسخاء، ومسلم رقم (٢٣٠٩) في الفضائل ،باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً، وأبو داود رقم (٤٧٧٤) في الأدب، باب في الحلم .

(٣) رواه البخاري (١٠/ ٤٣٦) في الأدب ، باب الانبساط إلى الناس ، وباب الكنية للصبي وقبل أن يولد الرجل ، ومسلم رقم (٢١٥٠) في الأدب ، باب استحباب تحنك المولود عند ولادته ، وأبو داود رقم (٤٩٦٩) في الأدب ، باب ماجاء في الرجل يتكنى وليس له ولد ، والترمذي رقم (٣٣٣) في الصلاة باب في الصلاة على البسط.

المخدرات (سرطان العصر)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

أحبتي في الله .. إننا اليوم على موعد مع موضوع خطير من موضوعات الساعة.. ومرض مدمر من أمراض المجتمع.

وكيف لايكون كذلك ؟ . . وهو عدو شرس يقتل الروح قبل أن يقتل البدن . . ويفتك بالعقل قبل أن يفتك بالجسد . . ويسلب الدين قبل أن يسلب الدنيا . واسمحوا لى أن أستهل الحديث عن هذا الموضوع الخطير بهاتين الحادثتين المروعتين . . طالعتنا بالحادثة الأولى جريدة يومية وطالعتنا بالحادثة الثانية صحيفة أسبوعية .

أما الأولى التي يكاد يقف أمامها اللسان عاجزاً مشلولا من الخجل والحياء، فهي قصة شاب في التاسعة والعشرين من عمره انهال على أمه طعنا بالسكين حتى مزق جسدها بخمسٍ وعشرين طعنة.

والله إن الحلق ليجف . . ، وإن القلب ليرتعد . . ، وإن الكلمات لتعجز . . ، أمام هذه المأساة المروعة . . ابن يقتل أمه . . وما السبب؟

إنها المخدرات!!

أما الحادثة الثانية فهي أبشع حادث اغتصاب يصدم الآذان والقلوب. فهذه أرملة عجوز في الستين من عمرها مات زوجها وترك لها الأبناء وأقامت على تربيتهم خير قيام في حي البساتين حتى احتلوا جمعياً أماكن مرموقة .

وفي ليلة خرجت الأم المسكينة في التاسعة مساءً لتزور أبناءها في دار السلام، وفجأة انشقت الأرض أمامها عن ذئب بشرى وقح، لعبت المخدرات برأسه فأعمت عقله وقلبه وبصره، فرأى المرأة العجوز شابة فاتنة في العشرين!! وانطلق ذليلا لنداء الجنس الذي يصرخ في أعماقه.

فلم يجد أمامه إلا هذه الأرملة المسكينة التى راحت تصرخ بأعلى صوتها وتستغيث وتُذَكِّره بأنها أكبر من أمه، ولكن دون جدوى ففعل بها الفاحشة رغمًا عنها وسرق ما معها من مال ثم تركها وانصرف.

جريمة قتل . . وجريمة زنا . . وجريمة سرقة . . والسبب المخدرات !

ألم أقل لكم إنه عدو شرس يَسلب الدينَ قبل أن يَسلب الدنيا . . إنه خطر يهددنا جميعاً أيها المسلمون.

وقد أخبرني أحد المعلمين أنهم قد عثروا على مجموعة من الحقن في دورات مياه إحدى المدارس الثانوية التى يتعاطى بعض طلابها المخدرات عن طريق هذه الحقن.

إنه خطر يهدد الجميع.. ولاشك على الإطلاق إن مصر وهي قلب العالم الإسلامي بلا منازع مستهدفة بالدرجة الأولى. وهذا ما أكده النائب العام في حديث له مع جريدة الأخبار فقال: إن مصر مستهدفة من عدة جهات تستغل المخدرات لإفساد المجتمع المصري ولتحويل الشباب إلى طاقة غير منتجة وإلى شباب ضائع لايفكر ولا يعمل.

ويزداد الأمر خطراً إذا علمنا أن مصر تستهلك سنويا من المخدرات مايعادل ثمانية مليارات من الجنيهات.

إنها كارثة كبرى بكل المقاييس. وأخشى ما أخشاه أن نتصور أن القضية تتمثل في مجموعة من المهربين يحاولون جمع الملايين، ولو كان ذلك على حساب مستقبل أبناء الأمة. أو أن نتخيل أن المشكلة لن تكون أكثر من مجموعة مصحَّات نحاول أن نقيمها هنا أو هنالك لكى نستقبل فيها المدمنين عسى أن يمن الله عليهم بالشفاء.

أحبتي في الله:

إن المشكلة في حقيقتها أكبر من هذا.. نعم أكبر من محاولات التهريب ومصحات الإدمان؛ لأن ماوصلنا إليه اليوم إنما هو نتيجة لمقدمات كثيرة.. ومن ثم فإذا أردنا العلاج بحق يجب أن نفتش وبصدق عن هذه المقدمات.

والحق أقول: إننا قد تعودنا من المسئولين في بلاد المسلمين، أن لايتحركوا إطلاقاً لحل مشكلة إلا إذا اشتعلت نيرانها..، وكادت أن تدمر الأخضر واليابس.. وبدأت بالفعل تلتهم النيران بعض بيوت الأكابر

الذين ابتلى أبناؤهم بتعاطي المخدرات بمختلف أنواعها وأشكالها عن طريق الشم والحقن وغير ذلك.

ومن اعتقادنا الجازم بأن الإسلام دينٌ ودولة. . ، وعقيدة وشريعة. نتعرض اليوم لهذا الموضوع الخطير من منظور الإسلام .

فإنه لواجب على الدعاة إلى الله أن يتعرضوا لأمراض المجتمع لتشخيص الداء، وتحديد الدواء؛ لأننا جميعاً ركاب سفينة واحدة.

ومن ثم فالأمر يحتاج إلى مواجهة صادقة ونصيحة خالصة نسأل الله أن ينفع بها الجميع .

أحبتي في الله :

إن الحل الجذري لهذه المشكلة الكبيرة لا يتمثل في جلسات متوالية في مجلسي الشعب والشورى لسن القوانين، وفرض العقوبات الرادعة لتجار المخدرات من ناحية، ولمن ابتلوا بهذا البلاء من المدمنين والمتعاطين من ناحية أخرى. لأن هذه المعالجة معالجة قاصرة؛ لأنها ترميم مؤقت وربط للجرح على مافيه من بلاءٍ وعفن.

وإنما الحل الجذري لهذه الكارثة يتمثل في البحث الصادق عن الأسباب الحقيقية التى أدت إلى انتشار هذا الوباء السريع. وعند هذه الأسباب يكمن العلاج. فمن المستحيل أن نحدد الدواء قبل أن نشخص الداء.وأخطر هذه الأسباب بمنتهى الوضوح والصدق مايلى :

أولاً : تورط بعض المسئولين الذين ربما ينادون بمكافحة المخدرات ومطاردة المهربين في هذه الحرب المدمرة.

فلقد نجحت مافيا المخدرات أن تستقطب عدداً من هؤلاء، ممن

لا خلاق لهم ولادين عندهم، ولايحرك قلوبهم هذا الشباب المسكين، الذي يتساقط في شباكهم الآثمة من الإدمان إلى الموت.

فقاموا ليطاردوا المهربين في الظاهر بأقوالهم ليقوموا هم أنفسهم بنفس الدور بعد أن أصبحت المخدرات وسيلة سريعة للثراء المحرم.

وأعتقدُ جازماً أن هذه الفئة الخائنة هي مكمن الخطر ومصدر البلاء وينبغي أن تعامل بما يتفق مع بشاعة جريمتها وخيانتها، لحماية المجتمع من شرها وخطرها.

ثانياً : الفراغ الديني عند كثير من هذا الشباب وعدم قيام المسجد بدوره الذي ينبغي أن يقوم به. فلاشك على الإطلاق أن التدين والالتزام بمنهج الله جل وعلا هو عنصر الأمان والسعادة في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿ **فمن اتبع هُدَاى فلايَضلُّ ولايَشقَى* ومَنْ أعرَضَ عَن ذكرى فإنَّ لهُ مَعيَشةً ضَنكاً ونَحشُرُهُ يومَ القَيامَة أعمى**﴾ [طه: ١٢٤].

وللجميع أن يقارن مقارنةً سريعة بين هذا الشباب الطاهر الطائع، الذي تربى في المساجد، وبين هذا الشباب التائه الضائع الذي أدمن المخدرات، إن الفرق كبير وإن البون شاسع.

فلابد أن نعلم أن المسجد هو الحضن التربوي الطاهر الذي يعلم أبناءنا الفضيلة بعد أن استشرت الرذيلة.

فلاتخافوا المساجد، وارفعوا أيديكم عن المساجد، وادفعوا الشباب إلى المساجد، ليجلس بين يدي العلماء والدعاة ليتربى على أخلاق الإسلام، فهي وحدها التي تحول بينه وبين هذا الدمار.

أما إن ضل طريق المسجد ولم يتذوق معنى الطاعة سلك الطريق الآخر حتماً الذي لاينتهى إلا بمثل هذه النهايات المأسوية المروعة ولاحول ولاقوة إلا بالله.

(خطب الشيخ محمد حسان جـ١)

ثالثا : أما السبب الثالث والخطير من أسباب هذه الكارثة هو الإعلام المدمر لكثير من القيم والأخلاق.

وأستطيع أن أقول باطمئنان أن كثيرا من وسائل الإعلام المختلفة من صحافة وإذاعة وتلفاز وسينما وفيديو تقوم بدور رهيب، لإشاعة الفاحشة، وللإغراء بالجريمة بكل صورها، وأشكالها ويكفي ذلك أن تراجع الإحصائيات الدقيقة لهذه الوسائل؛ لتتعرف على صدق ذلك: فليس هذا الكلام للإثارة أبداً.

فكم عدد الأفلام التي تعرض للعوالم والراقصات؟!

وكم عدد الأفلام التي تعرض لتصور الفاحشة والانحراف والشذوذ؟!

وكم عدد الأفلام التى تعرض لتعلم أبناءَنا الجريمة والانحراف والفهلوة.؟!

وكم عدد الصور التى تلصق يوميا بالأحجام الكبيرة بالألوان على الجدران للساقطين والساقطات للعزف على وتر الجنس وإثارة الشهوات الكامنة والغرائز الهاجعة؟!

وكم عدد المجلات الهابطة والأشرطة الساقطة التى تحطم الأخلاق وتدمر الفضيلة؟!

فماذا تنتظرون بعد ذلك ياسادة من شباب يقتله الفراغ الديني والذهني ولاعقيدة له ولادين. وهو يسمع ويرى مايحول العُبَّاد الزهاد إلى فساق فجار. ومع عجزه أن يُحصِّل شيئا لايجد أمامه سوى بحر من الأوهام والأحلام الخادعة والذي يتمثل في الاتجار بالمخدرات أو تعاطيها.

رابعا : المناهج التعليمية الحديثة:

فإنها تحسنُ أن تعلِّمَ الجيلَ المعارف والعلوم، ولكنها لاتحسن أن تعلم عينه الدموع ولاقلبه الخشوع.

هذا الاختلاط المحرم بين شباب وفتيات في أخطر مراحل المراهقة بدعوى باطلة. . ،يغني بطلانها عن إبطالها. . ،ويغني فسادها عن إفسادها. . ،ألا وهي دعوى التحرر!!!

ورب الكعبة لقد قرأت إحصائيات للجريمة في المدارس تخلع القلوب،وهذا منشور في مجلة من مجلاتهم التى تعزف على وتر الجنس والدم في كل أسبوع، ولعلكم تذكرون قصة طالب دار العلوم الذي قتل زميلته في الحرم الجامعي كما يزعمون؛ لأنه فشل في أن يستحوذ على حبها !!

ولك أن تتأكد من ذلك بالنظر إلى إحدى صيحات الموضة في أى كلية من الكليات بين الطالبات اللاتى يظن الرائي أنهن ما ذهبن إلى قاعة الدروس والمحاضرات، وإنما ذهبن لمسرح أو لسينما.

وشملت هذه الدراسة عينة عشوائية تتكون من سبعمائة طالب من جامعة القاهرة تبين الدراسة أن ٣٦,٤٪ منهم قد شربوا المخدرات وأن ٥٠٪ منهم قد شموا الهيروين. إن الأمر خطير حتما أيها المسلمون.

فلابد من النظر مرة أخرى إلى المناهج وإلى طرق التدريس وإلى الهدف برمته من وراء العملية التعليمية. أقول قولي هذا وأستغفرالله لي ولكم. .

الخطبة الثانية

إن الحمد الله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد ..أحبتي في الله :

نستكمل حديثنا مع الأسباب الحقيقية التى أدت إلى انتشار المخدرات

خامسا : العامل الاقتصادى:

فلاينبغي أن نغفل عنه أيضا كسبب من أسباب هذه المشكلة الخطيرة، فإن المجتمع ينقسم إلى طائفة وطبقة قد أثْرَت ثراءً فاحشًا وإلى طبقة كبيرة قد طحنها الفقر والجوع.

الأولى راح بعض أفرادها ينغمسون في هذا المستنقع الآسن.

والغالب أنه لايقدر على تعاطي أنواع معينة من المخدرات كالهيروين فعلا إلا أبناء هذه الطبقة، إذ أن الشمة الواحدة للهيروين تكلف أكثر من مائة جنيه.

والطبقة الأخرى من أفرادها من عجز عجزاً كاملاً عن الوفاء بالتزامات أسرته، فراح يبحث عن طريق للثراء السريع بالتجارة في المخدرات أو بتعاطيها هربا من واقعه لاسيما إذا كان على غير دين.

سادسا : التفكك الأسري:

الذي غالبا ماتنعكس نتائجه على الأبناء الذين يفقدون أنفسهم

بفقدهم لآبائهم وأمهاتهم.

وأخيرًا فإني أعجب لهذه الحملة الضارية على المخدرات ،والخمور تباع جهارًا نهاراً فهل حرمت المخدرات وأحلت الخمور ؟؟!

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾(١).

وهذا رسول الله ﷺ يقول: «**كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ**»(٢).

هذه بعض الأسباب التى تشخص الداء وتحدد الدواء في آن واحد إن كنا ممَّن يريد العلاج الحقيقي والجذري لهذه المشكلة.

حكم المهربين والمتعاطين:

قال العلماء وعلى رأسهم ابن تيمية وابن القيم: إن من لم يُدفع فساده في الأرض إلا بالقتل وجب على ولي الأمر أن يقتله وهذا ماقاله أيضا الحنفية والمالكية والحنابلة.

والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾(٣).

أما بالنسبة لمن يتعاطون المخدرات فإن جمهور الفقهاء يقولون بوجوب القصاص من القاتل إن حدث منه القتل حال سكره المحرم،وأوجبوا عليه

---

(١) المائدة: ٩٠.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٠/ ٣٥)، مسلم (٢٠٠١)، والموطأ (٢/ ٨٤٥)، وأبو داود (٣٦٨٢، ٣٦٨٧) والترمذي (١٨٦٤، ١٨٦٧) والنسائي (٨/ ٢٩٨) كلهم في الأشربة.

(٣) البقرة: ١٧٩

الحد إذا ارتكب جناية توجب الحد، كالزنا والسرقة حال سكره.

ونص على ذلك المالكية والحنفية وهذا أصح القولين عند الحنابلة والصحيح عند الشافعية.

وأخيراً

فإنه يجب على الجميع أن يتكاتف لمعالجة هذه المشكلة الخطيرة وليس الأمر عسيرًا أو مستحيلاً فلقد نجحت الصين في القضاء على هذا المرض في ألف مليون نسمة ولكن الأمر يحتاج إلى صدق من الجميع.

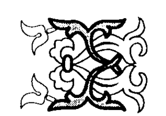
* على الدعاة أن يقوموا بدورهم في المسجد.
* وعلى الآباء دور كبير في البيت.
* وعلى المعلمين دور عظيم في المدرسة.
* وعلى الإعلاميين دور خطير في أجهزة الإعلام.
* ثم.. الضرب بشدة على أيدى المهربين أيا كان موقعهم.
* أما أنت أيها الشاب المسكين، يامن ابتليت بهذا البلاء فهيا عد إلى الله.

الجأ إلى الله بصدق أن يخلصك من هذا الكابوس.

اللهم استرنا فوق الأرض، واسترنا تحت الأرض، واسترنا يوم العرض.

اللهم أصلح حكَّامنا وعلماءنا واهد شبابنا واستر نساءنا..ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما.

... الدعاء



سلعة ثمنها الجنة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. ثم أما بعد:

فحياكم الله جميعاً أيها الآباء الفضلاء، وأيها الأخوة الأحباب الأعزاء... وطبتم وطاب ممشاكم وتبوأتم من الجنة منزلا ، وأسأل الله العظيم جل وعلا الذي جمعنا وإياكم في هذا البيت المبارك على طاعته أن يجمعنا وإياكم في الآخرة مع سيد الدعاة المصطفى في جنته إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله.. «**سلعة ثمنها الجنة**» هذا هو عنوان لقائنا مع حضراتكم في هذا اليوم الأغر المبارك.. وكعادتنا فسوف ينتظم حديثنا مع حضراتكم تحت هذا العنوان في العناصر التالية :

أولا: واقع مرير.

ثانيا: شرف الجهاد وفضله.

ثالثا: صور مشرقة.

رابعا: التولي كبيرة.

وأخيراً: لا عزَّ إلا بالجهاد.

فأعيروني القلوب والأسماع فإن هذا الموضوع ،في هذه الآونة الحرجة من الأهمية بمكان ،والله أسأل أن يرزقنا الصواب والسداد والتوفيق، وأن يجعل أقوالنا وأعمالنا خالصة لوجهه، إنه ولي ذلك ومولاه ،وهو على كل شيء قدير . .

أولا : واقع مرير:

لن أطيل الحديث في تشخيص الواقع المرير الذي تحياه الأمة في هذه الأيام ،فإن هذا الواقع معلوم للصغير قبل الكبير، ومعلوم للقاصي قبل الداني، فوالله إن العين لتدمع، وإن القلب ليبكي، وإنا لما حلَّ بالأمة لمحزونون. .لمحزونون. .لمحزونون

إن الناظر الآن إلى أمة الإسلام سيبكي دماً بدل الدمع إن كان ممن يتحرق قلبه على أحوال أمته الجريحة المسكينة.

إن الأمة قد ذلت بعد عزة !! وضعفت بعد قوة !! وجهلت بعد علم!! وأصبحت في ذيل القافلة الإنسانية بعد أن كانت الأمة تقود القافلة كلها بالأمس القريب بجدارة واقتدار !!

وأصبحت الأمة تتأرجح في سيرها . .بل ولا تعرف طريقها الذي يجب عليها أن تسلكه وأن تسير فيه ،بعد أن كانت الأمة بالأمس القريب، الدليل الحاذق الأرب في الدروب المتشابكة . .في الصحراء المهلكة التي لا يهتدي في السير فيها إلا الأدلاء الأذكياء المجربون.

وأصبحت الأمة الآن تتسول على موائد الفكر الغربي !! بعد أن كانت الأمة بالأمس القريب منارة تهدي الحيارى والتائهين والضالين الذين أحرقهم لفح الهاجرة القاتل وأرهقهم طول المشي في التيه والظلام!!

فإن كان الله جل وعلا قد وصف الأمة في القرآن بالوسطية ،

والوسطية هي الاعتدال بتفسير النبي ﷺ فإننا نرى الأمة الآن قد تركت منهج الوسطية وجنحت إلى الشرق الملحد تارة وإلى الغرب الكافر تارة أخرى !!!.

وإذا كان الله جل وعلا قد وصف الأمة في القرآن بالخيرية فقد علل الله خيريتها بهذه الشروط . . الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإيمان بالله جل وعلا . . ولكنك ترى الأمة الآن ـ إلا من رحم ربك جل وعلا ـ من أبنائها من يأمر بالمنكر، وينهى عن المعروف، ويشرك بالله جل وعلا على مرأى ومسمع، ولا حول ولا قوة إلا بالله!!.

وإذا كان الله عز وجل قد وصف الأمة في القرآن بالوحدة إلا أنك ترى الأمة الآن قد تمزق شملها ،وقد تشَتَّت صفها ،وتقسمت الأمة إلى دوَل ،بل إلى دويلات ،بل تفتتت الدويلات هي الأخرى إلى أجزاء . .بل وتقسمت الأجزاء من الدويلات هي الأخرى إلى أجزاء ووضع الاستعمار بين هذه الدويلات والجزئيات مسمارا عفنا نتنا ألا وهو مسمار الحدود ،يطرق عليه الاستعمار أو الأعداء بقوة من آن لآخر لتشتعل نار الفتن بين هذه الدويلات الصغيرة التي لا تحرك ساكنا، ولم يعد يلتفت إليها الشرق الملحد أو الغرب الكافر . .

لقد تحولت الأمة الآن إلى قصعة مستباحة من أذل وأخزى وأحقر أمم الأرض!! أصبحت الأمة الآن قَصعة مستباحة لإخوان القردة والخنازير!! للصرب المجرمين . !! للملحدين الشيوعيين . !! لعبَّاد البقر الأنجاس . !!

أذل الله الأمة الآن لمن كتب الله عليهم الذل والذلة والمهانة ،وأنا أتساءل معكم دوماً، وأقول هل رأيتم أذل ممن أذلهم الله للأذل ؟!!

لا والله . والسؤال الآن أيها الأحبة : ماالذي أوصل الأمة إلى هذا الحال وإلى هذا الواقع المرير ؟!!

والجواب في آية واحدة محكمة من كتاب الله جل وعلا:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد:١١]

ووالله لقد غيَّرت الأمة وبدَّلت .. في جانب العقيدة غيرت .!! في جانب العبادة غيَّرت !!

وفي جانب التشريع تجرأت وتحدَّت ربها جل وعلا !!

أيها الأحبة:

غيَّرت الأمة في كل جانب من الجوانب إلا من رحم ربك جل وعلا فعانت من هذا الواقع المرير الذي أراه عدلا من الله جل وعلا ، إذ أن الله لا يحابي أحداً من الخلق بحال مهما ادَّعي لنفسه من مقومات المحاباة..

أيها الأحبة ... الداء شخَّصه النبي ﷺ في كلمات دقيقة ،وحدَّد النبي ﷺ لهذا الداء الدواء ،إذ لم يترك النبي ﷺ الداء والدواء لأي داعية من الدعاة ليحدده على حسب نظرته أو على حسب هواه..

فقال ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود من حديث ثوبان:

« يُوشِكُ الأممُ أَنْ تداعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إلى قَصْعَتِهَا».

فقال قائل :«من قلة نحن يومئذ؟»

قال : «بَلْ أَنْتُمْ يومَئذ كثيرٌ، ولكنَّكُمْ غُثَاءٌ كغُثَاء السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدوِّكُمُ المهابةَ مِنْكُمْ ، وَلَيَقْذفَنَّ في قلوبكُمُ الوَهَنَ» ، قيل: وَمَا الوَهَنُ يا رسول الله؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهيةُ الموت»(١)

---

(١)أخرجه أبو داود رقم (٤٢٩٧) في الملاحم،باب في تداعي الأمم على الإسلام ورواه أحمد (٥/٢٧٨) وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٩٥٨).

هذا هو الداء، وأكد النبي ﷺ الداء في حديث آخر صحيح ، والحديث رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني وغيره قال ﷺ :

« **إِذَا تَبَايَعْتُمْ بالعِيْنَة** (نوع من أنواع البيوع الربوية المحرمة) **وَرَضِيْتُمْ بالزَّرْعِ وَتَبِعْتُم أَذْنَابَ البَقْر وَتَرَكْتُم الجِهَادَ في سَبِيلِ الله سلَّطَ اللهُ عَلَيكُم ذلاً لا يَنْزِعهُ عَنْكُمْ حَتَّى تَرْجِعُوا إلى دِيْنِكُمْ**»[1] .

يوم أن حرَّفت الأمة الإيمان ، ونَخَرَ الفكر الإرجائي في جسد الأمة، وشُوِّهَتْ العقيدة الصافية، ودُنِّس صفاؤها، وعُكر نقاؤها وانحرفت الأمة عن المعتقد الصحيح، وعن حقيقة الإيمان التي قال عنها علماؤنا :

قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالجوارح والأركان.

وانطلقت الأمة لتستغيث بغير الله ، ولتستعين بالشرق الملحد والغرب الكافر ولتذبح لغير الله ، ولتقدم النذور لغير الله ، ولتسأل الأموات من دون الله ، بل ولتنحي شريعة الله جل وعلا ، وتركت بعد ذلك الجهاد في سبيل الله وأخلدت إلى الوحل والطين، وعاش الناس يعبدون العروش والكروش والقروش وبذلوا كل ما يملكون حتى العقيدة من أجل الحفاظ على هذا الكرسي الزائل والمنصب الفاني ، ومن أجل إرضاء السادة والكبراء الذين أجلسوهم على هذه الكراسي ، ولعبوا بهم من وراء الكواليس كلعبة العرائس أو الدمي على مسرح يتلهى به الساقطون والسذج والرعاع.

لما أخلدت الأمة إلى الأرض ، وتركت الجهاد في سبيل الله، سلَّط الله

---

(١) رواه أبو داود رقم ٣٤٦٢ في البيوع ، باب في النهي عن العينة وصححه شيخنا الألباني في الصحيحة رقم (١١) .

عليها إخوان القردة والخنازير والصرب الكفرة المجرمين والشيوعيين الملحدين وعبدة البقر والفئران.

وها أنتم ترون الصورة بهذا الواقع المرير ،وبهذا الظلام ،نسأل الله جل وعلا أن يسعد قلوبنا وإياكم بنصرة الإسلام وعز الموحدين

﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾ [الرعد :١١]

أيها المسلمون ...

لاخروج من هذا الواقع المرير الذي تحياه الأمة الآن إلا إذا رفعت من جديد راية ذروة سنام الإسلام.

أنا أعلم الآن علم اليقين أن الحديث عن الجهاد أصبح جريمة . . أعلم ذلك يقينا بل أصبح الحديث عن الجهاد يقابل بالاستنكار ، بل وأصبح الحديث الآن عن الجهاد تهمة يؤخذ عليها بالنواصي والأقدام ذلك أن الإعلام العميل شوَّه صورة الجهاد وطمس الإعلام الصورة المشرقة للجهاد لأنهم صوروا الجهاد على أنه القتل والاغتيال والإرهاب والجنازير والدماء من أناس ينقصهم العلم والفقه!! خلطوا بين هذه الصورة الهزلية والصورة المشرقة للجهاد .

لكن حقيقة الجهاد الذي أنادي به الآن إنما هو الجهاد في سبيل الله ضد أعداء الله وأعداء الأمة من الكافرين والمجرمين والملحدين .

ثانيا : شرف الجهاد وفضله:

لقد أمر الله نبيه ﷺ بالدعوة إليه ونادى عليه بقوله :﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ** (١) **قُمْ فَأَنذِرْ**﴾ [المدثر:١، ٢].

فقام النبي ﷺ ولم يقعد ولم ينم حتى لقي ربه جل وعلا ثم خاطبه

بعد هذه المرحلة السرية بقوله عز وجل ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]

فَصَدَعَ بأمر الله فدعا الي الله الصغير والكبير . . الحر والعبد . . الذكر والأنثى . . الأحمر والأسود

فأبرقت قريش وأرعدت وأزبدت ودقت طبول الحرب وأوعدت، فلما اشتد الإيذاء والبلاء أمر النبي ﷺ أصحابه أن يهاجروا إلي أرض الحبشة مرتين ،وتضاعف الإيذاء والابتلاء ومع هذا لم يأذن الله لرسوله بأن يقابل السيئة بالسيئة أو يواجه الأذى بالأذى أو يحارب هؤلاء الذين حاربوا الله ورسوله وفتنوا المؤمنين والمؤمنات ،بل أمره الله بالعفو والصفح كما قال تعالي :

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الطور: ٤٨]، وقال سبحانه : ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٩].

وقال سبحانه : ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]

وقال تعالي:

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٦]

وتتابع الأذى والاضطهاد حتى بلغ قمته بتدبير مؤامرة حقيرة لاغتيال رسول الله ﷺ فاضطر النبي ﷺ إلى الهجرة من مكة إلى المدينة،وأمر أصحابه بالهجرة إليها بعد ثلاث عشرة سنة من البعثة .

فلما استقر رسول الله ﷺ بالمدينة وأيده الله بنصره بعباده المؤمنين من الأنصار الأبرار والمهاجرين الأطهار، وألَّف الله به بين قلوبهم وبذلوا

نفوسهم دونه ،وقدّموا محبته على محبة الآباء والأبناء والأزواج، وأسّس الرسول ﷺفي المدينة للإسلام دولة، أقــول: وأصبح للإسلام دولة بكل مـا تحـمله كلمـة دولة من مـعنى ،قـائد . .جـيش . .رجـال. . قـوة . .أرض. . وأصبـح للإسلام دولة . .وهنا ـ بل وهنا فـقط ـ أذن للنبي ﷺوالمؤمنين معه بالقتال ولم يفـرض القتال عليهم ،بل أذن لهم في صد العدوان لتأمين الدعوة وتأمين النفس فقال جل وعلا:

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج ٣٩، ٤١]

أذن الله ـ عـز وجل ـ في صد العـدوان في القـتـال؛ لتأمين الدعـوة وحماية النفس ولم يفرض الله القتال على النبي ﷺ وأصحابه .

وفي السنة الثانية من الهجرة فرض الله القتال بقوله تعالي:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]

وهنا أصبح القتـال فرضا على النبي ﷺ والمؤمنين معه، والمؤمنين من بعده إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولاتصدقوا الكذابين والأفاكين والمجرمين الذين أرادوا أن يميتوا الجهـاد، فإن الجهاد مامات ولم يمت ولن

يموت بإذن الله .

أسأل الله جل وعلا أن يسعدنا وإياكم بنصرة الإسلام وعز الموحدين وبيَّن الله شرف الجهاد بعد ذلك، وحث الله المؤمنين على الجهاد فقال جل وعلا:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصف: ١٠-١٣]

هل تصدقون ربنا رب العالمين. . هذا كلام ربنا .

وانتبهوا ياشباب الصحوة أمر الله قبل الجهاد بالإيمان ـ يأمر الله أهل الإيمان ـ لأنه خاطبهم فقال : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾** يأمرهم الله بالإيمان **﴿ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾** .

أيها الأحبة

والله الذي لا إله غيره لن نرى للإسلام دولة،ولن نرى حاكمية تظللها الشريعة إلا إذا حققنا الإيمان ابتداءً. . وإلا إذا ربَّينا الناس على عقيدة التوحيد بصفائها وشمولها وكمالها. .

يا أيها المسلمون:

الإسلام عقيدة. . لبنة الأساس العقيدة. . والخطوة الأولى العقيدة. . الإسلام عقيدة تنبثق منها شريعة،تنظم هذه الشريعة كل نظم

الحياة، ولا يقبل الله من قوم شريعتهم إلا إذا صحت عقيدتهم.

مُحَالٌ والله أن نرى ما نحلم به إلا بمثل ما بدأ به المصطفى ﷺ التربية.. العقيدة أولا.

يا أيها الشاب لا تتعجل..

لا تقل أيها الشاب: هل أنت تريد منا الآن أن نبدأ التربية من جديد على العقيدة والأمة تضرب بالنعال؟!

أقول لك بملء فمي وأعلى صوتي: لن تجني ثمرة على الإطلاق، إن عشت ألف سنة إلا إذا تربيت من جديد على العقيدة بصفائها ونقائها وشمولها وأنت لست مسئولا عن النتيجة.. الله لن يسألك عن النتيجة إنماسيسألك عن العمل.

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]

لن يسألك الله عن نتيجة الدعوة، ولن يسألك عن نتيجة العمل، ماعليك الآن إلا الدعوة بالموعظة الحسنة والحكمة البالغة، أما أن يهتدي الفاعل أو لا، فليس هذا من شأنك، ليس هذا من شأن العبيد، إنما هو من شأن العزيز الحميد.

خاطب الله جل وعلا إمام الدعاة وسيد النبيين بقوله:

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ﴾ [الرعد: ٧].

﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ﴾ [الشورى: ٤٨].

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [المائدة: ٦٧]

وظيفته البلاغ.. النذارة.. البشارة ..هذه هي وظيفة إمام الدعاة ﷺ أما النتائج ليست لنا..تترك النتائج إلى الله ..ولومت ولم ترى دولة الإسلام وبذلت ما في وسعك لدين الله ـ عز وجل ـ فقد أعذرت أنت بنفسك بين يدي الله جل وعلا

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

﴿ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ الإيمان بالله.. وأتمنى أن لو استفادت الحركة الإسلامية من أخطائها على أرض الواقع..بكل أسف الحركة الإسلامية ما استفادت من أخطائها على أرض الواقع إلى يومنا هذا !!

انظروا إلى واقع أفغانستان، وإلى ما يجري الآن على أرض أفغانستان من صراعات ودماء.. لما لم يتربَّ المجاهدون الأفغان على العقيدة الصحيحة في صفائها وشمولها، صوَّبوا بعد ذلك السلاح في صدورهم بعضهم البعض، وهذا واقع لا نستحي من إعلانه أبداً ،وإنما في إعلاننا له نؤكد سنةً ربانيةً لله في كونه ، لاتحابي هذه السنة أحداً من الخلق.. لابد من التربية على العقيدة الصحيحة..

ليس معنى ذلك أن نقول: كان من الواجب على المجاهدين الأفغان أن يتركوا الدب الروسي الغبي الوقح يحتل الأرض،وينتهك العرض،ويدنس الشرف ،ويجلسوا هم في المساجد على أيدي المشايخ يتربون على العلم الشرعي والتربية الإيمانية..أبدا لا يقول بذلك رجلٌ يعي واقع الحركة،إذ أن العدو لو داهم أرضاً يحرم على كل طالب علم في هذه الأرض ألا يخرج للجهاد ويجلس يحصل العلم الشرعي. لا بد من هذا الفهم يا أيها الأحباب.إن هذه المرحلة التي تمر بنا الآن تحتاج منا الآن إلى هذه

التربية الإيمانية، الأمة الآن تحتاج إلي التربيه الإيمانية.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

[الصف: ١٠-١٣]

وبعد هذه التجارة الرابحة يأتي هذا العقد الجليل والوعد الكريم الذي أودعه الله جل وعلا أفضل كتبه المنزلة وهي التوراةُ والإنجيلُ والقرآنُ، ويااله والله من عقدٍ ما أعظم وأجل قدره، فالمشتري هو الله، والثمن هو الجنة، أما السلعة فهي الجهاد بالأنفس والأموال في سبيل الله جل وعلا.

فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

فلما تم العقد وسلّم الفائزون المفلحون السلعة الغالية وهي أنفسهم وأموالهم، قيل لهم: قد صارت أنفسكم وأموالكم لنا، والآن قد رددناها عليكم أوفر وأكرم وأعظم ما كانت فقال جل وعلا: ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا

آتَاهُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٦٩]

فسبحان من عَظُمَ جوده وكرمه أن يحيط به علم الخلائق ،فهو الذي أعطى السلعة فوهبنا الأنفس والأموال ،وهو الذي أعطى الثمن وهو الذي وفَّق لذلك. ﴿ **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾** [الحديد: ٢١]

ثم بيَّن إمام المجاهدين وقائد الغر المحجلين شرف الجهاد وفضله فقال كما في الحديث الذي رواه البخاري وأحمد من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:

«إنَّ في الجنة مائةَ دَرَجَة أَعَدَّها اللهُ للمُجَاهدينَ في سبيل الله مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْن كَمَا بينَ السماء والأرض، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الفرْدَوْس، فإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّة وأَعْلَى الجنة، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تُفَجَّرُ أنهارُ الجنة»(١).

اللهم ارزقنا الفردوس الأعلى من الجنة يارب العالمين.

وفي حديث أبي سعيد في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال لأبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ:

«مَنْ رَضِيَ بالله ربًا ، وَبالإِسْلاَمِ دِيْنًا، وبمحمَّد رسولاً، وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ» .

فعجب لها أبو سعيد فقال: أعدها عليّ يا رسول الله ففعل، ثم قال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٩) في الجهاد،باب درجات المجاهدين في سبيل الله،وفي التوحيد،باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم.وهو في صحيح الجامع رقم (٢١٢٦) .

« وَأُخْرَى يَرْفَعُ اللهُ بهَا الْعَبْدَ مائة درجة في الجنَّة مَا بَيْنَ كلِّ درجتين كَمَا بَيْنَ السَّمَاء والأرضِ» قال: ما هي يا رسولَ الله ؟ قال:

«الجهادُ في سَبِيْلِ الله»(١)

وفي الحديث الذي رواه البخاري وأحمد من حديث أبي عبس عبد الرحمن بن جبر أن النبي ﷺ قال:

«ماغْبرَّتَا قَدَمُ عبدٍ في سبيلِ الله فَتَمَسُّهُ النَّارُ»(٢) .

وفي الحديث الذي رواه البخاري من حديث سهل بن سعد الساعدي أن النبي ﷺ قال: «ربَاطُ يومٍ في سبيلِ الله خيرٌ منَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»(٣) .

وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: « ما من مَكْلومٍ يُكلَمُ في سبيلِ الله إلاَ جَاءَ يَومَ القيامَة وكَلْمُهُ يَدمي،اللَّوْنُ لونُ دَمٍ،والريحُ ريحُ مسْكٍ» (٤) .

---

(١) رواه مسلم رقم (١٨٨٤) في الإمارة،باب بيان ما أعده اللهتعالى للمجاهد في الجنة من الدرجات والنسائي (٦/ ١٩ ، ٢٠) في الجهاد،باب درجة المجاهد في سبيل الله عز وجل.

(٢) رواه البخاري (٦/ ٢٣) في الجهاد ،باب من اغبرت قدماه في سبيل الله ،وفي الجمعة،باب المشي إلى الجمعة،والترمذي رقم (١٦٣٢) في فضائل الجهاد،باب ما جاء في فضل من اغبرت قدماه في سبيل الله والنسائي (٦/ ١٤) في الجهاد،باب ثواب من اغبرت قدماه في سبيل الله.

(٣) رواه البخاري (٦/ ١١ ، ٦٣)في الجهاد،باب الغدوة والروحة في سبيل الله،وباب فضل رباط يوم في سبيل الله،وفي بدء الخلق،باب ماجاء في صفة الجنة،ومسلم رقم(١٨٨١)في الإمارة،باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله والترمذي رقم(١٦٦٤) في فضائل الجهاد،باب ما جاء في فضل الرباط.

(٤) رواه البخاري (٦/ ١٥) في الجهاد،باب من يخرج في سبيل الله ،ومسلم رقم (١٨٧٦) في الإمارة باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله والترمذي رقم (١٦٥٦) في فضائل الجهاد والنسائي (٦/ ٢٨ ، ٢٩) في الجهاد.

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

«إنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَداء في جوف طير خُضْر، لَهَا قناديلُ مُعَلَّقَةٌ بالعرشِ تَسْرَحُ مِنَ الجنة حيثُ شاءَتْ ثُمَّ تأْوِي إِلَى تَلْكَ القناديلِ فاطَّلَعَ إليهم ربُّهم اطِّلاعة، فقالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شيئًا؟ قَالوا: أي شيء نَشْتَهي ونَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الجنة حيثُ شئْنَا ؟ فَفَعلَ ذلكَ ثَلاثَ مرات فلمَّا رأوا أنهم لم يُتركوا من أن يُسَأَلُوا ، قالوا: يَا رَبِّ ، نُريدُ أن تَرُدَّ علينا أَرواحَنَا في أَجْسَادنَا حَتَّى نُقْتَلَ في سبيلكَ مرَّةً أُخْرَى ، فلمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُركُوا» (١)

ولذلك أخرج الترمذي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لقيني رسول الله ﷺ وأنا مُهْتَمٌّ، فقال: « مالي أراك منكسراً ؟ ».

قلت: استشهد أبي يوم أحد وترك عيالاً وديناً، فقال: «ألا أبشِّرُكَ بما لقي الله به أباك » ؟ قلت: بلي، قال:

« ما كلَّم الله أحداً قطُّ إلا من وراء حجاب، وإنه أحيا أباك،فكلمه كفاحاً فقال: يا عبدي، تمن عليّ أعْطكَ، قال: يارب، تحييني فأقتل ثانيةً قال سبحانه: قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون، فنزلت، ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذينَ قُتلُوا في سَبِيلِ اللَّه أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩](٢).

---

(١)رواه مسلم رقم (١٨٨٧) في الإمارة،باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون،والترمذي رقم (٣٠١٤، ٣٠١٥) في التفسير ،باب ومن سورة آل عمران.

(٢)أخرجه الترمذي رقم (٣٠١٣) في التفسير،باب ومن سورة آل عمران وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب وحسنه شيخنا شعيب الأرناؤوط في تخريج جامع الأصول.

ومن أجل هذا كله ورد في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال:

«مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنَ النِّفَاقِ»(١) قال ابن المبارك: فنرى أن ذلك كان على عهد رسول الله ﷺ(٢).

وأكتفي بهذا القدر من الأحاديث وإلا فهي كثيرة وأختم بهذه الأبيات المعبرة التي تبين شرف الجهاد وفضله والتي أرسل بها الإمام المجاهد العَلَمْ عبد الله بن المبارك لأخيه القانت الزاهد الورع عابد الحرمين الفضيل بن عياض يذكره فيها بشرف الجهاد في سبيل الله فيقول:

يَا عَابِدَ الحرَمَيْنِ لَوْ أَبْصَرْتَنَا ... لَعَلِمْتَ أَنَّكَ فِي العِبَادَةِ تَلْعَبُ
مَنْ كَانَ يَخْضِبُ خدَّهُ بدموعه ... فَنُحُورُنَا بِدِمَائِنَا تَتَخَضَّبُ
أَوْ كَانَ يُتْعِبُ خَيْلَهُ فِي بَاطِلٍ ... فَخُيُولُنَا يَوْمَ الصَّبِيْحَةِ تَتْعَبُ
ريحُ العبيرِ لَكُمْ وَنَحْنُ عَبِيرُنَا ... وَهَجُ السَّنَابِك والغُبَارُ الأَطْيَبُ
وَلَقَدْ أَتَانَا مِنْ مَقَالِ نَبِيِّنَا ... قَوْلٌ صَحِيحٌ صَادِقٌ لاَ يَكْذِبُ
لاَ يَسْتَوِي غُبَارُ خَيْلِ الله فِي ... أَنْفِ امْرِئٍ وَدُخَانُ نَارٍ تَلْهَبُ
هَذَا كِتَابُ اللهِ يَنْطِقُ بَيْنَنَا ... لَيْسَ الشَّهِيدُ بِمَيِّتٍ لاَ يكذَبُ

---

(١) رواه مسلم رقم (١٩١٠) في الإمارة، باب ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو، وأبوداود رقم (٢٥,٢) في الجهاد، باب كراهية ترك الغزو، والنسائي ٦/٨ في الجهاد، باب التشديد في ترك الجهاد وأخرجه أحمد في مسنده ٣/ ٣٧٤

(٢) قال النووي في شرح مسلم: هذا الذي قاله ابن المبارك محتمل، وقد قال غيره: إنه عام، والمراد أن من فعل هذا فقد أشبه المنافقين المتخلفين عن الجهاد في هذا الوصف، فإن ترك الجهاد أحد شعب النفاق، وفي هذا الحديث أن من نوي فعل عبادة فمات قبل فعلها لايتوجه عليه من الذم ما يتوجه على من مات ولم ينوها.

أيها الأحبة:

إن شرف الجهاد عظيم وإن فضل الجهاد كبير.

ولما علم أصحاب النبي ﷺ ذلك بذلوا أرواحهم لله جل وعلا وهذا هو عنصرنا الثالث من عناصر هذا اللقاء .

صور مشرقة ..من أصحاب النبي ﷺ:

فهذا أنس بن النضر الذي خرج في الناس يوم أحد لما أشيع الخبر بأن رسول الله ﷺ قد مات، فَمَرَّ على قومٍ من المسلمين قد ألقوا بأيديهم، فقال: ما تنتظرون ؟ قالوا: قُتِلَ رسول الله ﷺ.

فقال: ما تصنعون في الحياة بعده ؟! قوموا ،فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ ثم قال - رضي الله عنه -: «اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني المسلمين - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين -،ثم تقدم، فلقيه سعد بن معاذ، فقال: يا سعدُ إني لأجِدُ ريح الجنة من دون أحد» .

وترك أنس بن النضر سعد بن معاذ وانطلق في صفوف القتال ليقاتل الأعداء صابراً محتسباً مقبلا غير مدبر فمنَّ الله عليه بالشهادة فما عُرِفَ حتي عرفته أخته ببنانه ،وبه بضع وثمانون،ما بين طعنة برمح،وضربة بسيف،ورمية بسهم[(١)] .

وهذا البطل - عمير بن الحمام - يقف النبي ﷺ على أرض المعركة

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٢٧٤) في المغازي،باب غزوة أحد،ومسلم رقم (١٩٠٣) في الإمارة،باب ثبوت الجنة للشهيد،والترمذي(٣١٩٨، ٣١٩٩)،وأحمد(٣/ ٢٠١، ٢٥٣)من حديث أنس - رضي الله عنه -

في بدر ليرفع النبي ﷺ هذا التقرير الكبير:

« **أَيُّهَا النَّاسُ قُومُوا لجنَّة عَرْضُها السماوات والأرض**»

الله أكبر.. فسمع البطل عمير بن الحمام هذا الشاب العملاق سمع هذا النداء النبوي من القائد الأعلى بأبي هو وأمي ﷺ : «**أَيُّهَا النَّاسُ قُومُوا إلى جنَّة عَرْضُها السماوات والأرض**» فقال عمير: يا رسول الله! جنةٌ عرضُها السماوات والأرض، قال: «**نعم**»، قال عمير: بخٍ بخٍ !! يارسول الله، قال: «**يَا عُمَيْرُ، مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلكَ بَخٍ بخٍ ؟**»

قال: لا والله يا رسول الله إلاَّ رجاء أن أكون من أهلها.

فقال المصطفى ﷺ: «**أَنْتَ مِنْ أَهْلِهَا**».

قال: فأخرج تمرات من قرنه (أي من جعبة النشاب) فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن حييت حتى آكل تمراتي هذه، إنها لحياةٌ طويلةٌ، فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتل حتى قُتل[1]. فكان أول قتيل

تمنيت أن لوسمع ذلك عُبَّاد العروش والكروش والفروج.. انظر إلى هذا الصحابي الصادق يعيش ليأكل تمرات قليلة فيعتقد أن حياته طويلة.. الحياة لأكل بعض التمرات طويلة.. الله أكبر..

وهذا شاب آخر في أحضان عروسه. في ليلة أنس وعُرْس يسمع النداء: يا خيل الله اركبي.. حي على الجهاد.. حي على الجهاد.. فينتزع نفسه من بين أحضان عروسه.. أو إن شئت فقل: ينتزعه الإيمان من بين أحضان عروسه وينطلق مسرعاً على الفور؛ لينال شرف الصف الأول خلف رسول الله ﷺ وتنتهي المعركه، ويرفع هذا التقرير الطبي

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٣٦، ١٣٧)، ومسلم رقم (١٩٠١)، والحاكم (٣/ ٤٢٦) من حديث أنس بن مالك وقوله: بخ بخ فيه لغتان: إسكان الخاء، وكسرها منوناً، وهي اسم فعل بمعني: أستحسن، وتطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير.

للحبيب محمد ﷺ، يا رسول الله! إننا نرى أثر ماء على حنظلة فقال ﷺ «سَلُوا أَهْلَهُ؟مَا شَأْنُهُ؟» فسألوا امرأته فأخبرتهم الخبر[(١)] قالت: إن حنظلة لما سمع المنادي يقول : ياخيل الله اركبي. . حي على الجهاد وكان حنظلة جُنُباً فلم يمهله الوقت ليرفع عن نفسه الجنابة ،وشعر أن لو انتظر حتى يغتسل ربما لم يدرك، فانطلق لينال شرف الصف الأول خلف الحبيب رسول الله ﷺ فلما سمع النبي ﷺ ذلك قال : إن الله جل وعلا قد أرسل ملائكة من السماء بماءٍ من الجنة لتغسل حنظلة. . لترفع عنه الجنابة ليلقى الله جل وعلا وهو طاهر. .

إنهم الأبطال. . إنهم الرجال الذين عرفوا حقيقة الدنيا. .

اللهم إنَّا نشهدك. . اللهم إنّا نشهدك أننا نحب الجهاد في سبيلك. . اللهم إنَّا نشهدك أننا نتمنى الجهاد في سبيلك. . اللهم إنّا نشهدك أن لو نادى المنادي الآن يا خيل الله اركبي. . حي على الجهاد . . لرأيت من هذا الشباب. . لرأيت من هؤلاء الشُّبَّان من هو كحنظله. .من هوكعمير ابن الحمام. . من هو على شاكلة خالد.

اللهم إنّا نشهدك أن من شباب الأمة الآن من يتمنى أن لو سد فوهة المدافع بصدره لتكون كلمتك هي العليا. .

اللهم إناّ نشهدك على ذلك يارب العالمين. اللهم ارفع علم الجهاد واقمع أهل الزيغ والفساد برحمتك يا أرحم الراحمين.

(١) قال الأرناؤوط في تخريج (زاد المعاد) ذكره ابن هاشم ٢/ ٧٥ بلاسند،وأخرجه الحاكم (٣/ ٢٠٤ ,٢٠٥) والبيهقي (٤/ ١٥) والسراج من طريق ابن إسحاق وسنده جيد وله شاهد من حديث ابن عباس عند الطبراني بسند حسن، وفي الباب شاهد مرسل قوي عن الحسن البصري عند ابن سعد ٣/ ١/ ٩

رابعا : التولي من الجهاد كبيرة :

أيها الأحبة: من أجل ذلك حرم الله جل وعلا التولي من ساحة الجهاد بل وجعله النبي ﷺ كبيرة من الكبائر:

قال الله جل وعلا: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [الأنفال: ٤٥]

وقال الله جل وعلا: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (١٥) وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾ [الأنفال: ١٥-١٦].

وقدأخبر النبي ﷺ بأن التولي كبيرة، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الموبقَات**»، قِيلَ: يَا رسولَ الله، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «**الشِّرْكُ بالله، والسِّحْرُ، وَقَتْلُ النفسِ التي حرَّمَ اللهُ إلاَّ بالحقِّ، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيْمِ، وَأَكْلُ الرِّبَا، والتولِّي يَوْمَ الزَّحْف، وَقَذْف المحْصَنَات الغَافلاَت المؤمنات**»[(١)].

أيها الأحبة الكرام بقي أن أعرج على العنصر الأخير في عجالة سريعة ألا وهو :لا عز إلا بالجهاد .

وأرجئ الحديث عنه إلى ما بعد جلسة الاستراحة وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

---

(١) رواه البخاري (٥/ ٢٩٤) في الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا ﴾ وفي الطب، باب الشرك والسحر من الموبقات، وفي المحاربين، باب رمي المحصنات، ومسلم رقم (٨٩) في الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، وأبو داود رقم (٢٨٧٤) في الوصايا، باب ما جاء في التشديد في أكل مال اليتيم والنسائي (٦/ ٢٥٧) في الوصايا، باب اجتناب أكل مال اليتيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين. . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى من اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين **أما بعد:**

خامسا: لا عز إلا بالجهاد:

أيها الأحبة.. والله ما ضعفت الأمة وذلت وهانت إلا يوم أن ضيعت الجهاد الذي أمرها الله به، لتعيش عزيزة حميدة أو لتلقى الله شهيدة سعيدة . والله ما ضاعت الأمة إلا يوم أن ضيعت الجهاد الذي جعله النبي ﷺ ذروة سنام هذا الدين ،وقد حرص أعداؤنا على أن يحُولوا بين الأمة وبين الجهاد، وحاولوا بشتى الطرق على أن لاتربى الأجيال المسلمة على روح الجهاد ولا على سير الأبطال المجاهدين لتظل الأمة ذليلة، كسيرة، مبعثرة كالغنم في الليلة الشاتية الممطرة.

وبالفعل لقد تضاءل كثيراً مفهوم الجهاد في حس المسلمين يوماً بعد يوم حتى صارت الدعوة إلى الجهاد تقابل بشيء من الفتور البارد الشديد.

والحمد لله،فلقد أثبتت الأيام عمليا أن مجلس الأمن وهيئة الأمم وجميع المحافل الدولية لن تعيد للأمة حقوقها ولن تعيد لمن يذبحون شر ذبحة دماءهم، ولن تَرُدَّ لهذه الأمة هويتها وكرامتها وسيادتها. بل لا سبيل لذلك علي الإطلاق إلا بإحياء روح الجهاد في الأمة بتخليص النفوس ابتداء من الركون إلى هذا الوحل والخلود إلى هذا التراب والطين.

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يرد الأمة إلى الإسلام ردًّا جميلا.

. . . الدعاء.



وصف الجنة



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالي من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وصفيه من خلقه وخليله، أدَّى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة فكشف الله به الغمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين .

فاللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبيًّا عن أمته ورسولاً عن دعوته ورسالته وصلٍّ اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلي يوم الدين .

أما بعد :

فحياكم الله جميعاً أيها الآباء الفضلاء وأيها الأخوة الأعزاء ،وطبتم جميعاً وطاب ممشاكم وتبوأتم من الجنة منزلاً وشكرالله لكم هذا الحرص وإن كنا والله لسنا أهلاً له ،ونعوذ بالله من النفاق.

نسأل الله تبارك وتعالى الذي جمعنا وإياكم في هذا الجمع الطيب على طاعته ،أن يجمعنا وإياكم في الآخرة مع سيد الدعاة المصطفى في جنته ودار كرامته إنه ولي ذلك والقادر عليه

أحبتى في الله . .

إن الحديث عن الجنة يحرك القلوب إلى أجل مطلوب .

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ :

« **يَقُولُ اللهُ عزَ وجلَ: أَعْدَدْتُ لعبَادي الصَّالحينَ مَا لا عَيْنٌ رأَتْ ولاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ ولاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ** » ثم تلى النبي ﷺ قول الله عز وجل: ﴿ **فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾(1) .

فتعالوا بنا أحبتي في الله لنعيش في هذه اللحظات المباركة في هذا اليوم الكريم المبارك مع وصف الجنة من كتاب ربنا وسنة الحبيب نبينا ﷺ أسأل الله أن يجمعنا به في الجنة إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أحبتي في الله:

إن الذي يصف لنا الجنة هو خالقها . . من غرس كرامتها بيده سبحانه وتعالى . .

قد وصفها لنا في كتابه العزيز، ووصفها لنا صفيه من خلقه وحبيبه ﷺ يصفها لنا كما رآها بعينه ﷺ كما جاء في «الصحيحين» من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال:

انخسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فصلى رسول الله ﷺ

---

(١) رواه البخارى (٦/ ٢٣٠) فى بدء الخلق، باب ماجاء فى صفة الجنة، وفى تفسير سورة السجدة باب ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم ﴾ وفى التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ ، ومسلم رقم (٢٨٢٤) فى الجنة فى فاتحته، والترمذى رقم (٣١٩٥) فى التفسير، باب ومن سورة السجدة .

صلاة الكسوف فلما انتهى من صلاته ﷺ قالوا:

يا رسول الله! رأيناك تناولت شيئًا في مقامك، ثم رأيناك كعكعت قال ﷺ :

« إنِّي رأَيْتُ الجنَّةَ فتناولْتُ عنقودًا ولَوْ أَصَبْتُه لأكَلْتُمْ منْهُ مَا بَقِيَت الدُّنْيَا ، ورأيتُ النارَ فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كاليوم قطُّ أَفْظَعَ»[1]

فانتبه معي أيها الحبيب، واسمع كلام من غرس كرامتها بيده جل وعلا.

قال سبحانه: ﴿ إنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ من كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢) مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً (١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا (١٥) قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا

---

(١) رواه البخاري٢/ ٤٤٧ في الكسوف، باب صلاة الكسوف جماعة، وفي الإيمان، باب كفران العشير وكفر دون كفر وكذلك رواه في المساجد، وفي صفة الصلاة، وفي بدء الخلق، وفي النكاح، ورواه مسلم رقم (٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩) في صلاة الكسوف، وأبو داود رقم(١١٨١ . ١١٨٣)في الصلاة، باب من قال: صلاة الكسوف أربع ركعات، والترمذي رقم (٥٦٠) في الصلاة، باب ما جاء في صلاة الكسوف، والنسائي(١٢٩٣) في الكسوف باب كيفيه صلاة الكسوف .

كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً (١٨) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢٠) عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١) إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإنسان: ٥-٢٢]

وقال تعالى: ﴿ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٤٣) عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ (٤٤) يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (٤٥) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ (٤٦) لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ (٤٧) وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ [الصافات: ٤٣-٤٩]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا كِذَّابًا (٣٥) جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴾ [النبأ: ٣١-٣٦]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً (٣٠) أُوْلَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾

[الكهف: ٣٠-٣١]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [المطففين: ٢٢-٢٨]

أحبتي في الله هذا كلام من غرس كرامتـها بيده عز وجل ،فماذا قال من رآها بعينيه ﷺ ؟

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنـه ـ: قلنا يارسـول الله! إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة، وإذا فارقناك أعجـبتنا الدنيا وشممنا (دنونـا واقتربنا من النساء والأولاد) قال:

«لَوْ تَكُونُـونَ على كُلِّ حَـال عَلَى الحـال الَّذي أَنْتُمْ عَلَيْـهَـا عنْدي لَصَافَـحَتْكُمُ الملائكَةُ بأَكُفِّـهمْ ولَزَارَتْكُمْ فِي بُيُوتكُمْ ، ولَوْ لَمْ تُذْنبُـوا لجاءَ اللهُ بقومٍ يُذْنِبُونَ كَـي يَغْفرَ اللَّهُ لَهُمْ» قال: قلنا يا رسـول الله! حدثنا عن الجنة ما بناؤها ؟

قـال: لَبنَةٌ (اللبنة: هـي القالب المستعمل في البناء وقد يكون من طين أو حجر أو غيره) منْ ذَهَب ولَبنَةٌ منْ فضة ومَلاطُهَا (الملاط: الطينة أو الطلاء أو ما يسد ما بين اللبنات) المسْكُ ، وَحَصْبَاؤهَا اللؤلؤُ والياقوتُ، وتُرَابُهَـا الزَّعْفَـرانُ، ومَنْ يَدْخُلْهَـا يَنْعَمْ وَلاَ يَبْـأَسْ ، وَيَخلُدْ وَلاَ يَمُتْ، لاَ تَبْلَى ثيابُهُ، وَلاَ يَفْنَى شَبَابُهُ»(١)

هذا بناؤها كما وصفه من رآها ﷺ أما عن غرفها وقصورها .

قال الله تعـالى: ﴿ لَكنِ الَّذينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مّن فَوْقهَا غُرَفٌ مَّبْنيَّةٌ﴾ [الزمر: ٢٠]

وقال تعالى: ﴿ أُوْلَئكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بمَا صَبَرُوا﴾ [الفرقان: ٧٥]

(١) أخرجه الترمذي رقم (٢٥٢٨) في صفة الجنة،باب ما جـاء في صفة الجنة ونعيمهـا، وصحيح الترمذي رقم (٢٥٢٦).

وأخرج الترمذى من حديث علي ـ رضي الله عنه ـ قال:

قال رسول الله ﷺ: « إنَّ في الجنَّة لَغُرَفًا يُرَى ظُهُورُهَا منْ بُطُونها وبُطُونُهَا منْ ظُهُورهَا» فقام أعرابى فقال: يا رسول الله لمن هى؟قال: «لمنْ طيَّبَ الكلامَ،وأَطْعَمَ الطَّعَام،وأَدامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بالليلِ والنَّاسُ نيامٌ»(١) .

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ أَهْلَ الجنَّة لَيَتَرَاءُونَ أَهْلَ الغُرَفِ من فَوْقهِمْ كَمَا يَتَرَاءُونَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيّ»(٢) .

وعن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «أدُخلتُ الجنةَ فَإذَا أَنَا بقَصْرٍ منْ ذَهَب فَقُلْتُ: لمنْ هَذَا القَصْرُ؟ قَالُوا: لَشَابٍّ منْ قُرَيْشٍ فَظَنَنْتُ أَنِّي هُوَ، فَقُلْتُ وَمَنْ هُوَ؟ قَالُوا: لعُمَرَ بْنِ الخطَّاب»(٣).

وفي الصحيحين من حديث عبدالله بن أبي أوفى وأبي هريرة وعائشة: «أنَّ جبريلَ قَال للنبيِّ ﷺ:هَذه خديجةُ،أقرئها السلامَ من ربهًا،وأمَرَه أن يبشرَها ببيت في الجنة من قَصَبٍ (القصب ههنا قصب اللؤلؤ المجوف) لاصخبَ فيه ولاَ نَصبَ»(٤) .

---

(١) رواه الترمذي فى صفة الجنة رقم (٢٥٢٧) وأحمد بنحوه (١/١٥٦) وحسنه شيخنا الألباني في صحيح الترمذي رقم (٢٠٥١).

(٢) رواه البخاري في بدء الخلق (٦/٣٦٨) ومسلم رقم (٢١٧٧) في صفة الجنة.

(٣) رواه أحمد (٣/١٠٧، ١٧٩) وصححه شيخنا الألباني في الصحيحة برقم (١٤٢٣) .

(٤) رواه البخاري رقم (٣٨٢٠) ومسلم في الفضائل رقم (١٨٨٧) .

أما أشجارُ الجنة وبساتينها وظلالها .

قال تعالى : ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ ﴾ [الواقعة: ٢٧ـ٣٣]

وقال تعالى: ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ [الرحمن: ٦٨]

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ فِي الجَنَّة شَجَرَةً يَسيرُ الرَاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لاَ يَقْطَعُهَا فاقرءوا إِنْ شِئْتُمْ وظل ممدود»[(١)] .

وعن ابن عباس قال: « نخلُ الجنة جذوعها من زمرد أخضر وكَرْبُها ذهب أحمر وسعفُها (جريد النخل)، كسوة أهل الجنة منها مقطعاتهم وحللَهم، وثمرُها أمثالُ القلال والدلاء أشدّ بياضًا من اللبن وأحلَى من العَسَل وألينُ من الزبد»[(٢)] .

يقول ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ في «حادي الأرواح» :

فإن سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران، وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن. وإن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر.

وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب .

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٨٨١) في التفسير واللفظ له، ومسلم رقم (٢٨٢٦).

(٢) ذكره المنذري في الترغيب (٤/ ٩٧١, ٩٧٢)ثم قال: رواه ابن أبي الدنيا موقوفا باسناد جيد، والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ا.هـ . وقال الأرناؤوط في تعليقه على شرح السنة (٤٣٨٤) إسناده قوي .

وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة لا من الحطب والخشب .

وإن سألت عن ثمرها فأمثال القلال ألين من الزبد وأحلى من العسل. وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكون من رقائق الحلل.

وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفّى .

وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون ،ولحم طير مما يشتهون.

وإن سألت عن شرابهم فالتسنيم والزنجبيل والكافور.

وإن سألت عن آنيتهم فآنية الذهب والفضة في صفاء القوارير .

وإن سألتَ عن خيامها وقبابها فالخيمة الواحدة من درة مجوفة طولها ستون ميلاً من تَلك الخيام .

وإن سألت عن ارتفاعها فانظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب في الأفق الذي لا يكاد تناله الأبصار .

وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب .

وإن سألت عن فرشها فبطائنها من إستبرق مفروشة في أعلى الرتب.

وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم فعلى صورة القمر .

وإن سألت عن أسنانهم فأبناء ثلاث وثلاثين على صورة آدم عليه السلام أبي البشر .

وإن سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين وأعلى منه سماع صوت الملائكة والنبيين، وأعلى منها خطاب رب العالمين .

وإن سألت عن مطاياهم التي يتزاورون عليها فنجائب إن شاء الله مما شاء تسير بهم حيث شاءوا من الجنان .

وإن سألت عن حليهم وشارتهم فأساور الذهب واللؤلؤ على الرؤوس ملابس التيجان .

وإن سألت عن غلمانهم فولدان مخلدون كأنهم لؤلؤ مكنون .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال :

« إنَّ أَوَلَّ زُمْرَة يَدْخُلُونَ الجنَّةَ علَى صورة القمر ليلةَ البدر، ثُمَّ الَّذين يلُونَهُم على أشدِّ كوكب دُرِّيّ في السَّمَاء إضَاءةً ، لا يبُولُونَ ، ولاَ يَتَغَوَّطون. ولاَ يتفُلون، ولاَ يمتخَّطُون، أَمْشَاطُهُم الذَّهَب. ورَشْحهُمُ المسكُ، ومَجَامرُهُم الألوَّةُ - الألنوج عود الطيب - وأَزْوَاجُهُمُ الحورُ العينُ، عَلَى خُلُق رجُلٍ واحد، على صُورة أبيهِم آدمَ ستُّونَ ذراعًا في السَّمَاء»[1] .

أما إن سألت عن أزواج أهل الجنة يأتيكم الجواب من رب الجنة جل وعلا : فقال سبحانه :

﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (٧٠) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧١) حُورٌ

(١)رواه البخاري (٦/ ٢٣٢) في بدء الخلق،باب ما جاء في صفة الجنة،وفي الأنبياء،باب خلق آدم وذريته،ومسلم رقم (٢٨٣٤) في الجنة، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والترمذي رقم (٢٥٤٠) في صفة الجنة، باب ماجاء في صفة أهل الجنة.

مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (٧٢) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٣) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ (٧٤) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٥) مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (٧٦) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٧) تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٧٠-٧٨]

فيهن خيرات حسان حور مقصورات في الخيام لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان . . هذه هى زوجتك من الحور العين في الجنة أيها المؤمن الصادق .

ففي صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ .

« لَرَوْحَةٌ في سَبيلِ الله أَوْ غَدْوَةٌ خَيْرٌ منَ الدُّنيا وَمَا فيهَا ، ولقابُ قَوعس أَحَدِكُمْ في الجَنَّة أَوْ مَوْضعُ قَيْد - يَعني سوطَهُ - خَيْرٌ منَ الدُّنيا وَمَا فيْهَا ، وَلَوْ أَنَّ امرأةً منْ أَهْلِ الجَنَّة اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ لأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا ولملأَتْهُ رِيْحًا ولَنَصيفُهَا (يعني: خمارها) عَلَى رَأْسهَا خَيْرٌ منَ الدُّنيا وَمَا فيْهَا»(١) .

انظروا أيها الشباب الموحد . . يا أهل الطاعات . . يقول المصطفى ﷺ: لو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت على أهل الأرض لأضاءت ما بينهما من نور وجهها ووضاءتها ولملأته ريحًا . . الله أكبر . .

---

(١) رواه البخاري رقم(٢٧٩٦) في الجهاد والسير، باب الحور العين وصفتهن، وأحمد (٣/ ١٤١، ١٤٧، ١٥٧، ٢٦٣)وابن ماجه رقم (٢٧٥٧).

وفي البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: « ... **وَلِكُلٍّ واحد منْهُمَا زَوْجَتَان يُرَى مُخُّ سوقهما منْ وَرَاء اللَّحْمِ منَ الحُسْنِ ، لاَ اخْتلاَفَ بَيْنَهُمْ ولاَ تباغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ واحدٌ يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وعشيًّا**»[1] .

أما زوجتك في الدنيا، زوجتك المؤمنة التقية الطاهرة العفيفة.

أما زوجتك إن كانت من أهل الجنة .. استمع .. اعلم أن الزوجة المؤمنة من أهل الدنيا يكون جمالها في الجنة يفوق جمال الحور العين وأنتم سمعتم وصف الحور العين .. فأي حال ستكون عليها زوجتك إن كانت من أهل الجنة ؟ !

يفوق جمالها جمال الحور العين!! لماذا؟ لأنها هى التي صامت لله، وقامت لله، وهى التي حاربت الشهوات ،وصبرت على الأذى والبلاء فاستحقت من الله أن يكافئها .

قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا**﴾ [الواقعة: ٣٥-٣٧] .

قال البخاري: عُربًا: جمع عروب.. ،والعرب: المتحببات إلى أزواجهن هكذا قال في كتاب بدء الخلق من جامعه الصحيح باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة .

« **إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ** » قال الحافظ ابن كثير : أى أعدناهن في النشأة

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٢٤٥) في بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ومسلم، والترمذي رقم (٢٥٣٧) وأخرجه أحمد (٢/ ٣١٦) .

الأخرى في الجنة بعدما كن عجائز رمصاً صرفًا أبكارًا عربًا أي: بعد الثيوبة عُدْن أبكاراً عرباً متحببات إلى أزواجهن بالحلاوة والظرافة والملاحة .

أتت عجوز إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول ادعُ الله أن يدخلني الجنة، فقال لها: «**يَا أُمَّ فُلاَن إنَّ الجنَّةَ لاَ يَدْخُلُهَا عَجُوزٌ**»، فَوَلَّتْ ـ المرأة ـ تَبْكِي فَقَالَ رسولُ الله ﷺ:

«**أَخْبِرُوهَا أَنَّها لاَ تَدْخُلُهَا وَهي عَجُوزٌ، إنَّ اللهَ يقولُ**»:

﴿**إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا**﴾(١)

[الواقعة: ٣٥-٣٧]

ثم ساق الحافظ؛ عن الحسن، عن أمه، عن أم سلمة قالت: قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿ **عُرُبًا أَتْرَابًا** ﴾ قال:

«**هُنَّ قُبِضْنَ في الدَّارِ الدُّنْيَا عجائِزَ رُمْصًا شُمْطًا خَلَقَهُنَّ اللهُ بَعْدَ الكِبَرِ فَجَعَلَهُنَّ عَذَارَى عُرُبًا**» متعشقات متحببات «**وأترابا**» على ميلاد واحد قلت: يا رسول الله نساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال: «**بَلْ نِسَاءُ الدُّنْيَا أفضلُ مِنَ الحورِ العينِ كَفَضْلِ الظِّهَارَةِ على البطانَةِ**» قلت: يا رسول الله، وبم ذلك؟ قال: «**بِصَلاَتِهِنَّ وصيامِهِنَّ وعِبَادتهنَّ لله عزَّ وجلَ، أَلْبَسَ**

---

(١) رواه الترمذي في (الشمائل ص ٢٠٤) والبغوي في تفسيره (ح٤/ ٢٨٣ ـ من طريق عبد بن حميد) والحديث ذكره السيوطي في الدر المنثور (ج٦/ ٢٢٤)، وعزاه إلى البيهقي في البعث، وفي شعب الإيمان، وللطبراني في الأوسط، وحسنه شيخنا الألباني في غاية المرام (ص٢١٥، ٢١٦ برقم ٣٧٥) .

اللهُ وجُـوههنَّ النورَ وأَجْسَـادهنَّ الحريرَ، بيضُ الأَلْوان، خُـضْرُ الثـياب، صُفْرُ الحُلَى، مَجَامِرُهُـنَّ الدُّرُّ وأَمْشَاطُهُنَّ الذَّهَبُ يَقُلْنَ نَحْنُ الخالداتُ فَلا نموتُ أبدًا، ونحنُ الناعـماتُ فَلا نبأَسُ أبـدًا، ونحنُ المقيمـاتُ فَلا نَظْعَنُ أبدًا، ونحنُ الرَّاضِـيَاتُ فَـلاَ نَسْخَطُ أبدًا لمنْ كُنَّا لَهُ وكَـانَ لَنَا» قـلت: يـا رسول الله: المرأة تتزوج زوجين والثلاثة والأربعة ثم تموت فتدخل الجنة، ويدخلون معها من يكون زوجها ؟

قال: «يَا أمَّ سَلمةَ، إنَّها تُخَيَّرُ فَتَخْتَارُ أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا فتقولُ: يَا ربِّ إنَّ هَذَا كَانَ أحسنَ خُلُقًا معي فَزَوِّجْنِيه. يَا أُمَّ سلمةَ، ذَهَبَ حُسْنُ الخلُقِ بخَيْرِ الدُّنيا والآخرةِ» ا. هـ[1].

وفي «الصحـيحين» من حديث أبي موسى الأشـعرى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إنَّ للمؤْمنِ في الجنة لَخَيْمَـةٌ منْ لؤلؤة واحدة مُجَوَّفَة طُولُها ستُّونَ ميلاً، فيْهَا أَهْلُونَ (يعني زوجات) يَطُوفُ عَلَيْهِم المؤمنُ فلاَ يَرَى بَعْضُهُم بَعضًا»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قِيْلَ: يَا رَسُولَ الله، هَلْ نَصلُ إلَى نسائِنَا في الجنةِ؟ فَقَالَ: إنَّ الرَّجُلَ لَيَصلُ في اليومِ إلى مائة عَذْرَاءَ»[3].

---

(١) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير: ٤/ ٢٩٢ ط مكتبة التراث الإسلامي. حلب.

(٢) رواه البخـاري في بدء الخلق(٦/ ٣٦٦)بنحوه، وفي التـفسيـر(٨/ ٤٩١)، ومسلم في الجنة رقم(٢١٨٢)واللفظ له .

(٣) قال الهيـثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٤١٧): رواه البـزار في رواية عنده وعند الطبراني في الصغيـر والأوسط بنحوه ورجال هذه الرواية الثانية رجـال الصحيح غير مـحمد بن ثواب وهو ثقة. وصححه شيخنا الألباني في الصحيحة رقم (٣٦٧) .

ربما يقـفـز الآن في ذهن أحد أحـبـابنا سـؤال ألا وهو: وهل يطيق ذلك؟ فاسمع ما جـاء في سنن الترمذي من حديث أنس عن النبيﷺ قال: «يُعْطَى المؤمنُ في الجنَّة قُوَّةَ كَذَا وكَذَا منَ الجماعِ» قيلَ: يَا رَسُولَ الله، أو يطيق ذلك؟ قَالَﷺ: «يُعْطَى قُوَّةَ مائَةٍ»(١).

أحبتي في الله .. إن نعيم الجنة لا يحده حدود ولا يفتر الإنسان عن ذكر نعيم الجنة ولا يمل الإنسان من سماع نعيم أهل الجنة فتنافسوا عليها يا أهل الإيمان. يا أهل الطاعات.

قال الله جل وعلا: ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٢-٢٦].

أيهـا الأحبة: بـقي أن نعرف أدنى أهل الجنة منزلا وآخـر من يدخل الجنة، ففي صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النبيﷺ قال: « سَأَلَ مُوسَى ربَّهُ مَنْ أَدْنَى أَهْلُ الجنَّة مَنْزِلَةً؟

فَقَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجيءُ بَعدَ مَـا دَخَلَ أَهْلُ الجنة الجنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الجنَّة، فَيقولُ: أَي رَبِّ كَـيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخَذَاتهمْ؟ فَيُقَالُ لهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مثْلَ مُلْـك مَلك منْ مُلُوك الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ:

(١) رواه الترمذي في صفة الجنة رقم (٢٥٣٦) وقال هذا حديث صحيح غريب « قال الألباني في تخريج المشكاة (٥٦٣٦)وإسناده حسن بل هو صحيح. لأن له شواهد منها عن زيد بن أرقم عند الدارمي (٢/ ٣٣٤)بسند صحيح وقال في صحيح الترمذي (٢٠٥٩): حسن صحيح.

رَضِيْتُ رَبِّ، فَيُقَالُ: ذَلكَ لَكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَيقُولُ في الخامسَة: رَضِيْتُ رَبِّ، فيقولُ: لَكَ هَذَا وعشرةُ أَمْثَاله، ولَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ ولذَّتْ عَيْنُكَ، فيقولُ: رَضِيْتُ رَبِّ.

قالَ: يَا رَبِّ فَأَعْلاَهُمْ مَنْزِلَةً؟

قَالَ: أُولئكَ الَّذي أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتهم بيَدَيْ، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ ولَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بشر، ومصْدَاقُهُ في كتاب الله: ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]»(١).

هذا أدنى أهل الجنة منزلا: فمن هو آخر الناس دخولا الجنة ؟! .

في صحيح مسلم من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «آخرُ مَنْ يَدْخُلُ الجنة رَجُلٌ فَهُوَ يمشي عَلَى الصِّراط مَرَّةً ويكبو مرَّةً وَتَسْفَعُهُ (تلطمه وتضربه) النَّارُ مَرَّةً، فَإذَا جَاوزَهَا الْتَفَتَ إلَيْهَا فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذي نَجَّاني منْك، لَقَدْ أَعْطَاني اللهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أحدًا منَ الأوْلينَ والآخرينَ، فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ فيقولُ: أي رَبِّ أَدْنني منْ هَذه الشَّجَرة أَسْتَظلُّ بظلِّهَا وأَشْرَبُ منْ مَائهَا.

فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى: يَا ابْنَ آدمَ لَعَلِّي إنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَني غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ، وَيُعَاهدُهُ أَنْ لاَ يَسْأَلُهُ غَيْرَهَا، وربُّهُ يَعْذرُهُ؛ لأَنَّهُ يرَى مَا لاَ صَبْرَ عَلَيْه، فَيُدْنيْه منْهَا فَيَسْتَظلُّ بظلِّهَا وَيَشْرَبُ منْ مَائهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هي أَحْسَنُ منَ الأُولَى، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَدْنني منْ هَذه، لأَشْرَبَ

(١)رواه مسلم رقم (١٨٩) في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، والترمذي رقم (٣١٩٦) في التفسير، باب ومن سورة السجدة .

مِنْ مَائِهَا وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابنَ آدَمَ أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنَّكَ لاَ تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا ؟ فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا. فَيُعَاهِدُهُ أن لا يسأله غيرها، وربُّه يَعْذِرُهُ، لأَنَّهُ يَرَى مالاَ صَبْرَ لَهُ عَلَيْه ، فَيُدْنِيه مِنْهَا فَيَسْتَظِلَ بِظِلِّها ويَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا ، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الجَنَّةِ هِي أَحْسَنُ مِنَ الأَولِينَ.

فَيَقُولُ: أَي رَبِّ أَدْنِنِي مِنَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، لأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا.

فَيقولُ: يَا ابنَ آدَمَ! أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لاَ تَسْأَلني غَيْرَهَا؟

قَالَ : بَلَى يا رَبِّ، هَذِه لاَ أَسْأَلكَ غَيْرَهَا، وَرَبُّه يَعْذِرُهُ؛ لأَنَّهُ يَرَى مَا لاَ صَبْرَ لَهُ عَلَيْه، فَيُدْنيه مِنْهَا، فَإذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا سَمِعَ أَصْوات أَهْلِ الجَنَّةِ ، فَيَقُولُ يَا رَبِّ أَدْخِلْنيهَا.

فيقولُ: يَا ابنَ آدمَ مَا يُرْضِيكَ مِنِّي ، أَيُرضِيْكَ أَنِّي أُعْطِيْكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ: يَا ربِّ أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ العَالمِينَ».

فضحك ابن مسعود فقال: ألا تسألونى مم أضحك ؟ فقالوا: مم تضحك ؟ قال: ضحك رسول الله ﷺ ، فقالوا: مم تضحك يا رسول؟

قال: « مِنْ ضَحِك رَبِّ العالمينَ حِيْنَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ بِي، وَأَنْتَ رَبُّ العالمينَ، فيقولُ: لاَ أَسْتَهْزِئُ بِكَ وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ» (١) .

أحبتي في الله :

اعلموا علم اليقين أن نعيم الجنة الحقيقي ليس في لبنها ولا في

(١) رواه البخاري (١١/٤١٨) في الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ومسلم رقم (١٨٧) في الإيمان باب آخر أهل النار خروجاً .

خمرها ولا في حريرها ولا في عسلها، ولا في بنائها، ولا في قصورها، ولا في صورها، ولكن نعيم الجنة الحقيقى في رؤية وجه ربها ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]

وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦] والحسنى هى الجنة والزيادة هي: التمتع بالنظر إلى وجه رب الجنة جل وعلا .

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ: هذا وإن سألت عن يوم المزيد وزيارة العزيز الحميد ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه، كما ترى الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر، كما تواتر عن الصادق المصدوق النَّقْلُ فيه. وذلك موجود في الصحاح والسنن والمسانيد، من رواية جرير وصهيب وأنس وأبي هريرة وأبي موسى وأبي سعيد.

فاستمع يوم ينادي المنادى؟: يا أهل الجنة إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم فحَيَّ على زيارته، فيقولون: سمعاً وطاعة، وينهضون إلى الزيارة مبادرين، حتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفيح الذي جعل لهم موعداً. وجمعوا هناك فلم يغادر الداعي منهم أحداً، أمر الرب تبارك وتعالى بكرسيه فنصب هناك ثم نصبت لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب ومنابر من فضة، وجلس أدناهم ـ وحاشاهم أن يكون فيهم دنيء ـ على كثبان المسك ما يرون أن أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا، حتى إذا استقرت بهم مجالسهم واطمأنت بهم أماكنهم، نادى المنادي: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو ؟ ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار ؟.

فبينما هم كذلك إذ سطع لهم نور أشـرقت له الجنة فرفعوا رءوسهم فإذا الجبـار جل جلاله وتقدست أسمـاؤه قد أشرف عليهم مـن فوقهم وقـال: يا أهل الجنة سـلام عليكم، فـلا تُرَد هذه التـحيـة بأحـسن من قولهم: اللهم أنت السـلام ومنك السلام تباركت ياذا الجـلال والإكرام. فيتـجلى لهم الرب تبارك وتعالى يضحك إليـهم ويقول: يا أهل الجنة، فيكون أول ما يسـمعون منه تعالى: أين عبـادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني؟ فهـذا يوم المزيد فيجتمـعون على كلمة واحدة: قـد رضينا فـارض عنا، فـيقـول: يا أهل الجنة إني لو لم أرض عـنكم لم أسكنكم جنتي، هذا يوم المزيد فاسألوني. اهـ.

وفي «الصحيـحين» من حديث أبي سعيـد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ اللَّهَ عزَ وَجلَّ يقولُ لأهلِ الجنة: يَا أَهْلَ الجنة: فـيقـولونَ: لَبَّيكَ وَسَعْدَيْكَ، والخـيرُ في يديكَ فـيقـولُ: هلْ رَضيْـتُمْ؟ فـيقـولونَ: وَمَـالَنا لاَ نَرْضَى يَا ربَّنَا وَقَـدْ أَعْطَيْـتَنَا مَـا لَمْ تُعْط أحـدًا منْ خَلْقكَ؟ فَيَـقُولُ: أَلاَ أُعْطيْكُمْ أَفْـضَلَ منْ ذَلكَ؟ فيـقولونَ: وأَيُّ شَيء أَفْضَلَ منْ ذَلكَ؟ فيقولُ: أُحلُّ عَلَيْكُـم رِضْوَانِي فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أبدًا**» (١).

---

(١) رواه البـخـاري (١١/ ٣٦٣، ٣٦٤) فـي الرقـاق، باب صـفـة الجـنة والنار، وفي التوحـيد، باب كلام الرب مع أهل الجنة، ومسلم رقم (٢٨٢٩) في صـفة الجنة، باب إحلال الرضـوان على أهل الجنة، والتـرمذي رقم (٢٥٥٨) في صفـة الجنة، باب رقم (١٨).

وعن صهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«إذَا دَخَلَ أَهْلُ الجنة الجنةَ، قَالَ اللهُ تبارَكَ وتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أزيدُكُم؟ فَيَقُولونَ: أَلَمْ تُبيِّضْ وُجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ، وتُنَجِّيْنا منْ النَّار، قَالَ: فَيَكْشفُ الحجَابَ فَيَنْظُرُونَ إلَى الله فَمَا أُعطُوا شيئًا أَحَبَّ إلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إلَى ربِّهِم تَبَارَكَ وتَعَالى» (١)

زاد في رواية: ثم تلا هذه الآية ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾

[يونس : ٢٦]

اللهم اجعلنا منهم بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين

أحبتي في الله .هذه هي الجنة.. والحديث عن الجنة طويل وكل ما سمعتموه اليوم إنما هو قطرة من محيط وإنما هو قليل من كثير لماذا؟

لأن الجنة مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. وهذا كله ما هو إلا تقريب للمعاني ويعجبني هذا الكلام الذي قاله أحد العلماء حينما استقبل في قصر من قصور الضيافة بأمريكا وانبهر الناس من حوله بهذا البناء والإعجاز فقال لهم هذا العالم: هذا إعداد البشر للبشر فما بالكم بإعداد رب البشر، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم .

---

(١) رواه مسلم رقم (١٨١) في الإيمان ، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم عز وجل، والترمذي رقم (٢٥٥٥) في صفة الجنة ، باب ماجاء في رؤية الرب تبارك وتعالى .

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسـلام على من لانبي بعده .وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. . وأشهد أن سيدنا وحـبيبنا محمداً عبده ورسوله اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عـليه وعلى آله وأصحابه وأتبـاعه وعلى كل من سار على طريقته واستن بسنته واقتفى أثره إلي يوم الدين.

أما بعد:

فيـا أيها الأحـبة الكرام: هذا قليل من كـثيـر عن الجنة لأنه لا يعلم حقيقة الجنة إلا ربها وإلامن رآها بعينيه ﷺ فألا من مشمر للجنة؟! من منكم سيشمـر عن ساعديه ليفوز بهذه العـروس الغاليه«ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة»

يامن تطلبون الجنة بغير عمل . . يا من تطلبون الجنة بغير صلاة. . يا من تطلبـون الجنة بغيـر قيـام الليل .. يا من تطلبـون الجنة وأنتم على مـعصـيـة الله جل وعلا. . يـا من تطلبـون الجنة بالذنوب والشـبهـات والشهوات ..

أين أنتم من الطاعات ؟

أين أنتم من قيام الليل لرب الأرض والسماوات؟

أين أنتم من قراءة القرآن؟

أين أنتم من عمارة بيوت الله عز وجل؟

أين أنتم مما يقربكم إلى الجنة ؟!

يا من تتشدقون بالكلمات وتزعمون أنه إن لم يدخلنا ربنا الجنة فمن يدخلها ؟!!

انتبهوا واعلموا فإنه ما أقل حياء من طمع في جنة الله ولم يعمل بطاعة الله ولا بشرع رسول الله ﷺ .

إن طالب الجنة لا ينام ٠٠إن طالب الجنة لا ينام ٠٠ إن طالب الجنة لا ينام .

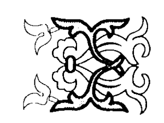
واعْمَلْ لدَار غد رُضْوَانُ خَازنُهَا والجَارُ أَحْمَدُ والرَّحْمَنُ نَاشيْهَا
قُصُورُهَا ذهبٌ والمسْكُ طِيْنَتُهَا والزَّعْفَرانُ حَشيْشٌ نَابتٌ فيْهَا
أنهَارُهَا لَبْنٌ مُصَفًّى ومِنْ عَسَلٍ والخمرُ يَجْري رَحيْقًا في مَجَاريهَا
والطيرُ تَجْري عَلَى الأَغْصَانِ عَاكفَةً تُسَبِّحُ اللهَ جَهْرًا في مَغَانيْهَا
فَمَنْ يَشْتَرى الدَّار في الفِرْدَوْس يَعْمُرُهَا بركْعَةٍ في ظَلاَمِ الليْلِ يُحْييْهَا

فيامَنْ تطلبون من الله الجنة ٠٠ ويا مَنْ تسألون الله الجنة ٠٠ اعلموا أن الإيمان ليس بالتمني ولكن الإيمان ماوقر في القلب وصدقه العمل .

فلن تفوز بالجنة إلا إن عملت بعمل أهل الجنة .

واعلموا أن الإيمان قول وعمل ٠٠ قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالجوارح والأركان ٠٠

... الدعاء



نحن أولى بعيسى منهم



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وصفيه من خلقه وخليله، أدَّى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة فكشف الله به الغمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين .

فاللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبيًّا عن أمته ورسولاً عن دعوته ورسالته وصلِّ اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه، واستن بسنته، واقتفى أثره إلى يوم الدين .

أما بعد:

فحياكم الله جميعاً أيها الآباء الفضلاء وأيها الأخوة الأعزاء ،وطبتم جميعاً وطاب ممشاكم وتبوأتم من الجنة منزلاً، وشكرالله لكم هذا الحرص وإن كنا والله لسنا أهلاً له ،ونعوذ بالله من النفاق ،نسأل الله تبارك وتعالى الذي جمعنا وإياكم في هذا الجمع الطيب على طاعته ،أن يجمعنا وإياكم في الآخرة مع سيد الدعاة المصطفى في جنته ودار كرامته إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أحبتي في الله:

«نحن أولى بعيسى منهم»

هذا هو عنوان لقائنا مع حضراتكم في هذا اليوم المبارك، وكعادتنا فسوف ينتظم حديثنا مع حضراتكم تحت هذا العنوان في العناصر التالية :

أولا : الأنبياء أخوة.

ثانيا: إن الدين عند الله الإسلام .

ثالثا: عيسي عليه السلام عبد الله ورسوله .

وأخيراً: السبيل الوحيد إلى جنة الله جل وعلا .

فأعرني قلبك وسمعك فإن هذا الموضوع من الأهمية بمكان

أولا :الأنبياء أخوة:

معاشر المسلمين: يشهد العالم النصراني ،بل والعالم الإسلامي الهزيل المهزوم يشهدان في هذه الأيام احتفالات ضخمة بميلاد المسيح على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأزكي السلام ،في الوقت الذي سب فيه النصارى رب العزة جل وعلا مسبة عظيمة، وقالوا قولاً شنيعاً منكراً

﴿ **تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا** ﴾ [سورة مريم: ٩٠،٩٥].

إن من يزعمون أن عيسى ابن الله ،وأن الله هو المسيح ابن مريم ،وإن الله ثالث ثلاثة هم أبعد الناس عن عيسى ،وأكفر الناس بعيسى ،وأن أولي الناس بعيسى هم الموحدون وعلى رأس الموحدين قدوة المحققين وإمام الموحدين وسيد النبيين والمرسلين محمد ﷺ الذي قال في الحديث

الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة واللفظ لمسلم قال ﷺ : « **أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بعيسى ابنِ مَرْيَمَ فِي الأُولَى والآخِرَةِ** » قالوا: كيف يا رسول الله ؟فقال الحبيب ﷺ: « **الأَنْبِيَاءُ أُخْوَةٌ مِنْ عَلاَّتٍ**[1] (بفتح العين) **أُمَّهَاتهمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحدٌ**»[2] .

فالأنبياء يا أخوتاه، أخوة دينهم واحد، ولذا من كفر بواحدٍ من الأنبياء والمرسلين فإنما كفر بجميع إخوانه من النبيين والمرسلين. .

انظر إلى الإنصاف . . انظر إلى العدل الذي عليه الدين . .

أقول من كفر بنبي الله عيسى عليه السلام فقد كفر بأخيه الحبيب المصطفى محمد ﷺ ،ومن كفر بالحبيب محمد وآمن بعيسى فقد كفر بعيسى قبل أن يكفر بالحبيب محمد. . . تدبر معي أيها الحبيب القرآن الكريم، قال جل وعلا : ﴿**كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ**﴾ [سورة الشعراء: ١٠٥]

ما كذَّب قوم نوح إلا نوحا ـ عليه السلام ـ وما أرسل الله لقوم نوح إلا نوحا عليه السلام ومع ذلك.

قال جل وعلا : ﴿**كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ**﴾ لأن تكذيب نوح وحده تكذيب لجميع المرسلين.

وما كذَّب قومُ لوط إلا لوطًا ـ عليه السلام ـ وبالرغم من ذلك قال الله عزوجل : ﴿ **كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ**﴾ [سورة الشعراء: ١٦٠] .

وما كذَّب قومُ عاد إلا هودا ـ عليه السلام ـ وبالرغم من ذلك قال الله عزوجل : ﴿**كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ**﴾ [سورة الشعراء: ١٢٢] .

---

(١) **علاّت** : إذا كان الأخوة لأب واحد ، وأمهات شتى ، كانوا أبناء علات، وإذا كانوا لأم واحدة وآباء شتى فهم أبناء أخياف ، وإذا كانوا لأب واحد وأم واحدة ، فهم أعيان.

(٢) رواه البخاري (٦ / ٣٥٣ ، ٣٥٤) في الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿ **واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا** ﴾ ومسلم رقم (٢٣٦٥) في الفضائل ، باب فضل عيسى عليه السلام ، وأبو داود رقم (٤٦٧٥) في السنة ، باب التخيير بين الأنبياء.

وما كذَّب قوم ثمود إلا صالحا ـ عليه السلام ـ وبالرغم من ذلك قال الله عزوجل ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [سورة الشعراء : ١٤١] .

فمن كذَّب نبيا فقد كذَّب جميع إخوانه من النبيين والمرسلين .

بل لقد علَّم الله الموحدين هذه الحقيقة فأقروا بها فأذعنوا لها وآمنوا، وسجل الله عز وجل في قرآنه هذا الإقرار في آخر سورة البقرة فقال جل في علاه : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٥] .

فالأنبياء موكب واحد على طريق التاريخ البشري الطويل ،موكب مهيب جليل كريم يحمل رسالة واحدة . . ويحمل منهجا واحدا . . ويحمل دينا واحدا . . فليس عند الله جل وعلا ديانة تسمى باليهودية أو بالنصرانية أو بالمسيحية أو بالموساوية أو بالإبراهيمية ولكن الدين عند الله جل وعلا من ملة آدم عليه السلام إلى الحبيب المصطفى ﷺ هو الإسلام.

قال الله تعالى :﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ [آل عمران : ١٩]

وهذا هو العنصر الثاني من عناصر هذا اللقاء . .

« إن الدين عند الله الإسلام»:

الإسلامُ دين آدم . . ودين نوح . . دين إبراهيم . . ودين عيسى . . تدبر معي أيها الحبيب هذا العنصر الهام لتسجد لربك شكراً أن اختارك موحداً وأرسل إليك محمداً ﷺ نبيًّا .

وَمِمَّا زَادَنِي فَخْراً وَتِيهًا ... وَكِدْتُ بِأُخْمُصِي أَطَأُ الثُّرَيَّا
دُخُولِي تَحْتَ قَوْلِكَ يَا عِبَادِي ... وَأَنْ أَرْسَلْتَ أَحْمَدَ لِي نَبِيَّا

ما جاء نوح إلا بالإسلام وقد قال الله جل وعلا ذلك في سورة يونس

حكاية عن نوح : ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل : ٩١]

وما جاء إبراهيم إلا بالإسلام قال الله عز وجل في سورة البقرة حكاية عن إبراهيم ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

[سورة البقرة : ١٢٧، ١٢٨]

وبعدها قال الله جلَّ وعلا : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

[سورة البقرة : ١٣٠-١٣٢]

وجاء يعقوب بالإسلام قال الله تعالى في سورة البقرة حكاية عن يعقوب : ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة البقرة : ١٣٣]

وما جاء لوط إلا بالإسلام قال الله في سورة الذاريات حكاية عن لوط : ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ (٣٣) مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤) فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات : ٣١-٣٦]

وما جاء يوسف إلا بالإسلام قال الله تعالى في سورة يوسف حكاية عنه :

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ

السَّمَوَات وَالأَرْضِ أنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف: ١٠١]

وما جاء سليمان إلا بالإسلام قال الله تعالى في سورة النمل حكاية عن ملكة سبأ :

﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾

[النمل: ٢٩-٣١]

بل ما دخلت بلقيس يوم أن شرح الله صدرها إلا في الإسلام:

﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

[سورة النمل : ٤٤].

بل وما جاء موسي إلا بالإسلام، قال الله تعالى حكاية عنه في سورة يونس : ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ [يونس : ٨٤]

بل وما دخل السحرة يوم أن شرح الله صدورهم إلا في الإسلام وتضرعوا ساعتها إلى الله بهذا الدعاء تحت التهديد الفرعوني فقالوا :

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾

بل وما جاء عيسى ـ عليه السلام ـ إلا بالإسلام

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران :٥٢]

الله أكبر . . حتى عيسى دينه الإسلام ؟ نعم

فما من نبي بعثه الله إلا وله حواريون وأنصار ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

وجاء لبنة تمامهم ومسك ختامهم وسيدهم وإمامهم محمد ﷺ

بالإسلام وخاطبه ربه جل وعلا بقوله :﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣].

بل إن الإسلام هو دين مؤمني الجن . . فمن آمن من الجن فدينه الإسلام

﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٤، ١٥]

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾

ارفع رأسك أيها الموحد . . يا من منَّ الله عليك بالإسلام

معاشر المسلمين :

لا يعرف فضل هذه النعمة إلا من ذهب إلى بلاد الكفر ورأى من منَّ الله عليهم بكل ما يشتهيه أي إنسان من متع الحياة . . ورأى من عرف كل شيء في الكون . . فَجَّر الذرة وصنَّع الصاروخ . . وصنَّع الطائرة . . ومركبة الفضاء وحَوّل العالم كله إلى قرية صغيرة عن طريق التقنية المذهلة في عالم الاتصالات والمواصلات عرف كل هذا في الكون، ولم يعرف خالقه جل وعلا . .

الله أكبر . . .

عرف كل شيء إلا الخالق . . وإن سألت الآن رجلا بسيطا من آبائنا البسطاء :من ربك ؟ قال :الله .

ما دينك ؟قال :الإسلام .

من نبيك ؟قال :محمد عليه الصلاة والسلام وأؤمن به وبجميع إخوانه من النبيين والمرسلين . فإذا سألته :هل تؤمن بعيسى ؟ قال :نعم . . هل اتهمت مريم ؟ قال :لا وحاشا لله.

ما من نبي على ظهـر الأرض إلا وبُعث بهذا الإسلام أي الاستـسلام والإذعان والانقياد لله عز وجل . .

استمع لهذا الخطاب الرباني لرسولنا الكريم : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء: ٢٥]

أيهـا الأحـبـة : اعرفـوا فضل الله عز وجل عليـكم ،فلقد ورد في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال :«**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**» (١) .

فهذا ينشأ في بيت يهودي ،فينشأ يهـوديًّا وذاك ينشأ في بيت نصراني فينشـأ نصرانياً يقـول: المسيح ابن الله ، . .وهذا ينشأ في بيت مـجوسي فيعبد النار من دون الله . .!!

أما أنا . .وأما أنت فقد نشأنا في بيوت التوحيد فوَحّدنا الله جل وعلا دون رغبة منا ولا اختيار فالفضل ابتداءً وانتهاءً لمن ؟

﴿ **يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [الحجرات: ١٧]

فـاللهم كمـا اختـرتنا مـوحدين فـثبـتنا على التـوحيـد ،وتوفنا على التوحـيد،واحشـرنا في زمرة الموحديـن تحت لواء قدوة الموحدين وسـيد المرسلين . .برحمتك يا أرحم الراحمين .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

---

(١) رواه البخاري في الجنائز (١٧٦/٣) ، باب إذا أسلم الصبي، (١٩٧- ١٩٩) فيه أيضا ، باب ماقيل في أولاد المشركين،وأخـرجه مسلم رقم (٢٦٥٨) في القدر، باب معنى كل مـولود يولد على الفطرة،والموطأ رقم (٥٢) الجنـائز، باب جامع الجنائـز، والترمـذي رقم (٢١٣٩) ، في القـدر : باب كل مـولود يولد على الملـة ، وأبو داود رقم (٤٧١٤) في السنة، باب ذراري المشركين .

الخطبة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

وبعد ..

أحبتي في الله :

«**عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله**» هذا هو العنصر الثالث في هذا اللقاء الطيب المبارك.

قال الله تعالى ﴿ **مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ** ﴾ [المائدة: ٧٥]

إن عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه. وذكر الله حكايته في كثير من سور القرآن فقال الله عز وجل :﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾

[آل عمران: ٥٩]

بالله عليكم أنا أسألكم : أيهما أبلغ في الإعجاز من خلق بدون أم وأب أم من خلق من أم بدون أب ؟

﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧)**

قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا (٢١) فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾

[مريم: ١٦-٢٢]

حملت - مريم عليها السلام - بقدرة الملك ليبين الله عز وجل لخلقه طلاقة القدرة وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء فلقد خلق الله الخلق على أربعة أصناف :

خلق آدم من غير أب ومن غير أم . . .

وخلق الله حواء من آدم من أب دون أم .

وخلق الله عيسى من أم دون أب . . .

وخلق الله سائر الخلق من أب وأم ليعلم الخلق أن الله على كل شيء قدير .

حملت مريم - عليها السلام - بقدرة الملك . . وهي البتول العذراء التي وهبتها أمها لخدمة بيت الله عز وجل

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [آل عمران : ٣٥]

ولما استجاب الله عز وجل ووضعت مريم ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَىٰ ﴾ [آل عمران : ٣٦]

أي: في خدمة البيت ولما وهبتها إلى الله وتقبلها الله منها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا، وكفلها زكريا ،ولك أن تعلم أن الذي تكفل بمريم

ورباها على عينه نبي من أنبياء الله زكريا ـ عليه السلام ـ.

﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

[آل عمران : ٣٧]

هذه هي البيئة التي ترعرعت فيها تلك الزهرة العطرة الطاهرة مريم التي كرمها الله وشرفها الحبيب المصطفى ﷺ .

والله الذي لا إله غيره ما كرم مريم وعيسى منهج على ظهر الأرض بمثل ما كرمها منهج الحبيب المصطفى ﷺ .

ففي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري أن الحبيب النبي ﷺ قال :

« كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَرْيَم بِنْتَ عِمْرَانَ، وَآسِيَةَ امْرَأَةَ فِرْعَوْن، وَخَدِيْجَةَ بِنْتَ خُوَيْلد، وَفَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّد وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيد عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»(١)

فلما حملت مريم بنبي الله عيسى ـ عليه السلام ـ بقدرة الملك الذي يقول للشيء كن فيكون، والذي عليه جمهور المحققين من المفسرين أن مريم ـ عليها السلام ـ حملت بنبي الله عيسي على نبينا وعليه الصلاة والسلام تسعة أشهر كاملة، وإن كنا نعتقد أن الله عز وجل قادر على أن

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٣٤٠) في الأنبياء . باب قول الله تعالي : **﴿ وإذ قالت الملائكة يامريم إن الله اصطفاك وطهرك . . . ﴾** ومسلم رقم (٢٤٣١) في فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ ، والترمذي رقم (١٨٣٥) في الأطعمة ، باب ماجاء في فضل الثريد.

يخلق عيسى في بطن مريم في لحظة واحـدة، وأن تضعه في لحظة واحدة ،بل في أقل من ذلك لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ،ولكن الله تبارك وتعالى جعل مريم تحمل بعيسى حملاً عاديًّا .

فلما نظر يوسف النجار إلى بطن مريم فوجـد بوادر الحمل تظهر عليها قال لها: يا مريم هل يكون زرع بغير بذر ؟!

وهل يكون نبات بغير مطر ؟!وهل يكون ولد بغير أب ؟!

انظر إلى هذا التلميح الذكي؛ لأنه يعلم أنها الطاهرة العابدة

فقالت مريم :نعم يا يوسف .قال كيف ذلك يا مريم ؟

قالت :يا يوسف أنسـيت أن الله خلق آدم يوم خلقه من غـير أم ومن غيـر أب ،وخلق الزرع يوم خلقه من غيـر حب ولا بذر ،وخلق النبات يوم خلقه من غير ماء أو مطر.

قال يوسف: أعلم أن الله على كل شيء قدير. وصدق الله إذ يقول:

﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

[البقرة: ٢٥٩، ٢٦٠]

قُلْ للطَّبِيْبِ تَخَطَّفَتْهُ يَدُ الرَّدَى يَا شَافِيَ الأَمْرَاضِ مَنْ أَرْدَاكَ؟
قُلْ للمَرِيْضِ نَجَا وَعُوفِيَ بَعْدَ مَا عَجَزَتْ فُنُونُ الطِّبِّ مَنْ عَافَاكَ؟
قُلْ للصَّحِيْحِ يموتُ لا منْ علَّةٍ مَنْ بالمَنَايَا يَا صَحِيْحُ دَهَاكَ؟
بَلْ سَائِلِ الأَعْمَى خَطى بينَ الزِّحَامِ بلاَ اصْطِدَامٍ .... مَنْ يَقُودُ خُطَاكَ؟
بَلْ سَائِلِ البَصِيْرِ كَانَ يَحْذَرُ حُفْرَةً فَهَوَى بِهَا مَنِ الَّذي أَهْوَاكَ؟
وَسَلِ الجَنِينَ يَعِيشُ معزولاً بلاَ رَاعٍ وَمَرْعَى، مَا الَّذي يَرْعَاكَ؟
وَسَلِ الوَلِيدَ بَكَى واجْهَشَ بالبُكَاءِ لدى الولادة،مَنْ ذَا الذي أبْكَاكَ؟
وَإذَا تَرَى الثُّعْبَانَ يَنْفُثُ سُمَّهُ فَسَلْهُ مَنْ ذا بالسُّمُومِ حَشَاكَ؟
واسْأَلْهُ كَيْفَ تعيشُ يَا ثُعْبَانُ أَوْ تَحْيَا وَهَذَا السُّمَّ يملأُ فَاكَ؟
واسْأَلْ بطونَ النَّحلِ كَيفَ تَقَاطَرَتْ شَهْدًا وَقُلْ للشَّهْدِ مَنْ حَلاَّكَ؟
بَلْ سَائِلِ اللبن المصَفَّى كَانَ بَيْنَ فَرْثٍ وَدَمٍ مَنْ ذَا الَّذي صَفَّاكَ؟
الشَّمْسُ والبدرُ منْ أنوار حكْمَتِهِ والبَرُّ والبحرُ فَيْضٌ منْ عَطَايَاهُ
الطَّيْرُ سَبَّحَهُ والوحشُ مَجَّدهُ والموجُ كَبَّرهُ، والحوتُ نَاجَاهُ
والنَّمْلُ تَحْتَ الصُّخُورِ الصُّمِّ قَدَّسَهُ والنَّحْلُ يَهْتِفُ لَهُ حَمْدًا في خَلاَيَاهُ
والناسُ يَعْصُونَهُ جهرًا فَيَسْتُرُهُمْ والعَبْدُ يَنْسَى وربي لَيْسَ يَنْسَاهُ

الله قادر على كل شيء.. وهكذا شاء الله أن تحمل مريم بغير زوج وأن يولد عيسى - عليه السلام - بغير أب.. وتعالى الله عما يقول الظالمون، قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾

[المائدة: ٧٢]

وقال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ ﴾

[المائدة: ٧٣]

أعُبَّادَ المسيحِ لَنَا سُؤَالٌ نُرِيدُ جَوَابَهُ مِمَّنْ وَعَاهُ
إذَا مَاتَ الإلَهُ بِصُنْعِ قَوْمٍ أَمَاتُوهُ فَهَلْ هَذَا إلَهُ؟
وَيَا عَجَبًا لِقَبْرٍ ضَمَّ رَبًّا وَأَعْجَبُ مِنْهُ بَطْنٌ قَدْ حَوَاهُ!
أَقَامَ هُنَاكَ تِسْعًا مِنْ شُهُورٍ لَدَى الظُّلُمَاتِ مِنْ حيضٍ غَذَاهُ
وَشَقَّ الفَرْجُ مولودًا صغيرًا فَاتِحًا للثَّدْيِ فَاهُ!!
وَيَأْكُلُ ثُمَّ يَشْرَبُ ثُمَّ يَأْتِي بِلازِمِ ذَاكَ فَهَلْ هَذَا إِلَهُ؟!

أحبتي في الله:

نحن نعتقد اعتقادا جازمًا أن عيسى لم يصلب ،ولم يقتل ، بل رفعه الله إليه، وينزل من السماء في آخر الزمان عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، كما أخبر الصادق المصدوق وذلك قبل قيام الساعة، ففي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة قال الحبيب ﷺ:

«والَّذي نَفْسي بيَده لَيُوشكَنَّ أَنْ يَنْزلَ فيكُمْ عيْسَى ابنُ مَريمَ حكمًا عَادلاً فَيَكْسرُ الصَّليْبَ ويَقْتُلُ الخنزيرَ ويضَعُ الجزيَةَ ويَفيْض المالُ حَتَّى تكُونَ السَّجْدَةُ خَيْرًا منَ الدُّنيَا ومَا فيْهَا»

وأخيرا أيها الأحبة ...

تدبروا هذا الحوار القرآني بين رب العزة تبارك وتعالى وعيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام قال الله في سورة المائدة :

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ

وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٦ ، ١١٨] .

وأخيرا: السبيل الوحيد إلى جنة الله العزيز الحميد .

أيها الأحبة :

إن السبيل الوحيد إلى جنة الله عز وجل هو ما حدده المصطفى ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم من حديث عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - أنه ﷺ قال :

« مَا مِنْ أَحَد يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحمدًا رسولُ الله، وَأَنَّ عِيْسَى عبدُ الله ورسولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرَوحٌ مِنْهُ وأَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ والنَّار حقٌّ أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنْةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِهَا الثَّمَانِيَة شَاءَ» (١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

« والَّذي نَفسي بيَده لاَ يَسْمَعُ بي أَحَدٌ مِنْ هَذه الأُمَّة يَهُودِيٌّ أَوْ نَصْرَانِيٌّ وَلَمْ يُؤْمِنْ بالَّذي أُرْسِلْتُ بِه إلاَّ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّار »(٢)

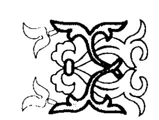
أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم .

. . . الدعاء

* * *

(١) رواه البخاري رقم(٣٤٣٥)فى الأنبياء باب قوله تعالى :﴿**يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم. . .**﴾ الآية.

(٢) رواه مسلم رقم(١٥٣) فى الإيمان،باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ .





وصف النار

الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وما كان معه من إله، الذي لاإله إلا هو. .فلاخالق غيره ولا رب سواه. .المستحق لجميع أنواع العبادة ولذا قضى ألا نعبد إلا إياه ذلك أن الله هو الحق. . وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير، أحمدك يارب، وأستعينك، وأستغفرك، وأستهديك، لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك. .جل ثناؤك. . وعظم جاهك. . ولا إله غيرك.

وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له. . هو الواحد الذي لا ضد له. . وهو الصمد الذي لا منازع له. . وهو الغني الذي لا حاجة له. .وهو القوي الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء . .وهو جبار السماوات والأرض فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه وأمره وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله ﷺ اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه، وعلى كل من سار على نهجه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد..أحبتي في الله .

قال الله تعالى: ﴿ **وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (71) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا** ﴾ [مريم: ٧٠-٧١]

أيها الأحبة..

إن يوم القيامة هوله على الناس شديد، فمنهم في يومها شقي،

ومنهم في يومها سعيد، أما السعيد فإلى جنات الله العزيز الحميد، وأما الشقي فإلى نار حرها شديد وقعرها بعيد. . ومقامعها حديد يوم يقف الوجود كله خاضعاً. . والبشر كلهم خشعًا. . يوم يطوي الملك جل وعلا السماوات والأرض كطي السِّجِل للكتب!!

كما جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : « **يَطْوي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السَماوات يَومَ القيَامة ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بيده اليُمْنَى ثُمَّ يَقولُ: «أَنَا الملكُ، أَينَ الجَبَّارُونَ ؟ أَيْنَ المُتَكبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوي الأَرْضَ بشمَاله ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلكُ ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ ؟ أَينَ المُتَكبِّرُونَ؟**»[1] سبحانه وتعالى . .

أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ مات الجبارون. .مات المتألهون ومات الظالمون. . انتهى كل شيء. . ومات كل حي. . كل شيء هالك إلا وجهه . ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ** ﴾ [الرحمن: ٢٧].

كان أولاً كما كان آخرًا، أولٌ بلا ابتداء. . وآخرٌ بلا انتهاء. . ﴿ **هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [الحديد: ٣] .

يفْنى الخلق جميعاً فينادي قائلا : لمن الملك اليوم؟ فيجيب نفسه المقدسة بقوله: «لله الواحد القهار».

ويأمر الله جل وعلا إسرافيل أن ينفخ في الصور نفخة البعث. .
﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن**

---

(١) البخاري (١٣ ,٣٣٤) في التوحيد، باب قول الله تعالى :«لماخلقت بيدي» ومسلم رقم(٢٧٨٨) في صفات المنافقين، باب صفة القيامة، وأبوداود رقم (٤٧٣٨) في السنة، باب الرد على الجهمية.

شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٨]

فتخرج الأرواح لها دَوِي كدويّ النحل ملأت ما بين السماء والأرض، ثم يقول ربنا جل وعلا: وعزتي وجلالي ليرجعن كل روح إلى جسده فتسري الأرواح إلى الأجساد، ويخرج الناس من القبور حفاة عراة غرلا ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣].

ويقف الناس في أرض الحشر ﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨].

لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا. يقف الكل في خشوع .. يقف الجميع في ذل وخضوع وتُدني الشمس يوم القيامة من رؤوس العباد كما في صحيح مسلم من حديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « تُدني الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ - زاد الترمذي - أَوِ اثْنَيْنِ قال سليم بن عامر: فوالله ما أدري ما يعني بالميل: أمسافة الأرض، أو الميل الذي تُكْحَلُ به العين؟ - قال تَصْهَرُهُمُ الشَّمْسُ فَيَكُونُونَ فِي الْعَرَقِ كَقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ ؟ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ(١)، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا، وَأَشَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ»(٢).

وَيَجْمَعُ اللهُ الأَولِينَ والآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَيُسْمِعُهُمْ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسُ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لاَ

(١) حقويه. الحقو: مشدُّ الإزار عند الخصر.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٨٦٤) في صفة الجنة، باب صفة يوم القيامة، والترمذي رقم (٢٤٢٣) في صفة القيامة، باب رقم (٣).

يُطيْقُونَ ولاَ يَحْتَمِلُونَ فيـقولُ بعضُ الناسِ لبعضٍ: أَلاَ تَروْنَ مَا أَنْتُم فيه؟ أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلاَ تَنْظُرُونَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إلى ربِّكُمْ؟ فَيَقولُ بَعضُ النَّاسِ لبعضٍ: ائْتُـوا آدمَ، فيأتُونَ آدمَ فيـقُولُونَ: يَا آدمُ أَنتَ أَبُونَا أَبُو البَـشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بيـده ،ونَفَخَ فيْكَ منْ رُوحـه وأَمرَ المَلائـكة فسَـجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا عنْدَ ربِّكَ ، ألاَ تَرَى مَا نَحْنُ فيه ،أَلاَ تَرى مَا بَلَغَنَا .

فَيَقُولُ آدَمُ: إنَّ رَبِّي غَضبَ اليومَ غَضبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مثْلَهُ ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مـثْلَهُ، وإِنَّهُ نَهَاني عَنِ الشَّـجَرة فعَـصَيْتُـهُ ،نَفْسي نَفْـسِي، اذْهَبُوا إلَى غيري، اذْهَبُوا إلَى نُوحٍ..

فيستقرئ الخلائق الأنبياء نبيًّا نبيًّا حتى يأتون إلى سيد ولد آدم عليه الصلاة السلام صاحب الشفاعة العظمى والمقام المحمود فيأتون فيقولون: «يَا مُحَـمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ الله وَخَـاتَمُ الأَنْبيَـاء ، وَغَفَرَ اللهُ لَكَ مَـا تقدَّمَ منْ ذَنْبكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، اشْفَعْ لَنَا إلَى ربِّكَ أَلاَ تَرَى إلَى مَا نَحْنُ فيْه؟

أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلغـنَا ؟ فأنطلقُ فَآتي تَحْتَ العَرشِ فَـأَقَعُ سَاجدًا لربِّي ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ ويُلْهمُني منْ مَحَامده وَحُسْنِ الثنـاء عَلَيْه شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لأَحَد غَيْري منْ قَبْلي ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ؟ وَسَلْ تُعْطَ واشْفَعَ تُشَفَّعْ .فيشفع ﷺ الشفاعة العامة لأهل الموقف فيقضي الله بين الخلائق.

ثم يأمر الله أن يؤتى بجهنم كمـا ورد في الحديث الذي أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « يُؤْتَى بجَهَنَّمَ يَوْمَ القيَامَة لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زمَامٍ مَعَ كُلِّ زمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَك يَجُرُّونَهَا»(١)

(١) رواه مسلم رقم (٢٨٤٢) في صفة الجنه،باب في شدة حر نار جهنم، والترمذي رقم (٢٥٧٦) في صفة جهنم،باب ما جاء في صفة النار.

يؤتى بجهنم لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها حيث أراد الله . . وحيث شاء الله . . وحيث قدر الله . . يؤتى بها تتغيظ، يؤتى بها تتلظى. يؤتى بها تتقطع من الغيظ على العصاة والمشركين، تأتي وهي تنطق بمنطق الأكول الشره تقول لربنا جل وعلا: هل من مزيد. قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق : ٣٠].

أحبتي في الله: إن نار الآخرة حرها شديد، وقعرها بعيد، ومقامعها حديد فنار الدنيا هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم

ففي الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

« نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي تُوقِدُونَ جَزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً؟ قَالَ: فَإِنَّهَا فَضُلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا»(١)

نارنا هذه التي تُحَطِّم ، والتي تدمِّر ، والتي لا يجرؤ أحد على أن يقترب منها، وإن كانت ممثلة في شعلة صغيرة، فما بالكم بحريق هائل مدمر، بحريق مروع، هذا الحريق وهذه النار، بل كل نار الدنيا مجتمعة إنما هي جزء من سبعين جزءاً كلهن مثل حرها .

---

(١) رواه البخاري(٦/ ٢٣٨) في بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، ومسلم رقم (٢٨٤٣) في صفة الجنة، باب في شدة حر نار جهنم، والموطأ (٢/ ٩٩٤) في جهنم، والترمذي رقم (٢٥٩٢) في صفة جهنم، باب ما جاء في أن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم .

الله أكبر . . اللهم إنا نستجير بك من النار.

أوقد عليها ألف عام حتى احمرت، وأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت، وألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة

وكان ابن عمر يقول: أكثروا ذكر النار، أكثروا ذكر النار، فإن قعرها بعيد وإنَّ حرها شديد، وإن مقامعها حديد. .

أكثروا ذكر النار يامن اشتغلتم بالمسلسلات والأفلام. . يامن انغمستم في معصية الله عز وجل.

أكثروا ذكر النار. . يامن ظلمتم خلق الله. . يامن جعلتم مناصبكم وقوتكم لظلم العباد!!

يامن تحديتم الله جل وعلا. . يامن بارزتم الله بالمعاصي، استمعوا إلى قول الحبيب ﷺ كما جاء في صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُؤْتَى بِأَنْعَمِ رَجُلٍ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: يَا بْنَ آدمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نعيمٌ قَطُّ؟ فيقولُ: لاَ وَالله يَا رَبِّ وَيُؤتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا مِنْ أَهْلِ الجنَّة، فيُصْبَغ صَبغةً في الجَنَّة، فَيُقالُ لَهُ: يَا بْنَ آدَمَ، هَلْ رأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بكَ مِنْ شدَّة قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لاَ وَالله يَا رَبِّ مَا مَرَّ بي بُؤسٌ قَطُّ، وَلاَ رَأَيْتُ شدَّةً قَطُّ**»(١).

هذا رجل من أهل النعيم والرفاهية والمال والسلطان في الدنيا وهو من أهل النار في الآخرة يغمس في النار غمسة واحدة ويقال له هل

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٨٠٧) في المنافقين، باب من صبغ أنعم أهل الدنيا في النار وصبغ أشدهم بؤساً في الجنة.

رأيت نعيما قط؟ فيقول: لا .

وورد في الحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم من حديث النعمان ابن بشير أن النبي ﷺ قال: « **إنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّار عذَابًا يَوْمَ القيامة لَرَجُلٌ يُوْضَعُ في أُخْمُص قَدَمَيْه حجَرَان، يَغْلي منْهُمَا دمَاغُهُ** - وفي رواية: **لَـهُ نَعْلاَن وَشراكَان منْ نَار يَغْلي منْهُمَا دمَاغُهُ - كَمْا يَغْلي المرْجَلُ ، مَا يَرى أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا وَإِنَّهُ لأَهْوَنُهُم عَذَابًا**»(١) .

لذلك كان النبي ﷺ يقول كما في البخاري ومسلم من حديث عديّ ابن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :
«**اتَّقُوا النَّارَ**» قال وأشاح، ثم قال: «**اتَّقُوا النَّارَ**» ثم أعرض وأشاح ثلاثا حتى ظننا أنه ينظر إليها ثم قال: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَة، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ ، فَبِكَلمَة طَيِّبَة**»(٢) .

أيها المسلمون: اتقوا النار فإن قعرها بعيد

أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال:

كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وَجْبَةً ، فقال: « **أَتَدْرُونَ مَا هَذَا ؟ قُلْنَا: اللهُ ورَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: هَذَا حَجَرٌ رُمي في النَّار مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيْفًا فَهُوَ يَهْوِي في النَّار الآنَ حَيْثُ انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا** » زاد في رواية «**فَسَمِعْتُمْ وَجْبَتَهَا**»(٣) .

---

(١) رواه البخاري (١١ . ٣٧٢) في الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ومسلم رقم (٢١٣) في الإيمان، باب أهون أهل النار عذاباً، والترمذي رقم (٢٦٠٧) في صفة الجنة ، باب رقم (١٢).

(٢) رواه البخاري (١١/ ٤٠٠) في الرقاق.

(٣) رواه مسلم رقم (٢٨٤٤) في صفة الجنة، باب شدة حر نار جهنم وبعد قعرها

طعـام أهل النار نار. وشراب أهل النـار نار . والثيـاب في النار نار
قال الله تعـالى: ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴾ [الغاشية ٦-٧]

والضريع: نوع من الشوك لا تأكله الدواب لخباثته.

وقـال الله تعـالى: ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [المزمل ١٢-١٣]

عن ابن عباس رضي الله عنهـما في قوله تعالى: ﴿طَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ قال: شوك يأخذ بالحلق لا يدخل ولا يخرج

وقال تعالي: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ۝٥١ لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ۝٥٢ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۝٥٣ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ۝٥٤ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ۝٥٥ هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الواقعة ٥١-٥٦]

وقد وصف الله عز وجل شجرة الزقوم فقال:
﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۝٦٤ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ۝٦٥ فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۝٦٦ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ۝٦٧ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لإِلَى الْجَحِيمِ﴾ [الصافات ٦٤-٦٨]

والشـوب: هو الخلط والمزج أي: يُخْلَطُ الزقـوم المتناهي في القـذارة والمرارة والحميم المتناهي في اللهب والحرارة.

وعن ابن عبـاس - رضي الله عنهمـا - أن النبي ﷺ قـرأ هذه الآية: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

فـقال رسـول الله ﷺ «لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّـومِ قُـطِرَتْ فِي دَارِ الدُّنْيَـا

لأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَايِشَهُمْ فَكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ طَعَامَهُ»(١).

وقال ابن عباس: الغسلين الدم والماء والصديد الذي يسيل من لحومهم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: « إِنَّ الحَمِيْمَ لَيُصَبُّ عَلَى رُءُوسِهِمْ فَيَنْفُذُ الحميمُ حتَّى يَخْلُصَ إلَى جَوْفِهِ فَيَسْلُتُ مَا فِي جَوْفِهِ حَتَّى يمرُقَ مِنْ قَدَمَيْهِ وَهُوَ الصَّهْرُ، ثُمَّ يُعَادُ كَمَا كَانَ»(٢).

وشراب أهل النار.. نار

قال تعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥) مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم:١٦-١٧]. أي: يُسقى من ماء صديد شديد النتانة والكثافة فيتجرعه ولايكاد يبتلعه من شدة نتانته وكثافته.

قال تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد:١٥]

والحميم: هو الماء الحار المغلي بنار جهنم يذاب بهذا الحميم ما في بطونهم وتسيل به أمعاؤهم وتتناثر جلودهم كما قال تعالى: ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[الحج: ٢٠-٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]

---

(١) رواه الترمذي (١٠/ ٥٤) في صفة جهنم وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد (١، ٣٠١، ٣٣٨) وابن ماجة رقم (٤٣٢٥) في الزهد وصححه شيخنا الألباني وهو في صحيح الجامع رقم (٥١٢٦)..

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٧٤)، وابن المبارك (١٢٦) في مسنده، والترمذي رقم (٢٥٨٥) وحسنه شيخنا الالباني .

وثياب أهل النار..نار

قال الله عز وجل: ﴿ **وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ** ﴾ [ابراهيم ٤٩-٥٠]

فقولة: ﴿ **سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ** ﴾ أي قمصانهم من قطران تطلى به جلودهم حتى يكون ذلك الطلاء كالسرابيل، وخصَّ القطران لسرعة الاشتعال فيه مع نتن رائحته ووحشة لونه.

وعن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «**النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٍ مِنْ جَرَبٍ**»[1].

وفُرش أهل النار نار

قال تعالى: ﴿ **لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ** ﴾ [الأعراف: ٤١]

أي: فرش من النار ويلتحفون بألحفة من النار عياذا بالله من حالهم وقال تعالى: ﴿ **لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ** ﴾

[الزمر: ١٦]

أي: أطباق وفراش ومهاد وسرادقات، وإطلاق الظلل عليها تهكما، فهي محدقة محيطة بهم من كل جانب والعياذ بالله قال تعالى: ﴿**انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ (٣٠) لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ**﴾ [المرسلات: ٣٠، ٣١]

وعن عذاب أهل النار يقول محمد بن كعب: لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله عز وجل في أربعة فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا

(١) رواه مسلم رقم (٩٣٤) في الجنائز، باب التشديد في النياحة.

بعدها أبداً.

يقولون: ﴿ رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾ [غافر: ١١].

فيقول الله تعالى مجيبا لهم: ﴿ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢].

ثم يقولون: ﴿ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا ﴾ [السجدة: ١٢]

فيجيبهم الله تعالى: ﴿ أَوَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤]

فيقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧].

فيجيبهم الله تعالى: ﴿ أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧].

ثم يقولون: ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦-١٠٧]

فيجيبهم الله تعالى: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]

فلا يتكلمون فيها بعدها أبداً وذلك غاية شدة العذاب.

وقال مالك بن أنس: قال زيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ [إبراهيم: ٢١]

قال: صبروا مائة سنة، ثم جزعوا مائة سنة، ثم صبروا مائة سنة ثم قالوا: ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ [إبراهيم: ٢١].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى

بالموْت يَوْمَ القيَامَة كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ فيُذْبَحُ بيْنَ الجنَّة والنَّار، ويُقَالُ: يَا أَهْلَ الجنَّة خُلُودٌ بِلاَ مَوْت، ويَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ بِلاَ مَوْت». (١)

وعن عبـد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهمـا ـ قال: «إن أهل النار يدعون مالكا، فلا يجيبهم أربعين عاماً، ثم يقول: إنكم ماكثون ثم يدعون ربهم فيـقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٧] فـلا يجيبـهم مثل الـدنيا ثم يقـول: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون:١٠٨]، ثم ييأس القـوم، فما هو إلا الزفـير والشهيق، تشـبه أصواتهم أصوات الحمير، أولها زفير وآخرها شهيق »(٢)

وعن عبد الله بن قـيس ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قـال: إن أهل النار ليبكون حتى لو أجريت السـفن في دموعهم، لجرت، وإنهم ليبكون الدم (يعني: مكان الدموع)(١).

وقال تعالى: ﴿وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [الحج: ٢١].

وقال تعالى: ﴿إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: ٧١-٧٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيمًا﴾ [المزمل: ١٢].

وقال تعـالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الواقعة: ٣٠-٣٢].

إن أهل النار إذا ألقـوا فيـها يكادون يبلغـون قعـرها، يلقاهم لـهبـها فيردهم إلى أعلاها، حتى إذا كادوا يخـرجون تلقتهم الملائكة بمقامع من

---

(١) رواه البخاري (١١/ ٤١٥) في الرقاق باب صفة الجنه والنار، ومسلم في صفة الجنة.
(٢) رواه الطبراني ورواته محتجٌ بهم في الصحيح قاله المنذري في الترغيب (٦/ ٢٦٥).
(١) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة برقم(١٦٧٩).

حديد فيضربونهم بها قال الله عز وجل: ﴿**كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا**﴾ [السجدة: ٢٠] فهم كما قال الله تعالى: ﴿**عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (٣) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً**﴾ [الغاشية: ٣، ٤]

قال تعالى: ﴿ **وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥) مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ**﴾ [إبراهيم: ١٥-١٧]

يعطيه الله كتابه بشماله أو من وراء ظهره، ويسْوَدُّ وجهه، ويُكسى سرابيل القطران، ويقال له: انطلق إلى أمك الهاوية. إلى جهنم والعياذ بالله فأخبر من هم على شاكلتك . . بهذا المصير . . فينطلق وقد اسود وجهه في أرض المحشر وهو يبكي ويصرخ ويقول: ﴿ **يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ**﴾ [الحاقه: ٢٥-٣٠]. يقف ذليلا أمام رب العالمين جزاءً وفاقًا لكبره واستعلائه وإعراضه عن منهج الله عز وجل.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: « **إِنَّ المتَكَبِّرِينَ يُحْشَرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَشْبَاهَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ يُسَاقُونَ حَتَّى يَدْخُلُوا سِجْنًا فِي جَهَنَّمَ، يُقَالُ لَهُ: بولَس تَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ يُسْقَونَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الخَبَالِ**»[(١)].

قيل: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: «**صديد أهل النار**».

---

(١)أخرجه الترمذي رقم (٢٤٩٤) في صفة القيامة باب رقم (٤٨) وقال الترمذي: هذا حديث حسن وأخرجه ابن المبارك (٥٢) في الزهد، وأحمد (٢/ ١٧٨) وابن أبي الدنيا (٢٤٠) في الأهوال وابن أبي شيبة(٩/ ٩٠) والبغوي (٤٥٩٠) في شرح السنة، والبخاري في الأدب المفرد والبيهقي في شعب الإيمان (٨١٨٣) .

أحبتي في الله .. فكما أن الجنة تشتاق لأهلها من المؤمنين الصادقين، فإن النار تشتاق بل تطلب المزيد من أهلها من المجرمين والظالمين والكافرين!!

ففي صحيح مسلم من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ، عن النبي ﷺ قال: « لاَ تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلـقَى فِيهَا وتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيد؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ العِزَّة قَدَمَهُ فِيهَا فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وتَقُولُ : قطْ قَطْ وَعِزَّتكَ وَكَرَمكَ ، ولاَ يَزَالُ فِي الجَنَّة فَضْلٌ حَتَّى يُنْشِئَ اللهُ لَهَا خَلْقًا فَيسْكنهُمْ فَضْلُ الجنة»[1] .

اللهم أجرنا من النار .. اللهم أجرنا من النار وأدخلنا الجنة يا غفار .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا اسْتَجَارَ عَبْدٌ مِنَ النَّار سَبْعَ مَرَّات إِلاَّ قَالَت النَّارُ: يَا رَبِّ إِنَّ عَبْدَكَ فُلاَنًا اسْتَجَارَ مِنِّي فَأَجِرْهُ ، ولاَ سَأَلَ عَبْدٌ الجَنَّةَ سَبعَ مَرَّات إِلاَّ قَالَتْ الجَنَّةُ : يَا رَبِّ إِنَّ عَبْدَكَ فُلاَنًا سَأَلَنِي فَأَدْخِلْهُ الجَنَّةَ»[2].

فيا أيها اللاهي .. ويا أيها الساهي .. يا من غرتك المعاصي وشغلك الشيطان عن طاعة الله، احذر فإنها نار تلظى :

دَعْ عَنْكَ مَا قَدْ فَاتَ فِي زَمَنِ الصِّبَا وَاذْكُرْ ذُنُوبَكَ وَابْكِهَا يَا مُذْنِبُ
لَمْ يَنْسَهُ المَلَكَانُ حِينَ نَسِيْتَهُ بَلْ أَثْبَتَاهُ وَأَنْتَ لاهٍ تَلْعَبُ
والرُّوحُ مِنْكَ وَدِيعَةٌ أَوْدَعْتَهَا سَتَرُدُّهَا بِالرَّغْمِ مِنْكَ وَتُسْلَبُ
وَغُرُورُ دُنْيَاكَ الَّتِي تَسْعَى لَهَا دَارٌ حَقِيقَتُهَا مَتَاعٌ يُذْهَبُ
اللَّيْلُ فَاعْلَمْ وَالنَّهَارُ كِلاَهُمَا أَنْفَاسُنَا فِيهِمَا تُعَدُّ وَتُحْسَبُ

---

(١) رواه البخاري (٨/ ٤٥٦) في تفسير سورة (ق) وفي الإيمان والنذور، وفي التوحيد ، ومسلم رقم (٢٨٤٨) في الجنة ، باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء، والترمذي رقم ٣٢٦٨ في التفسير باب ومن سورة (ق).

(٢) قال المنذرى فى الترغيب (٦/ ٢٢٩): رواه أبو يعلى بإسناد على شرط البخاري ومسلم.

قال ابن عيينه:قال إبراهيم التيمي :

مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها، وأعانق أبكارها، ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقُّومها ، وأَشْرَبُ مِنْ صَدِيْدِهَا، وأُعَالِجُ سَلاَسِلَهَا وأَغْلالَها فَقُلْتُ لِنَفْسِي: أي شيء تريدين ؟

قالت : أريد أن أرجع إلى الدنيا فأعمل صالحاً

قال: فأنت في الأمنية فاعملى .

ونحن والله في الأمنية، فيا من قصَّرتَ في طاعة الله عز وجل، اعمل للآخرة قبل أن تطلب العودة ولن تستطيع ،فكل من قصر في طاعة الله عز وجل في الدنيا يطلب العودة إليها كلما عاين أمور الآخرة وترك دار العمل إلى دار الحساب .

قال تعالى : ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ** ﴾ [المؤمنون :٩٩، ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿ **وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (١٢)** ﴾ [السجدة :١٢]

وقال تعالى: ﴿ **وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ** ﴾

[فاطر : ٣٧]

أسأل الله العظيم أن يختم لنا بالإيمان، وأن يبعدنا عن النيران وأن يدخلنا جنة الرحيم الرحمن إنه ولي ذلك والقادر عليه.

. . . الدعاء



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسَلمِ .

أما بعد..

فمرحباً مرحباً بأحبائي وإخواني في الله عزوجل .

ومرحباً مرحباً بأخواتي الفضليات.

وأضرع إلى الله عز وجل أن ينفع بهذا اللقاء وأن يجعلَهُ خالصًا لوجهه وأن يكونَ زاداً لنا يوم نلقاه.

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾

[آل عمران: ٣٠]

واسمحوا لي أيها الأحباب الكرام أن يكون عنوان خطبتنا هذه :

« المرأة وأثرها في استقامة المجتمع »

وحتى لا ينسحب بساطُ الوقت من تحت أقدامنا فسوف أركز الحديث في عدة عناصر.

أولاً: مقدمة لابد منها.
ثانياً: مؤامرةٌ رهيبة.
ثالثاً: تكريمُ الإسلام للمرأة.
رابعاً: دورُ المرأةِ في بناء المجتمع المسلم.
خامساً: مُثُلٌ عليا وقدوات طيبة.
وأخيراً: تحيةٌ وبشرى.

أولاً: مقدمة لا بد منها:

أيتها الأخت الفاضلة الصابرة:

لقد علم أعداء ديننا أن المرأة المسلمة من أعظم أسباب القوة في المجتمع الإسلامى فراحوا يخططون لها في الليل والنهار لشل حركتها والزج بها في مواقع الفتنة ،وأعلنوها صريحة في هذه المقولة الخطيرة «كأسٌ وغانية يفعلان في تحطيم الأمةِ المسلمة أكثَر مما يفعلهُ ألفُ مدْفع فأغرقوها فى حُبِّ المادةِ والشهوات».

فلقد عز عليهم أن تجودَ المسلمةُ من جديد على أمتها بالعلماء العاملين والمجاهدين الصادقين فصار همُّهُم أن تصير المسلمةُ عقيمًا لا تلد خشية أن تلدَ من جديد خالداً وصلاحَ الدين وابنَ تيميةَ وغيرَهم.

* ولذلك لم يرفعوا أيديهم عن بلادنا ويسحبوا جيوشهم العسكرية إلا بعد أن اطمأنوا أنهم خلَّفوا وراءَهم جيشاً فكريًّا جديداً أميناً على كل أهدافهم ،وأطلقوا على أفراد هذا الجيش أضخمَ الألقاب والأوصاف كالمحررين والمجددين والمطورين . . إلخ.

وأحاطوا هذا الصنفَ بهالةٍ من الدعايةِ الكاذبةِ تستُر جهله وتغطي

انحرافه وتنفخُ فيه ليكون شيئاً مذكوراً، وتحدثُ حوله ضجيجاً يلفت إليه الأسماع ويَلْوي إليه الأعناق.

وكل هذا فى الحقيقة لا يجعل من جـهله علماً ولا من فجوره تقوى ولا من بُعده عن قلوب الناس قرباً.

فهم كالطبلِ الأجوف يُسمعُ من بعيد وباطنه من الخيرات خالٍ.

ومما يمزقُ الضمائرَ الحية أن يكون من بين هؤلاء بعضُ المتصدينَ للفتوى والمتسمين بِسَمْتِ أهل العلم الـشرعى الذين يُزَوِّرون لأهل الباطل وأعداء الدين أقوالاً عرجاء يتكئون عليها.

وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث عبد الله ابن عمرو أن النبي ﷺ قال: «**إنَّ اللهَ تَعَالَى لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انتـزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ صُـدُورِ النَّاسِ وَلَكِنْ يَقْـبِضُ الْعِلْمَ بِقَـبْضِ العُلَماء حَـتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَـالِمًا اتَّخَذَ النَّاسَ رؤوسًا جُهالاً فَسُئلُوا فَأَفْتوا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»(١).

فانطَلَقَ هؤلاءِ وأسيـادهم يصرخون ويرفعـون لواء الشعارات الكاذبة الخبـيثة لتحـرير المرأة !! وحرية المرأة !! وحقـوق المرأة !! إلى آخر هذه المؤامرة الرهيبة.

ثانياً: مؤامرة رهيبة

نعم أيها الأحبة:

فإن للأعداء وأتباعهم وأذنابهم خُططًا عاتية في إفساد المرأة وإخراجها عن دينها وأخلاقها بكل سبيل.

---

(١)رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجةوهو في صحيح الجامع رقم(١٨٥٤).

وقـد تمكن أعداءُ الأمـة من تنفيـذ هذه الخطط كلهـا في بعض بلاد المسلمين وفي تنفيذ بعضها في بلاد أخرى.

وأستـطيع فى عجـالة سريعـة أن أبين لحضـراتكم بعضَ خططِ هذه المؤامرة الرهيبة.

١ - افتعالهم ما يسمى بقضية المرأة:

فالناس فى العـادة لا يتحركـون بغير قضـية تُزعِجُـهم، وتشغلُ بالهم، وفكرهم، ومن هنا يحرص أعـداء الدين أن يوهموا الناس أن للمرأة قـضية تحتاج إلى نقـاش وذلك للانتصار لها، أو الدفاع عـنها، ولذلك يكثرون الطنطنة والدندنة في وسائل الإعلام بكل صورها على هذا الوتر بأن المرأة في مجتمـعات المسلمين في معاناة دائمة وأنها مظلومـة وإنها شق معطلة ورئة مهـملة وأنها لا تنال حقوقـها وأن الرجل قد استـأثر دونها بكل شئ ،وهكذا حتى يُشعِروا الناس بوجود قـضية للمرأة في بلاد المسلمين وهي فى الحقيـقة لا وجود لها وذلك ليـنطلق من يريدُ أن يرد هذه التهم بروح انهزاميـة من منطلق أن الإسلام متهم، وفي قفص الاتهـام ،ويحتاج إلى من يدافع عنه.

٢- الإجهاض على مناعة المجتمع المسلم :

فإن المجتمع المسلم وإن ناله شئ من الأذى والضعف فإنه ينفي الخبث عن نفسه، ولا يقرُّ الأخلاق الفاسـدة مادامت فيه المناعة لكل دخيل على العقـيدة والأخلاق ولذلك حرص الأعـداء على إضعاف مناعة المجـتمع المسلم حتى يُفْقدُوه الغيرة على دينه والحـمية لعقيدته ، وبعد ذلك يكونوا قادرين على أن يَصبُّوا في المجتمع المسلم كلَّ ألوان الرذيلة والفساد.

فالنـفوس تقشـعر من المنكر أول مـرة. وفي المرة الثانيـة تخف تلك

القشعريرة. وفى المرة الثالثة لا تبالي بالمنكر. وفي المرة الرابعة تبحث عن مُسَوِّغٍ له. وفي المرة الخامسة تفعله. وفي المرة السادسة تُفلسِفُه بل وتدعو إليه.

ومن صور إضعاف المناعة فى المجتمع المسلم ما يلي:

* الصحفُ والمجلات المنافية للأخلاق التي تُظهر المرأة بصورة فاضحة مخزية لحد أصبح معتاداً جدًّا عند كثير من الناس بل أصبح الإنكار لهذا التهتك والتبذل تهمة يؤخذ عليها بالنواصي والأقدام.

* نشر الفكر المنحرف بـصورة منتظمة إلى أن يعتاد كـثير من الناس عليه عبر المسلسلات والأفلام والندوات والأخبار والمقابلات وغيرها.

* الدندنة على أن المرأة مظلومة في المجـتمع المسلم، ومن ثم فلابد من المطالبة بحرية المرأة ومساواتها مع الرجل.

* تصوير البيت والأمـومة وقوامة الرجل بصورة مشوهة تـتقزز منها النفوس وتأباها الطباع.

فالبيت سجن مؤبد!!.

والزوج سجان قاهر!!.

والقوامة سيف مسلط!!.

والأمومة تكاثر حـيواني!!! حتى أوجد ذلك كله في نفوس كـثير من النساء أنفة واشمئزازا، فانطلقن يبحثن عن الانطلاق بلا قيود!!!.

* محاربة الحجاب بكل سبيل والدعـوةُ إلى الاختلاط الفاحش المستهتر للزج بالطاهرات في مستنقعات الرذيلة والفتنة بحجة أن الأخلاق والتربية هما الأصل والأســاس ،وهم أنفسهم أصـحابُ هذه الدعـوة المضلة أسرعَ الناس بعداً عن مواطن الأوبئة، بل ولا يسمحون أبدًا للصحيح أن يخالط

المريض.

ورحم الله من قال:

أَلْقَاهُ فِي الْيَمِّ مَكْتُوفًا وَقَالَ لَهُ إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَبْتَلَّ بِالمَاءِ

* سياسة تكسير الموجة.

وذلك باتباع أسلوب التدرج في الانحلال ولا مانع لديهم من أن يطأطئوا الرأس قليلاً حتى تنكسر حدةُ الموجة ثم يتهيئون للظهور مرة أخرى وبموقف جديد أجرأ، والواقع أوضحُ من أن تضرب أمثلة على ذلك والأخطر من هذا أيتها الأخت هذه الخطط وتلك المؤامرة على كثير من المسلمين والمسلمات حتى ردد هذه الأراجيف الباطلة الكثيرُون والكثيرات ممن ينتسبون إلى الإسلام ،ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وها أنذا أحاول أيضًا في عجالة سريعة أن أبين كيف كان تكريمُ الإسلام للمرأة.. فوالله لا أعلم على ظهر الأرض دينًا قد كرم المرأة كما كرمها الإسلام، وهذا هو عنصرنا الثالث من عناصر هذا اللقاء.

ثالثاً: تكريمُ الإسلام للمرأة:

والوقت لا يتسع لأبين لكم باستفاضة مكانة المرأة قبل الإسلام عند الإغريق ،وعند الرومان، وعند الصينيين، وعند الهنود، وعند الفرس، وعند اليهود، وعند النصارى، وعند العرب في الجاهلية قبل الإسلام فلقد كانت المرأة جرثومة خبيثة لا تستحق حتى الحياة.

* فجاء الإسلام ليرفعها من هذا الحضيض إلى تلك المكانة العلياء، بعد أن كانت من سقط المتاع تُشْترى وتباع وبعد أن كانت توأد وتُقتل وهي حية مخافة الفقر والعار.

* فجاء الإسـلام ليجعل المرأة صنو الرجل ،فـفي الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه وصـححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّما النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَال**»(١).

* وجـاء الإسـلام فـجـعل برَّ الأم مـقـدّمًـا على بر الأب، فـفي «الصحيحين» من حديث أبي .هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحبتى؟ قال: «**أُمُّكَ**»، قال: ثم مَن؟ قـال: «**أُمُّـكَ**». قال ثم مـن؟ قال: «**أُمُّـكَ**». قال: ثم مـن؟ قال: «**أَبُوكَ**»(٢).

* وجاء الإسلام ليكرمها زوجة ففي صحيح مسلم من حديث جابر ابن عبـد الله أن النبي ﷺ قال في خطـبة الوداع: «**اتَّقُـوا اللَّهَ فِي النِّسَـاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ واسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلَمَة اللَّه**»(٣).

وفي «الصـحيـحين» من حـديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قـــال: «**استوصوا بالنساء خيراً**»(٤) .

وفي الحديث الذي رواه أحـمد والترمذي وأبو داود وغيـرهم وحسنه الشيخ الألبـاني من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنـه ـ أيضاً أن النبي ﷺ

---

(١)رواه أحمـد وكذا أبو داود والتـرمذي وحـسنه شيخنـا الألباني في صحـيح أبو داود رقم (٢١٦ / ٢٣٦).

(٢)رواه أحمد والبخاري ومسلم وابن ماجه.

(٣)رواه الترمذي وابن حبان وصححه شيخنا الألباني في الصحيحة رقم (٢٨٤).

(٤)قطعة من حديث حجة الوداع انظر حجة النبي للألباني ص:٣٣-٩٣وصححه الألباني في صحيح أبي داود رقم (١٦٧٦ / ١٩٠٥).

قال: «أَكْمَلُ المؤْمنِينَ إيمانًا أَحْسَنُهُم خُلُقًا وَخيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لأَهْله»(١).

* وجاء الإسلام ليكرم المرأة بنتاً ففي الحديث الذي رواه مسلم من حديث أنس أن النبي ﷺ قال: «مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ (أى ابنتين) حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ وَضَمَّ أَصَابِعَهُ»(٢). وفي رواية الترمذى« دَخَلْتُ أَنَا وَهُوَ الجَنَّةَ كَهَاتَيْنِ» وقرن بين السبابة والوسطى.

وفي الصحيح من حديث عائشة قالت: دخلت على امرأة ومعها ابنتان لها فسألتني فلم أجد عندي شيئاً غير تمرة واحدة فأعطيتها إياها فقَسَمتهَا بين ابنتيها ولم تأكل منها ثم قامت فخرجت فدخل النبي ﷺ علينا فأخبرته فقال: «مَنْ ابْتُلِي منْ هذه البَنَات بشَيء فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا منَ النَّار».وفي لفظ «كُنَّ لَهُ حِجَابًا منَ النَّار»(٣).

وسماه النبي ابتلاء لأن الناس يكرهونه فى العادة أو في الغالب.

ثم تجلى تكريم الإسلام للمرأة فجاء القرآن ليخص النساء بسورة كاملة تتلى إلى قيام الساعة وسماها باسمهم هكذا إنها سورة النساء.

وأكتفي بهذا القدر في هذ العنصر، فهذا يطول جداً فوالله ما نالت المرأة عزها وشرفها و مجدها إلا في الإسلام.

---

(١) أخرجه الترمذي رقم (١١٦٢) في الرضاع باب ماجاء في حق المرأة علي زوجها ، وأبو داود رقم (٤٦٨٢) في السنة ، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٦٣١) في البر والصلة ، باب فضل الإحسان إلى البنات ، والترمذي رقم (١٩١٧) في البر والصلة،باب في النفقة على البنات وهو في الصحيحة رقم (٢٩٧).

(٣) رواه البخاري (٤ / ٢٦) في الزكاة ، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة ، وفي الأدب باب رحمة الولد وتقبيله ، وأخرجه مسلم رقم (٢٦٢٩) في البر والصلة ، باب فضل الإحسان إلي البنات ، والترمذي رقم (١٩١٦) في البر والصلة .

بل وتصرخ الآنَ المرأةُ في الشرق والغرب على عكس ما يروجه أدعياء التحرر والمَدَنيةَ.

فإنكم تعلمون جميعـاً أن المرأة في هذه البلاد الكافرة يتلهى بها ويتسلى بها ويستمـتع بها وهي شابة جميلة ثم يرمي بها فـي آخر عمرها في دار من دور المسنين، وتظل في دائرة النسيان حتى تهلك وقد لا يأتيها أبناؤها إلا فى كل عام مـرة بل قد لايأتـون وهذا رأيناه بأعيننا في بلاد أوربا وأمـريكا وفي زيارة أخيرة لأمريكا التقيت بأخت أمريكيـة مسلمة في حضرة زوجها المسلـم وسألتهـا عـن شعـورها بعـد دخولها فـى الإسـلام فقالت: والله يا أخي إني أريد أن أقول لكل نساء العالم: أنه لا كرامة لَكُنَّ إلا في ظلال الإسلام.

وأعتقد أن هذا التكريم للمرأة يوضح لحضراتكم بجلاء لا يحتاج مني إلى تفصيل يبين دور المرأةِ الهام في بناء المجتمع المسلم.

وهذا هو عنصرنا الرابع من عناصر هذا اللقاء.

رابعا : دور المرأة فى بناء المجتمع المسلم:

إن المرأة المسلمـة هي الركيزة الأولى فـى بناء المجتمع المسـلم؛ لأنها القائمة على بناء الأسرة وبناء الأسرة هو أخطرُ بناءٍ فى كيان المجتمع بل في كيـان الأمة بأسرها ،وأنا أعـجب لأناس يهتمـون في بناء مكونٍ من الحجارة والطـين، يهتمون باختـيار الموقع المناسب والخامات الجـيدة التي تضمن لهم سـلامة البناء ولا يهتـمون ببناء الأسرة الـتي تتكون من الرجال والنساء والبنين والبنات مع أن بناء الأحجار قـد يتعلق بسعادة الدنيا وبناءُ الأسرة يتعلق بسعادة الدنيا والآخرة.

نعم أيها الأحـبة، فـالبيت المسلم قلعة مـن قلاع هذه العقـيدة والأبُ

المسلم لا يكفي وحده أبدًا لتأمين هذه القلعة بل لابد أيضا من الأم التي تقوم معه على تأمين هذه القلعة بالتربية للأبناء على الكتاب والسنة كما قال رسول الله ﷺ: «**والمرْأَةُ في بَيْت زَوجهَا راعيَةٌ وَهيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعيَّتهَا**»(١).

فالأم هي الحضن التربوي الطاهر الذي خرَّج القادة الفاتحين والعلماء العاملين والدعاة الصادقين.

فوالله ثم والله ما فتحنا الدنيا بأمهات ماجنات متحللات. ولكن فتحنا الدنيا بأمهات عفيفات متدينات عالمات مجاهدات صابرات حافظات للغيب قانتات تائبات عابدات.

وإليكم بعض النماذج المشرقة التي نفخر بها نحن المسلمين في كل زمان ومكان، وهذا هو عنصرنا الخامس من عناصر اللقاء:

« نماذج مشرقة »:

وهذا العنصر وحده يحتاج إلى لقاءات ولقاءات بدون مبالغة. وأكتفي بهذه النماذج كأمثلة فقط:

فتعالوا بنا لنعيش هذه الدقائق المعدودات مع هذه القدوة الطيبة.. والمثل الأعلى في عالم النساء.

مع رمز الوفاء. وسكن سيد الأنبياء.. مع الطاهرة في الجاهلية والإسلام..!!

مع أول صديقة من المؤمنات.. مع أول زوجات المصطفى عليه

---

(١) رواه البخاري (١٣ / ١٠٠) في الأحكام، في فاتحته، وفي الجمعة، باب في القرى والمدن، ومسلم رقم (١٨٢٩) في الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، والترمذي رقم (١٧٠٥) في الجهاد، باب ماجاء في الإمام العادل، وأبو داود رقم (٢٩٢٨) في الإمارة، باب مايلزمه الإمام من حق الرعية.

الصلاة والسلام.

مع أول من صلى على ظهر الأرض مع رسول الله ﷺ.. مع أول من أنجبت الولد لرسول الله ﷺ.

مع أول من بُشرت بالجنة من رسول الله ﷺ.. مع أول من استمعت إلى القرآن بعد رسول الله ﷺ.

مع أول من نزل إليها جبريل ليبلغها من ربها السلام.. مع نهر الرحمة وينبوع الحنان.

مع أصل العز وقلعة الإيمان.. إنها خديجة عليها من ربها الرحمة والرضوان.

والله.. ثم والله.. إن الكلمات لتتوارى خجلاً وحياءً أمام هذه القلعة الشامخة والزوجة الوفية المخلصة التي بذلت مالها وقلبها وعقلها لرسول الله ﷺ.

آمنت به حين كفر الناس.. وصدقته إذ كذبه الناس.. وواسته بمالها إذ حَرَمَه الناس فاستحقت أعظم الثناء من رسول الله ﷺ.

أحبتي في الله:

إذا تصفحنا كتب السير والتاريخ لن نجد امرأة وقفت مع زوجها كموقف أمنا أم المؤمنين خديجة بنت خويلد مع رسول الله ﷺ حين نزل عليه جبريل أول مرة في غار حراء. حين ضمه ضمة شديدة: وقال له اقرأ فقال: ما أنا بقارىء.

ويرجع رسول الله ﷺ يرجف فؤاده إلى خديجة الزوجة الوفية الطاهرة. يقول: زملوني.. زملوني فزملته ﷺ حتى ذهب عنه الروع، ثم قص عليها الخبر. وقال: «**لَقَدْ خَشيْتُ عَلَى نَفْسِي يَا خَدِيْجَةُ**».

فتقول الزوجة المثالية: كلا والله.. لا يخزيك الله أبدًا.. إنك لتصل

الرحم.. وتحمل الكَلَّ (أى تساعد العاجز الضعيف) وتكسب المعدوم (أى تعطى المحروم وتؤثره على نفسك) وتقري الضيف، وتعين على نوائب الدهر.. الله أكبر.. إنها خديجة.

ولم تكتف بهذا. بل ذهبت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان امرءًا تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني وجعلته يسمع من رسول الله ﷺ وأخبره الرسول ﷺ بما رأى ويبشره ورقة قائلاً: هذا هو الناموس الذي نزل على موسى وإنى أرجو أن تكون نبى هذه الأمة ثم أنزل الله عليه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنذِرْ﴾. [المدثر: ١، ٢]

وبهذا بُعِثَ النبي ﷺ، وفي ميدان السبق الإيمانى كانت الطاهرة الفائزة بالدرجة العليا برتبة صديقة المؤمنات الأولى لم يتقدمها رجل ولا امرأة كما قال جمهور أهل العلم.

ومن يومها وقد قامت بدور جديد في تثبيته ﷺ ومؤازرته ومعاونته في تبليغ الدعوة والصبر على عناد المشركين وقدمت له عقلها ومالها وفكرها ونفسها ووقتها ،ومن دارها الطاهرة سطع نور الإسلام ومنها أضاء الدنيا كلها.

وازداد أهل مكة عداءً وإيذاءً للنبي ﷺ وتمادت قريش في غيها وطغيانها وقاطعت بنى هاشم مقاطعة اقتصادية كاملة ثلاث سنين ودخلت الحصار مع رسول الله ﷺ زوجته الصابرة الطاهرة التي راحت تبذل مالها كله، ووقفت تشد أزره وتشاركه في تحمل الأذى بنفس راضية صابرة محتسبة حتى انتهى هذا الحصار الظالم وقد ازداد حب النبي ﷺ لها وتقديرها ولم تلبث الطاهرة إلا قليلاً حتى لَبَّت نداء ربها راضية مرضية مبشرة من سيد الخلق بمقعد صدق في جنات ونهر عند مليك مقتدر.

أحبتي في الله:

وهذه هي المجاهدة الصادقة الصابرة أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ (ذات النطاقين) التي قدمت أروع المثل في التضحية والتعقل.

تقول أسماء: لما خرج رسول الله ﷺ وخرج معه أبو بكر وحمل ماله كله فدخل علينا جدي أبو قحافـة وقد ذهب بصره فقال: والله إنى لأراه قد فَجعكم بماله مع نـفسه فقالت: كلا يا أبت،بل ترك لنا خيـراً كثيراً، وأخذت أجمـارًا فوضعتـها حيث كان أبي . يضع المال ووضعـت عليها ثوبى، ثم أخذت بيده، فـقلت: يا أبتى ضع يدك على هذا المال، فوضع يده فقال: لا بأس إن كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن.

تقول أسماء: لا والله ومـا ترك لنا شيئا ولكني أردت أن أسكت هذا الشيخ بذلك. والحديث رواه ابن إسحاق وأحمد بسند صحيح.

ولا عجب فـإنها الزهرة التي تربت في حقل الإسـلام،ورباها الصديق بتربية القرآن والسنة.

وهذه هي أمامة بنت الحـارث زوجة شريح بن شرحـبيل القاضى. . فما خبرها؟

حدثنا التـاريخ أن شُريحًـا القاضى قابل الشـعبى. وأظنكم تعـرفون شُريحًا إنه شـريحُ بن شراحيل أو شُرَحْـبيل الذي ولاه عمرُ بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قضـاءَ الكوفة فأقـام عليه ستين سنة وضُـرب المثلُ بعدله وصدقه، ومن أراد أن يرجع إلى ترجمته فليـرجع إلى كتاب «سير أعلام النبلاء» للذهبى في المجلد الرابع.

أما الشعـبيُ فهو التابعيُ الجلـيل عَلاَّمَة عصره وزمـانه ولد سنة ثمانٍ وعشرين من الهجـرة وقال في حقه سعيد بـن زيدٍ عن مكحول قال: ما

رأيت أحداً أعلم من الشعبي.

له ترجمـة طويلة في سيـر أعلام النبـلاء فليرجع إليـها من أراد في المجلد الرابع أيضاً.

أيها الأحباب:

يحدثنا التاريخ أن شريحاً قابل الشعَـبي يومًا فسأله الشعبي عن حاله في بيته فقال له شريح: من عشرين عاماً لم أر ما يغضبني من أهلي، قال له وكيف ذلك؟ قال شريح:

من أول ليلةٍ دخلت عليّ امـرأتى ورأيت فيـها حـسنًا فاتنًا وجـمالاً نادراً، قلت في نفسي: أصلي ركعتين لله عز وجل.

فلما سلمت وجدت زوجتي تصلي بصلاتي وتسلم بسلامي.

فلما خلا البـيتُ من الأصحاب والأصدقاء قمت إليـها فمددت يدي نحوها فقالت: على رسلك يا أبا أمية كما أنت. ثم قالت:

إن الحمد لله أحمـده وأستعينه وأصلي على محمـد وآله وبعد. فإنى امرأة غريبـة، لا علم لى بأخلاقك، فبين لى ما تحب فـآتيه، وبين لى ما تكره فأتركه، ثم قالت:

فلقد كان لك في قومك من هي كفء لك، ولقد كان في قومي من هو كُفء لي، ولكن إذا قضى الله أمرًا كان مفعولاً وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله به فإمساك بمعروف، أو تسريح بإحسان.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولك.

بالله عليكم من منا سمع مثل هذا الكلام ليلة عُرسه!؟؟

قال شريح: فأحوجتني والله يا شعبي إلى الخُطبة في ذلك الموضوع، فقلت: أحمـد الله وأستعينه وأصلي وأسلم على النبـي وآله وبعد: فإنك قلت كلامًا إن ثَبَتٍّ عليه يكن ذلك حظك، وإن تدعيه يكن حجةً عليك، فإني أحب كذا وكذا، وأكره كذا وكـذا، وما رأيتِ من حسنةٍ فانشريها، وما رأيتِ من سيئةٍ فاستريها فقالت: كيف محبتك لزيارة أهلي؟

قلت: ما أحب أن يملني أصـهاري. فقالت: فمن تحـب من جيرانك أن يدخل دارك فآذنُ له ومن تكرهُ فأكره.

قلت: بنو فلانٍ قوم صالحون وبنو فلانٍ قومُ سوء.

قال شريح: فـبت معها بأنعم ليلـة. فَمَكَثَت معي عشـرين عامًا لم أعتب عليها في شيء إلا مرة وكنت لها ظالماً.

وأخيراً: تحية وبشرى:

تحية وبشرى إلى بنت الإسلام، إلى أصل العز والشرف والحياء، إلى صانعةِ الأجيال ومربيةِ الرجال، إلى من تربعت طيلة القرونِ الماضية على عرشِ حيائها تهزُ المهدَ بيمينها وتزلزلُ عروشَ الكفر بشمالها.

إلى أختي المسلمة التي تصـمدُ أمامَ تلكَ الهجماتِ الشـرسة وتصفع كلَّ يومٍ دعاةَ التحررِ والسفور، بتمسكها بحجابها ونقابها.

إلى هذه القلعة الشامخة أمامَ طوفان الباطل والكذب.

إلى أختي الفاضلة التي تَحتضنُ كتابَ ربها عز وجل وترفع لواءَ نبيها ﷺ، وهي تصرخ في وجوه المبتدعين قائلةً:

بِيَدِ العفَافِ أَصُونُ عِزَّ حِجَابِي   وَبِعِصْمَتِي أَعْلُـو عَلَى أَتْرَابِـي

إليك أيتها الدُّرة المصونة. إليك أيتها اللؤلؤة المكنونة.

أقدم التحيـة والبشرى من رسول الله ﷺ في عهد الغـربة الثانية التي تنبأ بها الصادقُ المصدوقُ ﷺ فى الحديث الذي رواه مسلم: «**بَدَأَ الإِسْلاَمُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيْبًا كَمَا بَدَأَ فَطُوْبَى للْغُرَبَاء**».

فهنيئًا لك يابنتَ الإسلام ويا صاحبةَ الحجاب.

يَا دُرَّةً حُـفِظَتْ بالأمسِ غَـاليـةً ... واليَـومَ يَبْغُـونَهَـا للَّهْـو واللَّعِب
يَا حُـرَّةً قَـدْ أَرَادُوا جَـعْلَهَـا أَمَـةً ... غَـريبـة العـقلِ غَـرِيْبَـةَ الـنَّسَب
هَلْ يَسْـتَـوِي مَنْ رسـولُ الله قَـائده ... دَوْمًـا ، وآخَـرُ هاديه ، أَبُو لَـهَب
وَأَيْنَ مَنْ كَـانَت الزَّهْراءُ أُسْـوتَهَـا ... مِمَّنْ تَقَـفَّتْ خُطى حَـمَّـالة الحَطَب
فَـلاَ تُبَـالـي بمَـا يَـلْقُـونَ مِـنْ شبـه ... وَعِنْدَك الشَّـرْعُ إن تدعـيْه يَسْتَجِب
سَلِيْـه مَنْ أَنَا؟ مَنْ أَهْـلي؟ لمن نَسَبِي؟ ... لِلْغَـرْب أَمْ أَنَا للإسـلامِ والعَـرَب
لِمَنْ وَلائي؟ لِمَنْ حُـبِّي؟ لِمَنْ عَـمَلِي؟ ... للـه أَمْ لِدُعَـاةِ الإثْـمِ وَالْكَـذِب؟
هُمَـا سَـبِيْلاَن يَا أُخْـتَـاهُ مَـالَهُـمَـا ... مِنْ ثَالث، فَاكْسَبِي خيرًا أو اكْتَسِبي
سَـبِـيْلُ رَبك، والْـقُـرآنُ مَنْهَـجُـهُ ... نورٌ مِنَ الـله لَمْ يُحْـجبْ وَلَـمْ يَغب
فَاسْتَمْسِكي بعُرى الإسْلامِ وارْتَفِعي ... بالنَّفْسِ مِنْ حَـمْأَة الفُّجَّار واجْتَنِبي
صُونِي حَيَاءَكِ، صُونِي العِرْضَ لأَتَهِني ... وَصَابِـرِي ، وَاصْبِرِي للـه واحْتَسِـبي

نسأل الله العـظيم أن يرد البشـرية إلى الإسلام ردًّا جمـيلاً وأن يـقر أعيننا بنصرة الإسلام وعز الموحدين. . .

الدعاء.

* * *

فهـرست الموضوعات

فهرس الجزء الثاني ١٧٥

فهرس الجزء الثالث ٣٢٩